كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
و البابا بطرس خاتم الشهداء

إقرأ وافهم
ملف مفتوح

(الجزء الاول)



UP DATE TEL.: 0123607823

مدارس النقد والتشكيك والرد عليها

كنيسة القديسين
مار مرقس والبابا بطرس
خاتم الشهداء- اسكندرية
ت : ٠٣/ ٥٥٠٨٣٩٥
٠٣/ ٥٤٨٧٧٢٨

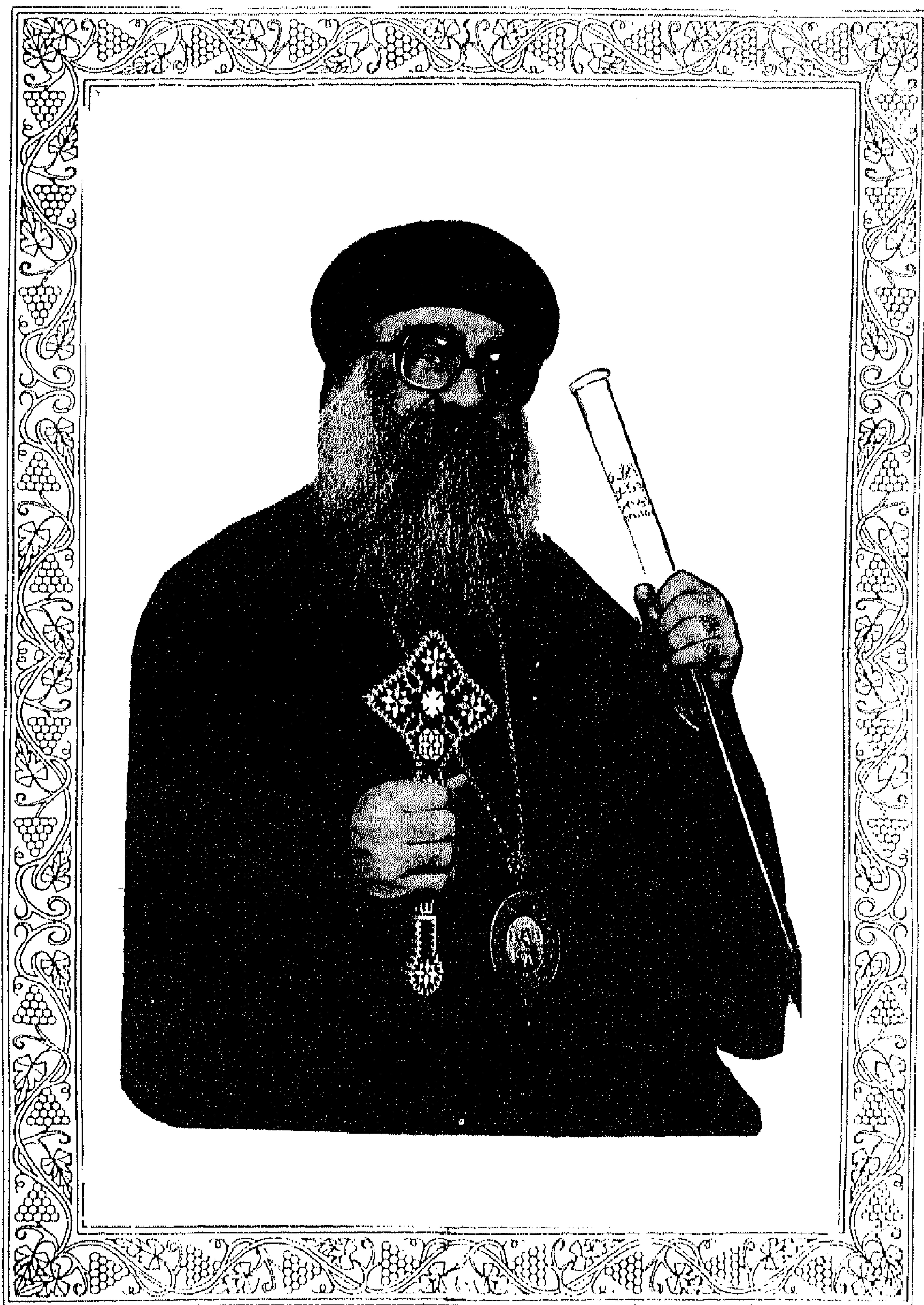
اقرأ وافهم
ملف مفتوح

مدارس النقد والتشكيك والرد عليها

مراجعة وتقديم
نيافة الحبر الجليل الأنبا باخوميوس
مطران البحيرة ومطروح والخمس مدن الغربية







تقديـــم

عزيزي القارئ الحبيب ..

إن ثقتنا الكاملة في مواعيد ربنا يسوع المسيح نحو كنيستنا المحبوبة أن " أبـواب الجحـيم لـن تقوى عليها " (مت ١٦ : ١٨) هذا الوعد المبارك يجعلنا نـدرك قـوة الرب العاملة في كنيسته المقدَّسة ، ويجعلنا نعيش بالإيمان ، واثقين أن الـرب قـادر أن يحفظهـا . ومـن خلال محبتنا الحقيقية لكنيستنا المباركة وإيمانهـا الأرثوذكسـي يدعـنا نشعر بمسئوليتنا الكاملة عن ضرورة إستعدادنا لنبحـث ، ونـتعلم كـيف نجيب كل من يسألنا عن سبب الرجاء الذي فينا ، وهذا السـؤال المطـروح ربمـا يأخذ شكل الإستفسار بقصد الفهم ، وربما يأخذ شكل الهجوم المُخرّب .

ومـنذ الـبدء تعـرَّض الإيمـان الأرثوذكسي لهرطقات كثيرة ، فكانت الكنيسة ، بحرص الآباء وغيرتهم ، تقيم المجامع المسكونية والمكانية لكيما ترد على هذه البدع والهرطقات ، حتى تُسلّم لنا إيماناً نقياً .

وممـا كان يساعد الكنيسة أن هذه الهرطقات كانت تحت الحصر ويمكن متابعـتها بحسـب ما كانت تقتضيه ظروف المجتمع ، ولكننا الآن وأمام التطور الكبـير الـذي يعيشـه العالم ، فقد تطوَّر من عصر الزراعة إلى الصناعة ثم إلى التكنولوجـيا والآن عصر المعلومات الذي فيه يُقدم لنا العالم معلومات كثيرة في كـل الميادـين التـي يعيشـها الإنسـان ، والكثـير من هذه المعلومات يشوبها الإنحرافات الإيمانية والسلوكية والمعرفية .. إلخ .

ومـن الإنحـرافات الإيمانية الكثيرة المتزايدة الآن الهجوم الواضح على الكـتاب المقدَّس ، والذي نراه يتضح في علم جديد تتبناه مدارس غربية كثيرة ، وهو علم " النقد الكتابي **Biblical Criticism** " .

هـذا النقد الذي يتعرض لقانونية بعض الأسفار ، وصدق بعض الأحداث وحقـيقة الكثـير مـن المعجزات ، وضرورة الوحي وصدقه وعلاقته بالأسفار ، وإنسـحبت هـذه المدارس إلى التشكيك في حقيقة التجسد الإلهي والفداء اللازم لخـلاص البشـرية. وصار هناك تأثير مباشر وغير مباشر على إيماننا بالأسرار الكنسية ، ووسائط الخلاص وشفاعة القديسين وكثير من العقائد الأخرى.

ومما نتألم له أن بعض أبناء الكنيسة بدأوا يتأثرون بهذه المناهج النقدية مما كان له تأثير على سلامة التعليم الأرثوذكسي.

من هنا كانت هناك ضرورة أن تقوم الكنيسة بدورها لمواجهة هذا الخطر الكبـير ، ومعالجـة هـذا الفكر. لذلك أسَّس قداسة أبينا الحبيب البابا شنوده الثالـث لجنة مجمعية للتعليم والإيمان ، وأخرى للرعاية ومن أنشطة هذه اللجان مواجهـة التعاليم الخاطئة بالمؤتمرات والنشرات والكتيبات . علاوة على مجهود قداسته الكبير في التعليم المسموع والمقروء..

ولقـد سـاهم الإبن المبارك الشماس حلمي القمص يعقوب بجهد مبارك بكـتابة هـذا المؤلف الدسم للنقد الكتابي ، وقد تعرَّض فيه لتعريف النقد الكتابي ومدارسه ، والدوافع له والرد عليها مؤكداً صلابة الإيمان وأهمية الكتاب المقدس وصـحته ، والمحاور التي عملت عليها مدارس النقد ، والمصادر التي يستندون إليها والرد عليها وتوضيح صحة ما يظهر من تناقضات ظاهرية ، وقانونية نسبة الأسفار إلى كاتبيها وخاصة أسفار موسى الخمسة وموقف الكنائس المختلفة من هذه الآراء.

كمـا عـرض للمذاهب اللاهوتية المتحررة في هذا الصدد ، وأيضاً أفرد بحـثاً قـيماً عـن الوحي وتعريفه وبعض النظريات المرفوضة تجاهه والمفهوم الصحيح له ، والتقليد ومفهومه وأهميته في الكنيسة وفي وصول الكتاب المقدَّس لنا ، ثم قام بالرد على الهجوم الشرس على سفر نشيد الإنشاد.

لقد عرض هذه القضايا الكتابية اللاهوتية والروحية بمنهج إنجيلي مستنداً على أقوال كثير من آباء الكنيسة والمقارنات الإيضاحية مما يعطي فرصة للقارئ أن يدرك العقائد الأرثوذكسية إدراكاً سليماً يتفق مع فكر آباء الكنيسة.

إن هذا الكتاب المبارك يعالج إحتياجاً كبيراً في الكنيسة الآن ، ويحتاج إلى بقية الأجزاء (بقدر الإمكان) لتغطية موضوعات النقد للكتاب المقدّس والرد عليها بالفكر الإنجيلي الأبائي وبالأسلوب الذي يناسب العصر الذي نعيش فيه.

ولاشك أن الإبن المبارك الشماس حلمي القمص يعقوب قد بذل جهداً مباركاً لإخراج هذا الكتاب .. نصلي أن يبارك الرب هذا العمل ويعوضه عن تعب محبته . راجين أن يكمل البحث في هذا الموضوع الهام.

ببركة صلوات قداسة

أبينا الحبيب البابا شنوده الثالث

وآباء الكنيسة ، وشفاعة كافة القديسين

ولربنا المجد الدائم

الأنبا باخوميوس

مطران البحيرة ومطروح والخمس مدن الغربية

إهــــــداء

بمناسبة الذكرى الخمسين أهدي هذه السلسلة إلى أبي الحبيب طيب الذكر :



القمص يعقوب عوض توما

راعي كنيسة مارجرجس بأولاد مأمن سوهاج

وُلِـد في ١٩ يناير سنة ١٨٩٥م – سيم قساً يـوم الأحـد ١٩٢٨/٣/٢٥م – سيم قمصاً يـوم الأحـد ١٩٣٧/٣/٧م – إنتقل إلى دهور النور يوم الأربعاء ١٩٥٤/٩/٢٩م.

لقد أحببت مسيحك ، وخدمت جيلك بأمانة ، وإفتخرت بصليبك ، وعشقت كتابك المقدّس فكانت وصاياه لك حياة وجزت آلام مرض الفردوس بشكر ورضى ، فأحبك الرب إلهك حتى أعلن لك يوم وساعة إنتقالك.

حقاً إننا لمسنا ونلمس بركتك في حياتنا وحياة أحفادك ، فأذكر هذا العمل ،

وأذكرنا أمام عرش النعمة إلى أن نلتقي هناك.

إهـــــداء

بمناسبة الذكرى الخمسين للأب الحبيب طيب الذكر



القمص يعقوب عوض توما

كاهن كنيسة مارجرجس بأولاد مأمن سوهاج

٢٩/٩/١٩٥٤م - ٢٩/٩/٢٠٠٤م

قصة هذا الكتاب

منذ نحو ثلاثة أعوام كلفني نيافة الحبر الجليل الأنبا باخوميوس بالتدريس في كلية القديس أثناسيوس الأكليريكية بدمنهور ، ولكنني أعترف أنني أخطأت وتقاعست بحجة ثقل العبء المُلقَى على كاهلي ، وإلتزامي الأدبي أمام قرائي بإستكمال ما بدأته من سلاسل مختلفة منذ سنوات طويلة تحت إسم " اقرأ وافهم "٠

وفي العام الماضي وجدتُ الدعوة تتكرَّر عن طريق نيافة الحبر الجليل الأنبا بنيامين لتدريس مادة " بدع وهرطقات حديثة " بأكليريكية شبين الكوم ، فوافقت ، ولكنني قلت في نفسي : كيف أذهبُ من الأسكندرية إلى شبين الكوم مروراً بدمنهور ، مع أنني مدين لأبي الحبيب نيافة الأنبا باخوميوس بدعوته الأولى ، فأبلغته بما كان ، وقلت له إن كان هناك حاجة إلى ضعفي فيسعدني أن ألبي الدعوة ٠٠

وفي إجتماع أساتذة كلية القديس أثناسيوس مع نيافة الأنبا باخوميوس والأنبا تاوضروس ، وقد حملت كتبي ظناً مني بأنني سأُكلف بتدريس كتاب أو أكثر من هذه الكتب ، ولكنني فوجئت بأن سيدنا الأنبا باخوميوس يكلفني بتدريس مادة " النقد الكتابي " ومع صعوبة الوصول إلى مراجع لهذه المادة شعرت وكأنني أُلقيت في اليم ولا أعرف العوم ٠٠ فكيف العمل ؟! أسرعت إلى أبي وحبيبي القمص تادرس يعقوب الذي شجعني وأمدني ببعض المراجع الإنجليزية ، وهكذا فعل أبي الحبيب نيافة الأنبا بيشوي ٠ كما مدَّ يد العون لي أبي الحبيب القس عبد المسيح بسيط والأستاذ جرجس صالح إبراهيم والدكتور جوزيف موريس فلتس وغيرهم ٠٠

ولذلك لا يسعني إلاَّ تقديم عميق شكري لإلهي الذي كشف عن عينيَّ أهمية هـذه المـادة حـتى أنني أتمنى لو أكرس بقية أيامي لدراسة هذا الموضوع الشاق الشيق ..

وشـكراً خاصـاً لنيافة الأنبا باخوميوس الذي وضعني على أعتاب " النقد الكتابي " ..

وشكراً لكل من مدَّ يد المعونة لضعفي ..

ولأننـي أدرك أننـي مهما إجتهدت فلن أوفي هذا الموضوع حقه ، لذلك دعيـت هـذه السلسـلة بإسـم " اقرأ وافهم – ملف مفتوح " لعل من يتقدم ويبحث ويستكمل ما أغفلته بدون قصد – أو ما قصرت فيه عن ضعف ..

وأخـيراً ياصـديقي ألتمس صلواتك من أجل إستكمال هذا العمل الطويل الشاق ، فربما يكون نافعاً لأولادنا في الأيام القادمة.

ولإلهنا المجد الدائم في كنيسته إلى الأبد

آميـــــن

بسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد
آمين

تمهيـــــــد

دعنا ياصديقي في هذا التمهيد نتعرف على النقد الكتابي ، وأنواعه ، وأسبابه ، وسبب إزدهاره في ألمانيا ، وأنواع مدارس النقد من خلال الأسئلة الثلاث الآتية :

س١ : ماهو النقد الكتابي Biblical Criticism ؟

ج : الـــنقد الكتابـــي فـــي اللغـــة اليونانية " كريتكـــي " Κριτικη ويعني القدرة على التمييز ، وبدونه لا يكون هناك رأي محدد وواضح في أمر ما ٠
(Biblical Criticism . In the : Interpreters Dictionary of the Bible vol . 2) (1)

وهذا هو النقد الكتابي في مفهومه الإيجابي وقد مارسه أباء الكنيسة الأولى عـــندما مـــيزوا وأفـــرزوا النصوص القانونية للكتاب عن غيرهـــا من النصوص المزيفة ، فالنصوص القانونية هي التي تعبر عن " الإيمان المُسلَّم مـــرةً للقديسين " (يه ٣) والتـــي تكلَّـــم بهـــا " *إناس الله القدّيسُون مسُوقيـــن مـــن الرُّوح القدس* " (٢ بط ١ : ٢١)٠

أمـــا النصوص المزيفة " الأبوكريفا " فقد جاءت نتيجة جهد بشري محض ٠٠ إذاً بواســـطة الـــنقد الكتابـــي قبلت الكنيسة ستة وأربعين سفراً في العهد القديم ورفضـــت أســـفار أخـــرى مـــثل آدم ، وشـــيث ، وأخنوخ ، ونوح ، وإبراهيم ، وعزدراس الذي جاء فيه إن الروح القدس أملى عزرا الكاهن والكاتب سبعين سفراً يطلـــع عليها الحكماء فقط دون عامة الناس ، وبواسطة النقد الكتابي قبلت الكنيسة

---

(١) أورده د ٠ جوزيـــف موريس فلتس – مؤتمـــر تثبيت العقيـــــدة (٦) ٢٢ – ٢٠٠٣/٩/٢٥ طبعة تمهيدية

سبعة وعشرين سفراً في العهد الجديد ورفضت مثلاً أناجيل الأثنى عشر ، والعبرانيين ، والمصريين ، وبطرس ، ومريم ، ويعقوب ، وفيلبس ، ونيقوديموس ، ويهوذا الأسخريوطي ، والإنجيل الأبدي ، وأيضاً بواسطة النقد الكتابي بمفهومه الإيجابي رفضت الكنيسة إعتبار الإنجيل الرباعي (الدياطسرون) من النصوص القانونية ، والدياطسرون وضعه تاتيان في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي ، وهو مجرد محاولة بشرية محضة الغرض منها وضع رواية واحدة متجانسة تعتمد على الروايات الإنجيلية الأربع ، فقد قام تاتيان بتفكيك محتويات الأناجيل الأربعة ، ونسجها في قصة متصلة ، وهذا المؤلف الجديد البشري تنقصه الوحدة ، كما يصعب علينا تمييز ما أخذه من كل إنجيل على حدة •

وقد أفرز لنا النقد الكتابي بمفهومه الإيجابي " **مدرسة النقد الأدنى** " وهي التي تقر وتعترف بوحي الكتاب المقدس ، وتهتم بالنواحي الإيجابية مثل دراسة المخطوطات ومدى تطابقها مع الأصل ، وتهتم بتحديد عمر المخطوطات • كما تدرس اللغات القديمة التي كُتبت بها الأسفار المقدّسة ، وقد قدمت هذه المدرسة لنا الكثير من العلم النافع ، فهي تختلف تماماً عن **مدرسة النقد الأعلى** High Criticism التي تهتم **بنقض** الكتاب المقدس.فبينما تهتم مدرسة النقد الأدني بالوصول إلى أقرب مايمكن من النص الأصلي الذي كتبه المؤلف سواء بالعبرية أو الآرامية أو اليونانية ، فإن مدرسة النقد الأعلى تتسلم هذه النصوص ، وتبحث عن نسبة النص إلى صاحبه ، وتاريخ هذا النص ، والعصر الذي كُتبت فيه ، والمصادر التي أتى منها ، والتمييز بين هذه المصادر ، والمحتوى العقيدي للنص ، وتمثل **أدوات البحث** في هذه المدرسة علم تنظيم وتنسيق النصوص ، وعلم التبويب والتصنيف ، وعلوم اللغة والنحو ، وعلم التاريخ ، وعلم الآثار بكل فروعه ، والإكتشافات الأثرية ، والآثار والتراث التاريخي

(DICTIONARY OF THE BIBLE–EDITED BY JAMAS HASTINGS. P190, CRITICISM BIBLICAL)

وقــد إســتعار علمــــاء الكتــاب لفظتــــي " الأعلى " و " الأدنى " من صـــورة الــنهر ، فالــناقد الأدنى يضع نفسه في مستوى أدنى من الكتاب المقدس معــترفاً بوحــيه محــاولاً الإرتواء منه والتمتع به ۰ أما الناقد الأعلى فهو يسعى للــتوغل في أعالي النهر أقرب ما يكون من المنبع ، وإذ هو يترأى فوق ما ينبغي أن يترأى يتكبر ويسقط ۰

ومــن أهــم الأسباب التي أدت إلى ظهور مدرسة النقد الأعلى هو طغيان المــادة وإهمــال الجانــب الروحي ، وإغفال دور الوحي الإلهي في كتابة الأسفار المقدّســة ، والإنصــراف عــن روح الآباء والتقليــد الحي ، وسطوة العقل على الإيمــان ، حــتى أنهم أخضعوا كلمة الله للعقل البشري عوضاً عن إخضاع العقل البشري لكلمة الله المقدّسة ۰

س ٢ : بدأت مدرسة النقد الأعلى بنظرياتها المختلفة ، وإتجاهاتها المتعددة في ألمانيا ۰۰ فلماذا ألمانيا بالذات ؟

ج : لأن فــي ألمانــيا نشب الصراع المرير بين الدولة والكنيسة ، وأيضاً الصراع الرهيب بين الآرية والسامية :

أ - **بالنســبة للدولــة في ألمانيا** فإنها كانت تمثل مركز الإمبراطورية ، ولطالما تســلط بابــا رومــا على الأباطرة ، ولذلك سعى ملوك ألمانيا للتخلص من سلطان رومــا ، فأثــاروا رجــــال الدين ، واشتروا أقلام الكتّاب ، وشجعوا الثائرين ضد رومــا ، ومــن ألمانــيا خــرج " **مارتن لوثر** " الثائر ضد الكنيسة الكاثوليكيــة ، وتعــاطف معــه ودافــع عنه " فريدريك " أمير سكسونيا ، فلم يُمكّن روما منه ، ورفــض أن يُحاكم خارج ألمانيا ويذهب إلى روما وإلاَّ كانت نهايته كنهاية " جون هــس " ، و"ســافونا رولا " فقد صرح جون هس في كتابه " ناموس المسيح " بأنه يحــق للمســيحي أن يشــق عصا الطاعة على البابا فيما يخالف ناموس المسيح ، فحكمــت عليه روما بالحرق حيّاً ۰ أما سافونا رولا فقد قال " لقد كان للكنيسة من

قـبل قساوسة من ذهب وكؤوس من خشب · أما الآن فالكؤوس صارت من ذهب والكهـنة مـن خشب " فشُنق مع أثنين من رفاقه وأُحرقت جثثهم ، وغيرهم المئات مـن الذيـن حكمـت عليهم روما بالإعدام وبالحرق أحياء (راجع كتابنا ياأخوتنا البروتستانت ·· هلم نتحاور ص ٤٠ – ٤٤)· وعندما ترجم مارتن لوثر الكتاب المقدس إلى الألمانية حذف رسالة يعقـوب التي تركز على أهمية الأعمال ، وهذا جـرّأ الألمـان على الهجوم على الكتاب المقدس ، فحذفوا سبعة أسفار منه ، **ومن ألمانـيا ومـن عـب البروتستانتينية إنتشرت مدارس النقد إلى كل أوربا كالوباء السريع الإنتشار·**

ب – **بالنسـبة للصـراع بيـن الآرية والسامية** ، فقد كان اليهود يسيطرون من الناحـية الإقتصـادية على ألمانيا ، ويشيعون عن أنفسهم أنهم شعب الله المختار ، ويفســرون نبوات العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون بما يخدم أغراضهم ، وقد أشعل هـذا غضب الألمان عليهم ، فظهر بعض الكتّاب الألمـان الذين تعصبـوا " للآريـــة " ورفعـوا شعـار " اللاسامية " مثل " فون جوبينو " Von Gobino (١٨١٦ – ١٨٨٢ م) ، و " بـول دي لاجـارد " P. D. Laguard (١٨٢٧ – ١٨٩١ م) ، و " هوستوت ستيوارت " H. Stywart (١٨٥٥ – ١٩٢٧ م) الـذي وصـل إلـى حد محاولة إثبات أن السيد المسيح من جنس آخر غير الجنس اليهودي·

وجاء " هتلر " ليشعلها حرباً شعواء ضد السامية ، فحكم حكم جماعي على جمـيع يهـود ألمانـيا بـالإعدام ، وقد تفنّن في إعدامهم بأبشع الوسائل ، وحرق أجســادهم وإستخدام رمادهم في صناعة الصابون ·· إلخ · ثم ظهرت في ألمانيا جماعــات تحـــارب ليس العهـد القديـم فقط بل العهـد الجديـد أيضاً ، ودعت هـذه الجماعات إلى التخلي عن المسيحية ، وإختراع دين جديد يكون آري المصدر بـدلاً مـن المسـيحية ، ومـن هذه الجماعات اللا مسيحية ظهر " تننبرج بوند "

، M0 Loden Dorf " و " ماتــيلدة لوديــن دورف ، Tannenbery Bund و " فلهلــم هــور " F. Horh (راجع د٠ وهيب جورجــي – الكتــاب المقدس والعقيــدة مع عرض ومناقشـــة مـــدارس التشكيك ص ٤٧ – ٤٩)٠

ويقول الأب جون وايتفورد عن اللوثويين أنهم " كانوا يعتقدون برأيهم أكثر من أي من أباء الكنيسة ، فبدل الإنصات إلى الآباء الذين ثبت برُهم وقداستهم ، فقد أعطــوا الأولويــة للمنطق البشري ٠ وهذا المنطق البشري هو الذي جعل غالبية الدارســين اللوثرييــن يرفضون أغلب عقائد الكتاب المقدَّس ٠٠ ويرفضون أيضاً الإيمـــان بوحـــي الكتاب المقدَّس نفسه " [١] ويربط الأب أنطون نجيب بين مدارس الـــنقد والحـــركة البروتستانتية فيقول " وجه عصر النهضة للتقليد المذكور (نسبة الـــتوراة لموسى النبي) سهاماً مميتة ، فقد بدأت الشكوك الجدية تظهر حول أصل التوراة الموسوي منذ الجيل ١٦ ٠٠ وتتابعت الهجمات بعد ذلك على أصل التوراة الموسوي ، وقام علماء من كل ناحية ، من الكاثوليك والبروتستانت واليهود ، ونفوا نسبة بعض أجزاء على الأقل من التوراة إلى موسى النبي " [٢]

إنـــنا نســـتطيع أن نقول بالفم المليان أن " النقد الكتابي " وُلِد في أحشاء البروتســـتانتية٠ ثـــم تبنته الكنيسة الكاثوليكية ، وهذا ما سنلمسه في هذا الكتاب والأجزاء المكملة له٠

س٣ : ما هي مدارس النقد والتشكيك في الكتاب المقدس ؟

ج : نتـــناول فـــي إجابـــة هذا السؤال ثلاثة أنواع من مدارس النقد والتشكيك في الكتاب ، وهي :

أولاً : مدرسة الإلحاديّين٠

ثانياً : مدرسة النقد الأعلى٠

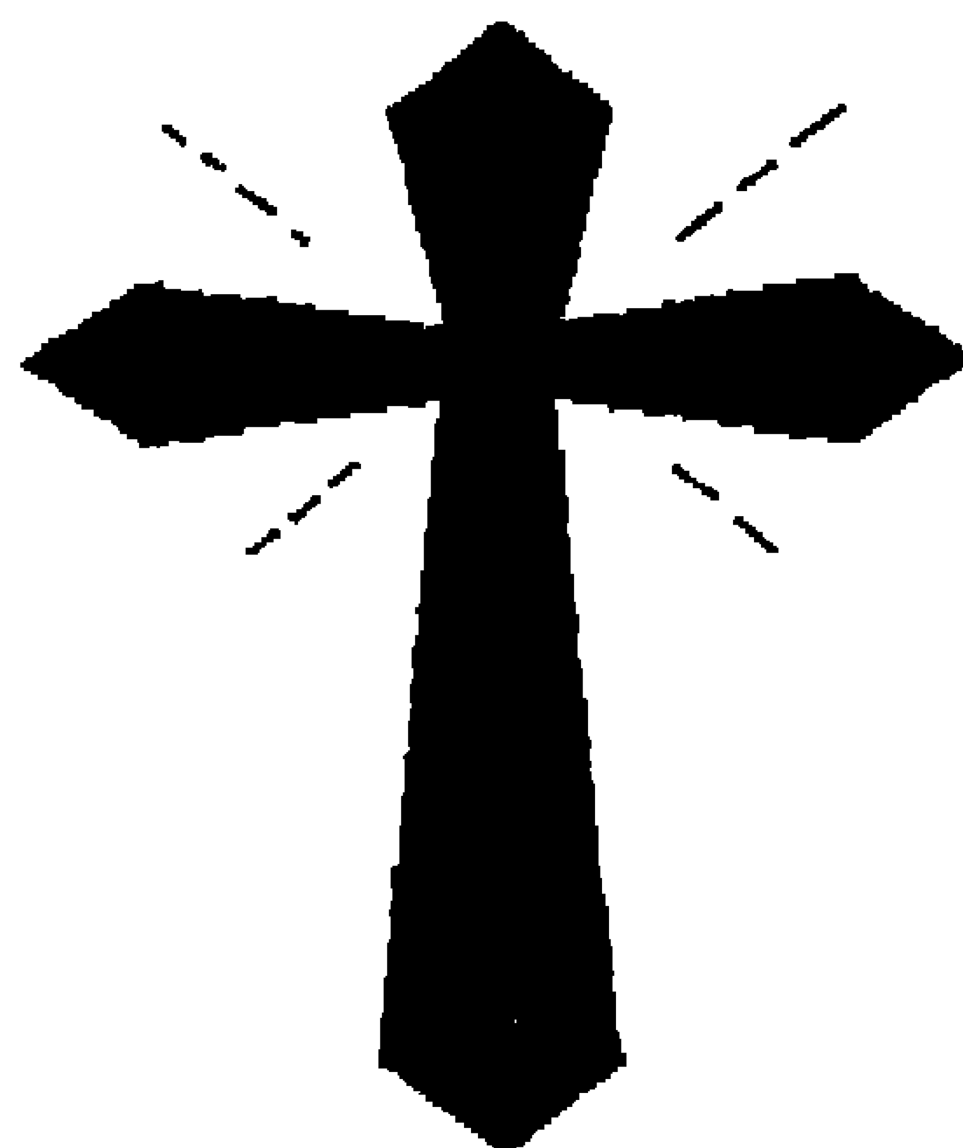
ثالثاً : مدرسة المدّعين التحريف٠

---

(١) هل الكتاب المقدس وحده يكفي ؟ ترجمة أسرة القديس ديديموس بكنيسة مارجرجس اسبورتنج ص ٥٩

(٢) مجلة صديق الكاهن – يونيو ١٩٧١ م ص ١٠

وأصحاب هذه المدرسة الأخيرة لم يأتوا بأفكار نقدية جديدة ، ولكنهم نقلوا أفكـــــار مدرســـة الـــنقد الأعلـــى بمذاهبها المختلفة ، ولذلك نستطيع أن نعتبر أن المتزعميـــن هذه المدرسة من أمثال أحمد ديدات وغيره ليسوا أصحاب فكر جديد ، إنما هم ينقلون من مدرسة النقد الأعمى ٠٠ أنهم يقتبسون الأفكـــار ويعبرون عنها بأســـلوب خالٍ من الوقار والإحترام للرب يسوع وتلاميذه الأطهار ٠ أما إدعاءات وإتهامـــات هذه المدرسة ولاسيما الخاصة بالكتاب المقدس والرد عليها فنتركه إلى لقاء آخر مطول بعد الإنتهاء من مدرسة الإلحاديين ومدرسة النقد الأعلى إن شاءت نعمة الرب وعشنا ٠



الفصل الأول : مدرسة الإلحاديين

في هذا الفصل نجيب بإختصار عن الأسئلة التالية :

س ٤ : ما هي دوافع الإلحاد ؟

س ٥ : ما هي مبادئ الإلحاد ؟

س ٦ : ما هي الأدلة الدامغة على ضلال مدرسة الإلحاديّين ؟

س٤ : ما هي دوافع الإلحاد ؟

ج : من أهم الأسباب التي دفعت الإنسان إلى الإلحاد هو ما تعرض له من ظلم وطغيان ، وإفتقار للحب ، وغرق في الشهوات ، وأيضاً السقوط في الكبرياء :

أ – الظلم والطغيان :

إتسمت البيئة التي أفرزت لنا الإلحاد بفساد المجتمع وإنتشار المظالم من ناحية ، ومن ناحية أخرى ضعف الكنيسة وسلبيتها ، والإفتقار الشديد للحب ، فإنحرافات الحكام وطغيانهم ، وتبرير رجال الدين لهذه الإنحرافات أدى إلى الثورة ليس ضد الحكام ورجال الدين فقط بل ضد الدين نفسه وضد الله ، فسقطت الشعوب في الإلحاد كنوع من التمرد على السلطة ، وكمحاولة للتخلص من الكبت والحصول على الحرية المفقودة ، وقد أفرزت هذه المظالم شخصيات غير سوية مثل كارل ماركس ، وأفرز لنا الإفتقار للحب شخصيات محطمة مثل سارتر ، وغيرهما من الملحدين.

وُلِد كارل ماركس من أسرة فقيرة معدمة ، وقد عانى مع أسرته من سخرة الإقطاع والرأسماليين ، ورغم أنه كتب في فجر حياته كتاباً باسم " إتحاد المؤمن بالمسيح " قال فيه " إن الإتحاد بالمسيح يعطينا السمو في الباطن ، والتعزية في الأحزان ، والثقة الهادئة ، وتفتح القلب نحو أخوتنا ، وكل ما هو سامٍ ونبيل لأجل

مطامعـــنا وأمجادنـــا ، بـــل من أجل المسيح " [1] وصـرح في مقدمة كتابه " داس كابيـــتال " أن المسيحية في شكلها الإنجيلي الكتابي ، هي الديانة المثالية التي تخلق مـــن جديد نفوساً حطمتها الخطية " (ريشار وورمبراند ص ١٦٧) إلاَّ أنه عندما رأى معانـــات الفقـــراء ورفاهـــية الأغنياء ظن إن الله يعيش في برجٍ عالٍ لا يهتم بهـــؤلاء الفقـــراء المطحونين ، وعندما إلتقـــى بالفيلسوف اليهودي الملحد " موسى هـــس " ســـقاه هـــذا الملحد السم في العسل ، وأطعمه السم في الدسم ، وزرع فيه الكراهية لله عدو البشرية وللمسيح.

ثـــم تـــرك ماركس نفسه للشيطان فسقط في السحر الأسود فتلفت حياته ، حـــتى إنه يقول في قصيدته نافخ المزمار " إن أبخرة الجحيم تتصاعد وتلف رأسي حـــتى أجـــن ويقسى قلبي .. أنظر هذا السيف .. إنه لرئيس سلطان الظلمة وقد باعـــه لـــي " [2] . وفي قصيدته أولانيم يقول " لقد إنتهيت .. خربت .. ضعفت .. وموعـــدي إلى الإنتهاء . ها ساعتي وقت نهايتها .. ومسكني قد تهاوى إلى حطام سريعاً .. سوف أحتضن الأبدية إلى صدري .. وأزمجر باللعنات الرهيبة : أيتها الأبدية أنتِ مصدر رعبنا الأبدي ، أنتِ الموت الذي لا يوصف .. الهلاك الـــذي لا يُقاس ، ونحن إلاَّ ساعات آلية عمياء .. لا هدف لنا إلاَّ الإنتماء للأحداث ثم الهلاك " [3].

وقـــد خلط هؤلاء الملحدون بين المبادئ المسيحية السامية وبين تصرفات المســـيحيين الخاطـــئة ، فقال ماركس " إن المبادئ المسيحية تبشر بضرورة وجود طـــبقة مســـيطرة ، وطـــبقة مظلومة ، وتكتفي بالتمييز للتقوى ، بأن تكون الأولى محســـنة للثانية . إن المبادئ الإجتماعية المسيحية تجعل في السماء التعويض عن

---

(١) أورده القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٨٢
(٢) المرجع السابق ص ٨٢ ، ٨٣
(٣) المرجع السابق ص ٨٣

كل المخازي ، وتبرّر بذلك إستبقاؤهم على الأرض " [1] فأنكر ماركس وجود الله ، وظــل يحلم بمجتمع مثالي ، وهو لا يدري أن هذا التفاوت الإجتماعي لا سبيل أبداً للقضــاء علــيه ٠٠ لمــاذا ؟ لأنه لو إفترضنا إن الإمكانات المتاحة وُزعت على الأفــراد توزيعــاً عادلاً لكيما يعيشوا جميعاً سواسية ، فهل الحال سيدوم ؟ كلاً ٠٠ لمــاذا ؟ لأن هــناك من هو حكيم يحسن إستخدام وإستثمار موارده ، وآخر جاهل مســرف يــبدد مــوارده ، فبعد فترة من الزمن طالت أو قصرت ، لابد أن يظهر التفاوت الإجتماعي ثانية ، ومن القصص اللطيفة التي جاءت في التلمود أن موسى النبــي أثــناء تفقــده شعبه وجد رجلاً غنياً يجلس في الظل يشرف على عامل بناء وإبــنه يقومان ببناء بيت الغني في الشمس الحارقة ، فتأثر موسى وسأل الله : لماذا لا يكــون الكــل سواســية ؟! وطلب من الله أن يصنع هكذا ، فإستجاب الله لطلبة موســى ، وإذ بعــامل البــناء الــذي إغتنى فجأة رفض الذهاب إلى الرجل الغني ليســتكمل بــناء البيت ٠ بل وهو متخصص في أعمال البناء أخذ يبحث عن عامل آخــر يبنــي له بيــت أوسع فلم يجد لأن الكل صاروا أغنياء ، وإنتظر موسى من يحضــر له الماء فلم يأتِ لأنه صار غنياً ، وترَك التاجر تجارته والفلاح زراعته ، وتوقفت الحياة تماماً ، فتضرع موسى لله لكيما يعيد الوضع كما كان عليه أولاً ٠

وقــد تأثــر الفيلســوف الملحد " نيشه " منْ تصرفات المسيحيين وسلوكهم فقال " المسيحي كائن بطال ، مغرور ، ضائع ٠ إنه غريب عن نشاط الأرض ٠٠ فلهذا فإن الحيــاة تنتهــي حيث يبتدئ ملكــوت الله " [2]. أما جــون بول سارتر (١٩٠٥ – ١٩٨٠م) فقــد مات والده وهو في سن السنتين من عمره ، وتزوجت أمــه برجل آخر ، وتركته لدى جده ، فافتقد حب الأب والأم معاً ، وشعر أنه غير مرغوب فيه ، فكان يتظاهر بالطاعة لجده وهو يبغضه ، وكانت نتيجة هذه الطفولة التعسة أنه قال " لم أكن أحب شيئاً ولا أحداً " وعندما أحرق سارتر سجادة صغيرة

(١) أورده القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٨٣ ، ٨٤
(٢) المرجع السابق ص ٩٦

وأراد أن يخفيها شعر وكأن الله يراه ويلاحقه فقال " مرة واحدة شعرت أن الله موجود ، حين كنت ألعب بعيدان الكبريت وأحرقت سجادة صغيرة ، وفيما كنت أخفي جرمي أبصرني الله فجأة . لقد شعرت بنظرته داخل رأسي .. أحس أنني مرئي منه بشكل فظيع وشعرت بأنني هدف حي للرماية ، ولكن الإستنكار أنقذني . فقد إغتظت لفضوله المبتذل ، لهذا رفضته وجدفت عليه فلم ينظر إليَّ أبداً فيما بعد " [1] وبدأ سارتر يقتل في نفسه الإحساس بالله ، فشعر بالوحدة القاتلة حتى قال " أصبحت راشداً وحيداً ، لا أب ولا أم ولا مقر لي ، وأكاد أكون بلا إسم " [2] وبسبب إفتقاره الشديد للحب أساء فهم الحياة ، فقال " كل إنسان يولد دون مبرر ، ويستمر في ضعف ، ويموت بلا هدف " وهكذا أصبحت الحياة بالنسبة له بلا معنى .

ب - الشهوة :

يحب الإنسان أن يسير حسب أهوائه وشهواته وفي ذات الوقت يريد أن يستريح من متاعب الضمير .. يريد أن يعيش في الخطية والفساد ويود أن يهرب من الدينونة والعقاب ، فماذا يفعل ؟ .. يلجأ إلى إنكار وجود اله *" قال الجاهل في قلبه ليس إله "* (مز ١٤ : ١) ، ولذلك قالوا إن " وراء كل إلحاد شهوة " وأخذوا يحتجون بحجج جوفاء ، فقالوا عدم رؤيتنا لله تؤكد عدم وجوده ، وهذا ما إحتج به بعض العلماء منذ القرن الثالث عشر وحتى القرن العشرين إذ أتبعوا المنهج التجريبي أي ما لا يمكن أن تراه العين وتسمعه الأذن وتلمسه اليد ويكون له مقاييس ومكاييل فلا وجود له . كما إدعوا أن الدين ما هو إلاَّ لغز كقول " دافيد هيوم " أحد فلاسفة اللادريين " إن الديانة في كل أبوابها لغز وسر لا يحل " [3].

وإن كان الإنسان قد يحاول أن يصدق نفسه بأنه " ليس إله " ردحاً من الزمن ، ولكن الإحساس بوجود الله في أعماقه يظل يطارده ، فيضطر للإعتراف

---

(١) أورده القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٨٥
(٢) المرجع السابق ص ٨٥
(٣) المرجع السابق ص ٣٥

غير المباشر بوجود الله ، وذلك بأن يعلن كراهيته لله ، كما قال كارل ماركس إني أريــد الإنتقام من هذه القوة العلوية التي في السماء (راجع القمص بولس عطية – دراســات فــي علم اللاهوت ص ٣٥) وأيضاً مما يؤكد فشل هؤلاء الملحدين في إقناع أنفسهم بأنه لا وجود لله ، هو ما نراه قرب نهاية دربهم ومواجهتهم للموت إذ يعــترف كثــير مــنهــم بوجود الله ، وبعضهم يعلن ندمه الشديد وهو على فراش الموت٠

ج – الكبرياء :

فـــالملاك الســـاقط بسبب الكبرياء لايزال يعمل في أبناء المعصية ، وينفخ فيهم من كبريائه ، وقال ماركس في قصائده المشهورة ضد الله " إنني أريد فقط أن أنتقم بكل جوارحي من ذلك الواحد الذي يسكن السماء ، متسلطاً على البشر ٠٠ لقد خطــف مني كل شئ ٠٠ كل العوالم تبخرت بين يديَّ ، ولم يبق لي سوى الإنتقام المــر ٠٠ ســوف أعلو بعرشي فوق الرؤوس "[1] مثلما قال إبليس *" أرفع كرسي فــوق كواكــب الله وأجلــس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال ٠ أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العلي "* (أش ١٤ : ١٣ ، ١٤)٠

س ٥ : ما هي أهم مبادئ الإلحاد ؟

ج : مــن أهــم مبادئ الإلحاد إنكار وجود الله ، والإعتقاد بأزلية المادة ، وتأليه الإنســـان ، وإن الديـــن أفيون الشعوب ، والكتاب المقدَّس مؤلف أدبي أسطوري ، ورفض السلطة الإلهية :

أ – إنكار وجود الله :

يدَّعـــون أن الإنســـان الشقي يبحث عن السعادة في هذا العالم ، وعندما لا يجدهـــا يتوهَّم وجودها في شخص غريب عن الوجود يدعوه الله ، وإعتقد الفيلسوف

---

(1) أورده القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٨٢

الملحد " فويرباخ " إن الله لم يصنع الإنسان ، إنما الإنسان هو الذي صنع الله فيقول " الإنســان الشقي يبحث عن السعادة المنشــودة وإذا لــم يجدهــا فــي ذاتــه ولا على الأرض ، يتوهَّم أنه وجدها في شخص غريب عن الدنيا إختلقته مخيلته ويسميه الله " (١).

وصــرح الفيلســوف الملحد نيتشه قائلاً " لنعلن أنه قد مات الله " فاختــل عقله ، حتى إنه في أواخر حياته كان يطوف الشوارع باكياً وهو يغني بلحن حزين " لقــد مات الله " . أما لينين فقد قبَّح مجرد التفكير في الله فقال " إن كل فكرة دينية ، أو فكــرة عن الله ، حتى التمادي بفكرة عنه ، هي قباحة لا يُنطق بها . وهي أعظم خطــراً وأشــدها عــدوى من أية عدوى كانت ، فملايين الخطايا والأعمال القبيحة ومظاهــر الضعف والعدوى الجسدية ، لهي أقل خطراً من فكرة روحيَّة خداعة عن الله " (٢) أمــا " أريــك " أحــد أعضاء اللجنة المركزية بالحزب الشيوعي فقد كان يخاطــب فريســته مــن المسيحيين قائلاً " أتعلم أنني أنا الله ! فبيدي سلطان الحياة والموت ، والذي في السماء لا يستطيع أن يقرر في إستبقائك حيًّا ، فكل شئ يتوقف عليَّ أنا . فإن شئتُ عشتَ ، وإن شئتُ متَ ، فأنا الله " (٣).

ب- الإعتقاد بأزلية المادة :

إعتــنق الملحدون الفلسفة المادية الطبيعية ، فاعتبروا أن المادة هي الحقيقة الوحــيدة ، وإنها أزلية لا بداية لها ، ومنها يخرج كل شئ سواء كان جماداً أو نباتاً أو إنســاناً أو حيواناً ، وإن الكون كله هو وليد الصدفة ، فليس هناك خالق ، بل إن المــادة نفســها تطوَّرت ، والتطور أوجد التنوع في الكائنات ، فقال ماركس " إن المــادة ديالكتيكــية أي لهــا قوة قادرة على الفعل " وقال الطبيعيون إن " الكائنات وجــدت مــن ذاتها ، وكان أصلها ذرات أتت بطريقة الصدفة .. وأخذت تتكامل

---

(١) أورده القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٢٢
(٢) أورده ريشار وورمبراند – تعريب كريم خاشو – العذاب الأحمر ص ٩٨
(٣) المرجع السابق ص ٥٤

دوراً فـــدوراً بـــتفاعلات كيماوية من المواد غير الآلية الموجودة في تربة الأرض وغيرها من العناصر إلى أن وصلت لحالتها الحاضرة ٠٠ إن المادة قديمة أزلية ، وهي مصدر كل كائن ومرجعه وأصل الحياة ومركز الروحيات وذات قوة وحكمة ســامية تلازمهـــا خصـــائص لا تنفك عنها ٠ تصلح لأن ترقى بها من الجماد إلى الإنســـان ، وذلـــك بـــتدرجها إلى أدوار متعاقبة مقودة بنواميس ثابتة " [1] كما قال المـــاديون بنظرية " التوالد الذاتي " وهي ببساطة " إن بعض الذرات مثل الأكسجين والكـــربون والكبريت والفسفور وغيرها تجمعت ، وبمعاونة العوامل الطبيعية مثل الشمس والبخار مُنحت الحياة " [2] وضربوا أمثلة على التوالد مثل خروج الكتكوت من البيضة وهي في نظرهم تمثل مادة بلا حياة ، وكذلك ظهور الديدان في اللحوم المتعفـــنة ، وقال هلباخ أحد فلاسفتهم " للطبيعة نواميس ، وأنظمة ، وروح ، وهي لا نهائية سرمدية ، وهي في حركة دائبة مستمرة ، وهي أصل الحياة " [3] أي أنهم ألّهـــوا المادة ، والإنسان في نظرهم ما هو إلاّ مادة ، فهو حفنة من المعادن ، وبعد الموت يتحول إلى ملح أو معدن ٠

ولا يمكـــن هـــنا أن نغفل دور الملحد تشارلز روبرت دارون (١٨٠٩ – ١٨٨٢م) صـــاحب نظرية " النشوء والإرتقاء " الذي جذب الملايين وراءه عندما قال إن أصل جميع الكائنات الحية هو جرثومة واحدة تطورت من حالٍ إلى حال ، ومع مرور الأزمان تنوعت حتى أصبحت نباتاً ، فحيواناً ، فإنساناً ، وجمع دارون الأدلة علـــى صحة نظريته هذه خلال رحلته التاريخية على السفينة بيجل في جزر " جالاباجوس " التي تبعد نحو ١٢٠٠ كم عن شواطئ الأكوادور بأمريكا الجنوبية ، وإستغرقت عدة سنوات (١٨٣١ – ١٨٣٦م) وقد تأثر دارون بنظرية " الإنتخاب الطبيعي " معتمداً على :

---

(١) القمص بولس عطية – دراسات في علم اللاهوت ص ٢٠
(٢) المرجع السابق ص ٢١
(٣) وجود الله وصور الإلحاد ص ٤٧

١- **الإنـــتاج المتزايد** : بالرغم من أن كل الكائنات الحية ينتج عنها نسل كثير يُقــدَّر بالملاييــن أحــيانــاً ، ولو قُدّر له أن يعيش كله لضاقت الأرض بكل هذه الكائنــات ، ولكن بسبب التنافس فيما بينها على الطعام والمأوى فإن بعضها يعيش وأكثرها يهلك .

٢- **التبايــن والإختلاف** : لا يوجد شخصان متشابهان في كل شئ ، حتى ولو كانــا توأميــن . بل إن بذور الثمرة الواحدة متباينة ، ولا يبقى في هذه الحياة إلاَّ الأصـــلح والأقوى . أما الضعيف فإنه يتعرض للإنقراض ، وكمثال حي على هذا علَّــل داروين ســـبب طـــول الـــزرافة ، بأن الزرافة ذات العنق الطويل هي التي إســتطاعت أن تحصــل علـــى طعامها من أوراق الأشجار فحافظت على وجودها ونموها وتكاثرها ، أي إن الطبيعة إنتخبتها لتحيا ، أما الزرافة التي لها عنق قصير فلم تتمكن من الحصول على طعامها فماتت وإنقرضت .

٣- **الوراثة** : الكائنات الأقوى هي التي تحيا وتتكاثر ، وتُورّث نسلها الصفات السائدة لكيما تبقى وتسود ولا تتعرض للإنقراض .

ج- تأليه الإنسان :

يـــرفع الإلحـــاد مـــن شأن الإنسان إلى درجة الألوهة ، فقال ماركس " إن الإلحاد هو إبراز الإنسان بواسطته إلغاء الدين " (١) وقال فويرباخ " إن نقطة التحول الكبرى في التاريخ ستكون في اللحظة التي سيعني فيها الإنسان إن الإله الوحيد هو الإنسان نفسه " (٢).

(١) وجود الله وصور الإلحاد ص ٧٥

(٢) أورده القمص تادرس يعقوب – تفسير سفر التكوين ص ٥٣

وظـــن الإنسان أن وجود الله يلغي وجوده فقال جون بول سارتر " إذا كان الله موجـــوداً فالإنسان عدم " [1] كما قال أيضاً " إن وجود الله يعطل وجودي أنا . فالأفضـــل أن لا يكون الله موجوداً حتى أُوجد أنا " [2] وقال فويرباخ " الإنسان الذي يؤمـــن بـــالله لا يؤمن بنفسه ، فالله هو الإنسانية لا أكثر ولا أقل ، والدين يجب أن يمـــوت ، فـــيقوم على أنقاضه عالم على مقاييس الإنسان ، الذي يلزمه أن يكون إله نفســـه " [3] وقال إيتان بورن " يجب ألا يكون الله ، حتى يكون الإنسان " [4] وظن باكونيـــن أن وجـــــود الله يسلب الإنســـان حريته فقال " إذا كان الله موجوداً فلست بحـــرٍ . أنا حرٌ فالله إذاً غير موجود " [5] ، وقال سارتر " إذا إنفجرت الحرية مرة أخرى في روح الإنسان ، لم يبق للآلهة على هذا الإنسان أية سلطة " [6].

د – الدين أفيون الشعوب :

قـــال الإلحـــاديون أن الإنسان الذي يعاني من المتاعب والآلام والمشاكل والإضـــطرابات ، ولا يعرف كيف يتخلص منها ، يتوهَّم وجود الله الذي يتصرَّف فـــي شـــئون الكون كما يحلو له ، وليس على الإنسان إلاَّ الإستسلام مبتغاة للمكافأة الســـماوية ، وبذلـــك يستطيع التدين أن يسكّن آلام الشعوب كما يسكّن الأفيون آلام الجسد ، وبهذا المفهوم يستطيع الحكام ورجال الدين تسكين آلام شعوبهم بدفعهم إلى التديـــن الـــذي يُخـــدّر ضمائرهم كما يُخدّر الأفيون جسم الإنسان ، وبذلك يحصل الإنسان على الراحة الموهومة مُؤَمّلاً في السعادة الأبدية.

وقال ماركس إن الديـــن هو " تغرب عن الإنسان بالهروب إلى ما يُسمى إلـــه " [7] كما قال " إن الشقاء هـــو تنهد المخلوق الرازح .. هو قلب عالم لا قلب

---

(1) أورده القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٨٦
(2) القمص بولس عطية – دراسات في علم اللاهوت ص ٣٤
(3) أورده القس انجليوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٧٣
(4) المرجع السابق ص ٧٣
(5) المرجع السابق ص ٨٧
(6) المرجع السابق ص ٨٦
(7) أورده القمص تادرس يعقوب – تفسير سفر التكوين ص ٥٣

له • إنه فكر من لا فكر له • إنه أفيون الشعوب •• من يحدثني عن الله يبغى أن يسلبني مالي وحياتي " [1] ولذلك جنَّدت الشيوعية جميع وسائل الإعلام لسحق الإيمان بالله ، فكتبت مجلتهم " العلم والدين " تقول " الدين مناوئ للشيوعية • إنه يعاديها •• إن برنامج الحزب الشيوعي يحتوي على ضربة قاضية للدين • إنه برنامج يسعى إلى خلق مجتمع إلحادي حيث ينتهي فيه الإنسان من عبودية الدين مرة وإلى الأبد " [2].

هـ- الكتاب المقدَّس مؤلَّف أسطوري :

إعتبر الإلحاديون أن الكتاب المقدَّس هو مؤلف أدبي أسطوري يحوي مجموعة من الأساطير ، فاليهود قد نسبوا البطولات والأساطير لإلههم يهوه ، ونسب المسيحيون المعجزات لمسيحهم ، ولذلك قام الإلحاديون بالنقد اللاذع والإستهزاء الساخر بآيات الكتاب المقدَّس ، فطبعوا كتابا بإسم " الكتاب المقدَّس المُضحِك " وآخر بإسم " كتاب مقدَّس لمؤمنين وغير مؤمنين " والأمر العجيب أن المسيحيين في الخفاء طالبوا الحكومة بإعادة طباعة هذه الكتب الساخرة لأنها كانت وسيلة يحصلون بها على بعض آيات من الإنجيل يعيشون بها ، حتى ولو كانت من أيدي هؤلاء الأبالسة لأن الشيوعية خشيت ما خشيتِ من الكتاب المقدَّس فمنعت طباعته ، ومنعت دخوله للبلاد بتاتاً ، وصادرت ما هو في أيدي الناس منه ، ولذلك كان هناك عطش شديد إلى كلمة الله من قِبل المسيحيين في البلاد الشيوعية•

و- رفض السلطة الإلهية :

إستخدم الملحدون النظريات العلمية مثل نظرية النشوء والإرتقاء لداروين لإنكار وجود الله ، وعندما أثبت العلم الحديث الصحيح وجود الله ، ولم يعد الإلحاد قادراً على إستخدام هذا السلاح ، إعترفوا ضمناً بوجود الله ، ولكنهم لجأوا

---

(1) أورده القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٩٣

(2) أورده ريشار وورمبراند – العذاب الأحمر ص ١١٨ ، ١١٩

إلـــى نـــوع آخر من الإلحاد ، إذ رفضوا السلطة الإلهية ، فقال الشاعر الفرنسي بريفير " أبانا الذي في السموات ، إبقَ فيها " [1] وقال الملحد الألماني هنري هين " فلنترك السماء للملائكة والعصافير " [2] فلم يعودوا يقولون إن الله ليس له وجود بشـــهادة العلم والمنطق والفلسفة ، إنما أصبحوا يقولون إننا لا نريد الله الذي يلغي حـــرية وسلطة الإنسان ، لذلك سنظل نحن في مكاننا سادة الأرض وليظل هو في مكانه .

س ٦ : ما هي الأدلة الدامغة على ضلال مدرسة الإلحاديّين ؟

ج : كثيرة هي الأدلة الدامغة على ضلال الإلحاد ومدرسته ، فالكون يشهد بوجود الله ، وكذلـــك الإنســـان في تكوينه ، والمادة ليست أزلية ، ووجود الحياة والموت والعقـــل والضـــمير والخيال والعواطف يكذّب أن الإنسان مجرد مجموعة مواد لا غـــير ، وعدم إدراك الله بالحواس لا يعني عدم وجوده ، بل إن هناك شعوراً خفياً بوجود الله ، ووجود الله لا يلغي وجود ولا كرامة الإنسان ، أما الكتاب المقدّس فهو كتاب الله المُوحى به من أجل حياة أفضل للإنسان والذي يؤمنون به تؤيدهم السماء بالمعجزات . فهم أعظم شاهد عملي لوجود الله :

أ - الكون يشهد بوجود الله :

لكـــل صـــنعة صانع ، ولكل جبلة جابل ، ولكل خلقة خالق ، ولك متحرّك مُحـــرّك ، ولكـــل معلـــــول علـــة ، فمن هو خالق هذا الكون العجيب بهذه الدقة المتناهـــية ؟ وقال أفلاطون " إن كل حادث له سبب أحدثه ولا يُعقّل حدوث شئ بلا ســـبب ، ومـــن المعلوم بالضرورة أن العالم (المحسوس) حادث .. وكل ما هو محســـوس يمكـــن إدراكه بواسطة الحواس فهو حادث ومصنوع . أما الذي أحدث هـــذا العالم فلابد أن يكون كائناً عالي العظمة فائق الْجبروت سامي الحكمة .. ذا

---

(١) القمص تادرس يعقوب - تفسير سفر التكوين ص ٥٣
(٢) المرجع السابق ص ٥٣

قــوة لا تضــعف وإرادة مطلقــة وحكمة لا تستقصى " [1] وإن كان لكل متحرّك مُحرّك ، فعند تتبع الحركة لن نصل إلى ما لا نهاية ، إنما سنتوقف عند مُحرّك أو ثابت لا يحركه أحد ، وهذا هو الله ، وإن كان لكل معلول علة ، فعند تتبع التسلسل لن نصل إلى ما لا نهاية ، إنما سنتوقف عند العلة الأولى ، والعلة الأولى هو الله. وإن كــان من المستحيل أن نجد عمارة ضخمة وليدة الصدفة ، لأنه لابد من وجود مهــندس قام بالتصميم ، وآخر قام بالإشراف على التنفيذ ، مع عدد ليس بقليل من العمــال المهــرة ذوي التخصصـــات المخــتلفة قــد قاموا بأعمال الأساسات ، والخرســانات ، والمبانــي ، والكهــرباء ، والســباكة ، والسيراميك ، والنجارة ، والطلاء ، والديكورات ، والتأثيث... إلخ . وأيضاً من المستحيل أن نرى طائرة تســبح فــي الهواء فنقول أنها وليدة الصدفة ، وإن كنا من الممكن أن نتعرف على الفــنان مــن خلال أعماله الفنية ، فهكذا ندرك بسهولة ويسر وجود الله من خلال مخلوقاتــه ، فالطبيعة الخلابة والكون الفسيح والفضاء الشاسع ونظامه العجيب في الــربط بيــن الشموس والكواكب والنجوم ، مع العدد الضخم من المجرات .. كل هــذا ألا يخــبرنا عن الله الخالق ضابط الكل ؟!! .. حقاً قال الكتاب لمن يعقلون ولــيس لمــن طمس الشيطان بصيرتهم *" السموات تحدث بمجد الله . والفلك يخبر بعمل يديه "* (مز ١٩ : ١) ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم " لو كان الله أعلمنا ذاته مــن خــلال كتــب وحروف فقط ، لصار الذين يعرفونه هم المثقفون فقط ، ولكنه أعلمــنا ذاته من خلال الطبيعة أيضاً ، ليعرفه الجميع " [2]. وقال أحد الفلاسفة إن الكون هو كتاب اللاهوت الذي قرأه الفلاسفة فكان لهم إنجيلاً ، وهو مرآه الله التي نظــروا بهــا صــورته الجمــيلة (راجع القمص بولس عطية – دراسات في علم اللاهــوت ص ٥٨) ولذلك كان الآباء يُدرّسون علم الفلك في الكليات اللاهوتية ، لأنه دليل قوي على وجود الخالق ضابط الكل.

---

[1] القمص بولس عطية – دراسات في علم اللاهوت ص ١٢

[2] أورده القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٣٠

حقـــاً إن الكـــون العجيـــب الـــذي نعيش فيه يخبرنا بدقة عن وجود الله ، فـــالأرض التـــي تـــدور حول محورها بسرعة ١٠٠٠ ميل / ساعة لو إنخفضت ســـرعتها إلى ١٠٠ ميل / ساعة لأصبح الليل والنهار عشرة أضعاف ، أي لصار الـــنهار ٢٤٠ ساعة وكذلك الليل ، ويترتب على هذا إحتراق النباتات التي تتعرض للشـــمس طوال هذا الوقت ، وتجمد الكائنات التي تجوز هذا الليل الطويل ٠ أما لو إقتربـــت الشمس التي تصل حرارتها إلى ١٢٠٠٠ درجة إلى الأرض أكثر من هذا لأحترقت كل الخلائق التي تدب على الأرض والنباتات وتلاشت الحياة تماماً ، ولو بعـــدت الشـــمس عن الأرض أكثر من هذا لغطى الجليد سطح الأرض ولإستحالت الحـــياة ٠ وإذا إقترب القمر منا حتى صارت المسافة ٥٠ ألف ميل لغرقت أرضنا مرتيـــن كل يوم بفعل المد والجذر ، ولو إنحرفت الأرض والقمر عن الشمس لأدى ذلـــك لإرتفـــاع درجـــات الحرارة حتـــى إن جزءاً من الأرض قد يحترق ، وآخر يغـــرق ، وثالـــث يـــتجمد ، ولـــو إن المحيطات كانت أعمق من مستواها الحالي لأمتصـــت ثانـــي أكســـيد الكربون والأكسجين ، وهلم جرا ٠٠ أليس هذا دليل فيه الكفاية على وجود مهندس الكون الأعظم ؟!

ويقول نيافة المتنيح الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي " نظرة أخرى إلـــى النجوم والكواكب والأقمار بل وإلى المجرات في السماء والتي تجمع ملايين الملاييـــن مـــن النجوم في كون مهول جبار ٠٠ من الصانع لهذا كله ؟! ٠٠ وهل يمكـــن لعقـــل بشـــري أن يتصوَّر أن هذا صنع نفسه من غير صانع ؟ ٠٠ أو قد صـــنعته الصدفة العمياء ؟ هل يمكن لعقل أن يتصوَّر شيئاً من هذا القبيل ولو كان حلمـــاً مـــن أحـــلام الخـــيال ٠ لقـــد صـــــدق القديس أغسطينوس إذ قـــال فـــي إعـــترافاتـــه " سألتُ الأرض فقالت لي : لستُ إلهك ، وكذلك أجابني كل حي على ســـطحها ٠ ســـألت الـــبحـــر وأغـــواره والكائنات الحيَّة التي تسرح فيه وتمرح ، فأجابتني : لسنا نحن إلهك ، فإسأل عنه ما فوقنا ٠ وسألتُ الرياح العاتية ٠٠ سألتُ

السماء والشمس والقمر والنجوم فأجابت كلها : لسنا نحن أيضاً الإله الذي تبحث عنه • إذ ذاك قلتُ للكائنات كلها التي تحيط بأبواب حواسي : حدثيني عن إلهي طالما لستِ إلهي • قولي لي شيئاً عنه ، فهتفت جميعها بصوت عالٍ : هو الذي خلقنا " [1].

وعندما قال " جاجارين " أول عالم فضاء روسي هبط على سطح القمر إنني جلت في الفضاء بحثاً عن الله فلم أجده ، في الحقيقة هو لم يعمل فكره ، بينما عالم الفضاء الأمريكي " نل هارمسترونج " أول رائد فضاء هبط على سطح القمر قال لقد رأيت الله من خلال مصنوعاته ، وكان العالم الشهير " نيوتن " يسير حاسر الرأس ، وعندما سألوه عن السبب قال : إجلالاً وتوقيراً لخالق الطبيعة •• حقاً قال أيوب الصديق في القديم *" فاسأل البهائم فتعلمك وطيور السماء فتخبرك • أو كلّم الأرض فتعلمك ويحدثك سمك البحر • من لا يعلم من كل هؤلاء أن يد الرب صنعت هذا ؟!! الذي بيده نفس كل حي وروح كل بشر "* (أي ١٢ : ٧ – ١٠) وقال معلمنا بولس الرسول *" لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر • لأنهم لما عرفوا الله لم يمجّدوه أو يشكروه كإلهٍ بل حمقوا في أفكارهم وإظلم قلبهم الغبيُّ • وبينما هم يزعمون إنهم حكماء صاروا جهلاء "* (رو ١ : ٢٠ – ٢٢)•

وقال إسحق نيوتن " إني رأيت الله في أعمال ونواميس الطبيعة التي تؤكد وجود حكمة وقوة لا تختلط بالمادة " [2] كما قال أيضاً " لا تشكُّوا في الخالق ، فإنه مما لا يُعقل أن تكون الضرورة وحدها هي قاعدة الوجود • لأن ضرورة عمياء متجانسة في كل مكان وزمان ، لا يُعقَل أن يصدر عنها هذا التنوع في الكائنات

(١) نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي • الإلحاد المعاصر وكيف نجابهه ص ٣٨
(٢) القمص بولس عطية – دراسات في علم اللاهوت ص ١٥

ولا فـــي الوجــود كله ، بما فيها من ترتيب أجزاءه وتناسبها مع تغييرات الأزمنة والأمكــنة • بل إن كل هذا لا يُعقَل إن كان لا يصدر إلاّ من كائن لما له من حكمة وإرادة " [1].

والعـــالم الأمريكـــي " إديســـون " Edison (١٨٤٧ – ١٩٣١م) الذي إخـــترع المصـــباح الكهربائي عندما زار المهندس الفرنسي " إيفل " Eiffel الذي صـــمم بـــرج إيفـــل بـــباريس كتب في السجل الذهبي يقول " إلى السيد إيفل ، من إديســـون الـــذي يكـــن أعمـــق إحترام وإعجاب للمهندسين جميعاً ، وعلى رأسهم المهندس الأعظم (الله) " [2].

والعـــالم الإيطالي " ماركوني " Marconi (١٨٧٤ – ١٩٣٧م) مخترع اللاســـلكي يقـــول " إن كـــل رجل علم يعلم تماماً أن هناك أسراراً لا تقبل الحل ، والإيمـــان بوجـــود كائن أسمى يقف منه موقف الطاعة والإحترام ، إنما هو وحده الذي يحفزنا إلى دراسة أسرار الحياة بقوة وشجاعة " [3].

والعالم الألماني " أينشتين " Einstein (١٨٧٩ – ١٩٥٥م) الذي وضع نظرية النسبية ونظرية المغناطيسية الكهربائية قال " إن العقل البشري مهما بلغ من عظـــيم التدريـــب وسموا التفكير عاجز عن الإحاطة بالكون ، فنحن أشبه الأشياء بطفـــل دخـــل مكتـــبة كبيرة إرتفعت كتبها حتى السقف ، فغطت جدرانها • وهي مكـــتوبة بلغـــات كثيرة ، فالطفل يعلم أنه لابد أن يكون هناك شخص قد كتب تلك الكتـــب ، ولكـــنه لا يعـــرف من كتبها ، ولا كيف كانت كتابته لها ، وهو لا يفهم اللغـــات التـــي كُتبـــت بها • ثم إن الطفل يلاحظ أن هناك طريقة معينة في ترتيب الكتـــب ونظاماً خفياً لا يدركه هو ، ولكنه يعلم بوجود علماً مبهماً ، وهذا على ما

---

(١) القمص بولس عطية – دراسات في علم اللاهوت ص ٢٣ ، ٢٤

(٢) الإلحاد المعاصر وكيف نجابهه ص ٦٠

(٣) المرجع السابق ص ٦٠

أرى موقــف العقــل الإنســـاني مـــن الله مهما بلغ ذلك العقل من السمو والعظمة والتثقيف العالي " [1].

والعـــالم الإنجلـــيزي " أدينجتون " Eddington الذي درس أحوال النجوم قـــال " إننـــي لأعلـــم حـــق العلـــم إن الله موجود ، كما أعلم تماماً إن أصدقائي موجـــودون ٠ فلست بحاجة إلـــى إثبات وجوده بقدر ما أنا في غير ما حاجة إلى إثبات وجودهم " [2].

وعـــالم الحـــيـــوان " فابر " Fabre قال " إن ثمة عقلاً لا متناهياً يحكم العـــالم ، وكلمـــا أمعنـــت النظر ، إستطعت أن أبصر ذلك العقل الذي يشفع خلف أســـرار الأشـــياء ٠ إننـــي أعلم أن البعض قد يجد في هذا القول مدعاة للسخرية ، ولكن هذا لا يعنيني في كثير أو قليل ٠٠ لن تستطيعوا أن تنتزعوا من عقلي إيماني بالله ، إستغفر الله ، فإنني لا أؤمن بالله بل أنا أرآه " [3] .

وكـــان المســـيحيون في رومانيا الشيوعية يتحدثون عن وجود الله بطريقة بســـيطة فيقولون " لنفرض أنك دُعيت إلى وليمة تحتوي على جميع أنواع الأطعمة اللذيذة ، فهل تصدق أنه لم يوجد أي طاه لهذه الأطعمة ؟ فالطبيعة هي وليمة هُيئت لأجلـــنا ٠٠ فمن هو الذي هيأ كل هذه الأشياء للناس ؟ فالطبيعة عمياء ، وإن كنت لا تؤمـــن بوجود الله ، فكيف تستطيع إذاً أن تفسر أن الطبيعة العمياء قد نجحت في تهيـــئة جمـــيع ما نحتاجه نحن من هذه الأشياء المتعددة المتنوعة " [4] وفي إحدى المرات مرّ أحد المسيحيين مع شخص ملحد على الطبيعة الخلابة من نهر وأشجار وحيوانات ، فسأل المسيحي : من خلق كل هذا ؟

الملحد : لا تضايقني بحديثك السخيف عن الله ٠٠ إنها وليدة الصدفة٠

---

(١) الإلحاد المعاصر وكيف نجابهه ص ٦١
(٢) المرجع السابق ص ٦٢
(٣) المرجع السابق ص ٦٢
(٤) ريشار وورمبلاند – العذاب الأحمر ص ١٢٣ ، ١٢٤

وبعـــد عــــدة أيام زار الأخ الملحد صديقه المسيحي ، وإذ رأى لوحة فنية أعجبته سأل : من رسم هذا اللوحة ؟

المســيحي : أتــريد أن تدخلنـــي في حديث ديني سخيف ·· إنها وليدة الصدفة ، فالصـــدفة هـــي التي جاءت باللوحة وأسستها بالبطانة ، وأحضرت مواد التلوين ، ورسمتها ، وأيضاً وضعتها على الجدار ·

فتضــايق الملحــد ، فقال له صديقه المسيحي : إن كنت تعتقد أن الطبيعـــة الخلابة التـــي تفـــوق هذا " التابلوه " آلاف المرات هي وليدة الصدفة ، فلماذا لا تصدق أن تكـــون هذا اللوحة أيضاً وليدة الصدفة ؟! ·· حقاً صدق أفلاطون عندما قال " إن العالم آية فنية غاية في الجمال ولا يمكن أن يكون ما فيه من نظام نتيجة الصدفة ، بل لابد من وجود عقل كامل ومهندس أزلي صنع كل شئ ورتبه بقصد " [1]·

ب - تكوين الإنسان يشهد بوجود الله :

الإنسان هو عالم صغير ، وأجهزة الجسم تشهد بقوة على وجود خالق قدير قـــوي حكـــيم عظيم ، ولذلك فإن علم التشريح يعطي فرصة للإنسان للتلامس مع مقـــدرة الله وحكمته وقال أحد الفلاسفة " كلما تقدم علم التشريح إزداد الإنسان إيماناً بالله " [2] وأفقر إنسان في الوجود يمتلك نحو ٤٥ مليوناً من الدولارت الأمريكية ، هـــي قـــيمة أعضـــاء جسده التي وهبها الله له · بـــل إن إبهـــام اليد يشهد بوجود الخـــالق وعظمـــته ، فبصمة الإنسان التي تختلف عن بصمات الملايين من البشر تحدثنا عن قدرة الله الغير محدودة·

ويقول نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي " لو أنه (الإنسان) تأمل ذاته ، ونظر إلى أي عضو من أعضاء جسده ، ونظر إلى تركيبه وعمله ووظيفته لهاله الأمر ، وأدركه الذهول من روعة التركيب وحكمته · أنظر إلى عين الإنسان وتركيـــبها مـــن مقلـــة تحميها ، ومن قزحيـــة وقرنيـــة وعدسة وشبكية وعصب

---

(١) القمص بولس عطية – دراسات في علم اللاهوت ص ١٥

(٢) نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي – الإلحاد المعاصر وكيف نجابهه ص ٣٧

بصـــري ٠٠ إلـــى غـــير ذلك من أجزاء وجزئيات وما بها من أهداب وشعيرات وشرايين وأوردة فضلاً عن العضلات والأنسجة والغدد ٠٠ ولكل جزء منها وظيفة وعمل وإختصاص ، وتتعاون كلها ويكمل بعضها عمل بعض بصورة عجيبة ٠٠

وما نقوله عن العين نقوله عن القلب ، هذا العضو العجيب الذي يعمل بلا توقــف لــيلاً ونهاراً ، وينبض سبعين مرة في الدقيقة الواحدة ، ولا يستريح لحظة واحدة عن العمل المتواصل ٠٠ أرني آلة صنعها الإنسان يمكن أن تعمل بلا توقف وبـــلا راحـــة كما يعمل القلب ، وهو يحمل عبء الجسم كله ٠٠ ولا يقتصر عمله علـــى بيولوجـــيا الجسم بل إنه أيضاً مركز العواطف من حب وكراهية ، ومركز الإنفعـــالات الســـارة والحزينة من فرح إلى حزن وهم إلى خوف وخجل وحماس ويـــأس ٠٠ وما قلناه عن العين والقلب نقوله عن المخ ، هذا العضو العجيب حقاً الذي يتقبل إشارات ويرسل إشارات غيرها ، يستقبل ويصدر ، ويحكم جميع أجهزة الجســم وعلى رأسها الجهاز العصبي ٠٠ ثم هو يتقبل المعارف والخبرات ويرتبها ويصـــنفها ويحتجزها للإنتفاع بها في مستقبل الأيام ٠ فكيف يختزن المعرفة على تنوعها في كافة ميادين العلم وتشعباته وفروعه ؟! وكيف يحتفظ باللغات ومفرداتها وقواعدهـــا وأســـاليبها ٠٠ ؟ وكـــيف لا تخـــتلط هذه المعلومات ببعضها ؟ وكيف يخـــرجها عند الإقتضاء واضحة متميزة مستقلة عن بعضها ؟ وكيف مع ذلك يمكنه أن يقارن بينها ويوازن بينها ويوفق بينها ويعارض بينها وينقدها ويفحصها ويحكم على صدقها أو على زيفها ؟ فكيف عند اللازم يجمع بينها حين يحاضر أو يتحدث أو يكتـــب كـــتاباً أو يحـــرر مقالاً أو بحثاً مستعيناً بها كما يشاء مثله في ذلك مثل الطباخ الذي يجمع ما يلزمه من مواد مختلفة ليصنع من مجموعها معاً ، وبمقاييس مضبوطة ، طبخة شهية ! ما هذه الآلة العجيبة التي تسمى المخ ؟ ومن من العلماء يمكنه أن يصنع مثلها أو يركّب نظيرها؟

فـإذا قـالوا لقـد صـنع الإنسـان العقل الإلكتروني ، قلنا أولاً إن العقل الإلكترونـي لـيس على نظير المخ البشري أنه آلة حاسبة تعمل بشرط أن تقدم لها مـادة أو مجموعـة مـواد ·· ثم هذا الحاسب الإلكتروني لم يصنع نفسه ، وإنما صنعه صانع وهو الإنسان · وهذا دليل على أنه حتى الحاسب الإلكتروني لابد أن يكون له صانع عقل ، فكم وكم يجب أن يكون للمخ البشري صانع ، والمخ البشري معجزة لا يُقاس بإزائها الحاسب الإلكتروني··

زد علـى ذلك سر الحياة نفسها وسر النمو والتكيف والتغذية وتمثيل الغذاء وإحـتراقه ·· وبالإجمـال كل شئ في الإنسان جسماً ونفساً وعقلاً وروحاً ينطق بأدلـة صـارخة على وجود الله ·· وإذا قلنا هذا عن الإنسان فنقول مثله بالنسبة للحيوان ، خذ مثلاً البيضة المُلَقحة التي يخرج منها بعد قليل كتكوت صغير يتحرك بالحياة وينبض بالوجود · كيف لبيضة بها صفار وبياض يخرج منها كائن حي هو الكتكوت له عينان وأذنان وجناحان ورجلان ومنقار وعضلات وغضاريف وغدد ، ولـه معدة وكبد وأمعاء ، وله جهاز عصبي وغيره عضلي وغدّي ودموي وتنفسي وبولـي وتناسلي ·· ؟ وكيف له ريش متنوع وملون بحسب صنفه وجنسه ونوعه تـبعاً لقوانيـن الوراثة وقوانين البيئة ؟ هل لو إجتمع كل المهندسين في العالم وكل الرسـامين وكـل الأطباء بتخصصاتهم وكل الكيميائيين وكل الصنّاع وكل علماء الجمـال وكل أصحاب الحرف والمهن والزخرفة ·· لو إجتمع هؤلاء جميعاً ، هل يـنجحون فـي صـنع كـتكوت حي واحد كهذا الذي تخرجه الطبيعة في كل يوم بالعشرات والمئات والآلاف والملايين ؟! " [1].

ج- المادة ليست أزلية :

لـو كانـت المـادة أزلية لا بداية لها ، ولا يوجد خالق لها ، فمن ذا الذي وضع قوانين الطبيعة التي تحكم الكون كله في إنسجام يفوق الإدراك ؟! ·· وكيف

---

(1) الإلحاد المعاصر وكيف نجابهه ص ٣٣ - ٣٧

تلاحمت عناصر المادة رغم إختلاف الطبائع فالتراب ضد الهواء والماء ضد النار ؟! ومن الذي حفظ للخلائق توازنها ، فبالرغم من أن نسبة توالد الذئاب إلى الحملان ١٠ : ١ فإن الحملان وبقية الحيوانات المستأنسة مازالت موجودة ، والوحوش الضارية لم تختفِ من الوجود.

وتعبير أن المادة أزلية هو تعبير غير منطقي لأن المادة قابلة للتغيير ، وليس من المعقول أن المتغير يكون أزلياً ، والمادة تحمل في طياتها عنصر الضعف ، وليس من المعقول أن الضعيف يكون أزلياً وقال أحد علماء اللاهوت " هذا العالم إما أن يكون أزلياً أو محدثاً، ولا يمكن أن يكون أزلياً لأنه متغير .. والتغير صورة من صور الإضمحلال ، والإضمحلال يدل على الحدوث ، وحيث إن هذا العالم مُحدَث ، فلابد أن يكون له مُحدِث أحدثه " [(١)] ، ومن المعروف أن الشمس ككتلة ملتهبة تستنذف مادتها إذ تتحول المادة إلى طاقة ، فلو كانت هذه الشمس أزلية لأستنذفت بالكامل ولم يعد هناك شمس ولا أرض ولا حياة ولا كواكب ، ومن المعروف أيضاً أن الهيدروجين يتحول بمرور الزمن إلى هيليوم ، فلو كان الهيدروجين منذ الأزل لتحول كله إلى هيليوم ، وهلم جرا .. ويقول العالم " إدوارد لوثر كيل " Edward Luther Kiel أستاذ علم الأحياء " إننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا ، وإلاَّ لاستهلكت طاقته منذ زمن وتوقف كل نشاط في الوجود ، وهكذا توصلت العلوم دون قصد إلى أن لهذا الكون بداية ، وهي بذلك تثبت وجود الله لأن ماله بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ بنفسه ، ولابد له من مبتدئ أو من محرك أول أو من خالق وهو الله " [(٢)].

كما إن تعبير أن المادة أوجدت نفسها تعبيراً غير منطقي ، إذ كيف تُوجِد المادة نفسها وهي أصلاً غير موجودة ؟! وعندما قال " ماركس " أن المادة

---

(١) القمص بولس عطية – دراسات في علم اللاهوت ص ١١

(٢) الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي – الإلحاد وكيف نجابهه ص ٦٧

ديالكتيكية لها قوة قادرة على الفعل ، رد عليه " بردياييف " الملحد بعد عودته للإيمان فقال إن عبارة ماركس هذه بها تناقض لفظي ، لأنه كيف يمكن للمادة الصلدة الجامدة أن يكون لها قوة قادرة على الفعل ؟! ويقول " د٠ جورج ايريل دافيز " George Earl عالم الطبيعة " فالمنطق الذي نستطيع أن نأخذ به ، والذي لا يمكن أن يتطرق إليه الشك هو أنه ليس هناك شئ مادي يستطيع أن يخلق نفسه ، وإذا سلمنا بقدرة الكون على خلق نفسه فإننا بذلك نصف الكون بالألوهية٠، ومعنى ذلك إننا نعترف بوجود إله " (١) ٠

ورداً على القائلين بأن الصدفة أوجدت الحياة التي تطورت وصارت كما نراها ، نقول لهم إن كانت الصدفة والإرتقاء نجحا في إيجاد رجل بكل تركيباته العجيبة وأجهزته التي تفوق الخيال ، فهل يمكن أن الصدفة والإرتقاء ينجحا في إيجاد كائن مماثل للرجل ومخالف له في الجهاز التناسلي وهو المرأة ، حتى تستمر الحياة على وجه الأرض ؟! ٠

وعندما قالوا إن الكتكوت يخرج من البيضة التي ليس بها حياة ، كان هذا مغالطة ، لأن ليس كل بيضة يخرج منها كتكوت ٠ إنما يخرج الكتكوت من البيضة المُلقحة فقط بعد أن دخلت إليها الحياة عن طريق التلقيح ٠ كما إن البكتريا التي يحملها الهواء إلى اللحوم المتعفنة هي التي تمثل بذرة الحياة ، ومنها تخرج الديدان لأنها وجدت البيئة المناسبة ، وأيضاً تعبير أن المادة وُجِدت بالصدفة تعبير غير منطقي وغير علمي ، فالصدفة لا تُوجِد كائنات حية ، ويقول " د٠ توماس دافيد باركس " أستاذ الكيمياء " إنني أقر النظام والتصميم في كل ما يحيط بي من العالم غير العضوي ولا أستطيع أن أُسلم بأن يكون كل ذلك قد تم بمحض الصدفة العمياء التي جعلت ذرات هذا الكون تتآلف بهذه الصورة العجيبة ٠ إن هذا

---

(١) الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي – الإلحاد وكيف نجابهه ص ٦٤

التصميم يحتاج إلى مبدع ، ونحن نطلق على هذا المبدع الله " [1]. كما يقول " د. جـــون ولـــيامز كلونـــس " عالم الوراثة " إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض الصدفة .. ومن التعقيدات الطريقة في هذا الكون ما نشاهده من العلاقات التوافقية الإضطرارية بين الأشياء أحياناً ، ومن أمثلتها العلاقة بين فراشة " اليوكاو " ونبات " اليوكا " وكذلك العلاقة بين نبات التين ومجموعة من الزنابير الصغيرة ، وهناك كثير من الأزهار تســجن الحشرات داخلها وإن النبات بعد أن يتم التلقيح لا يهتم بخروج الحشرة من الزهــرة المؤنــثة لأنها تكون قد أدت رسالتها ، أما عند دخول الحشرة إلى زهرة مذكــرة فإنه يُسمح لها بالخروج لأنها لا تكون قد أدت رسالتها . أفلا تدل كل هذه الشــواهد علــى وجــود الله ؟ إن من الصعب على عقولنا أن نتصوَّر أن كل هذا الــتوافق العجيــب قــد تم بمحض الصدفة . أنه لابد أن يكون نتيجة توجيه لحكم إحتياج إلى قدرة وتدبير " [2].

وإن قــال فيلسوفهم " هلباخ " إن المادة في حركة دائبة مستمرة ، نقول له إن الحركة في الجماد تختلف عنها في الكائنات الحية ، فالحركة في الجماد لا يمكن للإنســان أن يوقفها ، بينما يمكن للإنسان التحكم في حركة الكائنات الحية ، وأيضاً الكائــنات الحية عندما تتعرض للموت تكف عن الحركة فالمادة الصلدة لا تموت ، وأخــيراً نقـــول للذيــن يؤلّهون المــادة : هل عندما يعبث الإنسان بالمادة يعبث بإلهكم ؟!!

ومــن الأمور الطريفة إن أحد الملحدين ألقى محاضرة على عدد كبير من العمال وأخذ يدلل فيها على إن الإنسان ما هو إلاَّ مادة ، فإستأذن أحد العمال لإبداء رأيــه ومــا أن سُــمح له حتى رفع الكرسي وألقى به على الأرض ، ثم توجه إلى المحاضــر وصــفعه على وجهه ، فهاج المحاضر وماج وطالب رفاقه الشيوعيين

---

[1] الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي – الإلحاد وكيف نجابهه ص ٦٦
[2] المرجع السابق ص ٦٦ ، ٦٧

إعــتقال هــذا العامل وهو يصرخ في وجهه : كيف تجرؤ على صفعي ؟ وما هو السبب ؟ فأجابه العامل المؤمن " لقد أثبت لنا على إنك كاذب يأستاذ . فقد قلت إن كــل شــئ فــي الوجود هو مادة لا أكثر ولا أقل ، فقد رفعت الكرسي ورميت به أرضــاً ، لكنه لم يغضب حيث أنه مادة بالفعل . ولكنني لما صفعتك على خدك لم تفعل أنت ما فعله الكرسي ، فقد إختلف رد فعلك عنه ، فالمادة لا تغضب ولم تحنق كمــا فعلــت أنت . لذلك أيها الأستاذ الرفيق ، إنك على خطأ جسيم ، فالإنسان هو أكثر من المادة . نحن شخصيات روحية " [1].

أما نظرية الملحد " تشارلز روبرت دارون " الخاصة بالنشوء والإرتقاء ، فقــد كــان لهــذه النظرية أثرها البالغ على المفاهيم الفلسفية والسياسية والعلاقات الســائدة بيــن البشــر ، وترتــب على نظرية " الإنتخاب الطبيعي " ظهور فلسفة الإعــتداء والعــنف والإغتصــاب التي تحمس لها الألماني " نيتشه " وأدخلت هذه الــنظرية البشــرية في حروب طويلة ، فكلٍ يريد أن يثبت أنه الأقوى والأصلح ، وتمخضــت هــذه الــنظرية عــن شعار سيادة الجنس الآري على جميع الأجناس الأخــــرى ممــا تســبب في حرب السبعين عاماً ، بل في الحرب العالمية الأولى والثاني ، وتم نقد نظرية دارون ، فقال العلماء :

١- أغلبــية التغيــيرات التي طرأت على الكائنات الحية هي تغييرات جسيمة ضئيلة وضعيفة ، ولا تؤدي بالضرورة إلى إستمرار نوع من الحياة وإنقراض نوع آخر .

٢- التــنازع على البقاء ، أو تغذي حيوان كالأسد على حيوان آخر كالغزال لم يؤدي لإنقراض النوع الأخير .

٣- هــذه النظرية لا تفسر كيفية إختفاء الزواحف الضخمة مثل الديناصورات في العصر الترياسي حقب الحياة الوسطى .

---

(١) العذاب الأحمر ص ١٣٣ - ١٣٤

٤- تعجـز الـنظرية عن تفسير الظهور الفجائي للصفات (راجع علم الأحياء للثانوية العامة ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ ص ٢٨٤ – ٢٨٦)٠

٥- أثبـت علماء الجيولوجيا أن الكائنات منذ وجودها على الأرض لم تشوش ولم تختلط ، فكل كائن حافظ على جنسه ونوعه ، وتحقق القول الإلهي في النباتات " *فأخرجـت الأرض عُشـباً وبقـلاً يبذر بذراً كجنسه وشجراً يعمل ثمراً بذره فيه كجنسه* " (تك ١ : ١٢) وبالنسبة للطيور " *وكل طائر ذي جناح كجنسه* " (تك ١ : ٢١) والحـيوانات " *فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابـات الأرض كأجناسـها* " (تك ١ : ٢٥) أما الإنسان فقد جُبل على صورة الله ومـثاله " *وقـال لهـم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض* " (تك ١ : ٢٨) وإن كان الإنسان قد نجح في تزاوج الحصان مع الحمار لتقاربهما ونتج عنهما البغل ، إلاَّ أن البغل ليس له إمكانية التناسل٠

٦- الحيوانات الدنيئة مازالت هكذا منذ خلقتها لم يحدث لها أي إرتقاء٠

٧- لو كانت النباتات قد إرتقت في زمن ما إلى الحيوانات ، والحيوانات إرتقت إلـى الإنسـان ، فليس من المعقول أن يكون هذا الإرتقاء قد تم فجأة ٠ بل لابد أنه مـرَّ بمـراحـل متوسـطة ، ولـم تعثر الحفريات قط على صورة هذه المراحل المتوسـطة ، فلا يوجد مثلاً كائناً به جزء من النبات وبقيته من الحيوان ، أو كائناً نصـفه حيوان ونصفه إنسان ، فمثل هذه الصور لا وجود لها على الإطلاق إلاَّ في الخيال المريض٠

٨- قال " الداروينيون " إن الخلية الأولى إستغرقت عدة ملايين من السنين حتى ظهـرت منها هذه الكائنات بأنواعها المختلفة ، والحقيقة إن علماء الجيولوجيا قالوا أنـه مـنذ زمـن لا يزيد عن ربع مليون سنة كانت الأرض كتلة غازية ملتهبة ، تستحيل الحياة عليها ٠٠ فأين إذاً نشأت الخلية الأولى ؟ هل في كوكب آخر ؟! ٠٠ إن النشـوء مـن العدم شئ محال ، ونشوء الحياة الحيوانية من الحياة النباتية ، أو نشوء الحياة البشرية من الحياة الحيوانية ما هو إلاَّ ضرب من الخيال ٠

٩- ورداً علــى الذيــن قالوا إن الإنسان نشأ وتطور عن القردة ، وإن الإنسان أصــله قــرداً ، وأخــذوا يدللون على قولهم هذا بأدلة واهية . تقف أمامهم عقبات كثيرة مثل :

أ- هــناك تفاوت كبير بين دماغ القردة ودماغ الإنسان ، فدماغ الغوريلا وهي أعظــم القــردة (٣٠ر٥ قــيراط = ٥٠٠ ســم٣) يبلغ ثلث دماغ سكان إستراليا الأصليين وهم أقل جميع البشر (٩٩ ١/٣ قيراط = ١٥٠ سم٣).

ب- للإنســان إمكانــية الإبتكار والإرتقاء ، وتشهد بهذا الثورة العلمية الرهيبة التــي نعيشها الآن وهي أشبه بمعجزة عظيمة جداً يصعب تصديقها لمن عاش على أرضــنا هــذه مــنذ مائــة عام فقط ، بينما الحيوان عاجز تماماً عن هذا الإرتقاء والإبتكار .

ج- يقــدر الإنسان أن يربط الظواهر بالأسباب لأنه يعقل الأمور ويتفهمها فهو قادر على التعليل ، والتمييز ، والنطق .. إلخ بينما يعجز الحيوان في هذا.

د- لــدى الإنسان الميل الطبيعي والشعور الخفي للبحث عن الخالق وعبادته ، لأن الله كتب فيه صورته . أما الحيوان فلا يشعر بمثل هذا الإحتياج.

هـــ- سفه العلماء هذا الرأي وإعتبروه ضرباً من الجنون ، فقال العالم الألماني " فــون بايــر " إن الــرأي القائل بأن النوع الإنساني متولد من القردة هو بلا شك ضــرب مــن الجــنون ، حيث ينقل إلى أخلاقنا جميع الحماقات الإنسانية مطبوعة بطابع جديد ، كما إنه لا يوجد دليل على هذا الرأي المضحك من جهة الإستكشافات الحفــرية . وقال أستاذ علم الأنثربولوجيا " فيركو " يجب عليَّ أن أُعلن بأن جميع الترقــيات الجســيمة التي حدثت في علم الأنثربولوجيا السابقة على التاريخ تجعل القــرابة المزعومة بين الإنسان والقردة تبعد عن الإحتمال بعداً كاملاً . فإذا درسنا الإنســان الحفــري في العهد الرابع فهو الذي يجب أن يكون الإنسان الأقرب إلى أسلافه ، نجد إنساناً مشابه لنا كل الشبه ، فإن جماجم جميع الرجال الحفريين تثبت

بطـــريقة لا تقـبل المنازعة أنهم كانوا يؤلفون مجتمعاً محترماً للغاية ، وكان حجم الــرأس فيهم على درجة يعتبر الكثير من معاصرينا أنفسهم سعداء إذا ما كان لهم رأس مثله ، والعلامة " فيفرت " قال " إن مذهب دارون لا يمكن تأييده ٠ إنه رأي من آراء الصبيان " (راجع القمص بولس عطية – دراسات في علم اللاهوت ص ٢٨ ، ٢٩)٠

د- كيف تفسر الحياة والموت والعقل والضمير والخيال والغرائز والعواطف وما بعد الموت ؟

الإلحـــاديون الذين يدَّعون إن الإنسان ما هو إلاَّ حفنة من المواد يعجزون عــن الإجابـــة على السؤال السابق ، فغير الحي لا يخلق حيًّا ٠٠ كيف تهب المادة الصلدة الجامدة روحاً وحياة للكائنات الحيَّة ؟ من أين أتت الحياة للمادة ؟ وإن قالوا إنها أتت من الخلية الأولى التي وجدت بالصدفة منذ ملايين السنين ، فإننا نقول لهم كـــيف عاشـــت الخلية الأولى بينما كانت الأرض في صورتها الأولى منذ ملايين الســـنين عبارة عن ذوبان ناري تتراوح حرارتها بين ١٥٠٠ – ٣٠٠٠ درجة ٠ ثم إن العلـــم عجز حتى الآن وسيعجز للأبد عن خلق هذه الخلية الأولى ٠٠ فمن أين أتـــت ؟ ولو إن الخلية الأولى هي مصدر الحياة ، وبالتطور وصلت إلى ما وصلت عليه الآن ، فكيف تطورت في شكل الإنسان الذييشمل على ٨٠ ترتليون خلية ، وبـــالمخ ١٠ بلـــيون خلية ؟ كيف تجمعت كل هذه الخلايا لتكون الإنسان بوظائفه الحـــيوية ؟ هـــل بمجرد الصدفة العمياء ؟ وهل ظهر كائن قبل الإنسان أقل تطوراً فكـــان مثلاً نصفه إنسان والنصف الآخر حيوان ؟ ولماذا لم يظهر كائن آخر أكثر تطـــوراً مـــن الإنسان الذي يعيش على الأرض منذ خلقته ؟! وهل يمكن أن يكون وضـــع الجينات المتناهية الصغر في الإنسان محض الصدفة ؟! ٠٠ إن دراسة علم الوراثة يكشف لنا عـــن عظمـــة الخالق ٠ قال أحد الملحدين بعد أن إهتدى للإيمان " إننـــي لـــم أكـــن أعرف الله ، وما كنت أؤمن بوجوده بل كنت أسخر من الإيمان

وأكــرز بالكفــر ، وكنت ألقي محاضرات ضد وجود الله ، ولكنني إلتقيت بالله في الحــياة ٠٠ ومن الحياة تعلمت أن هناك الله " [١] وغير العاقل لا يخلق إنساناً عاقلاً له ضمير ومشيئة ٠٠ كيف تهب المادة غير العاقلة عقلاً للكائنات الحيَّة ؟! ومن ذا الــذي وضــع فــي الإنســان قوة التفكير والتدبير والتخيل ٠ قال بردياييف " إن الماركســيين لــم يحاولوا أبداً أن يفسروا كيف يمكن للوجود المادي أن يتحول إلى تفكــيــر ووجــدان ؟! " [٢] ، وأيضاً كيف تُخرِج لنا المادة الصماء البكماء إنساناً ناطقاً ؟!

ومــن وضــع في الإنسان والحيوان الغرائز الطبيعية ؟ ٠٠ فلولا غريزة الجوع ، وغريزة الخوف ، وغريزة حب البقاء لهلك الإنسان والحيوان ٠٠ من علم الطــيور المهاجـــرة والثعابيــن النيلية مسلكها فــي الهجرة والعودة عبر آلاف الأميال ؟! ٠

وأيضــاً فشــل الإلحــاديون فــي تفسير ظاهرة الموت ، بل وقفوا أمامها مرتعبين ، فماركس رغم غزارة إنتاجه الأدبي إلاَّ أنه لم يتكلم عن الموت إلاَّ بسبب مــوت إبــنه فقال " يبدو أن الموت إنتصر إنتصاراً قاسياً " [٣] كما قال " إن موت ولــدي آلمنــي كثيراً حتى إنني أشعر بمرارة فقده كما في اليوم الأول " (كوستي بندلــي – الإله الإلحاد المعاصر ص ٥١) [٤] وإرتعب ياروسلانسكي أمام الموت قائلاً " إحرقوا كل كتبي ٠ إنظروا أنه هنا ينتظرني ٠ إحرقوا كل مؤلفاتي " [٥] ٠

وبيــنما فشــل الإلحاديون في الإجابة عما بعد الموت فإن مسيحي رومانياً الشــيوعية كــانوا يثبتون لهم الحياة بعد الموت بطريقة بسيطة ، فيقولون " لنفرض أنــك إســتطعت أن تخاطب جنيناً في رحم أمه ، وأن تقول له إن حياة الجنين هي

---

(١) نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي – الإلحاد المعاصر وكيف نجابهه ص ٣٣
(٢) القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٤٨
(٣) المرجع السابق ص ٨٠
(٤) أورده القمص تادرس يعقوب – تفسير سفر التكوين ص ٥٤
(٥) القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٧٩

لمــدة قصيرة فقط ، تليها حياة حقيقية طويلة الآن ، فماذا يكون جواب الجنين ؟ أنه يجيب بمثل ما تجيبوننا تماماً أنتم الملحدين عندما نتحدث إليكم عن السماء وجهنم ، فيقول الجنين إن الحياة في رحم أمه هي الحياة الوحيدة ، وكل شئ آخر فهو حماقة دينــية ، ولكن لو إستطاع الجنين أن يفكر لقال لنفسه : ينمو لي هنا ذراعان لست بحاجــة إليهما ، كما إني لا أقدر أن أمدهما ، فلماذا تنمو إذاً ؟ ربما كان ذلك لحقبة قصــيرة مــن الزمن في مستقبل حياتي حين يجب أن أشتغل بهما • كما إن رجلي تــنموان أيضاً • لكن عليَّ أن أبقيهما منحنيتين نحو صدري ، فلماذا تنموان ؟ ربما ستلحق الحياة في عالم واسع وعليَّ أن أنسى آنذاك • كذلك العينان تتكونان أيضاً ، ولكــن حيــث إننــــي محاط بظلمة شاملة فليس لي حاجة إليهما • فلماذا تنمو لي عيــنان ؟ ربما سيخلف فيما بعد عالم نور وألوان •• وهكذا ، فلو إستطاع الجنين أن يــتأمل نمــوه لعرف عن حياة خارج رحم أمه دون أن يراها • وهذا هو حالنا نحن أيضاً ، فما دمنا صغار السن فلنا حيوية ، إنما بلا عقل ، لإستخدامها بصورة صحيحة ، ولكن عندما ننمو في المعرفة والحكمة على مر السنين ، ينتظرنا النعش ليوصلنا إلى القبر • فلماذا كان ضرورياً لنا أن ننمو في المعرفة والحكمة اللتين لا نستطيع إستخدامها فيما بعد ؟! ولماذا تنمو للجنين ذراعان ورجلان وعينان ؟!

الجواب هو : تحضيراً لما سيأتي ! وهكذا هو حالنا نحن أيضاً هنا على الأرض • فنحــن ننمو هنا في الخبرة ، والمعرفة والحكمة إستعداداً لما سيأتي في المستقبل ، فنحن نتهيأ لخدمة أسمى بعد الوفاة " [1].

هـ- عدم إدراك الله بالحواس لا يعني عدم وجوده :

عقــل الإنسان المحدود يعجز عن إدراك الله الغير محدود ، وإن كان عقل الإنســان المحــدود مازال عاجزاً عن إدراك أسرار وعجائب الطبيعة ، فهل نطلب منه أن يدرك ويحوي ويحد الله ؟ ولذلك قال الفيلسوف توما الأكويني " إن الله ليس

---

[1] ريشار وورمبراند – العذاب الأحمر ص ١٢٤ ، ١٢٥

كمــا نتصــوَّره أو نفهمه بمداركنا العاجزة ، فإذا عرفنا الله بمفهومنا يَكُف عن أن يكــون إلهــاً • فالعقل البشيري أضيق من أن يحد اللامحدود ، ولكننا نستطيع أن نعــرفه فقط ، لا أن نصل إلى إدراكه " [1] وقال الفيلسوف الهندي مانو " الإله هو الكائــن الــذي لا يمكن أن تحويه الحواس المادية ، وليس بمقدور العقل أن يدركه على ما هو عليه • وذلك لإستحالة الكائن الجزئي أن يحوي الكائن الكلي " [2].

ويقــول نيافة الأنبا موسى الأسقف العام " **العقل والإيمان** • إن العقل ليس ضــد الإيمان ، ولا الإيمان ضد العقل !! الإيمان لا يصادر العقل أو يلغيه ، ولكنه يؤكــد علــى محدودية العقل ، ثمّ يكمل هو – أي الإيمان – المشوار معنا • تماماً مــثل التلسكوب ، والعين المجردة • فالعين المجردة محدودة في إبصارها ، ترى حــتى مســافة معينــة ، ولا تستطيع أن تدرك تفاصيل الأمور البعيدة ، مثل القمر مــثلاً ، العين تراه قرصاً جميلاً طالما تغزّل فيه الشعراء ، أما التلسكوب فيستطيع أن يُقــرب الأمور البعيدة ، ويجعلنا نرى الكثير من التفاصيل والتضاريس في هذا القمر ، الأمر الذي تعجز عنه العين المجردة المحدودة • العقل مثل العين المجردة •• محــدود ، والإيمــان مثل التلسكوب •• يُكمل لنا المشوار ، ويقر لنا الحقائق البعــيدة وغــير المحــدودة ، مثل الله والأبدية ، لهذا يقول معلمنا بولس الرسول " *بالإيمــان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله* " (عب ١١ : ٣) أي إن الإيمان يشرح لــنا مــا لا يســتطيع العقل إدراكه ، فالعقل محدود ، والله غير محدود ، وهيهات للمحدود أن يحتوي غير المحدود • هكذا يكون المنطق ! ••

إذاً فنحن نعرف الله بالروح بعد أن يتأمل العقل في أمور كثيرة ، ويجد أنه محــدود ، وإنهــا أبعد منه وفوقه ، فيسلم القيادة للروح ، التي تسلم بدورها القيادة

---

(١) القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٣٨ ، ٣٩
(٢) المرجع السابق ص ٣٨

لروح الله ، وهنا يدرك العقل محدوديته ، ويسجد أمام اللامحدود واللانهائي ٠٠ أي أمام الله !

اللانهائية ٠٠ حقيقة منطقية ٠ لاشك إن العقل محدود ، بينما الأرقام غير محدودة ، وأقصد رقم " اللانهاية " فإذا ما حلقنا بالفكر في آفاق المستقبل لنحصي سنوات ما بعد سنة ٢٠٠٣ سوف نقول ٢٠٠٤ ثم ٢٠٠٥ ثم ٢٠٠٦ لنصل إلى " مستقبل لا نهائي غير محدود " هو " الأبدية " إذ يستحيل أن نجد حدوداً للأرقام ، أو نهاية لها ٠ فإذا مارجعنا بفكرنا إلى الأعوام الماضية فسوف نقول ٢٠٠٢ ثم ٢٠٠١ ثم ٢٠٠٠ ٠٠ وسوف نصل أيضاً إلى ماضي سحيق لا نهائي ٠٠ هو " الأزلية " إذاً هناك كائن أزلي (لا بداية له) أبدي (لا نهاية له) وهذا الكائن اللانهائي هو الله ، مهندس الكون الأعظم ، واجب الوجود ، الحياة المانحة للحياة ، والخالق الذي خلق الكل ٠٠ بالله الأصل ، علة كل المعلولات ، وأساس كل الموجودات ٠٠ الوجود الأول ، واجب الوجود ، وخالق الجميع " [(١)] ٠

ورغم إن العقل عاجز عن إدراك الله لكن المسيحية لا تحتقر هذا العقل ولم تلغه كما فعلت الشيوعية ، فقد سأل أحد مؤمني رومانيا أسيراً روسياً مهندساً : هل تؤمن بالله ؟ فأجابه " ليس لدي أمر عسكري بهذا الشأن لأؤمن ، فلو كان لي أمر لآمنت " [(٢)].

وكم من الأمور التي لا يراها الإنسان بالحواس الجسدية ، ولكنه يشعر بتأثيرها ويؤمن بوجودها ؟ وأكبر مثل على هذا القوة المغناطيسية والكهربائية والموجات الصوتية ٠٠ إلخ ، فبالرغم إننا لا نرى الكهرباء لكننا نراها في المصباح المضئ ، ونحس بها في حرارة المدفأة ، ونشعر بها في حركة الموتور ، وكم من كائنات دقيقة لا نراها بالعين المجردة ولكنا نراها تحت المجهر ، وكم من أصوات خافتة لا نسمعها بالأذن المجردة ولكن نستطيع أن نستمع إليها من خلال

(١) جريدة وطني ٢٠٠٣/٤/٢٧ القيامة والعلم (١) ص ٤
(٢) ريشار وورمبلاند – العذاب الأحمر ص ١٢

الأجهـزة المتخصصة ، فعين النسر ترى ما لا نراه نحن إذ ترى الفريسة على بعد ثلاثة أميال ، وأذن الغزال تلتقط حركة الزلزال قبل حدوثه بعشرين دقيقة • بل إن هناك فرقاً بين عالم الحقيقة وعالم الظواهر ، فالسراب هو من عالم الظواهر وليس بحقـيقة ، والملعقة في كوب الماء نراها وكأنها مكسورة وهي ليست كذلك ، ونرى للسماء لوناً وهي ليست كذلك •• إلخ•

فعـدم رؤيتـنا لله لا يعني عدم وجوده ، ومن الطرائف التي تُذكر أن أحد الفلاسفة الملحدين في إحدى محاضراته لمجموعة من البسطاء قال إننا نرى أموراً كثيرة ، ولكننا لا نرى الله •• لماذا ؟ لأن كل شئ موجود نراهّ ، أما الله فلأنه غير موجود فلا نراه • فقال له أحد البسطاء : هل ذهبت إلى اليابان ؟

أجابه الملحد : لا

المؤمـن البسـيط : إذاً أنت لم ترَ اليابان ، ولكنك تؤمن بوجودها ووجود اليابانيين لأنك ترى صنائعهم •

الملحد : نعم•

المؤمـن البسيط : هكذا إن كنا لا نرى الله بالعين الجسدية ، لكننا ندرك وجوده من خلال مصنوعاته•

وفي إحدى المرات أرادت مُدرسة أن تلقن البنات الصغار درساً لا ينسونه عن إنكار وجود الله ، فسألت إحدى البنات : ماذا ترين هناك ؟

أجابت الصغيرة : شجرة •

المعلمة : كلنا نرى الشجرة •• إذاً الشجرة موجودة •

وكـررّت المعلمـة السـؤال عدة مرات عن أمور أخرى مثل الماء ، والعصفورة والمنزل •• إلخ ثم سألت الفتاة الصغيرة : هل ترين الله ؟

فقالت الفتاة : لا أراه •

المعلمة : نعم إننا لا نرى الله ، لأن الله غير موجود ، ولا يوجد شئ إسمه الله •

فتصدت لها فتاة أخرى صغيرة السن عظيمة الإيمان ، وإستأذنت أن توجه هي الأسئلة لصديقتها الصغيرة ، فسألتها عن الشجرة والعصفورة والماء ٠٠ إلخ ثم سـألتها : هل ترين عقل المُدرّسة ؟ فأجابتها : لا أري عقل المُدرّسة ، فقالت : إننا لا نرى عقل المُدرّسة ، فهل معنى هذا إن المُدرّسة بلا عقل ؟! وضحكت الفتيات ، وعقبت هذه الفتاة المؤمنة : نحن لا نرى عقل المُدرّسة ولكننا نصدق أن لها عقلاً ، وهكذا مع إننا لا نرى الله بأعيننا المادية ، فإننا نؤمن بوجوده ٠

و - الشعور الخفي بوجود الله :

عندما خلق الله الإنسان على صورته ومثاله وضع بداخله حقيقة وجوده ، ولذلـك تجـد الإنسـان يسعى دائماً نحو الله ، وما الديانات الوثنية القديمة إلاَّ هي محـاولات بحـث الإنسان عن الله ، ولو تجولت في ربوع التاريخ فقد تجد أموراً أساسية عاش الإنسان بدونها مثل المسكن المستقر ، وعملات التعامل ، والمدارس والمستشـفيات والمحـاكم ٠ إلخ ولكنه لم يستغنِ قط عن دور العبادة ولو في أبسط صـورها ٠٠ حقاً قال الكتاب المقدَّس " *جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها لا يدرك الإنسـان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية* " (جا ٣ : ١١) وقال القديس أوغسطينوس " إن الله نصب في داخل الإنسان ديواناً جعل العقل قاضياً ، والضمير مدعـيًّا ، والفكـر شـاهداً ، وكتب بإصبعه آيات وجوده ، ووحدانيته ، وأزليته ، وعنايـته بالعالم " [١] وقال الفيلسوف ديكارت " تنبع فكرة اله نبعاً طبيعياً في النفس كأنهـا علامة الصانع على صنعه " [٢] وقال الفيلسوف الألماني " كانت " عن هذا الشـعور الباطنـي إن هناك " شيئان يملأن نفسي روعة وإعجاباً لا يفتآن يتجددان وهما السماء ذات النجوم فوق رؤوسنا ، والشريعة الأدبية في داخلنا " [٣] فالإنسان جمـع بداخله ما هو زمني بما هو أبدي ، وما هو أبدي في الإنسان يسعى نحو الله

---

(١) أورده القس انجيلوس جرجس — وجود الله وصور الإلحاد ص ٣٠
(٢) المرجع السابق ص ٣٠
(٣) القمص بولس عطية — دراسات في علم اللاهوت ص ٢٩

الأبـــدي ، والإحســـاس بوجـــود الله يعطـــي الإنسان ضبطاً لنفسه ، فلا يسلك مثل الأبقوريين الذين قالوا " لنأكل ونشرب فإننا غداً نموت " ويقول ديستوفسكي " إن لم يكن الله موجوداً فكل شئ مباح " [1].

صلى شاب ملحد قائلاً " أللهم ، أنا متأكد إنك غير موجود ولكن إن شاءت الأقدار أنك موجود ، مع إنني أتحداها ، فليس من واجبي عندئذ أن أعتقد بك . إنه مـــن واجبك أنت أن تعلن ذاتك لي " [2] ورغم إلحاد " لينين " رئيس وزراء الإتحاد الســـوفيتي ، فإنـــه عـــند تفاقم المشاكل أمامه أخذ يصلي لله ، وعندما إلتقى ريشار وورمـــبراند مـــع مقدم روسي وضابطة روسية ملحدان في أحد الحوانيت ، ولأن صـــاحب الحـــانوت لا يعرف الروسية فقد تفضل ريشار بالقيام بدور المترجم ، ثم دعاهمـــا للغـــذاء فـــي بيته ، وعندما جلسوا إلى المائدة قال لهما " أنتما في بيت مســـيحي ، وقد إعتدنا أن نصلي على المائدة " وبعد الصلاة إنهمكا في الحديث عن الله والكـــتاب المقـــدَّس حـــتى آمنا قبل أن يتناولا طعامهما (ريشار وورمبراند – العذاب الأحمر ص ١٩) وكان المسيحي إبان الحكم الشيوعي يثبت حقيقة شخصية الســـيد المسيح ببساطة فيقول " فمن أين جاء عام ١٩٧٠م ؟ هل جاء من شخص لم يعـــش أو لم يلعب دوراً هاماً في التاريخ ؟ فأنت تقول إن يسوع المسيح لم يعش ، ولكـــنك تعد السنين من يوم ولادته ! طبعاً كان الوقت موجوداً قبله ، ولكنه لما جاء إلـــى العالم بدا للناس وكأن كل ما سبقه لم يكن له أي قيمة وإن الوقت الحقيقي بدأ عـــند ولادته . فصحيفتك الشيوعية هذه لهي الدليل الأعظم على إن المسيح عاش حقـــاً وإنـــه لم يكن خيالياً " [3]. حقاً قال القديس أغسطينوس " ياإلهي سيظل القلب مضطرباً ، ولن يجد راحته إلاَّ فيك " (الإعترافات كتاب ١ فصل ١) [4].

---

(١) القس أنجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٧٨
(٢) ريشار وورمبراند – العذاب الأحمر ص ٩٠
(٣) المرجع السابق ص ١٢٥
(٤) الإلحاد المعاصر وكيف نجابهه ص ٢٧

ز- وجود الله لا يلغي وجود ولا كرامة الإنسان :

لمـــاذا خلق الله الإنسان ؟ لم يخلق الله الإنسان ليعبده ، ولا ليُسخِره ، ولا ليسلب حريته • إنما خلقه ليتمتع معه بالوجود ، ومنحه الحرية التي بها يستطيع أن يعصي كلام الله ذاته •• لقد ظنوا إن الله يلغي وجود الإنسان ، ولم يدركوا إن الله خلـق الإنســـان على صورته ومثاله ، وتوَّجه ملكاً على الخليقة " *وقال الله لنعمل الإنســان علــى صورتنا كشبهنا • فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى كل الدبَّابات التي تدب على الأرض • فخلق الإنســان على صورته •• وباركهم الله وقال لهم إثمروا وإكثروا وإملأوا الأرض وإخضـــعوها وتسلَّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض* " (تك ١ : ٢٦ - ٢٨)•

ويقــول القديــس غريغوريوس النيزنزي " أيها الإنسان تأمل في كرامتك الملوكــية • إن الســماء لم تُصنع على صورة الله مثلك ولا القمر ولا الشمس ولا شــئ ممــا يُــرى في الخليقة • إنظر •• لا شئ في الموجودات يستطيع أن يسع عظمــتك " [١] ويقـــول الفيلسوف المسيحي أوليفيه كلمانت " الله يتقدم ويعلن عن حبه ، ويرجو أن يحيا الإنسان عليه •• فإذا رُفِض إنتظر على الباب ، ومقابل كل الخــير الذي صنعه لنا لا يطلب إلاَّ حبنا ، ولقاء هذا الحب يعتقنا من كل دين " [٢] وأحد العائدين إلى الإيمان سُئِل ما أكثر موقف أثر فيه وشده إلى الإيمان بالمسيح ، فقــال موقــف يسوع مع تلميذي عمواس إذ لم يرد أن يُقحم نفسه عليهما فلم يدخل معهمــا البيت إلاَّ بعد أن ألزماه بذلك ، فهو لا يفرض نفسه أما الشيوعيون فإنهم لا يكفــون عــن فــرض مبادئهم عنوة وقسراً بواسطة المدارس والمذياع والصحف والإعلانات والسينما والإجتماعات وفي كل وقت لا يكفون عن دعاياتهم الجهنمية ، وكـــان المؤمنون يتعرضون إلى عملية غسيل المخ لمدة سبعة عشر ساعة يومياً إذ

---

(١) القس انجيلوس جرجس - وجود الله وصور الإلحاد ص ٩٧
(٢) المرجع السابق ص ٩٦ ، ٩٧

يسمعونهم : الشيوعية حسنة ‥ الشيوعية حسنة ‥ الشيوعية حسنة ‥ المسيحية سخيفة ‥ المسيحية سخيفة ‥ المسيحية سخيفة ‥ ليس من يحبكم فيما بعد ‥ لـــيس من يحبكم فيما بعد ‥ ليس من يحبكم فيما بعد ‥ فإستسلم ‥ إستسلم ‥ إستسلم ‥

وقـــال " برديابيف " بعد عودته للإيمان " إن كرامة الإنسان تفترض وجود الله ‥ وإنكـــار الله يجر معه إنكار الإنسان " [١] كما قال " إن فكرة إخاء البشرية والشـــعوب فكرة ملازمة للمسيحية في شكلها النقي ، وبالمسيحية يمكننا أن نغرس الملكـــوت في النفوس ، فتعرف الله " [٢] وإن كانت المسيحية تهتم بالفرد إهتمامها بالجماعة ، فإن الشيوعية تضحي بالفرد في سبيل الجماعة ، فقد أستولوا على كل الأمـــلاك الشخصـــية فصـــارت ملكاً للدولة ، ولم يجد أصحاب هذه الأملاك قوت أولادهـــم ، وحارب الشيوعيون كل ما هو شخصي ، حتى إنهم سجنوا شخصاً لأنه كان بحوزته كتاب " علم النفس الشخصي " وصـــرخ ضابـــط البوليس فـــي وجهه " شخصي ! أليس كذلك ؟ دائماً شخصي ! لِمَ لا جماعي ؟! " [٣].

ورغم إن فيشينسكي سكرتير الدولة في رومانيا قال " ستبني هذه الحكومة فردوســـاً أرضـــياً ، وعلـــيه لـــن نكون بحاجة إلى فردوس سماوي " [٤] وصدقه الكثيرون حتى إن أحد الكهنة ويدعى سرجيوس كوَّن كنيسة باسم " الكنيسة الحيَّة " وقـــال " لـــيس قصدنا أن نعيد بناء الكنيسة إنما هدمها وإبادة الديانة كليًّا " [٥] ولكن خابت آمال هؤلاء الملحدين إذ أن الشيوعية لم تجلب لهم سوى التعاسة والشقاء ‥ تأمل فيما كتبه الكاتب المشهور " و٠ و٠ ساندور " في مجلة " أمريكان ماجازين "

---

(١) القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد ص ٧٦
(٢) المرجع السابق ص ٩٩
(٣) ريشار وورميراند – العذاب الأحمر ص ١١٨
(٤) المرجع السابق ص ١٢٧
(٥) المرجع السابق ص ١٢٦

فـــي نوفمبـــر ١٩٣٠م ، وبعـــد أن وصل به الإلحاد إلى شخص لا يدري شيئاً ، و " اللاادريـــون " مذهـــب إلحـــادي ظهـــر فـــي القرن الرابع قبل الميلاد (نحو ٣٤٠ ق٠م) ومـــن قادة هذا المذهب " شيشرون " و " ارسيزيلاس " و " كاردينا " وأصحاب هذا المذهب ليس لهم رأي محدد في القضايا الإيمانية والأمور الروحية ، لا بالإيجـــاب ولا بالسـلب ، محتجين بأن حكم الناس على حدث واحد يختلف من شخص إلى آخر ٠ بل إن الشخص الواحد في حكمه على حدث ما قد يختلف حسب أحـوال ومـــزاج هذا الشخص ، ويقولون إن الشرائع والقوانين في الدول متباينة ، ولذلـــك يصـــعب في نظرهم تحديد رأي محدد وواضح ، فهم لا يقولوا " نعم " ولا يقولـــوا " لا " إنمـــا يقولـــون نحـــن لا نـــدري ، ومـــن هنـــا جاءت تسميتهم بـــ " اللادرييـــن " فإن سألتهم عن طبيعة الله يقولون لا ندري ، وإن سألتهم عن وجـــود الله يقولـــون أيضاً لا ندري ، ونورد هنا فقط بعض من عبارات " و٠ و٠ ساندور " المؤثرة للغاية حيث يقول " دعني أقدم لكم إنساناً يشعر بالوحشة والتعاسة أكثر من أي إنسان آخر في العالم ٠٠ هو إنسان يقول " لا أدري " فهو لذلك بلا إله ويســـمونه ملحـــداً ٠٠ إنني لصاحب صلاحية خاصة في أن أُقدم لكم هذا الإنسان لأننـــي أنـــا هـــو ٠ نعـــم ، أنا نفس ذلك التعيس " اللا أدري " ٠٠ اللا أدريّين قد إنتشروا في كل مكان ٠٠ وربما يدهشكم أن تعرفوا أن " اللا أدري " يحسدكم على إيمـــانكم بـــالله وثقـــتكم بالحـــياة بعد الموت ويُغار من رجائكم المبارك بأن تلاقوا أحـــباءكم فـــي الأبديـــة حيث لا وجع ولا موت ، وتمنى (اللا أدري) أن يعتنق إيمـــانكم لكي يتعزى به ٠٠ وأما هو فليس له إلاَّ القبر وإنحلال المادة الأولية ٠٠ أتساءل : هل هذا العبث هو غاية الحياة البشرية وثمر مجهوداتها ؟! ٠٠ قد يتظاهر " الـــلا أدري " بالشـــجاعة ويواجـــه الحياة بإبتسام ولكنه ليس سعيداً ٠٠ وإذ يقف مـــنذهلاً أمام سعة الكون وجلاله ، وهو لا يعلم من أين أتى أو لماذا جاء ، وينظر بهـــول إلـــى فسحة الفضاء وعدم محدودية الوقت ، ويشعر بصغر نفسه وضعفها وقصـــر حـــياته ٠ ألا تظنون أنه مثلكم يريد أن يكون له إيماناً يستند إليه ورجاءاً

يقويــه ؟! أنه هو أيضاً يحمل صليباً .. فاللاأدري .. يتأثر تأثراً عظيماً من قوة إيمــانكم إذ يشــاهد كــيف يتغــيَّر السكارى ويتجدَّد الإباحيون وقد رأى المرضى والشيوخ والمتروكين وهم يتعزون ، وأعجبته أعمال هذا الإيمان الخيرية من إنشاء المــدارس والمستشفيات والملاجئ .. إن هذه الأرض في نظره ما هي إلاَّ رمث طــافٍ فــي بحور الأبدية لا نور لها ولا أفق ، وفي قلبه وجع وهَمْ لأجل الطافين عليها معه أن يحملهم التيار إلى حيث لا يدرون " (١).

وقالت " سيمون دي بوفوار " صديقة سارتر في رسالها إليه " لقد كنا أحقر ممــا يتصــورون " (٢) وبعد أن قتل " ستالين " معظم رفاقه أصبح يخشى الإغتيال فخصَّــص ثمان حجرات للنوم تُغلَق جميعها بإحكامْ ، ولا يعرف أحد في أي حجرة يبيــت ، ولــم يكــن يتذوق طعامه إلاَّ إذا تذوقه طاهيه أولاً .. فأي حياة هذه ؟! وزادت نسبة الإنتحار ، فالكاتب الكبير الملحد " فاديف " بعد أن أنهى كتابة روايته " الســعادة " والتي قال فيها إن السعادة تأتي من العمل الدءوب من أجل الشيوعية ، أطلــق الرصــاص على نفسه بعد الفراغ من روايته (العذاب الأحمر ص ١٣٨) وقال المفكر الملحد " دانتك " إن " أول نتيجة للإلحاد - إذا عم - أن يكثر الإنتحار حتى يصير كالوباء " (٣).

ح- الكتاب المقدَّس :

ليس الكتاب المقدَّس مؤلف أسطوري كما قال أهل الإلحاد ، إنما هو كتاب الحياة المُوحى به من الروح القدس ، ويحمل علامات صدقه داخله ، فما حواه من نــبوات تحقَّــق معظمهــا ، والآخر في طريقه للتحقق لهو أعظم شاهد على صحة الكــتاب المقــدَّس ، فقد حوى هذا الكتاب العجيب ليس نبوة أو بعض نبوات ، إنما

(١) أريل البردويل - صو ت من الأنقاض ص ٧٤ ، ٧٥
(٢) القس انجيلوس جرجس - وجود الله وصور الإلحا د ص ٧٦
(٣) المرجع السابق ص ٧٦

حوى مئات النبوات العجيبة والتي كان يصعب تصديقها لحظة النطق بها ، وهناك فقط نحو ثلثمائة نبوة نطق بها أنبياء مختلفين ، ذوي ثقافات مختلفة ، وأعمال وأعمار متباينة ، وفي عصور متتالية ، وفي عدة أماكن وجميعها تتعلق بشخص السيد المسيح ، وقد تحقَّق معظمها ، حتى إنه خلال الأربعة والعشرين ساعة الأخيرة من حياة السيد المسيح على الأرض تحقق نحو ثلاثين نبوة ، ويقول " د . بيتر سونر " أحد علماء الرياضيات في إحدى جامعات أمريكا إن إحتمال تحقق ٤٨ نبوة على شخص واحد هو إحتمال ضئيل جداً جداً ، ولو حُسب بلغة الأرقام فإنه يساوي ١ : ١٠ ^١٧ ، أي واحد إلى واحد على يمينه ١٨ صفراً ، ولتقريب المعنى قال لو غطينا أرض تكساس بالكامل بدولارات فضية بسمك ٦٠ سم ، وفي كل هذا الكم الهائل وضعنا علامة على دولار واحد ، فإن فرصة عثورنا على هذا الدولار لأول مرة نبحث عنه هي فرصة ضئيلة جداً جداً وتساوي ١ : ١٠ ^١٧ .

كما إن الآثار تثبت يوماً فيوماً صحة كل ما جاء في الكتاب المقدَّس (راجع كتابنا : أسئلة حول صحة الكتاب المقدَّس – طبعة ثانية ص ١٩٤ – ١٩٩) . أما تأثير الكتاب العجيب في تغيير النفوس فهو شاهد عظيم على سماوية هذا الكتاب ، فعندما قام " تشارلز داروين " الملحد صاحب نظرية " النشوء والإرتقاء " بجولة حول العالم وعرف تاريخ الأمم ، كتب في جرناله (يومياته) ص ٤٠٤ ، ٤٢٥ يقول إنه لم يكن هناك بلداً أسوأ من نيوزيلاند قبل إيمانها ، وعندما عاد إلى إنجلترا وجدهم ينتقدون بشدة المبشرين المسيحيين ، فدافع عنهم قائلاً " إن هؤلاء المنتقدين ينسون أو يتناسون ما قد صار في نيوزيلاندا من إلغاء الذبائح البشرية التي تقدم تحت سيطرة كهنوت وثني لم يرَ العالم مثيلاً له في الشر ، ومنع (الإيمان بالمسيح) قتل الأطفال ، وأنهى الحروب الدموية التي لم تكن تشفق على طفل ولا على امرأة ، وقلَّل الغش والسكر والفحشاء ، وذلك بإدخال المسيحية فيها ، ولو إرتطمت سفينة على جزيرة غير معروفة لصلى

الإنسان صلاة حارة وتمنى أن يكون أهلها قد سمعوا بتبشير المبشرين حتى يطمئن على حياته ..

إن عمـل المبشـر هو بمثابة عصا الراقي ، فترى البيوت تُبنى والحقول تُحـرث والأشـجار تُغرس بأيادي نفس النيوزيلانديين . إن التحسن المطرد الناتج عن إنتشار الإنجيل في جزر البحر الهادي لهي من النوادر في التاريخ " [1].

وأيضـاً المعجـزات التي تصاحب المؤمنين بالكتاب المقدَّس من جيل إلى جـيل هـي شاهد عيان على حقيقة وجود الله وصحة كتابه المقدَّس ، ومهما أنكر الإلحاديون المعجزات فلم ولن ينجحوا في هذا ، وعندما أراد أحد أساتذة الشيوعيين أن يعطي مثلاً عملياً في أحد الإجتماعات على تكذيب معجزة قانا الجليل ، أحضر مـاء ، ووضـع فيه مسحوق أحمر فتحول الماء إلى اللون الأحمر وقال " هذه هي المعجزة بكاملها ، فقد خبأ يسوع في كمه مسحوقاً من هذا النوع ، وإدَّعى أنه حوَّل المـاء إلى خمر بتلك الصورة العجيبة ! ولكنني أستطيع أن أفوق عمل يسوع ، فأنا أقدر أن أعيد هذا الخمر إلى ماء مرة أخرى " [2] ثم وضع مسحوقاً آخر فعاد الماء إلـى اللون الأبيض ، ثم عاد ووضع من المسحوق الأول فتحول اللون إلى الأحمر ثانـية .. فقال له أحد المؤمنين : حقاً لقد أدهشتنا أيها الأستاذ الرفيق بما إستطعت أن تفعلـه ، ونحن نسألك الآن أن تفعل شيئاً واحداً فقط ، ألاَّ وهو أن تشرب جرعة واحدة من خمرك .

الأستاذ : هذا ما لا قِبل لي أن أفعله لكون المسحوق مادة سامة.

المؤمـن : هذا هو الفرق الشاسع بينك وبين يسوع ، فقد وهبنا يسوع بخمره رمز الفرح السماوي لمدة ألفي سنة تقريباً ، فيما حاولت أنت أن تسممنا بخمرك ، فأُلقي القبض على هذا الشاهد الشجاع وطُرح في غياهب السجن.

---

(1) إيريل البردويل – صوت من الأنقاض ص ٥٤

(2) ريشار وورمبراند – العذاب الأحمر ص ١٣٢

ودائماً وأبداً كان الكتاب المقدّس هو العدة والسلاح في الحرب ضد الإلحاد .. أنظر ما كتبه ريشار وورمبراند وهو يلتمس من مسيحي أوربا أن يرسلوا إلى الدول الشيوعية الكتاب المقدّس كلمة الله ، فيقول " لا تتخلوا عنا ! . لا تنسونا ! . لا تهملونــا ! . قدمــوا لــنا العدة التي نحتاج إليها ! لأننا مستعدون أن ندفع ثمن إســتعمالها .. إننــي أتكلــم باســم الكنيسة التي خُنق صوتهــا . الكنيسة الخفية الخرســاء ، التي لا صوت لها كي تتكلم . إسمعوا أصوات إخوانكم وأخواتكم في بــلاد شــيوعية ! إنهم لا ينشدون الهرب ، أو يطلبون حماية أو حياة سهلة . إنهم يطلبون العتاد فقط لكيما يحموا شباب الجيل القادم من سم الإلحادية . إنهم يطلبون الكتــب المقدّســة لكي ينشروا كلمة الله ، فكيف يمكنهم أن ينشروها إن لم تكن في حوزتهم.

تشبه الكنيسة السرية جرّاحاً كان يسافر في قطار ، فإصطدم القطار بقطار آخر ، وترك وراءه مئات الجرحى على الأرض بحالة رضوض وكسور وموت . فــأخذ هــذا الجرّاح يتعثر بين هؤلاء المصابين وهو يصرخ " آه ، لو كانت عدّتي معــي ! .. آه ، لــو كانت عدّتي معي ! .. " فلو كانته عدّته معه لاستطاع هذا الطبيــب أن يــنقذ حياة كثيرين ، لأنه كان مستعداً أن يقوم بالعمل ، ولكن .. لكن نقصــته عــدّة الطبابة . لذلك بقى مكتوف اليدين . هذا هو واقع الكنيسة الخفية ، فهــي مستعدة أن تضحي بكل ما تملك ! وهي مستعدة بالتالي أن تستشهد في سبيل المســيح ، وهي مستعدة أن تجازف بحياة سنين طويلة في سجون شيوعية ! ولكن .. لكــن جميع إستعداداتها لا تأتي بنتيجة إن لم تملك عدّة العمل . فتوسل الأمناء والشجعان في الكنيسة السرية إليكم أنتم الأحرار هو هذا : قدموا لنا العدّة من كتب مقدّسة ، بشائر وكتب مسيحية أخرة .. " [1].

---

(1) العذاب الأحمر ص ١٨٣ ، ١٨٤

ووصـــل إلى ريشار كتب مقدَّسة مهرَّبة عبر الأسوار المنيعة ، وفي أحد الأيـــام جـــاء إليه رجلان قادمين من إحدى القرى للعمل في المدينة لإكتناز بعض المـــال بغية شراء كتاب مقدَّس قديم ، ولم يصدقا أعينهم عندما قدم لهم ريشار كتاباً جديـــداً ومجانـــاً ، وبعـــد أيام قليلة إستلم ريشار رسالة شكر حارة موقع عليها من ثلاثيـــن شخصاً قسَّموا الكتاب المقدَّس إلى ثلاثين جزءاً إستبدلوها فيما بينهم ، فإن الشـــخص في الدول الملحدة كان مستعداً أن يتنازل عن بقرته التي تمثل كل ثروته مقابل الحصول على كتاب مقدَّس ، وأحد الأشخاص إستبدل خاتم زواجه بعهد جديد (العذاب الأحمر ص ١٨٧ ، ١٨٨).

ط- وصايا الإنجيل :

تنفـــيذ وصـــايا الإنجـــيل في الظروف القاسية دليل قوي على صحة هذا الإنجيل ، ويقول ريشار وورمبراند " ومع إنني أمقت النظام الشيوعي مقتاً شديداً ، فأنا أحب الشيوعيين أنفسهم . أجل ، إنني أحبهم من كل قلبي ، ومع إن الشيوعيين يســـتطيعون أن يفتكوا بالمسيحيين ، غير أنهم ليس بإمكانهم أن يقتلوا محبتهم نحو قاتلـــيهم . فليســـت لـــدي أيـــة مـــرارة أو ضيق نحو الشيوعيين أو نحو الذي عذبونـــي " [1] كما يقول " قابلت مؤمنين حقيقيين في سجون شيوعية مثقلة أرجلهم بسلاســـل حديديـــة يزيد وزنها على خمسة وعشرين كيلو غراماً ، مُعذَّبين بأسياخ حديدية محماة بالنار ، مُرغَمين على إبتلاع كميات من الملح دون أن يُقدَّم لهم الماء فـــيما بعد ، جياعاً مجلودين ومتألمين من البرد ، ولكن بذات الوقت كانوا يصلون بحـــرارة من أجل معذبيهم الشيوعيين . هذا ما لا يمكن للعقل البشري أن يفسره ، فهو محبة المسيح التي إنسكبت في قلوبنا بالروح القدس " [2].

وعندما سُمح لأحد المحكوم عليهم بالإعدام بمقابلة زوجته قبل تنفيذ الحكم قال لها " عليك أن تعرفي يازوجتي العزيزة إنني أحب قاتليَّ ، فهم لا يعلمون ماذا

---

(١) العذاب الأحمر ص ٦٩
(٢) المرجع السابق ص ٧٢

يفعلون ، وطلبي إليك هو أن تحبيهم أنت أيضاً ٠ لا تسمحي للمرارة أن تستقر في قلبك ضدهم بإعتبارهم سفاحي زوجك المحبوب " (١).

ومقـــابل مـــا تحمله المسيحيون من جلاديهم ، قدموا لهم الخير ، وأهم ما قدمـــوه لهم هو كلمة الله ، فكان ريشار وورمبراند يرسل إبنه الصبي " ميهاي " مع بعـــض رفاقه يحملون في السر أجزاء من الكتب المقدَّسة للجنود الروس المنتشرين فـــي شـــوارع وحدائـــق رومانيا ، وهؤلاء الجنود الذين طالما حرموا من أولادهم لســـنين طويلة بسبب إنشغالهم بالحروب ، كانوا يفرحون بهؤلاء الأولاد ويأخذون منهم البشائر ويقدمون لهم الحلوى ، وبواسطة كلمة الله عرف عدد كبير من الجنود الملحديـــن الله وآمنوا به ، وفي عيد إستشهاد بطرس وبولس الرسولين شق ريشار طـــريقه إلـــى المعسكر الروسي بحجة شراء بعض الساعات من الجنود الروس ، فالـــتف حولـــه بعـــض الجنود يعرضون ما معهم من ساعات ، فأخذ يتعلل : هذه باهظـــة الثمـــن وهذه صغيرة وتلك كبيرة ٠ ثم سألهم بنوع من المزاح : من منكم إسمه بطرس أو بولس ؟ فوجد منهم من تسمى بهذا الإسم أو ذاك ، فقال لهم : هل تعلمـــون مـــن هو بطرس أو بولس ؟ فأجابوه بالنفي ، فأخذ يقص عليهم ٠٠ فقال أحدهـــم : أنـــتَ لم تأتِ من أجل الساعات بل من أجل البشارة بالمسيح ، وهؤلاء الجـــنود محـــل ثقة ، فاستمر في حديثك ، وإذا أقبل أحد الجنود غير الموثوق فيهم سأضـــع يـــدي علـــى ركبتي فتتحدث عن الساعات ، حتى إذا ذهب هذا الشخص ورفعت يدي ، يمكنك أن تستكمل حديثك ، وتكررت اللقاءات حتى آمنوا ٠

ورغم إنه كان غالباً عضواً من كل أسرة من أهل رومانيا يُلقى في غياهب الســـجون يلاقي الأهوال ، ولا يعرفون عنه شيئاً ، ورغم ضيق اليد للمؤمنين الذين حـــافظوا علـــي إيمـــانهم ســـراً ، فإن الكارزين بالمسيح كانوا يقفون في الشوارع يـــرنمون ويعظـــون ، وقبل أن تصلهم الشرطة إليهم كانوا يختفون عن الأنظار ،

---

(١) العذاب الأحمر ص ٥٥

وكـــان البعض يجاهر بإيمانه متحملاً تبعة ذلك من عذابات تصل إلى حد الموت ، ففـــي إحـــدى المرات إندفع شخصان نحو رئيس الحكومة " جورجيو ديج " وشهدا أمامـــه عـــن المســـيح فأمـــر بالزج بهما في السجن ، ولكن شهادتهما أثمرت لأن جورجـــيو وهـــو فـــي نهاية حياته طريح الفراش عاد إلى الإيمان بالمسيح ، وكان المؤمنون يطبعون النبذات التي تحمل صور كارل ماركس ، وتحت عنوان " الدين أفـــيون الشعوب " وعلى الصفحات الأولى إقتباسات عن ماركس ولينين وستالين ، ثـــم تحمل الصفحات التالية رسالة الخلاص ، وطالما قاموا ببيع هذه النبذات وسط المظاهرات الشيوعية ، وإختفوا عن الأنظار قبل القبض عليهم.

ى - صلابة الإيمان :

لقـــد فعل الشيطان وجنوده وأعوانه كل ما يستطيعون أن يفعلوه بأبناء الله الأمـــناء ، فيكفـــي إعتراف الإنسان بأنه مسيحي ليُزج به في سجون سيبيريا حيث يلاقـــي الأهوال حتى الموت ، أما إذا كان صاحب شخصية مرموقة فإنهم يكتفون بنفيه خارج البلاد ، وقصص الشهداء والمعترفين في الدول الملحدة التي لا حد لها تســـيل الدموع وتدمي القلوب ، وإذ أجدني مدفوعاً بقوة لا تقاوم أقدم لك ياصديقي أمـــثلة قلـــيلة مُشرّقة من هؤلاء الأبطال الذين دفعوا ثمن الإيمان بالعذاب والعرق والـــدم والمـــوت ، وإليهم يرجع الفضل في القضاء على الإمبراطورية الشيوعية ، كما قضى آباؤهم في الإيمان منذ القديم على الإمبراطورية الرومانية الوثنية.

لقـــد أغلـــق الشيوعيون الملحدون عدداً كبيراً من الكنائس ، وتركوا القليل كـــنوافذ للضـــبط والمراقـــبة للمؤمنين ، وكان معظم رعاة هذه الكنائس من عملاء البولـــيس السري يتعاونون مع الشيطان ضد أبنائهم ، ولكن قليل من هؤلاء الرعاة كـــانوا أمناء لدرجة الموت ، ففي إحدى المرات ذهب ضّابط ليقابل قساً في هنغاريا بمفـــرده ، فلمـــا إقتاده هذا القس إلى غرفة وأغلق الباب ، إلتفت الضابط للصليب المُعلّـــق علـــى الجـــدار ، وقال للقس محتـــداً " إنكَ تعلم أن هذا الصليب هو كذب

وبهـــتان ، فهو ليس أكثر من مجرد خدعة تستخدموها أنتم أيها القسوس لتغشوا هذا الشـــعب المســكين ٠٠ إعترف لي إنك لم تؤمن يوماً أن يسوع المسيح هو إبن الله الحي ٠

فإبتســم القـــس وقال : أنا أؤمن بأن يسوع المسيح هو إبن الله الحي أيها الشاب المسكين ، فهذه هي الحقيقة ، وصرخ الضابط وقد صوب مسدسه نحو القس قائلاً : إن لم تعترف لي أن هذا كذب لسوف أطلق النار عليك ٠

القـــس : أنا لا أستطيع أن أعترف بذلك لأنه غير صحيح٠ فربنا يسوع المسيح هو إبن الله بالجق والصدق٠

فـــألقى الضابط بمسدسه على الأرض وإحتضن القس والدموع تترقرق في عينـــيه قـــائلاً " هذا هو عين الحق والصواب ٠ هذا هو الصدق ، فأنا أيضاً أؤمن بذلـــك ، ولكننـــي كنت مُتشككاً فيما إذا كان الناس مستعدين أن يستشهدوا في سبيل إيمـــانهم هـــذا ، إلى أن تحققت من ذلك بنفسي ٠ آه ، إنني لشاكر لك ، فقد قويت إيمانـــي ، والآن فأنا أستطيع أن أموت من أجل المسيح ، فقد أريتني كيف يمكن أن يكون ذلك " (١).

ويصف ريشار وومبراند شيئاً من العذابات التي تعرض لها أبطال الإيمان فـــي الـــبلاد الملحدة فيقول " عُذب " فلورسكو " أحد قسوس الكنيسة بواسطة أسياخ حديديـــة محمـــأة بالنار وبالسكاكين أيضاً ، وقد عذبوه بضراوة ، ثم أطلقوا جرذاناً جائعـــة بواسطة أنبوب حديدي إلى غرفة سجنه ، فلم يستطع النوم بتاتاً إذ حاول أن يدافـــع عـــن نفسه بطردها عنه ، ومتى توقف قليلاً كانت الجرذان تهاجمه وتنهش جسمه ، ولقد إضطر أن يقف على رجليه لمدة أسبوعين كاملين ٠٠ لمدة أسبوعين كامليـــن لـــيلاً ونهـــــاراً ، فقد أراد الشيوعيون أن يرغموه على تسليم إخوانه في الإيمان ، ولكنه قاوم تعذيبهم بشدة وصبر ٠

---

(١) ريشار وورمبراند ــ العذاب الأحمر ص ١٤٠

وفـــي النهاية أحضروا إبنه الذي كان له من العمر أربع عشرة سنة فقط ، وأخـــذوا يجلدونه أمامه بسياطهم قائلين له إنهم سيستمرون بضربه إلى أن يعترف لهـــم بمـــا أرادوه منه ، فكاد الرجل المسكين أن يُجن ، وقد تحمل قدر إستطاعته ، ولكـــنه لما عجز عن الإحتمال نظر إلى المتألم وقال له { ياولدي اسكندر ، عليَّ أن أعترف لهم بما يريدونه ، فلا أستطيع أن أراهم يضربونك فيما بعد } فأجابه إبنه { يـــاوالدي لا تظلمني بجعل نفسك والداً خائناً . أثبت ياوالدي ، فإن قتلوني فسأموت علـــى شفتي الكلمات يايسوع ومسقط رأسي } وعلى إثر ذلك جن جنون الشيوعيين وإنهـــالوا يكـــيلون للإبـــن الضربات القاسية إلى أن أزهقوا روحه الطاهرة ، والدم يتـــناثر علـــى جـــدران الغرفة في السجن . لقد مات وهو يحمد الله **(أيهـــا الفتى إسكندر أطلب من أجل ضعفي).**

لقـــد كبلوا أيدينا بقيود حديدية ذات أسنان حادة من الداخل ، فهي لا تؤثر عليـــنا إن لـــم نـــأت بحركـــة ، ولكن عندما كانت غرفنا باردة ورجعنا من البرد القاسي ، نهشت تلك الأسنان أيدينا إلى أن مزقت جلودنا.

وقـــد عُلـــق ببعض المؤمنين الآخرين بحبال رأساً على عقب ، وضُربوا بوحشـــية ضارية مما جعل جسمهم يتأرجح ذات اليمين وذات الشمال بسبب عنف الضـــربات ، ووضـــع مؤمـــنون آخرون في صناديق للثلج وقد غشاها الجليد من الداخل ، وقد وضعوني أنا أيضاً في إحداها بثياب رقيقة جداً ، وكان أطباء السجون يراقـــبون الســـجناء داخلها من خلال ثقوب صغيرة في جوانبها ، وما أن لاحظوا مظاهر التجلُّد المميت علينا حتى نادوا الحراس لكي يخرجونا منها بسرعة ويدفئونا مـــرة أخـــرى ، حتى إذا ما نلنا قسطاً من الدفء أعادونا إليها ثانية لتجليدنا ، وقد أعـــادوا الكـــرة مـــراراً وتكراراً .. وهذا ما يجعلني أخشى اليوم أن أفتح ثلاجة الطعام.

وضـــعونا نحـــن المؤمنين في صناديق خشبية أكبر من حجمنا بشئ زهيد جـــداً ، ممـــا لم يترك لنا مجالاً للحراك أبداً ، وقد دقوا في هذه الصناديق من كل

جهاتــه عشرات المسامير تبلغ رؤوسها من الداخل حدة الموس . كان الأمر سهلاً إذا وقفــنا فــيها بسكون تام ، ولكنهم أرغمونا على الوقوف في هذه الصناديق لمدة عــدة ســاعات طويلة ، وعندما شعرنا بالتعب والإعياء وألقينا جسمنا على جوانب الصندوق طلباً للراحة غُرزت هذه المسامير في أجسادنا .. فما صنعه الشيوعيون بالمؤمنيــن يفــوق وصـــف العقل البشري وإدراكه . شاهدت الشيوعيين يعذبون المؤمنيــن وقــد تألقــت وجوههــم بالبهجة ، وكانوا يصرخون في وجوههم وهم يعذبونهــم " نحــن الأبالسة ! " . إننا لا نحارب مع لحم أو دم ، بل مع الرياسات والسلاطين وقوات الشر الجهنمية .. " [١].

وإحدى الفتيات كانت توزع بعض البشائر وتعلم الأولاد عن المسيح سراً ، فقــرَّروا إعــتقالها ، ولكنهم أجلوا الإعتقال إلى يوم زفافها ، وفي يوم زفافها هرع البولــيس السري إلى داخل بيتها فمدت يديها ليكبلوها بالقيود ، وهي تقبّل السلاسل وتقــول " أشكر عريسي السماوي يسوع من أجل هذه الدرَّة التي قدمها لي في يوم زفافي . أشكره لأنه حسبني أهلاً أن أتألم من أجله " بينما الأهل يولولون والعريس يتحســر لوعة ، فهم يعرفون أهوال سجن الإلحاد ، وبعد خمس سنوات أُفرج عنها وكأنهــا أكبر من سنهــا بثلاثين عامــاً ، وكان عريسها في إنتظارها ، وهي تقول له إن ذلك كان أقل ما يمكنها أن تفعله من أجل المسيح.

ويقول ريشار وورمبلاند أنه أثناء التحقيق معه " إستمر التعذيب والوحشية دون هــوادة ، وعــندما فقــدتُ وعيي وأصبحت كالثمل بحيث لم أستطع أن أقدم لمعذبي أية إعترافات ، إقتادوني إلى غرفتي مرة ثانية . وهناك تركوني مُلقى على الأرض دون عناية وشبه ميت ، إلى أن أستعدت بعض قواي ونشاطي ليعودوا إليَّ مــرة أخــرة للإســتجواب . لقد قضى كثيرون نحبهم عند هذا الحد ، ولكن قوتي عــادت إلــيَّ بصورة غريبة ، وفي الأعوام التي تلت ، والتي قضيتها في سجون

---

[١] العذاب الأحمر ص ٤١ ـ ٤٣

عديدة ، كسروا أربع فقرات من عمودي الفقري وعظاماً أخرى كثيرة ، وقد نقروا فـــي جســـمي إثنتي عشرة نقرة بالسكاكين وفتحوا فيه ثماني عشرة ثغرة أخرة كياً بالـــنار ٠٠ فقد ضربونـــي بوحشية ولكموني بقسوة ضارية ! أهانوني وإستهزأوا بـــي ! أجاعونـــي ، ضـــغطوا عليَّ وإستجوبوني " [1] وبعد ثماني سنوات ونصف أفـــرجوا عنه سنة ١٩٥٦م لمدة أسبوعين ألقى خلالها عظتين مثبتاً المؤمنين حاملاً فـــي جســـده ســـمات الرب يسوع ٠ ثم عادوا وقبضوا عليه ليقضي ثلاث سنوات أخـــرى في ظروف أصعب وأشد ضراوة ، وبلغ إجمالي ما قضاه في سجن الإلحاد أربعـــة عشر عاماً ٠ أما زوجته فقد قُبض عليها وذاقت الأهوال حتى أكلت العشب كالشـــيران ، وتُـــرك إبنه " ميهاي " بدون عائل ، وكانت مساعدة عائلات الشهداء والمســـاجين تُعتـــبر جريمة ، فعندما قدمت سيدتان المعونة للصبي الصغير ميهاي تعرضـــتا للضـــرب المـــبرح حتى أصيبتا بالشلل الدائم ، وعندما إستضافت سيدة أخـــرى مـــيهاي ضُربت حتى تساقطت جميع أسنانها ، وعندما إهتز إيمان الصبي مـــيهاي ، وهـــو في سن الحادية عشر من عمره ، وعمل كعامل صغير لكيما يجد لقمة العيش ، وإذ سُمح له بمقابلة أمه من وراء القضبان الحديدية وظهرت في حالة يرثى لها نحيلة ومتسخة وهي ترتدي ملابس السجن البالية ويديها خشنتين من قسوة العمـــل ، فـــتعرف عليها بصعوبة بالغة ، وكانت أول كلماتها لإبنها " آمن بيسوع ياميهاي " ولم يسمح لها الحراس بأكثر من هذا ، إذ جذبوها بوحشية وجروها بعيداً عن إبنها الذي راح يبكي ، ومن هذه اللحظة إشتد إيمانه بالله قائلاً " لنفرض أنه لا توجد للمسيحية أية حجج سوى تلك التي ملكتها أمي فهذا الأمر يكفيني " ٠

وكـــانوا يعذبـــون المساجين بالجوع الشديد ، فيقدمون لهم قطعة خبز كل أسبوع حتى صاروا أشبه بهياكل عظمية ، وصاروا كالمعتوهين ، حتى إن ريشار لـــم يقـــوَ على تلاوة الصلاة الربانية ، فكانت صلاته عبارة عن كلمتين فقط هما "

---

(١) العذاب الأحمر ص ٤٩ ، ٥٠ ٠

أحــبك يايســـوع " والأمـــر المدهش أن هؤلاء المساجين كانوا يقدمون العشور من ضـــروراتهم ٠٠ كـــيف ؟ كان يتخلون عن قطعة الخبز الخاصة بهم في الأسبوع العاشر لمن هو أضعف منهم٠

حقــاً إن هؤلاء الأبطـــال لـــم يحبــوا حياتهـــم حتـــى الموت ، فالشاب " تيرغوادكـــتا " الذي كان له من العمر ثمانية عشر عاماً وقد أصيب بمرض السل بسبب التعذيب وصعوبة السجن ، وعندما علمت أسرته أرسلت له العلاج ، فأعلمه ضـــابط السجن وطلب منه مقابل تسليمه الدواء الذي سينقذ حياته أن يعطيه بعض المعلومـــات عـــن زملائـــه المؤمنين ، فقال له تيرغوا " إنني لا أود أن أبقى حيَّاً فأســتحي برؤية وجه خائن في مرآه ٠ فأنا لا أستطيع أن أقبل هذا الشرط ٠ إنني أفضل الموت على ذلك " ومات تيرغوا بطلاً شهيداً ٠

وعـــندما تسلمت " كولموندة " جثة زوجها الذي قتل في السجن وترك لها أربعـــة أطفال صغار ، لاحظت علامات الاصفاد التي كبلت يديه ، والحروق التي لحقـــت بـــيداه وأصـــابعه والأقسام السفلى من رجليه ، ووخز السكاكين على القسم الأســـفل مـــن معدته ، وإنتفاخ رجله اليمنى ، وعلامات الضرب التي برزت على رجلـــيه الأثنتين ، فقد كانت الجثة كلها مشوهة بسبب الضرب ، وتجمع المؤمنون نحو ١٥٠٠ شخصاً في مسيرة ضخمة لتوديعه وكل منهم يعلم أن نهايته ربما تكون هـــي نهايـــة هذا الشهيد ، وأكثر من هذا أنهم حملوا لافتات كُتب عليها " *لي الحياة هـــي المســـيح والموت هو ربح* " (في ١ : ٢١) ٠٠ " *لا تخافوا من الذين يقتلون الجســـد ولكـــن الـــنفس لا يقدرون أن يقتلوها* " (مت ١٠ : ٢٨) ٠٠ " *رأيت تحت المذبح نفوس الذين قُتلوا من أجل كلمة الله* " (رؤ ٦ : ٩) ٠

ويقـــول ريشار وورمبراند " والنساء المسيحيات يلاقين عذاباً يفوق عذاب الـــرجال فـــي الســـجن ، فقد أغتصبت الفتيات من حراس وحشيين ، والسخرية ، بالإضـــافة إلى المناظر القبيحة ، لهو أمر مرعب ، وقد أجبروا النساء على العمل

الشـــاق فـــي حفر القنوات ، وكان عليهنَّ أن يقمنَ بالعمل كالرجال ٠٠ وقد أقاموا عليهـــنَّ بعض المراقبات الساقطات الزانيات ، فتسابقن في تعذيب المؤمنات ، وقد أكلـــت زوجتي العشب كالثيران لتبقى حيَّة ٠ وكذلك أكل السجناء الجرذان والحيَّات عـــند حفـــر قناة ليبقوا أحياء ، وكان من أبهج تسليات الحراس أيام الآحاد هي أن يلقـــوا النســـاء فـــي نهر الدانوب ليخرجوهنَّ من الماء مرة أخرى فيسخرون بهنَّ بـــنظرهم إلـــى أجسامهنَّ المبللة ٠ وقد أعادوا الكرة مراراً وتكراراً ، وهكذا فعلوا بزوجتي أيضاً " [١].

وأشـــارت الصـــحف الروســـية في إحدى المرات إلى القبض على إثنين وثمـــانون مؤمـــناً بالمسيح ووضعهم في مستشفى الأمراض العقلية ، وتحت وطأة العـــذاب مـــات أربعـــة وعشرون منهم فأشارت الصحف الروسية أن هؤلاء ماتوا بسـبب الصـــلوات الطويلـــة ٠٠ فهل لنا أن نتصور ما عاناه هؤلاء الشهداء ؟! ، وأشـــارت صـــحيفة " سوجتسكايس روسيا " في ٤ يونيو ١٩٦٣م إلى سيدة مؤمنة أخذوا منها أولادها الستة مدى الحياة لأنها علمتهم الإيمان المسيحي وحفزتهم على عدم لبس الطليعة الحمراء (العذاب الأحمر ص ١٧٠ ، ١٧١)٠

وكان القبض على مؤمن في بلاد الإلحاد يعني تجويع أسرته فيقول ريشار وورمبراند " فما أن يُعتقل أحد أعضاء الكنيسة السريَّة ، حتى تلسع عائلته " دراما " مؤلمـــة ، فتصـــبح إعانـــتها ممنوعة قانونياً منعاً باتاً ٠ هذا هو مخطط الشيوعيين المـــدروس لكـــي يضيفـــوا إلى آلام الزوجة المنكوبة وأولادها الذين تركهم الزوج خلفه ، وعندما يُساق المؤمن إلى السجن وغالبا إلى العذاب والموت لا تكون الآلام إلاَّ فـــي طورها البدائي ٠ أما عائلته فتتعذب إلى ما لا نهاية ، وأقول لكم الحق أنه لـــولا المؤمـــنون العاديون في البلدان الحرة والذين أرسلوا لي ولعائلتي المعونات المتنوعة ، ما أمكننا أن نعيش لنكون بينكم ونسجل هذه الأسطر !

---

[١] العذاب الأحمر ص ٥٨ ، ٥٩

هناك في هذا الوقت بالذات (١٩٦٦م) موجة إعتقال شاملة ضد المؤمنين فــي روســيا وغيرها أيضاً في البلدان الشيوعية ، ويتصاعد عدد الشهداء يوماً بعد آخــر • ومع أنهم يمضون إلى قبورهم ، وبالتالي إلى مكافأتهم السماوية ، غير أن عــائلاتهم تعــيش فــي أحــوال يرثى لها ، فنحن نستطيع ، بل ويجب علينا ، أن نساعدهم ••

عــندما ضربوني على باطن قدمي صرخ لساني ، ولماذا صرخ لساني ؟ فهو لم يُضرب ! صرختُ لأن اللسان والرجلين جزء لا يتجزأ من الجسم الكامل ، وأنــتم أيها المؤمنون الأحرار ، أنتم جزء من ذات جسد المسيح الذي يتألم الآن في السجون الشيوعية ، والذي يستشهد من أجل المسيح •• لقد برزت إلى الوجود مرة أخرى الكنيسة الأولى بكل جمالها ، تضحيتها ، وتكريسها في البلدان الشيوعية •• أخوتــنا هناك ، لوحدهم وبدون أية معونة ، يخوضون أعظم معركة عرفها القرن العشرون ، تضاهي في بطولتها الكنيسة الأولى وتكريسها " [١]•

وكــان ثمــن كرازة السجين لزملائه الضرب المبرح ، وفرح الكارزون السجناء بالكرازة ، وفرح الشيوعيون بضربهم ، فكانت صفقة بين الطرفين ، فأحد الأشــخاص ضــبطوه يكرز لزملائه فلم يدعوه يستكمل جملته ، وحملوه إلى غرفة الضرب ، ثم أعادوه مرضضاً دامياً ، وما أن إستعاد قدرته على الكلام حتى أكمل جملته وحديثه لزملائه الذي إلتفوا حوله ، ورأوا فيه صلابة الإيمان بالمسيح•

وتحــول المؤمــنون الأحــرار إلى كارزين في الخفاء " تعترف الصحف الشــيوعية أن الجزارين يضعون النشرات المسيحية ضمن الأوراق التي يلفّون بها اللحــوم المــباعة (للمؤمنيــن) وكذلــك تعترف الصحافة الروسية بأن المؤمنين العامليــن فــي دور النشر الشيوعية ، يعودون إلى مطابعهم في الليل لطبع ألوف النشــرات المســيحية ، ثــم يغلقونهــا مرة أخرى قبل شروق الشمس ، وتعترف

(١) العذاب الأحمر ص ١٩١ - ١٩٤

الصــحافة الروسية أيضاً أن بعض الأولاد قد حصلوا على أجزاء من الإنجيل .. ووضعوها في جيوب معاطف أساتذتهم المعلَّقة في غرف المعاطف في المدرسة ، فجمــيع أعضاء الكنيسة من رجال ونساء وأولاد هم قوة إرسالية عظيمة ، أشداء ، نشيطون ورابحون للنفوس في كل بلد شيوعي " [1].

وهكــذا كانــت الكنيســة قوية في هذه الظروف الرهيبة ، فيقول ريشار وورمــبراند " ومع أن الكنيسة السريَّة في البلاد الشيوعية فقيرة ومتألمة ، لكنها لا تضــم أعضــاء فاترين . وإن إجتماعاً دينياً فيها لأشبه بإجتماع في تاريخ الكنيسة الأولى في القرن الأول ، فالواعظ لا يجيد العلوم اللاهوتية .. الآيات الكتابية غير معروفة كما يجب في البلدان الشيوعية ، لأنك قل ما تجد كتاباً مقدساً فيها . أضف إلــى هــذا كلمة ، فقد يكون الواعظ رجلاً قضى سنين عديدة في السجن بلا كتاب مقــدَّس " [2] وكــانوا يصــلون في الغابات المنعزلة " لقد أستبدلت زقزقة الطيور الجميلة موسيقى الأرغن ، وكان شذا الورود العطرة بخوراً لنا .. وكانت شموعنا متمثلة بالقمر والنجوم التي أضاءتها الملائكة . إنني أعجز عن وصف هذه الكنيسة وجمالهــا ، وكم من مرة أُلقي القبض على المؤمنين بعد إجتماع سري وزجوا في الســجن ! وهــنا يــتقلد المؤمنون السلاسل الحديدية على أعناقهم بسرور كما تتقلد العــروس حليها الجميلة والمُقدَمة لها من حبيبها . **كما إنك تحصل في السجن على قبلات يسوع وعناقه ، فلا تستبدل مكانك بقصور الملوك** ، والحق يقال فأنا لم أجد مؤمنيــن ســعداء بالحق إلاَّ في الكتاب المقدَّس وفي الكنيسة السرية وفي السجون الشيوعية " [3].

وإنتصــر الإيمان بالمسيح على كل تحديات الشيطان ، وكم نحن سعداء إذ أبصــرنا صــرح الشيوعية ينهار على يد ميخائيل جربتشوف ، وعاد نور الإيمان يشع من جديد في كل بلاد الإلحاد .

---

(١) العذاب الأحمر ص ١٤٦ ، ١٤٧
(٢) المرجع السابق ص ١٠٧
(٣) المرجع السابق ص ١٢١ ، ١٢٢

الفصل الثاني : مدرسة النقد الأعلى

في هذا الفصل نتعرض إلى الأسئلة الآتية :

س٧ : كيف برزت للوجود مدرسة النقد الأعلى ؟

س٨ : ما هي المحاور التي عملت عليها مدرسة النقد الأعلى ؟

س٩ : ما هي القراءات المختلفة ؟ وكيف يمكن معالجتها ؟

س٧ : كيف برزت للوجود مدرسة النقد الأعلى ؟

ج : إهتمت مدرسة النقد الأعلى بالنقد السلبي للكتاب المقدس ، أي " **نقض** " الكتاب وماجاء فيه ، فأنكرت الوحي الإلهي ، وأنكرت المعجزات ، وطوحت بالتقليد ، واعتمدت كلية على العقل والدراسات الأثرية في تفسير الكتاب وتواريخه وأحداثه.

وظهرت جذور هذه المدرسة في شكل أسئلة فردية أو آراء فردية طرحها البعض ، مثلما قال " يوليوس الأفريقي " أن قصة سوسنا لا تتبع سفر دانيال لأنها كُتبت باليونانية ، بينما كُتب سفر دانيال بالعبري الآرامي ، وقال " ثيؤدور الموبسيستي " معلم نسطور في القرن الخامس الميلادي بأن سفر النشيد شعر رومانسي ذات معنى جنسي ، وأنكر " هوغ فيكتور " في القرن الثاني عشر نسبة سفر الحكمة لسليمان الحكيم ، وقال إسحاق بن يشويش الطبيب الخاص لحاكم الأندلس المسلم في القرن الحادي عشر أن بقائمة ملوك أدوم التي ذكرها موسى بعض هؤلاء الملوك (مثل هدد الأدومي) الذين عاشوا بعد عصر موسى ، فردَّ عليه " ابراهام بن عزرا " وقال إن كتابه يستحق الحرق ودعاه بإسحاق الأخرق ، وابراهام بن عزرا Ibn Ezra هذا الذي ردَّ على إسحاق بن يشويش كان أول من شكَّك في نسبة بعض الأجزاء من التوراة لموسى النبي سنة ١١٦٧م عندما علق على قول موسى النبي في سفر التكوين " *واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة ممرا . وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض* " (تك ١٢ : ٦) فقال

أن قــول موسى (وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض) يعني أنهم لم يعد لهم وجود أثــناء كتابة هذا الحدث ، فالكاتب يتحدث عن طرد الكنعانيين كحدث ماضٍ ، وبما إن الكنعانيين كانوا متواجدين أثناء حياة موسى ، إذاً موسى لم يكتب بعض الأجزاء مــن سفر التكوين ولا بعض الأجزاء من بقية الأسفار الخمسة ، وإدعى إبن عزرا إن اللغــة التي كُتبت بها التوراة لم تكن سائدة في عصر موسى ، ولكن إبن عزرا هــذا لم يجرؤ على إعلان أرآءه هذه صراحة بل إكتفى بالتلميح وقال " ولو فهمت ستدرك الحقيقة ... والفاهم يلزم الصمت " [1] وأخذ الحاخام " يوسف بن اليعازر بونفيلس " في القرن الرابع عشر بدمشق بقول بن عزرا ، ولكنه لم يلتزم الصمت ، بـل أعلـنه كتابةً فقال معلّقاً على (تك ١٢ : ٦) " هذا برهان على إن هذه الفقرة دُونت في التوراة في عصر متأخر ولم يكتبها موسى ، وإن كان الكاتب الحقيقي لها هــو أحــد الأنبــياء المتأخرين " [2] ولم يتنكر يوسف هذا الذي لُقّب بالولد الطيب لقداسة النص الوارد في التوراة .

وفــي القرن الخامس عشر الميلادي قال " الونسو توستارو " أسقف افيلا بأســبانيا بأن الذي سجل خبر وفاة موسى هو تلميذه يشوع بن نون ، فقال " كارل شــتات " Carlstadt المعاصر لمارتن لوثر في القرن السادس عشر إن قصة وفاة موســى كُتبت بأسلوب مماثل للفقرات التي سبقتها ، ولذلك يصعب قبول أن يشوع هــو الــذي كتب هذه الجزئية ، وهو بهذا يريد أن يقول إن كاتب هذه الجزئية وما سبقها أيضاً شخص آخر غير موسى النبي .

وفــي القــرن الســادس عشر أيضاً قال " أندرياس فان ماس " الكاثوليكي المذهــب إن موسى هو كاتب التوراة ، ثم جاء مُحرّر آخر وأضاف بعض الفقرات وغــيَّر بعض الأسمــاء لكيما توافق عصره ، وقام أندرياس مع " بنديكت بريارة "

---

(١) ريتشارد اليوت فريدمان – من كتب التوراة – ترجمة عمرو زكريا ص ١٨
(٢) المرجع السابق ص ١٨

و " جاك بونفرد " بفصل النص الأصلي الذي كتبه موسى عن بقية الفقرات التي لم يكتبها ، وذلك بحسب تصورهم الخاطئ.

وفـــي القرن السابع عشر سنة ١٦٥١م رأى الفيلسوف البريطاني " توماس هويز " Thomas Hobbes (١٥٨٨ – ١٦٧٩م) إن قول كاتب التوراة " حتى هذا الـــيوم " لا تعبر عن أمور حديثة راهنة ، إنما تعبر عن أحداث حدثت في الماضي ومازالت قائمة منذ حدوثها وحتى هذا اليوم ، ولذلك إدَّعى إن أسفار موسى الخمسة مـــع أســـفار الملوك من وضع عزرا الكاتب ، وقال هويز أنه يجب أن نستنتج إسم الكاتب وتاريخ السفر من السفر نفسه ، وفي عام ١٦٧٠م نشر " باروخ سبينوزا " Benedict Spinoza (١٦٣٢ – ١٦٧٧م) تحلـــيلاً نقديـــاً في هولندا وقال لو كان موســـى هـــو كاتب التـــوراة ما كان يمتدح نفسه (سيتم الرد على هذا الإدعاء في حيـــنه) وأيضـــاً قال إن كاتب التوراة " *ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى* " دليل على إن الكاتب قد عاين أنبياء آخرين وقارن بينهم ، وبالتالي فالكاتب ليس هو موســـى النبـــي •• ولم يدرك سبينوزا إن هذه العبارة وردت في الإصحاح الأخير مـــن سفر التثنية الذي كتبه يشوع بن نون ، وأدرك بالروح القدس بأنه لن يقوم نبياً مثل موسى قط ، وذكر السبب في نفس الآية ، وهو إن الله كان يكلمه وجهاً لوجه " *ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه* " (تث ٣٤ : ١٠) وفعـــلاً تحقـــق كـــلام يشوع ، وبعد أن ذكر عدة إعتراضات أخرى قال " إن الأمر واضح وضوح الشمس وقت الظهيرة وهو إن أسفار التوراة الخمسة لم يكتبها موســـى ، بل كتبها شخص ما عاش بعده بسنوات طويلة " [١] وإعتبر سبينوزا أن الأســـفـــار من التكوين حتى الملوك قد تكون تكملة متأخرة لعزرا الكاتب أُضيفت فـــي وقـــت لاحـــق ، وقال أنه لم يكن هناك إعلان إلهي خاص بإسرائيل ، ولكن الطبـــيعة هـــي المظهر الوحيد للوجود الإلهي ، أي أنه أنكر الوحي والمعجزات.

---

[١] ريتشارد إليوت فريدمان – من كتب التوراة ؟ - ترجمة عمرو زكريا ص ٢٠

وربما تكون أعظم أعمال وفي نفس الوقت أكبر أخطاء سبينوزا هي نشر أفكار إبن عــزرا ، وراشـــي (الحاخـــام شـــلومو يتسحاقي) باللغة اللاتينية العالمية ، وقد صادرت المحكمة العليا في هولندا كل من أعمال سبينوزا وهوبز

(DICTIONARY OF THE BIBLE – EDTTED BY JAMES HASTINGS. P191, CRITICISM BIBLICAL)

وتعرض سبينوزا للطرد من الطائفة اليهودية • كما إن آراءه لم تجد قبولاً لــدى المســيحيين ســواء الكاثوليك أو البروتستانت ، وضُم كتابه إلى قائمة الكتب المُحــرَّمة لــدى الكاثوليك ، قد صدر ضده ٣٧ قرار إدانة خلال ست سنوات كما جــرت عدة محاولات لإغتياله (راجع ريتشارد فريدمان – من كتب التوراة ؟ ص ٢٠) •

وفي سنة ١٦٧٨ م رفض " ريتشـــارد سيمـــــون " Richarad Simon (١٦٣٨ – ١٧١٢م) آراء ســبينوزا مؤكداً أن موسى هو كاتب التوراة ، ولكن جاء بعده بعض الأنبياء الذين جمعوا المخطوطات وأضافوا لها بعض الفقرات ، ولأنهم أنبياء مُلهمين بالروح القدس فإن هذا لا يقلّل من قدسية النص • أو بمعنى آخر قال ســيمون أن الأســفار الخمسة الأولى كتبها إنسان آخر غير موسى ، ولكنه أستعان بمذكـــرات موسى مع مصادر أخـــرى ، وأن الكتب التاريخية في العهد القديم هي نـــتاج تجمـــيع مـــتدرج ومتوالي للنصوص ، وقد تم إعادة صياغة لهذه النصوص المجمَّعـــة في عصور متأخرة ، وكان سيمون بروتستانتياً من فرنسا ، وتحوَّل إلى قـــس كاثوليكـــي ، ولكن نتيجة أقواله هذه أنه طُرد من الكنيسة الكاثوليكية وضُمت كتـــبه إلى قائمة الكتب المحظورة ، كما وجه له رجال البروتستانت أربعين نقداً ، وكـــان ســـيمون قد وضع كتاباً من ثلاثة أجزاء بإسم " تاريخ العهد القديم النقدي " Histoire Critique du Vieux Testament وذكـــر فـــيه الأسباب التي تدعو للإعـــتقاد بـــأن موســـى ليس هو المؤلف الوحيد للتوراة ، وهذه الأسباب تتمثل في الصـــعوبات التاريخـــية ، والتكرار ، وإختلال التتابع الروائي ، وإختلاف الأسلوب بيـــن فقـــرات الـــتوراة (سيتم التعرض لهذه الأمور والرد عليها في حينه) وأكد

ريتشارد أن موسى لم يكتب سوى سفر التكوين والأجزاء التشريعية من التوراة (راجع الأب أنطون نجيب – رسالة صديق الكاهن – يونيو ١٩٧١م) وقام سيمون بطبع ١٣٠٠ نسخة من كتابه هذا أُحرقت تقريباً بالكامل ، ولكن نجت نسخة نُقلت إلى " أمستردام " فأُعيد طبعها عدة مرات ، وتناول سيمون في الجزء الأول من كتابه تاريخ النص العبري ، وأفترض أنه كان هناك مجمعاً من الكتبة قد قام بتجميع الأجزاء المتوفرة من النصوص وصياغتها في أسفار ، وأستمر عملهم هذا حتى زمن عزرا حيث حتى أكتملت الأسفار ، وأشار سيمون إلى إختلاف الأسلوب في قصتي الخلق والطوفان ، وفي الجزء الثاني من كتابه بحث سيمون في تاريخ الطبعات المختلفة في العهد القديم ، وصرَّح بعدم قناعته بالنسخة اللاتينية " الفولجاتا " وتناول في الجزء الثالث تاريخ الشروح والتفاسير ، وعندما قام " جون هامفدن " بترجمة كتاب سيمون من الفرنسية للإنجليزية موافقاً على أرائه سنة ١٦٨٨ قُبض على جون وسُجن في سجن القلعة في لندن ، ولم يخرج منها إلاَّ بعد أن أعلن ندمه على ما فعله ، وفي القرن الثامن عشر تُرجمت أعمال سيمون إلى اللغة الألمانية ، وقد ركز سيمون على التقليد الكتابي أي تسليم النص الأدبي والقصص الكتابيَّة من جيل إلى جيل ، وهذا ما لم يجد قبولاً في الوسط البروتستانتي ، وبعد نحو قرن من الزمن سنة ١٧٧٦م تم الإعتراف بريتشارد سيمون على أنه أبو النقد الكتابي.

وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر برز " جان استروك " Jean Astruc الطبيب الفرنسي ، و " ألكسندر جيدس " الكاهن الكاثوليكي الأسكتلندي ، و " ايخهورن " الألماني .. إلخ. كما سنرى ذلك بالتفصيل ، ونستطيع أن نقول أن النقد الأعلى قد بدأ على يد أشخاص غير محترفين في عملية الشرح والنقد مثل الدبلوماسي " جروتيس " ، والفلاسفة " توماس هوبز " و " سبينوزا " والطبيب " جان استروك " ، وقد شهد القرن الثامن عشر شهد إقرار

حـــق النقد الحر للكتاب المقدّس ، وفي خلال القرن التاسع عشر كان التركيز على المصادر المتعددة التي أُخِذت منها الأسفار المقدَّسة ، وفي النصف الأول من القرن العشـــرين كـــان التركيز على أساليب الكتابة والإستنتاجات المؤدية لها ، أي " النقد التركيبي " وقد أُتخذ هذا الأسم سنة ١٩١٩م ، ويعتبر " هرمان جنكل " (١٨٦٢ – ١٩٣٢م) أول مـــن أدخـــل هذا النوع من النقد عندما أكتشف أن هناك مقاطع أدبية متشـــابهة مـــن جهة التركيب والأسلوب ومتكررة ، فقام بتحديد " الأشكال الأدبية " كمـــا توجد في العهد القديم وبمساعدة الخيال الإجتماعي أعاد تكوين صورة الحياة الحقيقـــية التـــي خرجـــت منها هذه الأدبيات ، فأُعتبرت تعليقاته على سفر التكوين إضافة أساسية للشروح المتعلقة به ، وأشتهر أكثر بعمله في سفر المزامير
(A NEW CATHOLIC COMMENTARY ON HOLY SCRIPTUER. P120 + DICTIONARY OF THE BIBLE – JAMES HASTINGS. P 191)

ويجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن المقصود بالتوراة هي أسفار موسى الخمسة وهي :

١- ســـفر **التكوين** : ويحدثنا عن أصل الكون والبشرية ، ويروي لنا قصص الآبـــاء الـــبطاركة الأولين إبراهيم وإسحق ويعقوب ، وينتهي بإستقرار يوسف في مصر ومجئ أبيه يعقوب وأخوته إليه.

٢- ســـفر **الخروج** : ويُظهِر إستعباد العبرانيين بيد المصريين ، ومحاولات موســـى للخـــروج بالشـــعب مـــن أرض مصر ، والضربات العشر التي أصابت المصريين ، وخروج بني إسرائيل بقيادة موسى ، والرحلة في برية سيناء ، وعهد الله مع شعبه على الجبل ، وبناء خيمة الإجتماع.

٣- **سفر اللاويين** : ويشمل مجموعة الشرائع وطقوس العبادة.

٤- ســـفر **العدد** : ويحدثنا عن إحصاء شعب الله في سيناء ، ويذكر المحطات التـــي مـــرَّ بها هذا الشعب والحروب التي قادتهم إلى سهول موآب ، والتنظيمات الجديدة.

٥- **سـفر التثنية** : ويُعتَبر الخطاب الوداعي لموسى النبي في الشهر الأخير مـن حياته والذي ألقاه في سهول موآب ، ويشمل قسمين (تث ١ – ١١) ، (تث ٢٧ – ٣٠) وبينهما دستور تشريعي ديني ومدني (تث ١٢ – ١٦) وينتهي السفر بموت موسى النبي •

س ٨ : ما هي المحاور التي عملت عليها مدرسة النقد الأعلى ؟

ج : أعتـبرت مدرسة النقد الأعلى الكتاب المقدَّس مثله مثل أي مؤلف أدبي آخر ، وقد عملت في نقدها على عدة محاور نذكر منها :

١- **نقـد النصـوص** : وهو يختص بعملية نقل النص من نسخة إلى أخرى بهدف التخلص من الأخطاء والوصول للنص الأصلي ، وقد شكَّك أصحاب مدرسة الـنقد الأعلى في بعض الأجزاء من النصوص التي بين أيدينا اليوم ، ورأوا أنها قد تكـون غـير مطابقـة تمامـاً للنص الأصلي في بعض المواضع وقالوا إن كانت مطـبوعات اليوم لا تخلو من الأخطاء رغم كثرة المراجعين المحترفين ، فكم وكم بالنسبة للمخطوطات التي نُسخت باليد مرات عديدة على مر العصور والأيام•

والحقـيقة أن **مدرسـة النقد الأدنى** إهتمت إهتماماً بالغاً بهذا الموضوع ، وحاولـت التوصـل إلى النصوص الأصلية لبعض الكلمات والعبارات التي أثارت مدرسـة الـنقـد الأعلـى الشـكوك حولها ، وذلك بفحص ومقارنة المخطوطات المخـتلفة ، مـع الأخـذ في الحسبان قرب زمن المخطوطة أو بعدها عن النسخة الأصـلية ، وصعوبة أو سهولة التعبير ، والمقارنة بالإقتباسات القديمة والترجمات القديمة ، ويجدر الإشارة إلى القراءات المختلفة في السؤال التاسع•

٢- **نقـد المصـادر** : ويبحث في المادة أو المصادر التي أستقى منها الكاتب كـتاباته ، فقد أدعى بعض هؤلاء النقاد أن توراة موسى مستقاه من عدة مصادر ، وقـال الـبعض أن التوراة تم صياغتها بهذا الشكل في القرن السابع أو الثامن قبل

الميلاد ، وإدّعى آخرون إن الإصحاحات الأولى من سفر التكوين قد أُخذت من أساطير الأولين ، وهلم جرا ..

٣- النقد التاريخي : وهو يسعى إلى وضع السفر في إطار تاريخي أو خلفية تاريخية ، ويطعن أصحاب مدرسة النقد الأعلى في بعض الحقائق التاريخية التي وردت بالكتاب المقدس ، بحجة أنها لا تتفق مع التاريخ المدني ، ويتساءل أصحاب هذا النقد : كيف نتأكد من صحة المعلومات المدوَّنة في الكتاب المقدس ؟ وهل الأحداث جرت بهذه الصورة المذكورة أو بصور أخرى ؟ وقد إستعان أصحاب هذا النقد بعلم التاريخ المدني ، وتأثروا بالعلوم الطبيعية المادية حتى أنهم أنكروا كل ما هو معجزي في الكتاب المقدَّس ، وطعن بعضهم في مجئ بني إسرائيل إلى أرض مصر وخروجهم منها ، وأنكر البعض وجود خيمة الإجتماع ، بل وأنكروا شخصيات الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب وهكذا ..

٤- نقد التقليد : أي التشكيك في القصص الكتابية التي تم تسليمها من جيل إلى جيل مثل قصة الخليقة ، والسقوط ، والطوفان ، ثم دوَّنها الكتاب المقدَّس ، فيدَّعون أنه قد حدث تغيير في تناقل القصة.

٥- النقد التحريري : يبحث فيما إذا كان السفر له هدف لاهوتي أم أنه يسجل حقيقة تاريخية.

س٩ : ما هي القراءات المختلفة ؟ وكيف يمكن معالجتها ؟

قالوا أن هناك قراءات مختلفة لا تُعَد ، ففي العهد الجديد أكثر من مائة ألف قراءة مختلفة ، وقال أحدهم " لقد تبين لعلماء المسَيحية إستحالة الوصول إلى النص مهما بذلوا من مجهودات ، ولم يبقَ سوى صرخة حسرة تقول : ياسوء طالعنا .. لقد أصبح الحل الذي يراه آباء الكنيسة وعلماء المسيحية إزاء مشكلة

الـنص هو قبول الوضع الحالي بكل ما عليه من مآخذ ٠٠ على أن يستمر الوضع مقـبولاً إلـى الوقـت الـذي تظهر فيه وثائق جديدة تساعد على إعادة النظر فيه وتطويره ليكون أقرب ما يكون من ذلك الأصل المجهول ، بعد تنقيته من التحريف الذي لحق به ٠٠ إن العهد الجديد الحالي هو عهد جديد مؤقت " ٠

ج : أولاً : ما هي القراءات المختلفة أو المتنوعة وكيف تُحصى ؟

مثال للقراءات المختلفة ما جاء فـي الآيتين ٧ ، ٨ من إنجيل معلمنا متى " ٧ وأبـيا ولد آسا ٨ وآسا ولد يهوشافاط " فقد وردت في بعض المخطوطات كلمة آسا بينما وردت في مخطوطات أخرى كلمة اساف (بإضافة الفاء) بدلاً من آساء ٠٠ فهـذا إخـتلاف بسـيط لا يغير في شئ لا في المعنى ولا في العقيدة ، ولكن خلاف مثل هذا هل يحسب بأنه خلاف واحد ؟ كلاّ ٠٠ فلو إفترضنا أن هذا القراءة وردت هكذا في ١٠٠٠ مخطوطة ، وبما أن كلمة اساف تكررت مرتين في الآيتين ، فتحتسـب هكذا ١٠٠٠ × ٢ = ٢٠٠٠ قراءة مختلفة ، وهي في الأصل إختلاف واحـد في حرف أضيف إلى إسم ، وبهذه الطريقة المهولة حسب العلماء القراءات المتـنوعة ، ففـي سـنة ١٧٠٧م أحصـى جون ميل John Mill هذه القراءات المتنوعة بـ ٣٠٠٠٠ قراءة في مخطوطات العهد الجديد ، وفي سنة ١٨٦٤م رفع سـكر ايفـز F. H. Scrivener العـدد إلى ١٥٠ ألف قراءة متنوعة ، وفي سنة ١٩٧٥م رُفِع الرقم إلى ٢٠٠ ألف ، وفي الحقيقة هذا الكم الهائل ما هو إلا إختلاف فـي حـروف هجاء أو مثل هذه الأمور التي لا تؤثر على معنى ولا على عقيدة ، وإليك آراء بعض العلماء في هذا الأمر :

١- نورميـن جسـلر ، ووليم نيكس Norman Geisler & William Nix يقولان " أن هناك غموضاً في قولنا أن هناك " قراءات متنوعة " فمثلاً لو أن كلمة واحـدة أُسـئ إملائها في ثلاثة آلاف مخطوطة ، فإنه يقال أن هنـاك ثلاثة آلاف قـراءة متـنوعة فـي العهد الجديد ! " ثم يقولون " أن واحداً من ثمانيـة من هذه

الإخـــتلافات قـــد يكون له قيمته لكن البقية هي إختلافات في الهجاء أو ما شابه ، وجـــزء من ستين من هذه القراءات المتنوعة يمكن أن يعتبر فوق التافه " ومعنى القـــول أن ١/٨ القـــراءات المختلفة له قيمته ، فهذا الثُمن يبلغ من المائتي ألف ٢٥ ألـــفاً ، ولـــو إفترضنا أن الإختلافات وقعت في ٢٢٠٠ مخطوطة فتصبح الكلمات موضع الخلاف ١١ كلمة فقط ، وجميعها لا تؤثر على معنى ولا على عقيدة.

٢- عـــزرا أبـــوت Ezria Abbot يقـــول " الحقـــيقة هي أن ٩٥ % من هذه القـــراءات المتـــنوعة تعوزهـــا الأدلة و ٩٥ % منها لا تؤثر على المعنى ، لأنها إملائـــية أو نحوية أو في ترتيب الكلمات . هذا يترك لنا نحن ٤٠٠ قراءة متنوعة قد يكون لها تأثير طفيف في المعنى أو تتضمن إضافة كلمة أو كلمات أو حذفها . والقلـــيل جـــداً مـــنها يمكن أن يعتبر هاماً ، ولكن أبحاث العلماء دلتنا على القراءة الصحيحة الموثوق فيها " .

٣- روبرتسون A. T. Robertson قال أن ١ر٠ % (واحد في الألف) من هذه القراءات لها مغزى ، و ٩ر٩٩ % خال من الإختلافات التي لها مغزى.

٤- فيليـــب شاف Philip Schaff (١٨٩٠م) وهو المؤرخ الكنسي المشهور قـــارن بين العهد الجديد باللغة اليونانية التي كُتِب بها والترجمة الإنجليزية ، فوجد أن ٤٠٠ قـــراءة مخـــتلفة فقط تؤثر على المعنى ، وإن خمسين فقط منها له تأثير حقيقـــي ، ولا توجـــد قـــراءة واحدة تؤثر على عقيدة أو حقيقة إيمانية أو واجبات المسيحي إذ يوجد ما يماثلها في أماكن أخرى من القراءات الواضحة والأكيدة.

٥- فريدريك كينون:يقول " إننا نؤكد بكل يقين إنه لا توجد عقيدة مسيحية مبنية على قراءة موضع إختلاف .. ويمكن للمسيحي أن يمسك بالكتاب المقدَّس كله في يده ويقول دون خوف أو تردد إنه يمسك بكلمة الله الحقيقية التي سُلِمت عبر القرون

مـن جيـل إلـى جيل بدون أن يفقد شئ من قيمتها " (راجع الكتاب المقدّس .. هـل هـو كلمة الله ؟ للقس عبد المسيح بسيط ص ٧٧ – ٨٠ و " برهان يتطلب قراراً ") .

ثانياً : عندما يكون هناك خلاف في قراءة كلمة معينة كيف يمكن ضبطها ؟

يمكن ضبط القراءات المختلفة بمقارنة المخطوطات المختلفة ويقسم العلماء المخطوطـات إلى أجيال ، فمثلاً المخطوطة الأصلية تعتبر الجيل الأول ، وعندما يـتم نسـخ عدد من النسخ منها وليكن ثلاث نسخ فهي تعتبر الجيل الثاني ، وهذه النسـخ الثلاث عندما يتم نسخ ١٣ نسخة منها تعتبر الجيل الثالث ، ويجب ملاحظة أنـه مثلاً عند نسخ الجيل الثاني لو أن هناك كلمة حدث خطأ في نقلها فبلا شك أن هذا الخطأ لا يتكرر في النسختين الآخرتين ، وهكذا عندما نقارن الأجيال المتعاقبة مـن المخطوطات نصل للقراءة الصحيحة ، مع ملاحظة أن المخطوطة الأقدم هي الأفضـل بالإضـافة إلـى الإعتماد بالأكثر على المخطوطة الأصعب في القراءة لضـمان عـدم محاولة تبسيطها ، والمخطوطات التي وُجِدت في أماكن متفرقة ، والأخذ في الإعتبار المخطوطة التي تم النقل منها ، فربما مخطوطة متأخرة نُسِخت في القرن الثاني عشر ولكنها نُسِخت من مخطوطة يرجع تاريخها إلى القرن الثاني فهـذه تفضـل عن مخطوطة نُسِخت في القرن الثامن من مخطوطة يرجع تاريخها للقـرن السـابع ، وكـل هذه المقارنات تتم أيضاً مع ما ورد من إقتباسات الآباء ، وعـندئذ يكـون من السهل ضبط هذه القراءات المختلفة ، ولكننا في النهاية نؤكد القـول إنه لا توجد قراءة مختلفة واحدة تؤثر على عقيدة مسيحية قط ، لأن العقيدة المسيحية لا تُبنى على آية واحدة فقط.

الفصل الثالث : نظرية المصادر

تصـــور أصحاب مدرسة النقد الأعلى إن كاتب التوراة إعتمد على مصادر معينة في كتابة التوراة ، وإختلفت آراءهم وتضاربت ، لأنها في الحقيقة ما هي إلاَّ تخميـنات وإحـتمالات وتصــوُرات ، كمـا سنرى في الرد على هذه النظرية ، ونتعرض في هذا الفصل إلى نظريات المصادر وهي :

أولا : نظرية المصادر القديمة The Old Documents Hypothesis

ثانياً : نظرية المصادر غير الكاملة The Fragment Hypothesis

ثالثاً : نظرية التكميل The Supplementary Hypothesis

رابعاً : نظرية الوثائق الحديثة

خامساً : نظرية النقد التقليدي التاريخي Citicison Historical the Tradits

أولاً : نظرية المصادر القديمة The Old Documents Hypothesis

س ١٠ : إعـتمدت نظـريـة المصـادر القديمـة على إفتراض وجود مصدرين للتوراة ، فمن هم أصحاب هذه النظرية ، وكيف برزت هذه النظرية للوجود ؟

ج : فـي سـنة ١٧١١م لاحـظ " هيننج فيتر " H. B. Witter أن إسم الجلالة المسـتخدم فـي هذه الأسفار ذُكِر مرة " الوهيم " Elohim ومرة أخرى " يهوه " Jehovah • كما إن قصة الخليقة ذُكرت مرتين في سفـر التكوين (تك ١ – ٣ : ٢٤) وهـذا جعلـه يعـتقد أن موسى إستمد معلوماته من مصدرين سابقين أحدهما المصدر الألوهيمي ، والآخر المصدر اليهوي•

ثـم ظهـر " جان استروك " Jaen Istruc (١٦٨٤ – ١٧٦٦م) الطبيب الفرنسـي الكاثوليكـي ، وكـان والده بروتستانتي ذو أصول يهودية ، واحتل جان مركـزاً إجتماعـياً مرموقاً لأنه كان الطبيب الخـاص لملك فرنسا لويس الخامس عشـر ، وأيضـاً للملك البولندي أغسطس القوي ، وفي سنة ١٧٥٣م وهو في سن

الســبعين من عمره كتب مذكرة باسم " أحداث عن المذكرات الأصلية التي يبدو أن موســى إســتخدمها فــي تأليف كتاب التكوين " ولم يوضح في هذه المذكرة إسمه كمؤلــف لهــا ، وإعترف في مذكرته هذه بأن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة ، ولكــنه قــال أن موسى أستمد مادة الكتابة من مصدرين سابقين له ، ولهذا إستخدم موســى إســمي " يهــوه " و " إيلوهيم " ، ولكن كتابه هذا لم يترك سوى إنطباعاً ضعيفاً .

وتــبع جان أستروك العملاق المحافظ " جون دافيد ميكائيليس " (١٧١٩ – ١٧٩١م) الــذي أكد على أن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة مُدلّلاً على هذا بعلم تطور اللغات وعلم الآثار .

وفــي سنــة ١٧٨٠م ظهــر أستــاذ اللغــات الألمانــــي " ايخهورن " J. G. Eichern (١٧٥٢ – ١٨٢٧م) وكــان والــده قساً ألمانياً وكان تلميذاً لدافيد ميكائيلــيس ، كمــا درس ايخهــورن فكر جان استروك وأيده وبلوَّره ، وأكــد في كــتابه " مقدمــة للعهد القديم " Introd the O - T (١٧٨٠ – ١٧٨٣م) على أن موســى إستخدم مصدرين سابقين له ، وهما المصدر الأيلوهيمي والمصدر اليهوي فــي صــياغة أسفاره بدليل إختلاف الأسلوب ووجود نوعين من الأفكار ، ثم جاء مُحــرّر آخر بعد موسى أعاد صياغة النص ، وأطلق أيخهورن على القصص التي تذكــر إسم إيلوهيم " الألوهيمية " والتي تذكر إسم يهوه " اليهوية " ، وقال أيخهورن مــع بعــض الــنقاد الآخرين أن سبب تكرار بعض القصص في التوراة هو وجود مصدرين للقصة ، وقالوا إن من القصص التي تكرَّرت قصة الخليقة ، والطوفان ، والعهــد بيــن الله وإبراهيم ، وتفسير تسمية إسحق ، وقول إبراهيم عن سارة أنها أخــته ، ورحلة يعقوب إلى آرام النهرين ، وظهور الملاك ليعقوب في بيت إيل ، وتغيــير الــرب لإســم يعقوب ، وإخراج الماء من صخرة صماء ، وتمرد قورح وداثــان ، وأنكــر أيخهــورن المعجزات الواردة في الكتاب المقدَّس ونسبها إلــى

الطبـيعة ، وقال أن الذين كتبوا مثل هذه القصص كانوا أشخاصاً بدائيون يجهلون الأسباب الحقيقية والطبيعية للأحداث ، ولذلك نسبوا كل عمل إلى الله ألعلة الأولى ، ودُعـي أيخهورن أيضاً بأبو النقد ، فهو أول من أستخدم عبارة " النقد العالي " في كـتابه مقدمـة للعهد القديم فيقول " لقد وجدتُ نفسي مضطراً لبذل هذا القدر الكبير مـن الجهـد في مجال غير مسبوق حتى الآن ، وهو فحص التركيب الداخلي لكل سفر من أسفار العهد القديم بمساعدة النقد العالي " (١) وهو يقصد بالتركيب الداخلي للسـفر أي معـرفة المصـادر التـي أستخدمها الكاتب ، وطريقة إستخدام هـذه المصـادر ، ومعـرفة كاتب السفر ، وتاريخ كتابة السفر عن طريق ربط الأحداث الـواردة فـي السفر بالتاريخ المدني ، فمثلاً يقولون أن أهم مصادر سفري أخبار الأيام هو سفري صموئيل وسفري الملوك ، وقال " لاشمان " C. L. Lachmana أن أهم مصدر لإنجيلي متى ولوقا هو إنجيل مرقس .

وهكـذا أخذت نظرية المصادر دورها في التطور ، ففي سنة ١٧٩٢ أنكر الكاهـن الكاثوليكـي " الكسندر جيدس " Alexander Geddes الأسكتلندي نسبة الـتوراة لموسى النبي ، وقال إنها كتبت في أرض كنعان في زمن سليمان الملك ، وأن الكتاب المقدس لم يصل إلينا في صورته الحالية الكاملة ، إنما وصل إلينا على شـكل أجـزاء متفرقة ، والمُحرّر جمع هذه الأجزاء المتفرقة حتى وصلتنا بشكلها وترتيـبها الحالي ، وبلغ به الإنحراف إلى القول بأن موسى أستمد شريعته الشفاهية مـن المصـريين بعـد تنقيحها ، لأن الله لم يكلمه ، وبذلك أرجع الشريعة للوثنية المصـرية . كمـا أنه أنكر المعجزات العظيمة التي أجراها الله على يد موسى ، وللأسـف فـإن بعض غير المؤمنين يستشهدون به وبأمثاله على أنهم من أفاضل المسيحيين .

---

(١) دائرة المعارف الكتابية جـ ٦ ص ٣١٩

س١١ : هــل يمكــن إلقاء الضوء على المصدر اليهوي ، والمصدر الألوهيمي ، كما تصوَّرهما أصحاب مدرسة النقد الأعلى ؟

ج - يــرى ريتشارد إليوت فريدمان أن مؤلف المصدر الإلوهيمي كان رجلاً لأنه من اللاويين بشيلوه ، لأن جميع اللاويين من الرجال ، وقد يكون شاركه في العمل زوجته أو إبنته في الفكر أو الكتابة . أما مؤلف المصدر اليهوي فيحتمل أن يكون رجلاً أو إمرأة ولاسيما أنه ذكر بعض القصص التي تخص النساء مثل قصة ثامار (راجــع مــن كتــب الــتوراة ؟ ص ٧٥) والآن نأخذ فكرة مبسطة عن كل من المصدرين اليهوي والألوهيمي :

المصدر اليهوي Yahuistic (J) :

يدعــي أصحاب مدرسة النقد الأعلى أن هذا المصدر قد كتبه مؤلف عاش فــي الجــنوب أيام الملك سليمان (٩٧٠ - ٩٣١ ق.م) وقبل إنشقاق المملكة سنة ٩٣١ ق.م ، وكــان المؤلف من سبط يهوذا ، ويتميز هذا المصدر بعدة خصائص أهمها :

أ - **الخصــائص الأدبــية** : يتمــيز هذا المصدر برشاقة الأسلوب القصصي الشــيق ، فهو يروي قصصاً متتابعة تبدأ من الرواية الثانية عن الخلقة وتمتد حتى نهايــة ســفر الخروج ثم بعض فقرات من سفر العدد ، ويقولون أن هذه القصص تتمــيز بجمــال آخــاذ وصور تفيض بالحياة (راجع الأب أنطون نجيب - رسالة صديق الكاهن ديسمبر ١٩٧١م ص ٤٠ - ٤٣) .

ب - **الخصــائص التاريخية** : يقولون أن مؤلف هذا المصدر يُبرِز الأصول ، فــيذكر أصــل الجنس والزواج (تك ٢) وأصل إرتداء الملابس (تك ٣ : ٧ ، ٢١) وأصــــل نظـــام الرعي والحياة الحضرية والموسيقى والمعادن وتعدد الزوجات (تــك ٤) وأصل زراعة الكروم وصناعة النبيذ (تك ٩ : ٢٠ -٢١) وأصل النظام الزراعــي المصري (تك ٤٧ : ٢٠ - ٢٦) وأصل الشعوب الخارجة من نسل حام

(تـــك ١٠ : ٦ – ٢٠) ومـــن نسل سام (تك ١٠ : ٢١ – ٣١) ومن نسل لوط (تك ١٩ : ٣٧ ، ٣٨) ومـــن نسل ناحور (تك ٢٢ : ٢٠ – ٢٤) ومن نسل إسحق (تك ٢٥ : ٢١ – ٢٦) .

ويعطـــي المؤلـــف تفســـيراً لمعاني الأسماء مثل إسم حواء (تك ٣ : ٢٠) وقاييـــن (تـــك ٤ : ١) ونـــوح (تك ٥ : ٢٩) وإسماعيل (تك ١٦ : ١١) .. إلخ وتفســـيراً لأسماء بعض المدن مثل بابل (تك ١١ : ٩) وبئر لحي الرائي (تك ١٦ : ١٣ ، ١٤) وقـــرية صوغر (تك ١٩ : ٢٢) وبئر سبع (تك ٢١ : ٢٨ – ٣١) .. إلخ ويفضل المؤلف الدور الذي يقوم به هابيل الراعي عن قايين المزارع ، ويفضل المؤلـــف سبط يهوذا الذي خرج منه عن بقية الأسباط ، ويعطي ليهوذا الدور الأول في محاولة إنقاذ يوسف (تك ٣٧ : ٢٦).

ج- **الخصـــائص الدينـــية** : يُظهر المؤلف الله على أنه ملك التاريخ وسيده ، فـــيهوه حاضـــر فـــي التاريخ من خلال أعماله وأقواله ، يسوق البشرية من خلال عصر الآباء وعصر الشريعة إلى طريق الخلاص ، ويصف المؤلف الله بأوصاف بشـــرية فهـــو يعمل الإنسان من طين ، ويغرس له جنة قبل أن يخلقه ، ويأتي عند المســـاء ليتمشـــى في الجنة (تك ٢ ، ٣) ويغلق باب الفلك على نوح (تك ٧ : ١٦) ويتنســـم رائحة الذبائح (تك ٨ : ٢١) وينزل من السماء ليبلبل الألسنة (تك ١١ : ٥ – ٧) ويـــزور إبراهيم ويأكل معه (تك ١٨ : ١ – ٨) ويصارع يعقوب (تك٣٢ : ٢٥ – ٣٣) ويحاول قتل موسى (خر ٤ : ٢٤) ويخلع عجلات مركبات المصريين (خر ١٤ : ٢٥) ويُظهر المؤلف مشاعر الله الإنسانية مثل الحزن والأسف (تك ٦ : ٦) والغضب (خر ٤ : ١٤).

أما الإنسان فقد قدم العبادة لله منذ فجر حياته فقدم هابيل ذبيحة مقبولة لدى الله (تـــك ٤ : ٤) ودعـــا شيث باسم الرب (تك ٤ : ٢٦) ومنذ عصر نوح عرف الإنســـان تقديم الذبائح من الحيوانات والطيور الطاهرة فقط (تك ٧ : ٢ ، ٨ : ٢٠)

بيـــنما ينسب المصدر التثنوي والكهنوتي هذا التمييز بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة لموسى النبي (تث ١٤ : ٣ – ٢٠ ، لا ١١) وعرف الإنسان بناء المذابح للرب ، ومدح المؤلف الإيمان في شخص إبراهيم (تك ١٥ : ٦) ورغم إن الأحداث قاتمــة إلاّ إن المؤلــف يضــفي عليها جو من التفاؤل بفضل عمل الله الذي يحول ســقطات الإنســان إلــى خلاص ، وقد إختار نوح ليكون بداية جديدة ثم إبراهيم ، وجــدد العهود مــع إسحق ويعقوب (راجع رسالة صديق الكاهن سبتمبر ١٩٧١م ص ٣٠ – ٣٨)٠

المصدر الألوهيمي Ehohist (E) :

قال أصحاب مدرسة النقد الأعلى أن هذا المصدر أقدم من المصدر اليهوي لأنــه حــوى معلومــات عــن أزمنة أقدم ، وقال البعض الآخر ليس معنى وجود معلومات عن أزمنة قديمة أن عمل التحرير نفسه قديم ، ولذلك قالوا أنه أحدث من الــنص الــيهوي ، وحــدَّدوا تاريخــه بالفترة بعد إنشقاق المملكة بسنة ٩٣١ ق٠م وبالأخص (٩٠٠ – ٨٥٠ ق٠م) وقالوا أنه كتب في المملكة الشمالية بدليل إهتمامه بقصة يوسف ، ويوسف هو أبو أفرايم أهم أسباط مملكة بني إسرائيل ، وذكر قصة تفضــيل أفرايم على منسى (تك ٤٨ : ١٣ – ٢٠) وذكر أماكن العبادة في الشمال مــثل شــكيم وبيت إيل ، وقبور الشمال مثل قبر دبورة في بيت إيل (تك ٣٥ : ٨) وقــبر راحــيل في طريق أفراته (تك ٣٥ : ١٨ – ٢٠) وفي قصة يوسف يعطي الــدور الأفضــل لراوبيــن (تك ٣٧ : ٢١ ، ٢٩) وليس ليهوذا ، كما فعل مؤلف المصــدر اليهوي (تك ٣٧ : ٢٦) وكذلك أظهر دور راوبين في النزول إلى مصر وإصــطحاب بنيامين (تك ٤٢ : ٣٧) (راجع الأب أنطون نجيب – رسالة صديق الكاهن ديسمبر ١٩٧١م ص ٥٢ – ٥٤)٠

وأهم ما يميز المصدر الألوهيمي من خصائص ما يلي :

أ- الخصائص الأدبية : يستخدم هذا المصدر إسم " إيلوهيم " حتى بعد ظهور الله لموسى النبي ، وإعلانه عن إسمه أنه يهوه ، فإن المصدر يستخدم إيلوهيم بشكل عام وغالب ، ويهتم مؤلف هذا المصدر بالتفاصيل التي تعطي حيوية للقصة ، وينفذ إلى الملامح النفسية لإبطال القصص مثلما حكى عن ذبيحة إسحق (تك ٢٢) ولقاء يوسف بأخوته (تك ٤٥) وإهتم المؤلف بتفسير الأسماء ولكن بدرجة أقل من مؤلف المصدر اليهوي ، فهو يفسر أسماء الأشخاص بعبارة موجزة يضعها على لسان الأم فمثلاً عندما ولدت سارة إسحق " *قالت سارة قد صنع إليَّ الله ضحكاً • كل من يسمع يضحك لي* " (تك ٢١ : ٦) فمعنى إسحق يضحك ، وعندما ولدت بلهة جارية راحيل دان " *فقالت راحيل قد قضى لي الله وسمع لصوتي وأعطاني إبناً • لذلك دعت إسمه داناً* " (تك ٣٠ : ٦) ومعنى دان يحكم ، وعندما ولدت ليئة يساكر قالت " *قد أعطاني الله أجرتي لأني أعطيت جاريتي لرجلي* " (تك ٣٠ : ١٨) ومعنة يساكر أي أجر ، وعندما ولدت زبولون قالت " *الآن يساكنني رجلي لأني ولدت له ست بنين* " (تك ٣٠ : ٢٠) ومعنى زبولون أي يساكن ، وعندما ولدت راحيل يوسف " *ودعت إسمه يوسف قائلة يزيدني الرب إبناً آخر* " (تك ٣٠ : ٢٤) ومعنى يوسف أي يزيد • كما فسر المؤلف أسماء الأماكن بعبارات وضعها على لسان الرجال فبعد أن رأى يعقوب حلمه " *دعا إسم ذلك المكان بيت إيل • ولكن إسم المدينة أولاً كان لوز* " (تك ٢٨ : ١٩) ومعنى بيت إيل أي بيت الله ، وفي المكان الذي صارع فيه يعقوب الله " *فدعا يعقوب إسم المكان فنيئيل • قائلاً لأني قد نظرت الله وجهاً لوجه* " (تك ٣٢ : ٣٠) فمعنى فنوئيل وجه الله •

ب- الخصائص التاريخية : أفاض المؤلف في ذكر بعض الأسماء والأماكن فذكر اليعازر الدمشقي المسئول عن بيت إبراهيم (تك ١٥ : ٢) ودبورة مرضعة رفقة (تك ٣٥ : ٨) وحور الذي دعم يدي موسى مع هرون عند حرب عماليق (خر ١٧

: ١٠) وذكر إسم فوطيفار رئيس الشرطة (تك ٣٧ : ٣٦) وإسم أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون (تك ٤١ : ٤٥) وإسم شفرة وفوعة القابلتين (خر ١ : ١٥) وجبل المُـريَّا الـذي قدَّم فيه إبراهيم إبنه إسحق ذبيحة (تك ٢٢ : ٢) وإسم مدينتي فيثوم ورعمسيس (خر ١ : ١١)٠

وإهـتم المؤلف بالأرقام فحدَّد الفترة التي أمضاها يعقوب لدى خاله لابان بواحـد وعشرين عاماً ، وأخوة يوسف جاءوا إلى مصر بعد المجاعة بسنتين (تك ٤٥ : ٦) وإهـتم بـرقم ٣ فحلم رئيس السقاة ورئيس الخبازين تحقَّق بعد ثلاثة أيام (تـك ٤٠ : ١٢ ، ١٩) وأودع يوسف أخوته في السجن ثلاثة أيام (تك ٤٢ : ١٧) وحـدَّد المدة من مصر إلى مكان العبادة بمسيرة ثلاثة أيام (خر ١٠ : ٢٢) وسار بنو إسرائيل ثلاثة أيام ولم يجدوا ماء (خر ١٥ : ٢٢)٠

ج- الخصـائص الدينـية : يصـوّر المؤلف الله على أنه منزَّه عن الإتصال المباشـر بالإنسان ، فهو يتكلم من وسط النار والغمام وأحياناً بواسطة ملاك ، أو بواسـطة الـرؤى والأحلام فيذكر حلم يعقوب في بيت إيل (تك ٢٨ : ١١ - ١٥) وحلـم لابان (تك ٣١ : ٢٤) وحلم يوسف (تك ٢٧ : ٥ - ١٠) وحلم عبيد فرعون (تـك ٤٠ : ٥ - ١٩) وحلـم فـرعون (تك ٤١ : ١ - ٧) (راجع رسالة صديق الكاهن ديسمبر ١٩٧١م ص ٤٤ - ٥٢)٠

دمج المصدرين اليهوي (J) والألوهيمي (E) :

قـال أصحاب النقد أنه بعد سقوط مملكة الشمال سنة ٧٢٢ ق٠م أصبحت أورشـليم هـي المركـز الوحـيد للعبادة ، فنُقلت إليها كتابات الشمال ، وتم دمج المصـدرين ، ويقولـون لا أحد يعلم إن كان الدمج قد تم بواسطة شخص واحد أو عـدة أشخاص ، وقد ظهر المصدر الجديد اليهوي الألوهيمي JE بينما إختفى كل من المصدرين الأولين وإندثرا تماماً٠

تعليق : كـــل ما قيل عن هذين المصدرين اللذين تصورهما أصحاب مدرسة النقد الأعلـــى ما هو إلاّ تصوُّرات وتخيُّلات لا أثر لها في الواقع ، وسيتم الرد على هذه الآراء في مجمل ردنا على نظرية المصادر .

ثانياً : نظرية المصادر غير الكاملة : The Fragment Hypothesis

س١٢ كيف كانت نظرية المصادر غير الكاملة تُعتبر ضرباً من الخيال ؟

ج : توســـعت هذه النظرية في عدد المصادر حتى وصلت نحو ثلاثين مصدراً غير كامل إعتمـــد عليهـــا كاتب الأسفـــار الخمســـة ، ومـــن رواد هـــذه المدرســـة " فاتـــيـــر " Vater الـــذي إعـــتقد أن التوراة هي تجميع لعدد كبير من الروايات المســـتقلة المستمدة من مصادر مختلفة ، وأخذ بـــ " نظرية الجزئيات " (١٨٠٢ – ١٨٠٥ م) وكذلك " هارتيمان " Hartman سنة ١٨٣١ م ، ولكن هـــذه النظرية لم تجد إستجابة من الدارسين .

ثالثاً : نظرية التكميل : The supplementary Hypothesis

س١٣ : من الذي وضع نظرية التكميل ، ومن الذي هدمها ؟

ج – وضـــع هـــذه النظريـــة سنة ١٨٣٨م " ايولد " H . G Ewold (١٨٠٣ – ١٨٧٥م) ، والـــذي إعتقد أن التوراة لها مصدر رئيسي واحد ، وبعد كتابتها أُدخلت إليها بعض الإضافات ، وهو ما عُرف باسم " نظرية الإضافات " وهـــو نفسه الذي هدمهـــا ســـنة ١٨٥٥م ، وكانـــت هذه النظرية إفترضت أن موسى النبي لم يكتب الـــتوراة إنمـــا كتبها إنسان آخر إعتمد على عدة وثائق لاحقة لموسى النبي ، مثل المصـــدر الألوهيمـــي الـــذي أُضيف إليه الوصايا العشر وكتاب العهد وأجزاء من المصـــدر اليهـــوي ، وخـــلال الفترة (١٨٤٣ – ١٨٥٥م) أصدر " ايولد " كتابه " تـــاريخ إسرائيل " History of Israel مؤكداً على وجود مصدرين فقط للتوراة هما المصدر الألوهيمي (E) والمصدر اليهوي (J).

رابعاً : نظرية الوثائق الحديثة :

دعنا ياصديقي نغوص في هذه النظرية التي إجتذبت عدداً كبيراً من النقاد مـــنذ مئات السنين ، ومازال لها بريقها الخادع الذي يجتذب بعض النقاد في العصر الحديث (مثل ريتشارد إليوت فريدمان أستاذ اللغة العبرية والأدب المقارن بجامعة كاليفورنيا) فقد أزادت هذه النظرية عدد المصادر من مصدرين هما اليهوي (J) والألوهيمي (E) إلى أربعة مصادر بإضافة المصدرين التثنوي (D) والكهنوتي (P) ، ونتعرض فيما يلي بشئ من التفصيل للمصدرين الأخيرين ٠

المصدر التثنوي Deuteronomy (D) :

س١٤ : ما هو رأي أصحاب مدرسة النقد الأعلى في كاتب سفر التثنية ، وتاريخ كتابته ؟ وهل يمكن قبول أراءهم ؟

ج – رأى بعـــض النقاد أن تاريخ كتابة سفر التثنية يرجع إلى زمن القضاة وبداية حكـــم الملـــوك ، ورأى آخرون أنه كُتِب بعد سقوط مملكة إسرائيل ، فيقول القس صموئيل يوسف " يرى روبرتسن E . Robertson إن سفر التثنية ترديد لشريعة موســـى الأصلية ٠ جمعها النبي صموئيل القاضي والكاهن ، لتكون هادية للشعب في زمن الملوك ، ويرى فون راد G. Von Rad إن السفر يعد ثمرة عمل كبير إمـــتد مـــن زمـــن مبكر جداً بدءاً من زمن عصر موسى إلى زمن ما بعد السبي ، أعـــيدت كتابته بواسطة رجل يهودي بعد سقوط السامرة بفترة زمنية قصيرة ، وأيد هذا الرأي الكثيرون من العلماء " [1] وذكر هذا الرأي أيضاً الآب أنطون نجيب في معـــرض حديثه عن التوراة في ظل الفكر الحديث فقال " ولكن فحص كتاب التثنية يبيـــن أن تألـــيف هـــذا الكتاب لم يتم دفعة واحدة ولا بيد واحدة ٠ وبالفعل تكشف الأخـــبار الخاصة بنهاية حياة موسى (تث ٣١ – ٣٤) عن مفاهيم وأساليب مختلفة عـــن تلـــك التي نجدها في باقي الكتاب ٠ وفي داخل الكتاب نفسه نلاحظ بوضوح

---

(١) المدخل إلى العهد القديم ص ١٧٦ ، ١٧٧

عـدم الـتكامل فـي العـرض ، والتداخل في الأفكار والأخبار ، والتكرار وتعدد الـنهايات ، وتـدل هذه الظواهر كلها على تعدد أكيد في مراحل التأليف ويجب أن نعترف بأن حالة الدراسات الراهنة لا تسمح لنا بتحديد مراحل التأليف التي مرَّ بها كتاب التثنية قبل أن يصل إلينا في شكله الحالي " [١].

وقـال الشـاب الألمانـي " ويلهلم دي فيت " D. Wette (١٧٨٠ – ١٨٤٩م) فـي معـرض بحثه في رسالة الدكتوراة بأن أسلوب سفر التثنية يختلف عـن أسـلوب الأسـفار الأربعة السابقة ، بينما يتشابه مع الأسفار الستة اللاحقة ، ولذلـك إعـتقد " فيـت " سنة ١٨٠٥م بأن سفر التثنية يمثل مصدر ثالث للتوراة ، وأيده في هذا " ريم " E . Riehm سنة ١٨٥٤م ، ويقـول القس صموئيل يوسف " يرتـبط سـفر التثنـية أو الجزء الأكبر منه بسفر الشريعة الـذي عُثِر عليه في الهيكل ، في حكم يوشيا كما يرى D. Wette وآخرون التشابه الكبير بين الشرائع والأحكام الواردة بسفر التثنية ، والإصلاح الديني الذي تم فـي عهـد الملك يوشيا (تـث ١٢ : ١ – ٧ ، ٢مل ٢٣ : ١٨ – ٢٠) ويتفق الكثيـرون من العلماء أن سفـر التثنيـة هـو أساس الإصـلاح الدينـي الـذي تم خلال حكم الملك يوشيا (٦٣٩ – ٦٠٨ ق٠م) كمـا تضـمـن السـفـر بـرنامج أو إطار عمل عظيم لإصـلاح دينـي مـبكـر خـلال حكم منسى المظلم كما يرى كل من رولي ودرايفر S. R. Driver و H. H. Rowlay " [٢].

وقـال دي فيـت أن الكتـاب الذي عثـر عليه حلقيا الكاهن الأكبر سنة ٦٢٢ ق٠م فـي الهيكل أيام الملك يوشيا لم يكن إلاَّ هو المصدر التثنوي الذي كُتِب قـبل هذا التاريخ بقليل ، وكأن هذا الإكتشاف مجرد تظاهر ، فالسفر كُتِب لإعطاء الصبغة الشرعية للإصلاحات التي يقوم بها يوشيا ، فكما أكد سفر التثنية في بدايته

---

(١) رسالة صديق الكاهن مارس ١٩٧٢م ص ١٥ ، ١٦

(٢) المدخل إلى العهد القديم ص ١٧٦

علـــى عـــدم تقديم قرابين خارج هيكل أورشليم ، هكذا منع يوشيا تقديم القرابين في أي مكـــان آخر خارج الهيكل ، ويصف دي فيت هذا الإكتشاف قائلاً " إنه تزييف تحت ستار الفضيلة " [1] .

وهكـــذا نســـب هـــؤلاء الـــنقاد سفر التثنية إلى مصدر ثالث غير اليهوي والألوهيمـــي ، لإنهم رأوا أن الأسلوب المستخدم في كتابة سفر التثنية مختلف عن الأسلوب المستخدم في الأسفار الأربعة السابقة من جهة المعجم اللغوي والتعبيرات والجمـــل ، وتجاهلوا أن موسى كتب هذا السفر كخطاب وداعي في نهاية حياته ، ومن الطبيعي أن أسلوب الإنسان يختلف بين فترة وأخرى ، ولاسيما مع إنسان مثل موسى الذي طالت حياته إلى مائة وعشرين عاماً .

وقال " مارتين نوث " الألماني سنة ١٩٤٣م بأن هذا السفر يخالف الأسفار الأربعـــة السابقة في أسلوبه ، بينما يشابه إلى حد كبير الأسفار الستة التالية يشوع وقضاة وصموئيل الأول والثاني وملوك الأول والثاني ، ويدعي أن الذين كتبوا هذه الأســـفار قـــد يكونـــوا أكثر من شخص ، ولكن العمل النهائي لترتيب هذه الأسفار الســـبعة قام به شخص واحد أراد أن يسجل القصة منذ موسى وحتى سقوط مملكة يهـــوذا ، فكتب سفر التثنية كقاعدة يقيم عليها التاريخ الإسرائيلي (راجع ريتشارد فـــريدمان ص ٩٢) وتجـــاهل مارتن نوث أنه مادام هناك أكثر من كاتب للأسفار السبعة فلابد أن يكون هناك أكثر من أسلوب ، وحيث إن عمل المحرّر الأخير هو التنســـيق بيـــن ما كتبه هؤلاء الكتّاب ، وليس إلغاء ما كتبوه وكتابة مؤلف جديد ، وبالتالـــي كان لابد من إستمرار الإختلاف في الأسلوب بحسب عدد الكتّاب ، وهذا ضد رؤية مارتين نوث .

كمـــا قـــالوا إن هذا السفر يركز على العهد مع الله ، فطالما الشعب ملتزم بالعهد مع إلهه فإنه يعيش في سلام ، أما في حالة عصيانه فإنه يتعرض لمضايقات

---

[1] ريتشارد فريدمان – من كتب التوراة ؟ ص ٩١

الشـــعوب الأخرى ، وهل الأسفار الأربعة السابقة لم تحمل هذا المفهوم ؟! ٠٠ ألم يكـــن الطوفـــان أكبر كارثة بشرية بسبب عصيان الإنسان وخطيته ، وهكذا سدوم وعمـــورة ؟! ٠٠ ألـــم تحمل الوصية الخامسة هذا المفهوم " *إكرم أباك وإمك لكي تطول أيامك على الأرض* " (خر ٢٠ : ١٢) ألم يوصي الله شعبه " *وتعبدون الرب إلهكـــم ٠ فيبارك خبزك وماءك وأُزيل المرض من بينكم ٠٠٠* " (خر ٢٣ : ٢٥ – ٣٣) ؟! ٠٠٠ إلخ٠

وقال هؤلاء النقاد إن مؤلف المصدر التثنوي قد أظهر الله بصورة سامية ، فهـــو يســـمو عن الكائنات بما لا يقاس ، وهو غير مرئي ولا منظور ، وهو السيد المطلـــق يهب أرض كنعان لشعبه (تث ١ : ٦ – ٨) ويبيدْ جميع الأعداء أمام بني إســـرائيل (تث ٧ : ١٦ ، ٢٠ ، ٢٢) ويهب شعبه البركات السمائية كما يشاء (تث ١١ : ١٤ ، ١٥) ويعاقـــب الخطـــاة ويبددهم (تث ٢٨ : ٢٠ – ٢٦) وهو القدوس الـــذي يريد أن يحيا شعبه في القداسة ، كما يقولون إن هذا المصدر كُتب في مملكة الشـــمال مثل المصدر الألوهيمي ، بدليل إستخدامه لإسم إيلوهيم دون يهوه ، ويهتم بخلاص الله لشعبه فقط بعكس المصدر اليهوي الذي يُظهر إهتمام الله بالعالم كله ، وإن التعالـــيم الـــواردة فيه قريبة من تعاليم أنبياء مملكة الشمال فمثلاً التركيز على وصـــية العشور (تث ١٤ : ٢٢) يقترب كثيراً إلى تعاليم هوشع النبي ويقولون إن هذا المصدر تم تأليفه أيام يوشيا الملك بغرض مساندة الإصلاح ، وقد نسبه الكاتب أو الكتَّاب إلى موسى النبي ٠

والأمر المدهش أنهم يبررون هذا الخداع فيتساءلون إذاً ما هو دور موسى فـــي ســـفر التثنية ؟ ويقول الأب أنطون نجيب في معرض حديثه عن أضواء على مصـــدر التثنـــية " والآن يحق لنا أن نتساءل عن دور مُوسى النبي ومكانه في كل ذلـــك ؟ ونجيب في الحال بأنه دور أساسي ومكانة جوهرية ٠ وهذا لا يعني بالطبع أن كـــتاب التثنـــية في شكله الحالي ، ولا حتى فيْ شكله الأول ، يرجع إلى موسى

النبـــي نفسه ، ولكن جوهر كتاب التثنية موسوي ، وتشريعاته كلها موسوية ، تنبع مـــن صـــميم روح المشترع الأكبر ، وفي عبارة واحدة نستطيع أن نقول إن ديانة التثنية موسوية ٠

لقــد أدخـــــل المؤلفون ، ثم المحرّرون ، تشريعات جديدة على الوصايا العشـــر ٠ ولكـــن ذلك لم يكن تجديداً جذرياً ، وإنما بالأحرى وسيلة لضمان نقاوة الديانـــة والعـــبـــادة ، وتطبـــيقاً ضرورياً للدستور المُوحَى به على أوضاع الحياة المتغيرة ٠٠

وقد أراد الكهنة اللاويون ، خلفاء موسى ، أن يصنعوا ما كان هو نفسه قد صـــنع لـــو أنه عاش فـــي عصرهم ٠ وبفضل تلك الجهود التي يشهد عنها كتاب التثنـــية ، وبفضـــل الجهود المماثلة التي ستستمر في المستقبل ، إستطاعت الديانة الموحاة أن تصمد في وجه شرور الملوك الفاسدين ، مثل منسي وأمون ، وأن تعبر محـــنة الأسر القاسية ، وتتأصل في النفوس خلال الحقبة اليهودية الطويلة ، لتصل أكثر نقاوة وصفاء إلى زمن السيد المسيح " [1] .

وقـــد وصـــل بهـــم الحـــد إلى إعتبار سفر التثنية مُستمد من شرائع الأمم فـــيقولون " والشريعة الأخلاقية الإجتماعية في كتاب التثنية شريعة متطورة ، فهي تستوحي دستور العهد (خر ٢٠ : ٢٢ – ٢٣ : ١٣) من ناحية ، ومن ناحية أخرى تستعير الكثير من شرائع الشرق القديم وعاداته ٠ ولكنها تكيّف كل ذلك في أوضاع إجتماعـــية أكـــثر تقدماً ، وتضفي عليه لمسة إنسانية كلها رحمة وحنان " [2] وقال بذات القول الكاهن الكاثوليكي الكسندر جيدس في نهاية القرن الثامن عشر ٠

تعلـــيق : عجـــباً ٠٠ مـــن يقبل هذا الخداع الشيطاني وكيفية تبريره ؟! ٠٠ أليس هـــؤلاء هـــم الذيـــن يبررون الكذب الأبيض ؟!! إنني أسمعهم يتهامسون همسات شـــيطانية " حـــافظ العبرانيون بكل عناية وغيرة على تراث موسى النبي الديني ،

(١) رسالة صديق الكاهن مارس ١٩٧٢ م ص ٢٢
(٢) المرجع السابق ص ١٣

ولكــن أوضـــاع الحياة الجديدة تغيرت كثيراً بعد الإستقرار في كنعان • وكان لابد مـــن إعطاء حلول جديدة للمسائل الجديدة •• ولكنها كانت كلها مستوحاة من روح موســى النبــي ، المشترع الأكبر • لذلك سمح المشترعون الجدد لأنفسهم بإنتحال إســم موسى ، فوضعوا على لسانه كل التشريعات الجديدة ، لأنها لم تكن في الواقع سوى تطبيقات عملية لوحي سيناء " [1] •• ياللعجب إنهم يدعون الحيلة الشيطانية " حــيلة تقويّــة إلتجأ إليها رئيس الكهنة حلقيا ليصل إلى غايته " [2] •• إنهم يقاتلون مــن أجل إثبات وجهة نظرهم ، فيدافعون عن الغش والخداع كأنه أمر صالح •• كــيف يســمح أي إنسان لنفسه أن يكتب منتحلاً شخصية موسى النبي بحجة أنه لو كان موسى حيًا لكتب هذا ؟! •• كيف عرف منتحل الشخصية هذا ؟! •• هل الله الــذي أرسل موسى كان عاجزاً عن إرسال موسى آخر لإستكمال الرسالة القاصرة حســب تصورهم ؟! •• إن سفر التكوين بمفرده قادر أن يقود الإنسان إلى طريق الملكــوت فما بالك بأربعة أسفار ؟! فلو لم يكتب موسى سفر التثنية لأمكن للإنسان الوصـــول إلى الله •• ولو أخذنا بمنطق هؤلاءالنقاد المعوج •• ترى ماذا نقول لو إن إنســاناً تصــوّر إن مـــا كتبه رسل العهد الجديد غير كاف لأن الأوضاع الآن تغــيرت كثــيراً ، فراح يكتب محتجاً بأن بطرس أو بولس أو مرقس لو كان حياً لكتــب مـــا يكتبه هو الآن ؟! أيُحتسب مثل هذا الإنسان ضمن الرسل المُوحى لهم بالروح القدس ، أم إنه ليس هناك ضرورة للوحي ؟!! •• والذين كتبوا سفر التثنية منتحليــن شخصـــية موسى هل كتبوا بوحي من الروح القدس ، ومن الطبيعي إن روح الله القــدوس لا يعمـــل مـــع إنسان غشاش مخادع ؟! • إذاً هذه الكتابات هي كتابات بشرية محضة ، فهي لا تلزمنا لأنها تحتمل الصواب أو الخطأ •

ثــم يقولــون بهذه الطريقة إستطاعت الشريعة أن تصمد في وجه الشر ، وهــل كلمة الله كانت ضعيفة فإحتاجت لهؤلاء المؤلّفين والمحرّرين ليثبّتوها ؟! ••

---

(١) رسالة صديق الكاهن مارس ١٩٧٢ م ص ١٦

(٢) المرجع السابق ص ٣٩

ويقولون إن التوراة بهذه الطريقة وصلت أكثر نقاوة وصفاء إلى زمن السيد المسيح .. فهــل التوراة كما وُضِعت في صورتها الأولى كان ينقصها النقاء والصفاء ؟! .. حقاً حقاً إنها آراء شيطانية تهدف إلى هدم قدسية الكتاب المقدَّس ، والدليل على هــذا قولهم الشرير بأن شريعة سفر التثنية مستمدة من شرائع الشرق القديم الوثنية طــبعاً ، وهــل وصــل العجــز بالوحي الإلهي أن يستمد شرائعه من شرائع عبَّاد الأصــنام ؟!! .. شــتان بيــن شرائع السماء وشرائع الأرض " *لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب . لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم* " (أش ٥٥ : ٨ ، ٩) .

إن شريعة الله هي التي رفعت من مستوى الشعب اليهودي كشهادة موسى النبــي الذي يعترف ويفتخر بأنه إستمد هذه الشرائع من الله ذاته " *إنظر قد علمتكم فــرائض وأحكامــاً كما أمرني الرب إلهي لكي تعملوا هكذا في الأرض التي أنتم داخلــون إليها لكي تمتلكوها . فإحفظوا وإعملوا . لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب الذين يسمعون كلّ هذه الفرائض فيقولون إن هذا الشعب العظيم إنما هو شعب حكيم فطن . لأنه أي شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا في كــل أدعيتــنا إلــيه . وأي شعب هو عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشــريعة التي أنا واضع أمامكم اليوم* " (تث ٤ : ٥ – ٨) .. ألم يقرأ هؤلاء النقاد هــذه الأقوال الإلهية أم إن بصائرهم قد طُمست وعيون أذهانهم قد أُغلقت عن فهم أقوال الله لأنهم تكبروا ووضعوا أنفسهم في مرتبة أعلى من حكمة الله ؟!! .

س١٥ : لمــاذا قــال أصحاب مدرسة النقد الأعلى إن كاتب هذا المصدر التثنوي عاش أيام يوشيا الملك ؟

ج ــ لأنهم تصوَّروا أن الكاتب أحب يوشيا الملك ورفع من قدره في أسفار الملوك حــتى شــابهه بموســى النبــي وساقوا الأدلة الآتية على ذلك (راجع ريتشارد فريدمان – من كتب التوراة ص ٩٧ – ٩٩) :

١- وصف الكاتب يوشيا " *لم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قوته حسب كل شريعة موسى وبعده لم يقم مثله* " (٢مل ٢٣ : ٢٥) وقال كاتب سفر التثنية عن موسى " *ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى* " (تث ٣٤ : ١٠).

تعليق : وجه الشبه هنا ليس واحداً ، فالأمر الذي مُدح من أجله يوشيا هو رجوعه للرب بكل قلبه ، أما موسى فلم يقم أحد مثله في النبوة والحديث مع الله وجهاً لوجه وهو ما أكملته الآية " *ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه* " (تث ٣٤ : ١٠) .

٢- قال موسى لبني إسرائيل " *فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك* " (تث ٦ : ٥) ولم يحفظ هذه الوصية غير يوشيا.

تعليق : من الذي يستطيع أن يقول أن هذه الوصية لم يحفظها أحد غير يوشيا ؟! وهل كشف هؤلاء النقاد عن قلوب جميع البشر من موسى إلى يوشيا فلم يجدوا غير يوشيا الذي حفظ هذه الوصية ؟ وما رأيهم في داود النبي الذي قال للرب " *بكل قلبي طلبتك* " (مز ١١٩ : ١٠) وقال عنه الرب فحصت قلب داود فوجدته بحسب قلبي ؟!!

٣- أوصى موسى بطلب مشورة الكاهن والقاضي في الأمور المعقدة (تث ١٧ : ٨ - ١٣) وقيل عن يوشيا عندما سمع كلام السفر أرسل حلقيا وأربعة معه إلى خلدة النبية قائلاً " *إذهبوا إسألوا الرب لأجلي* " (٢مل ٢٢ : ١٣).

تعليق : وأيضاً وجه الشبه هنا مختلف ، فموسى يوصي من جهة صعوبة الحكم في بعض الدعاوي والقضايا بين الناس وبعضهم ، أما يوشيا فأرسل يسأل الرب ، وبينما موسى أوصى بالذهاب إلى الكاهن والقاضي فإن يوشيا أرسل إلى النبية ..

٤ قـال موسـى عـند طلب مشورة الكهنة يجب الإلتزام بها " *لا تحد عن الأمـر الذي يخبرونك به يميناً أو شمالاً* " (تث ١٧ : ١١) وقيل عن يوشيا " *وعمل المستقيم في عيني الرب وسار في جميع طرق داود أبيه . ولم يحد يميناً أو شمالاً* " (٢مل ٢٢ : ٢).

تعلـيق : وصـية موسـى جاءت في سياق الحكم على الدعاوي والقضايا العسـرة ، أمـا يوشيا فلم يكن له قضايا عسرة إنما سار في طريق الرب كما سار داود أبيه ، وهنا إثبات أن داود كان يحب الرب من كل قلبه ويوشيا تمثّل به ، وهذا رد على ما جاء بالدليل الثاني.

٥ قـال موسى " *خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكـم ليكون هناك شاهداً عليكم* " (تث ٣١ : ٢٦) وظل الكتاب بجوار التابوت ولم يذكـر ثانية على مدى ٦٠٠ عام حتى قال الكاهن حلقيا " *وقد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب* " .

تعلـيق : هذا إعتراف صريح من الناقد أن بين كاتب سفر التثنية وكاتب سفر الملوك نحو ستمائة سنة . إذاً من المستحيل أن يكون الكاتب واحد.

٦ أوصـى موسـى بقراءة التوراة مرة كل سبع سنوات " *تقرأ هذه التوراة أمـام كل إسرائيل في مسامعهم* " (تث ٣ : ١١) ولم يقرأ سفر التثنية علانية إلاَّ في قصـية يوشيا عندما جمع الشعب في القدس " *وقرأ في أذانهم كل كلام سفر الشريعة الذي وُجد في بيت الرب* " (٢مل ٢٣ : ٢).

تعلـيق : فـي عصر نحميا بعد السبي جمع الشعب وقرأ عليهم سفر شريعة موسـى " *إجـتمع كـل الشعب كرجل واحد إلى الساحة التي أمام باب الماء وقالوا لعـزرا الكاتـب أن يأتـي بسفر شريعة موسى التي أمر بها الرب إسرائيل . فأتى عـزرا الكاتـب بالشـريعة .. وقرأ فيها أمام الساحة* " (نح ٨ : ١ - ٣) فهل هذا يدعونا للقول بأن نحميا هو كاتب سفر الملوك !!؟

٧- وصف موسى ما صنعه بالعجل الذهبي " *ورضضته وطحنته جيداً حتى نعم كالغبار ، ثم طرحت غباره في النهر المنحدر من الجبل* " (تث ٩ : ٢١) وهذا مـا فعلـه يوشيـا للسارية التي في الهيكل " *ودقها إلى أن صارت غباراً* " (٢ مل ٢٣ : ٦).

تعلـيق : مـا فعله يوشيا فعله قبله حزقيا الملك " *وعمل المستقيم في عيني الـرب حسـب كل ما عمل داود أبوه ، هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطّع السـواري وسـحق حيّة النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا في تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نُحُشْتان* " (٢مل ١٨ : ٣ ، ٤) .

٨- موسى يوصي ضد الأصنام والتماثيل (تث ٤ : ١٦ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٥ : ٨ ، ٧ : ٢٥ ، ٢٧ : ١٥) وهكذا فعل يوشيا (٢مل ٢٣ : ٤ - ٢٠) .

تعلـيق : كل ما قاله الوحي الإلهي عن يوشيا الملك الصالح هو حق وليس مـن إخـتراع ولا تلفـيق الكاتب الذي أحب يوشيا كما تصوّر هؤلاء النقاد ، وليس معـنى وجـود أوجـه شبه بين يوشيا وموسى أن كاتب سفر الملوك هو كاتب سفر التثنـية ، وهـل عـندما نجد وجه شبه بين ملاخي مثلاً وموسى ، وإن الله يوصي الشـعب بلسان ملاخي لحفظ الشريعة " *أذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها فـي حوريـب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام* " (ملا ٤ : ٤) هل هذا يدعونا للقول بأن كاتب سفر ملاخي هو كاتب سفر التثنية ؟!!

س١٦ : مـن مـنظار الـنقد الأعلى من هو كاتب الأسفار السبعة من التثنية إلى الملوك الثاني ؟ وما هي الأدلة التي أقاموها على ذلك ؟

ج - إسـتعرض الـنقاد رئاسـة الكهنوت أيام داود الملك الذي أقام أبياثار من نسل فيـنحاس إبـن عالي الكاهن ، وصادوق من نسل هارون رؤساء كهنة " *ودعا داود صـادوق وأبياثار الكاهنين .. وقـال لهم أنتم رؤوس آباء اللاويين* " (١أخ ١٥ : ١١) وبعـد موت داود شجع ابياثار أدونيا للإستيلاء على العرش ، فغضب سليمان

على ابياثار ، ولكنه بسبب عشرته مع أبيه لم يسئ إليه " *وقال الملك لأبياثار الكاهن إذهب إلى عناثوث إلى حقولك لأنك مستوجب الموت ولستُ أقتلك في هذا اليوم لأنك حملت تابوت سيدي الرب أمام داود أبي ولأنك تذلّلت بكل ما تذلل به أبي • وطرد سليمان ابياثار عن أن يكون كاهناً للرب* " (١مل ٢ : ٢٦ ، ٢٧)•

فقال النقاد أن اللاويين الذين كانوا في أورشليم من نسل هرون ولاسيما بعد طرد سليمان لأبياثار وتولي صادوق مسئولية رئيس الكهنة كاملة ، وهؤلاء كانوا يتعصبون لأبيهم هرون على حساب موسى ، ولكن بحذر لئلا يرفضهم الشعب ، وفي شيلوه بالمملكة الشمالية حيث طرد أبياثار كان هناك بعض اللاويين ، ولاسيما إن شيلوه كانت موضعاً للرب منذ أيام صموئيل ، وهؤلاء كانوا يتعصبون لموسى على حساب هرون•

ثم قال النقاد وعلى رأسهم " باروخ هلفرن " إن كاتب سفر التثنية ليس من كهنة الهيكل من نسل هرون لأنه لم يذكر تابوت العهد ولا الكروبيم ولا مقدسات الهيكل ، ولم يتطرق إلى وظيفة رئيس الكهنة ، ولم يذكر هرون في السفر إلاَّ مرتين الأولى يوم غضب عليه الرب " *وعلى هرون غضب الرب جداً ليبيده* " (تث ٩ : ٢٠) ويوم موته (تث ١٠ : ٦) فقالوا لابد أن الكاتب من كهنة شيلو الذين يدعون لمركزية العبادة ولكنهم غير مرتبطين بالهيكل ولا بالقصر لذلك أوصى الكاتب بأن لا يكثر الشعب الخيول.والأموال والنساء والإماء للملك لئلا يضل ، وإهتم الكاتب أيضاً برفاهية اللاويين وإعتبارهم كهنة شرعيين ، فكتب سفر التثنية مركزاً على مجموعة القوانين (من الإصحاح ١٢ – ٢٦) التي تؤكد على مركزية العبادة ، وتعيين الملك من قبل الرب ، وحظر عبادة الأصنام ، وقوانين الحرب ، ومعاملة العبيد والشئون الزراعية وتحريم الإشتغال بالسحر ورفاهية اللاويين وكيفية إهتمام الشعب بهم (راجع ريتشارد فريدمان – من كتب التوراة ص ١٠٥ – ١٠٩)•

وبعـد بحث طويل يجزم ريتشارد إليوت فريدمان بأن الكاتب للأسفار السبعة هـو أرمـيـا النبـي ، وإن لـم يكن هو الكاتب فعلى الأقل هو الذي أعاد صياغة الأسفار ، وقد أستشهد ريتشارد بالأدلة الآتية :

١- أن أرمـيـا عاش أيـام يوشيـا ، وعند موت يوشيا رثاه أرميا (٢ أخ ٣٥ : ٢٥)٠

٢- هناك علاقة بين أرميا وحلقيا الذي وجد السفر في أيام يوشيا ، فقد أرسل أرمـيا رسـالة للذين في بابل مع جمريا بن حلقيا (أر ٢٩ : ١ - ٣) وعندما كتب أرمـيا وثيقة ضد يهوياقيم بن يوشيا قرأها باروخ أمام جمريا بن شافان (أر ٣٦ : ١٠) وأنقـذ أخيقام بن شافان أرميا من الرجم (أر ٢٦ : ٢٤) وعندما عيَّن نبوخذ نصـر جدلـيا بن أخيقام بن شافان حاكماً علـى يهوذا إهتم جدليا بأرميا النبي (أر ٤٠ : ٦)٠

٣- تطرق أرميا في سفره إلى شيلو أربع مرات فيقول الرب" موضعي *الذي في شيلو الذي أسكنت فيه إسمي*" (أر ٧ : ١٢)٠

٤- طـرد سليمان ابياثار الكاهن الكبير إلى عناثوث لأنه شجع أخيه أدونيا ، وكان أرميا من عناثوث" *كلام أرميا بن حلقيا من الكهنة الذين في عناثوث*" (أر ١ : ١) وتسـاءل ريتشـارد فريدمان عما إذا كان حلقيا أبو أرميا هو حلقيا الذي وجد السفر أيام يوشيا الملك ؟

٥- أرمـيا هو النبي الوحيد الذي يذكر قصـة ثعبـان موسى النحاسي (أر ٨ : ١٧)٠

٦- تطـرق أرمـيا إلـى شخصية صموئيل النبي والقاضي الذي من شيلوه ، وإعتبره مع موسى أبرز شخصيتين في تاريخ إسرائيل (أر ١٥ : ١)٠

٧- إستخدم أرميا بعض العبارات التي وردت في سفر التثنية مثل :

أ- " *ويكـون إن سـمعتم لـي سمعاً يقول الربَّ*" (أر ١٧ : ٢٤) تقابل" *وإن سمعت سمعاً لصوت*" (تث ٢٨ : ١)٠

ب- *" إختتنوا للرب وإنزعوا غُرَل قلوبكم "* (أر ٤ : ٤) تقابل *" فإختتنوا غرلة قلوبكم "* (تث ١٠ : ١٦).

ج- *" ولكل جنود السموات "* (أر ٨ : ٢) تقابل *" كل جند السماء "* (تث ٤ : ١٩ ، ١٧ : ١٣).

د- *" يوم أخرجتهم من أرض مصر من كور الحديد "* (أر ١١ : ٤٠) تقابل *" وأخرجكم من كور الحديد من مصر "* (تث ٤ : ٢٠).

هـ- *" بكل قلبي وكل نفسي "* (أر ٣ : ٤١) تقابل *" بكل قلبك وكل نفسك "* (تث ٤ : ٢٩ ، ١٠ : ١٢ ، ١١ : ١٣ ، ١٣ : ٤) (راجع من كتب التوراة ؟ ص ١٠٩ - ١١١).

تعليق :

١- وجود علاقة حسنة بين أرميا ويوشيا الملك الصالح وحاشيته لا تعني أبداً أن أرميا هو كاتب سفر الملوك وسفر التثنية ، فنسبة سفر التثنية لموسى النبي أمر ثابت كما سنرى بعد قليل .

٢- كون أرميا من عناثوث التي ذهب إليها ابياثار رئيس الكهنة ، ليس معناه أنه كاتب سفر التثنية ، وإنه يتعصب لموسى على حساب هارون ونسله ، وإن ولائه لشيلوه وليس للهيكل ، لأن لو كان هذا الأمر صحيحاً ، فما الداعي لبكائه وحزنه المفرط على خراب أورشليم والهيكل وسبي مملكة يهوذا كما هو واضح تماماً في مراثيه ؟ .

٣- عدم ذكر تابوت العهد وبقية المقدسات في سفر التثنية ليس معناه إن موسى لم يكتبه ، ولكن لأن هذا السفر يعتبر الخطاب الوداعي لموسى ، وقد سبق لموسى أن تكلم عن المقدسات في سفر الخروج ، لذلك لم يجد هناك داعياً للتكرار .

٤- عندما قال أرميا النبي " *هانذا مرسل عليكم حيات أفاعي لا تُرقى فتلدغكم يقــول الــرب* " (أر ٨ : ١٧) لم يكن هذا إشارة لثعبان موسى النحاس ، إنما كان بمثابة نبوءة من أرميا عن عقاب الله للعصاة ٠

٥- بالنسبة للآيات المتشابهة بين سفري أرميا والتثنية ٠٠ ما المانع أن يكون أرمــيا قــد إقتبس من سفر التثنية الذي كتبه موسى النبي ، وكان تحت يده ؟ وهل لأنـــه إقتبس منه يدعو البعض للقول بأنه هو كاتب السفرين ؟! وما معنى الإقتباس إذاً في نظرهم ؟!!

س١٧ : مــاذا عــن المصدر التثنوي الثاني ؟ وما هي الأدلة الدامغة على نسبة سفر التثنية لمُوسى النبي ؟

ج - يقــول الأب أنطون نجيــب في سياق حديثه عن أضواء على مصدر التثنية " وتغيرت أوضاع الحياة مرة أخرى تغييراً كبيراً في زمن الأسر البابلي (٥٨٦ - ٥٣٨ ق٠م) وكــان لابــد من إعادة كتابة التثنية ، بحيث يطابق دستوره الأوضاع الجديــدة ، ولكن الشكل الجديد للكتاب بقى أميناً لروح الكتاب الأول ، أو بالأحرى لــروح موسى النبي ، وسيط العهد والمشترع الأكبر ، وتمشياً مع الأحوال الجديدة أضـــاف المؤلف بعض الأجزاء إلى الكتاب ، كما إضطر إلى تغيير النظرة العامة التـــي توجهه ، وهكذا أضاف الفصول الأربعة الأولى (تث ١ - ٤) وفيها يروي فـــتح كنعان بوصفه صورة للعودة التي يرجوها المنفيون ٠ كما إنه يدفق على أمل الخلاص والفداء (تث ٤ : ٢٩ - ٣٢ ، ٣٢ = نشيد موسى) ٠

ويضيف المحرر أيضاً فقرة كبيرة إلى اللعنات الواردة في (تث ٢٨) ثم يكمل الفصل (تث ٣١) ليربط بينه وبين نشيد موسى الذي وضعه في الفصل التالي (تــث ٣٢) وهــنا يحــل هذا النشيد مكان التوراة كشاهد بين الله وشعبه٠ ومن المرجح أيضاً أن تكون قد أُضيفت آنذاك بعض الملاحظات القصيرة إلى الخطابات (تــث ١٠ : ٦ - ٩) وإلــى الشرائع (تث ١٣) ثم أُضيف إلى كل ذلك خبر موت

موسى النبي (تث ٣٤) وأخيراً نلاحظ أن المحرِّر يعطي ألية خاصة لأفكار الحكمة التي أخذت تزدهر في زمن الأسر " [1].

وقـــال ريتشـــارد إليوت فريدمان بأنه بعد أن حرَّر أرميا سفر التثنية قبل مـــوت يوشـــيا الملك سنة ٦٠٩ ق٠م أعاد أرميا صيغة السفر مرة ثانية بعد خراب أورشـــليم سنة ٥٨٧ ق٠م أي بعد نحو إثنين وعشرين سنة ، وكان أرميا في مصر حيث أدخل بعض الفقرات التي تربط بين عهد الله للشعب وطاعة الشعب لله مثل :

١- *" إذا ٠٠ فســدتم وصــنعتم تمثالاً منحوتاً صورة شئ ما وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته ٠ أشهد عليكم اليوم السماء والأرض إنكم تبيدون سريعاً عــن الأرض التي أنتم عابرون ٠٠ ويبدّدكم الرب في الشعوب "* (تث ٤ : ٢٥ – ٢٧)٠

٢- *" وكمــا فــرح الرب لكي ليحسن إليكم ويكثركم كذلك يفرح الرب ليفنيكم ويهلككــم فتُستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها ٠ ويبدّدك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها "* (تث ٢٨ : ٦٣ ، ٦٤)٠

٣- *" وقال الرب لموسى ها أنت ترقد مع أبائك فيقوم هذا الشعب ويَفجُر وراء آلهــة الأجنبيين ٠٠ فيكون مأكلة وتصيبه شرور كثيرة وشدائد "* (تث ٣١ : ١٦ – ١٨)

٤- *" ويردّك الرب إلى مصر في سفن في الطريق التي قلت لك لا تعد تراها فتُــباعون هــناك لأعدائك عبيداً وإماء وليس من يشتري "* (تث ٢٨ : ٦٨) (راجع من كتب التوراة ؟ ص ١٢٢ ، ١٢٣)٠

تعلـــيق : مـــن المستحيل أن يكون أرميا أو أي شخص آخر هو كاتب سفر التثنية وذلك للأسباب الآتية :

---

[1] رسالة صديق الكاهن مارس ١٩٧٢ ص ٢١

١- لــو إن أرميا النبي وضع الصياغة الأولى وبعد إثنين وعشرين سنة وضع الصـــياغة الثانـــية التـــي أضاف عليها إضافات عديدة ، وبلاشك إنه تم نسخ بعض المخطوطـــات مـــن التوراة في صياغتها الأولى بدون الإضافات ، وأيضاً تم نسخ بعــض المخطوطات من التوراة في صياغتها الثانية بالإضافات ، وبالتالي كان لابد أن يظهر هذا بالتتابع ، فنجد نوعين من المخطوطات ، ولكن هذا لم يحدث ، فجميع المخطوطـــات التـــي تم إكتشافها في قُمران والتي بلغت خمسة وعشرون مخطوطة لسفر التثنية جميعها متطابقة تماماً .

٢- قال الكتاب المقدَّس أنه أثناء ترميم بيت الرب في أورشليم " *وعند إدخالهم الفضة المدخلـــة إلى بيت الرب وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى* " (٢ أي ٣٤ : ١٤) وصـــدق حلقيا الكاهن أن موسى هو الذي كتب هذا السفر " *وسلَّم حلقـــيا السفر لشافان فقرأه . . وقرأه شافان أمام الملك . فلما سمع الملك كلام سفر الشـــريعة مـــزق ثـــيابه* " (٢مل ٢٢ : ٨ – ١١) وصدَّق كل من شافان والملك أن موســـى هو الذي كتب هذا السفر ، وسمعت خلدة النبية بالخبر وصدقته ، " *وأرسل الملك فجمعوا إليه كل شيوخ يهوذا وأورشليم . وصعد الملك إلى بيت الرب وجميع رجال يهوذا وكل سكان أورشليم معه والكهنة والأنبياء وكل الشعب من الصغير إلى الكبير وقرأ في آذانهم كل كلام سفر الشريعة الذي وُجِد في بيت الرب* " (٢مل ٢٣ : ١ ، ٢) وصـــدَّق الشـــعب كلـــه أن موسى هو كاتب هذه الشريعة ، وقدموا توبة وأصـــلحوا أحوالهم ، ويقول الشماس يسى منصور " إننا نعلم علم اليقين ، كما يعلم اليهود منذ أن كانوا في برية سيناء وعلى مدى العصور إلى الآن ، وكما يعلم جميع المســـيحين مـــنذ عصر المسيح له المجد ورسله إلى اليوم ، وكما هو مدون في كل الكتـــب المقدَّسة ، وفي قوانين الكنيسة عامة . إن سفر التثنية سفر واحد من أسفار موســـى الخمســـة ، وإنه لكاتب واحد هو موسى ، وكُتب في مكان واحد هو برية ســـيناء ، وفي زمن واحد هو آخر السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من مصر ،

وكُتب دفعة واحدة ، وموضوعه واحد هو خطابات موسى الثلاثة وبركته للشعب ونشيده ، مع ملحق يحوي خبراً وجيزاً لموت موسى ألحقه به يشوع بآخر السفر بالوحي الإلهي " [1].

٣- القول بأن كاتب السفر شخص معاصر ليوشيا بغرض تقنين حركة الإصلاح التي يقوم بها يوشيا ، ونسب الأقوال لموسى النبي بقصد حسن ٠٠ هو قول لا يقبله إنسان صادق ، فكيف يقبل هذا الكاتب أن ينتحل شخصية موسى النبي ؟! أليس هذا نوعاً من الكذب والخداع ؟!! ويقول الشماس يسى منصور " فسفر التثنية مشحون بالوصايا التي تأمر بالعدل ، وتشيد بالصدق ، وتنهي عن شهادة الزور ، وتمقت الخداع ، وتشدد على الحق ، فلا يُعقل والحال هذه أن تكون أقوال سفر التثنية خديعة مخادع ، وتزوير مزور ، وكذبة كاذب ، وغش غشاش " [2].

٤- الحجة التي إعتمد عليها أصحاب النقد بأن قيام يوشيا بالإصلاح كان يلزمه ما يدعمه من الشريعة حجة واهية ٠٠ لماذا ؟ لأنه قبل يوشيا قام بعض ملوك يهوذا بالإصلاح مثل آسا الملك الذي شهد له الكتاب قائلاً " *وعمل آسا ، هو صالح ومستقيم في عيني الرب إلهه ونزع المذابح الغريبة والمرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري ٠ وقال ليهوذا أن يطلبوا الرب إله آبائهم وأن يعملوا* حسب *الشريعة والوصية ٠ ونزع من كل مدن يهوذا المرتفعات وتماثيل الشمس وإستراحت المملكة أمامه ٠ وبنى مدناً حصينة في يهوذا* " (٢ أي ١٤ : ٢ – ٦) حتى إنه خلع أمه معكة لأنها عملت لسارية تمثالاً ودقه وأحرقه في وادي قدرون (٢ أي ١٥ : ١٦) وكذلك حزقيال الملك " *عمل المستقيم في عيني الرب* حسب *كل*

---

(١) التوراة فوق العصر الحديث ص ١١٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٠

ما عمل داود أبوه ٠٠ فتح أبواب بيت الرب ورمّمها " (٢ أي ٢٩ : ٢ ، ٣)، وقطع عهـداً مـن الرب (٢ أي ٢٩ : ١٠) وعمل فصحاً للرب (٢ أي ٣٠ : ٩)، ولم يحـتاج لا آسا ولا حزقيا إلى سفر جديد يدعم موقفهما ، لأنه في الحقيقة كان سفر التثنية موجوداً من أيام موسى النبي الذي كتبه٠

٥- هناك أدلة دامغة على نسبة سفر التثنية لموسى النبي ، ومن هذه الأدلة ما يلي :

أولاً : الأدلة الداخلية : ونذكر منها الآتي

أ - إن هـذا السفر كله عبارة عن ثلاثة خطابات ألقاها موسى النبي في شرق الأردن بسـهول مـوآب شرقي أريحا للجيل الجديد الذي وُلِد في البرية وكان على وشك الدخول إلى أرض الموعد ، وتكلم به موسى في الشهر الأخير من حياته (تث ١ : ١ ، ٣) ويشـمل الخطاب الأول رحلات بني إسرائيل في البرية (تث ١ - ٤ : ٤) ويشمل الثاني الشرائع والفرائض والأحكام التي تسلمها موسى من الرب (تث ٤ : ٤١ - ٢٦) ووجه الخطاب الثالث لشيوخ إسرائيل موضحاً بركات طاعة الوصية واللعنات التي تلحق بالمخالفين وقد وضع الحياة والموت أمامهم (تث ٢٧ - ٣٠) ثم الختام (تث ٣١) ونشيد موسى (تث ٣٢) وبركة موسى للأسباط (تث ٣٣) وحوى الإصحاح الأخير خبر موته بيد يشوع بن نون تلميذه٠

ب- ذكـر إسم كاتب السفر مراراً وتكراراً *" في عبر الأردن في أرض موآب إبـتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً "* (تث ١ : ٥) ٠٠ *" وهذه هي الشريعة التي وضعها موسى أمام بني إسرائيل "* (تث ٤ : ٤٤) ٠٠ *" ودعا موسى جميع إسرائيل وقـال لهـم ٠ إسمع ياإسرائيل الفرائض والأحكام التي أتكلّم بها في مسامعكم الـيوم ٠٠ "* (تـث ٥ : ١) ٠٠ *" هذه هي كلمات العهد التي أمر الرب موسى أن يقطعـه مـع بني إسرائيل "* (تث ٢٩ : ١) ٠٠ *" وكتب موسى هذه التوراة وسلّمها للكهـنة بني لاوي "* (تث ٣١ : ٩) ٠٠ *" فعندما كمّل موسى كتابة هذه التوراة في*

كـتاب *إي تمامها.أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً ٠ خذوا كتاب الـتوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم فيكون شاهداً عليكم* " (تث ٣١ : ٢٤ – ٢٦)٠

ج- طـوال السـفر يـتكلم موسى بضمير المتكلم عشرات المرات ، ويكرَّر العبارات الدالـة على كلام الرب له مثل " *قال الرب لي* " و " *قال لي الرب* " (تث ١ : ٤٢ ، ٢ : ٣١ ، ٣ : ٢٦ ، ٤ : ١٠ ، ٥ : ٢٨ ، ٩ : ١٢ ، ١٠ : ١ ، ١١) ومـثل " *كلمني الرب* " (تث ٢ : ١ ، ٢ ، ١٧ ، ٩ : ١٣) ويورد موسى الأحداث علـى أنـه شريك فيهـا مثـل قولـه " *الـرب إلهنا كلمنا في حوريب قائلاً ٠٠* " (تث ١ : ٦) ٠٠ " *ثم إرتحلنا من حوريب وتحركنا* " (تث ١ : ١٩) ٠٠ " *فقلت لهم لا ترهـبوا ولا تخـافوا مـنهـم* " (تث ١ : ٢٩) ٠٠ " *وعليَّ أيضاً غضب الرب بسببكم* " (تث ١ : ٣٧) وقول الرب لهم " *الآن قوموا وأعبروا وادي زارد ٠ فعبرنا وادي زارد* " (تـث ٢ : ١٣) وقـول موسى " *فأرسلت رسلاً من برية قديموت إلى سيحون ملك حشبون بكلام سلام قائلاً ٠٠* " (تث ٢ : ٢٦) ٠٠ " *فمكثنا في الجواء مقابل بيت فغور* " (تث ٣ : ٢٩) وواضح أن الذي شارك في كل هذه الأحداث هو موسـى النبي ، وليس شخصاً آخر عاش بعده بمئات السنين مثل صموئيل النبي أو أرميا النبي أو حلقيا الكاهـن ، ومن الواضح أن السفر كُتب قبل عبور نهر الأردن " *لأنكـم عابـرون الأردن لـتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الرب إلهكم يعطيكم ٠ تمـتلكونها وتسـكنونها ٠ فإحفظوا جميع الفرائض والأحكام التي أنا واضع أمامكم اليوم لتعملوها* " (تث ١١ : ٣١ ، ٣٢)٠

د – أسـلوب السـفر والجو العام في السفر يؤكد أن كاتبه هو كاتب الأسفار الأربعة السابقة ، وهذا ما أكدته دراسات عديدة٠

هـ - تتوافر في السفر الروح الحماسية والحديث النابع من القلب مع الإختبارات العديدة ، وهذا ما يناسب موسى النبي الذي قاد شعب الله لمدة أربعين عاماً ، وحمله في أحضانه كمرضعة.

و - يذكر موسى النبي أخطاء بني إسرائيل " *وفي تبعيرة ومسّة وقبروت هتّاوة أسخطم الرب* " (تث ٩ : ٢٢) وهذا يقابل ما جاء في سفر العدد (عد ١١ : ٣٤) ويذكر إستلامه الشريعة " *في ذلك الوقت قال لي الرب إنحت لك لوحين من حجر مثل الأولين وإصعد إليَّ إلى الجبل* .. " (تث ١٠ : ١) ويقابل ما جاء في سفر الخروج (خر ٣٤ : ١ ، ٢) وهلم جرا ..

ز- موسى النبي هو أقدر إنسان على وصف رحلة بني إسرائيل في البرية ، لأنه كان القائد لهذا الشعب.

ح- أظهرت الدراسات الحديثة أن السفر يتبع شكل المعاهدات التي كان متعارف عليها في القرنين ١٥ ، ١٤ ق.م.

ط- أوصى السفر بتحريم عبادات الأمم " *تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار. لأنك أن شعب مقدَّس للرب إلهك* " (تث ٧ : ٥ ، ٦) وحمل السفر وعداً بمحو ذكر عماليق من تحت السماء (تث ٢٥ : ١٧ - ١٩) وهذا ما يناسب عصر موسى ، ولا يناسب عصر يوشيا الملك.

ى- يذكر السفر شريعة مخلوع النعل (تث ٢٥ : ٩ ، ١٠) فيعرفها الشعب لأول مرة ، ثم تتكرر عملياً في سفر راعوث (را ٤ : ٧) فلو كان الكاتب أيام يوشيا الملك ما كان يذكر هذه الشريعة المتعارف عليها.

ك- قال موسى النبي للشعب " *متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك وإمتلكتها وسكنت فيها فإن قلت إجعل عليَّ ملكاً* .. " (تث ١٧ : ١٤ - ٢٠)

فواضـــح أن هذا يناسب عصر موسى حيث لم تكن الملوكية قد بدأت في إسرائيل ، ولا تناسب عصر يوشيا الملك .

ل- أوصـــى السـفر بإقامة مدن الملجأ عند دخول أرض كنعان (تث ١٩) فلو كتـب السـفر أيـام يوشيا لذكر مدن الملجأ على إنها حقيقة قائمة (راجع القمص تادرس يعقوب – تفسير سفر التثنية ص ٣١ ، ٣٢).

ثانياً : الأدلة الخارجية : ونذكر منها ما يلي

أ- لو إن كاتب سفر التثنية عاش في القرن السابع قبل الميلاد لأشار مثلاً إلى مضـايقات الأمم لشعب الله كما حدث في فترة حكم القضاة ، ولذكر إنقسام المملكة بعـد مـوت سليمان الملك ، وما كان يذكر مناطق ومدن كانت قد دمرت في القرن ١٣ ق.م مثل عاي وبيت ايل ولاخيش .

ب- عـندما قال الله ليشوع " *كن متشدداً وتشجع جداً لكي تتحفظ للعمل حسب كـل الشريعة التي أمرك بها موسى عبدي* " (يش ١ : ٧) كان يقصد بهذه الشريعة سـفر التثنـية " *فدعا موسى يشوع وقال له أمام أعين جميع إسرائيل تشدد وتشجع لأنك أنت تدخل مع هذا الشعب الأرض* .. " (تث ٣١ : ٧).

جـ - شـهادة السيد المسيح له المجد بأن موسى هو الذي كتب سفر التثنية ، فموسـى كتـب عـن كـتاب الطـلاق في هذا السفر (تث ٢٤ : ١) وعندما سأل الفريسـيـون السـيد المسيح عن إمكانية الطلاق " *فأجاب وقال لهم بماذا أوصاكم موسـى ؟ فقالوا موسى أذن أن يُكتب كتاب طلاق فتُطلّق* " (مر ١٠ : ٣ ، ٤) فهذه شـهادة دامغة أن موسى هو كاتب هذا السفر ، ومثلها ما كتبه موسى في هذا السفر عـن رجـم الزانية (تث ٢٢ : ٢٠ ، ٢١) وعندما أمسك الكتبة والفريسيون بالمرأة التـي أمسـكت في الزنى " *قالوا له يامعلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات*

الفعـل . وموســى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم " (يو ٨ : ٤ ، ٥) ولم يعـترض الـرب يسوع قائلاً أن موسى لم يوصي بهذا ، وعندما قال السيد المسيح للـيهود " *لـو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني* " (يو ٥ : ٤٦) كـان يشـير إلى ما كتبه موسى في سفر التثنية " *يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي* .. " (تث ١٨ : ١٥ ، ١٨).

د- شـهد الآباء الرسل بأن موسى هو كاتب سفر التثنية ، فما كتبه موسى عن السيد المسيح (تث ١٨ : ١٥ ، ١٨) قال عنه فيلبس لنثنائيل " *وجدنا الذي كتب عنه موسـى* " (يـو ١ : ٤٥) وأشار لما كتبه موسى بطرس الرسول أيضاً قائلاً " *فإن موسـى قال للآباء أن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون* " (أع ٣ : ٢٢) وكـان هذا إعتقاد إستفانوس رئيس الشمامسة عندما قال " *هذا هو موسى الـذي قـال لبني إسرائيل نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون* " (أع ٧ : ٣٧).

ومـثلها مـا كتـبه موسـى في هذا السفر " *هم أغاروني بما ليس إلهاً . أغاظوني بأباطيلهم . فأنا أغيرهم بما ليس شعباً . بأمة غبيى أغيظهم* " (تث ٣٢ : ٢١) فقـد شهد بولس الرسول بأن موسى هو الذي كتب هذا " *أولاً موسى يقول أنا أغيركم بما ليس أمة . بأمة غبية أغيظكم* " (رو ١٠ : ١٩) وأيضاً ما كتبه موسى النبي في سفر التثنية " *لا تكم الثور في دراسه* " (تث ٢٥ : ٤) شهد بولس الرسول بـأن موسـى هـو الذي كتبه فقال " *فإنه مكتوب في ناموس موسى لا تكم ثوراً دارساً* " (١كو ٩ : ٩) وهكذا ..

ويقـول أبونـا الحبيب القمـص تادرس يعقوب " إن كاتب أحد السفرين (التثنـية وأرميا) كان مُلماً بالسفر الآخر تماماً . توجد كلمات مشتركة بينهما لم ترد في أي سفر آخر من أسفار الكتاب المقدَّس ، وبعض العبارات مطابقة لبعضها البعض ، بل والفكر متشابه يحمل ذات النغمة . **بالمنطق الطبيعي كان أرميا النبي**

مُلمــاً إلمامــاً كاملاً بسفر التثنية ٠٠ فلا عجب إن إهتم أرميا به وإقتبس الكثير منه٠

لا يمكــن قبول أن كاتب السفرين هو واحد ، وإن أرميا هو الكاتب لسفر التثنية ، لأنه مع وجود عبارات مشتركة بينهما إلاَّ أنه يوجد أيضاً إختلاف في كثير من التعبيرات والألفاظ ، فهذا كل ما فعله أرميا أنه تأثر بالسفر وإقتبس منه ٠

لــو إن الكاتب هو أرميا ونسبه لموسى النبي لكان أرميا مخادعاً وغاشاً ، الأمــر الــذي لا يتناســب مع شخصيته الصريحة والقوية ، حيث وقت ضد الملك ورجالــه والقيادات الدينية وعائلته والشعب أحياناً ٠ مثل هذا الشخص الذي يتحدى الكل علانية بكل قوة لن يلجأ إلى الخداع والكذب " [1].

كمــا يقول القمص تادرس يعقوب أيضاً " حاولت المدرسة النقدية الهجوم على هذا السفر بعنف من جهة نسبته لموسى النبي ، إذ قيل أنه كتبه بعض المؤلفين المجهولين بعــد سنة ٦٠٠ ق٠م على الأقل ، وظهرت نظرية في مطلع هذا القرن (العشــرين) إدَّعــت أن نبــياً غير معروف صاغ مادة السفر قبل الإصلاح الذي جــرى فـــي أيام يوشيا عام ٦٢١ ق٠م (١ مل ٢٢ : ٢٣) وتفترض النظرية أن كتابة السفر كانت بقصد الإصلاح الديني عامة ، وبقصد تركيز العبادة في أورشليم خاصة ٠٠ وقد إفترض بعض العلماء العصريين أن السفر كُتب بعد السبي ، وقال الــبعض أنه كُتب في أواخر زمن حزقيا ، وقال آخرون أنه كُتب في عهد داود ٠ وكــل نظرية من هذه تهدم النظريات الأخرى ، والإتجاه اليوم ينحو نحو الإعتراف بأن موسى هو كاتب معظم أجزاء السفر " [2].

المصدر الكهنوتي Priestly Document (P) :

س١٨ : مــن هم النقاد الذين تخيلوا أن هناك مصدراً كهنوتياً للتوراة ؟ وما هي خصائص هذا المصدر بحسب تصوُرهم ؟

---

(١) تفسير سفر التثنية ص ١٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٩

ج : ألقـى " إدوارد ريـوس " E. Reuss فـي سـنة ١٨٣٣م محاضـرة فـي ستراوسبرج عن المصدر الكهنوتي ، وقال إن هذا المصدر ظهر بعد توقف ظهور الأنبـياء ، ولكـنه ظل لمدة ٤٦ عاماً لا يجرؤ أن يعلن رأيه هذا كتابة ، وفي سنة ١٨٧٩م كتـب ريـوس بحـثاً مطـولاً يثبت فيه الفترة التي كُتب فيها المصدر الكهنوتـي ، وكـان قد سبقه في هذا تلميذه " كارل جراف " الذي تبنى رأي أستاذه ريـوس وأضاف إليه أبحاثه الخاصة ، وحدَّد فترة كتابة هذا المصدر خلال الفترة مـن العودة من السبي وحتى بناء الهيكل الثاني ، وعندما سئل لو كان هذا المصدر كُتِب في هذه الفترة فكيف لا يشير للهيكل ؟ ولا أشار حتى إلى أمر يهوه لموسى ببـناء الهـيكل ، فإدعى جرافيك أن التوراة كثيراً ما تكلمت عن الهيكل ولكن ليس بإسـمه ولكن بإسم " المسكن " وإدعى أن المقصود بالمسكن هو الهيكل ، وصارت فكـرة المسـكن أنـه الهيكل حجر الزاوية في نظرية جراف ، وإدعى جراف أن المسكن لم يكن له وجود أيام موسى النبي ، ولكن كاتب المصدر الكهنوتي أراد أن يسـبغ على المسكن أو الهيكل صفة القدم والأصالة ، لذلك تكلم عنه وكأنه موجود مـنذ أيام موسى ، وأخذ فلهاوزن برأي جراف وإستاذه ريوس .. والحقيقة التي لا يسـتطيع أحـد أن يتغافلها أن هناك فرقاً بين المسكن وبين الهيكل ، فالمسكن كان ضـمن خـيمة الإجـتماع التي صنعها موسـى بحسب المثال الذي أُظهر له على الجـبل ، أمـا الهـيكل الأول فبناه سليمان الملك ، ورمَّمه بعد السبي زربابل بأمر الملك كورش ، وفي المسكن الأول كان هناك تابوت العهد أما في الهيكل الثاني فلم يذكـر الكـتاب أن تابوت العهد كان في الهيكل الثاني ، فبعد أحداث السبي إختفى الكلام عن تابوت العهد ، وجاء في سفر المكابيين أن أرميا أخفى تابوت العهد خوفاً عليه (٢مك ٢٥ : ٤ – ٧) .

وإفـترض فلهـاوزن وجـراف أن المصدر الكهنوتي هو أكبر المصادر ويسـاوي تقريـباً المصـادر الثلاث الأخرى اليهوي والألوهيمي والتثنوي ، وضم قصص الخلق ، والطوفان ، وإبراهيم ، ويعقوب ، والخروج من مصر ، ورحلات

بنـــي إســـرائيل ، والتشـــريعات التي تصل إلى ثلاثين إصحاحاً من أسفار الخروج والعـــدد وكـــل ســـفـــر اللاويين. (راجع من كتب التوراة ؟ ص ١٣٩ ، ١٤٩ – ١٥١).

وتساءل ريتشارد فريدمان عن الأسباب التي دعت كاتب المصدر الكهنوتي للكـــتابة ، وقال لأن هذا الكاتب شعر بأن المصدر اليهوي والألوهيمي قد حط من قـــدر هرون الأب الروحي للمؤلف الكهنوتي ، وإن المصدر اليهوي الألوهيمي لم يولي التشريعات الإهتمام الكافي ، ولم يعطِ الإهتمام الكافي لعمل الكهنوت ، وحدد فريدمـــان زمـــن كتابـــة المصدر الكهنوتي ما بين سنة ٧٢٢ ق.م ، ٦٠٩ ق.م (راجـــع من كتب التوراة ؟ ص ١٧٧ – ١٧٩) . كما يرى فريدمان أن القصص التي أوردها المصدر الكهنوتي خالية من الملائكة والحيوانات الناطقة (الشيطان) والأحـــلام ورؤى الأنبياء ، فالمعاملة مع الله تتم عن طريق الذبائح ، وعندما خالف أبـــناء هرون الطقس وقدما ناراً غريبة أمام الرب وبخوراً ماتا (لا ١٠ : ١ ، ٢) فـــلا تظهر رحمة الله ولا حنوه ولا مغفرته ، فمن يخطئ عليه أن يعلن ندمه أمام الكاهـــن وإلاَّ تعـــرض للعقوبة الشديدة ، وتبدأ قصة الخلق في هذا المصدر بخلقة الســـموات "*فـــي البدء خلق الله السموات والأرض*" (تك ١ : ١) ولا يضفي هذا المصـــدر الصفات البشرية على الإله كما نجدها في المصدر اليهوي الألوهيمي ، حيـــث نـــرى الله يسير في جنة عدن ، ويجهز ملابس لآدم وحواء ، ويغلق السفينة علـــى نـــوح ومـــن معه ، ويشتم رائحة الذبائح ، ويصارع يعقوب ، ويتحدث إلى موسى من خلال العليقة المشتعلة وتظهر رحمة الله وحنوه فهو "*إله رحيم ورؤوف بطـــئ الغضـــب وكثير الإحسان والوفاء . حافظ الإحسان إلى ألوف . غافر الأثم والمعصـــية والخطـــية*" (خر ٣٤ : ٦ ، ٧) وتبدأ قصة الخلق بخلقة الأرض "*يوم عمـــل الـــرب الإلـــه الأرض والسموات*" (تك ٢ : ٤) (راجع من كتب التوراة ؟ ص ١٦١ – ١٦٦).

ويقول الأب أنطون نجيب عن هذا المصدر " وقد كان أول مصدر تعرّف عليه العلماء ، بفضل وضوح معالمه وجلاء خصائصه . وقد أطلق العلماء في البداية على هذا المصدر إسم المصدر الإيلوهي لأنه يدعو الله تعالى باسم " إيلوهيم " وعندما تحققوا من أن الأجزاء التي تستعمل إسم إيلوهيم تنتمي إلى مصدرين مختلفين ، دعوا أحدهما المصدر الإيلوهي الأول ، والآخر المصدر الإيلوهي الثاني ، وأخيراً إتفقوا على تسمية الأول باسم المصدر الإيلوهي والثاني باسم المصدر الكهنوتي " (١).

ومن أهم خصائص هذا المصدر الكهنوتي بحسب تصوُّر أصحاب مدرسة النقد الأعلى ما يلي :

١- **الخصائص الأدبية** : يستخدم المصدر الكهنوتي كلمات معينة لا يستخدمها مصدر غيره ، مثل كلمة " المسكن " التي إستخدمها أكثر من مائة مرة ، وكلمة " عيدات " التي تدل على جماعة الشعب إستخدمها ١٢٠ مرة ، وإستخدم عبارة " أبناء إسرائيل " بدلاً من إسرائيل ، وفدان آرام موطن إبراهيم بدلاً من أرض الكلدانيين ، و " قرية أربع " بدلاً من حبرون ، وبعض الكلمات في المصدر الكهنوتي لها تحديد معين ، فكلمة " قربان " في المصدر الكهنوتي تشير إلى تقدمة المؤمن للهيكل ، و " تغطية " كيبير أي تغطية الخطايا وتشير إلى طقوس التكفير ، ويقولون عن الأسلوب الأدبي لهذا المصدر " وأسلوب المصدر الكهنوتي جاف ، يخلو من النضارة والحيوية ، فمن جهة نجده وجيزاً جداً في رواية الأحداث . ومن جهة أخرى يفيض بالتفاصيل الدقيقة ، والشروحات ، والمعلومات التاريخية ، ويكثر من الإحصاء ، ويعطي تعداداً تفصيلياً للأسباط ، والرؤساء ، وأساس العبادة إلى درجة تسبب الضيق والملل للقارئ المعاصر " (٢).

---

(١) رسالة صديق الكاهن يونيو ١٩٧٢م ص ٨٤

(٢) المرجع السابق ص ٨٦

كمـــا يقولـــون أن مؤلف هذا المصدر إستخدم قوائم المواليد " وقد إستطاع بهـــــذا الأسـلوب البـــارع أن يعطي موجزاً للتاريخ المقدس ، من آدم إلى موسى النبي " (١).

٢- **الخصائص التاريخية** : إهتم المؤلف بتاريخ الآباء منذ الرواية الثانية للخلقة وخـــلال نوح والآباء البطاركة وحتى موسى النبي ، وقسم التاريخ إلى أربع حقبات الأولـــى عصـــر الخلقة والثانية عصر نوح والثالث عصر إبراهيم والرابعة عصر موســـى ، وإن الله أقام عهداً إلهياً في كل حقبة من حقبات التاريخ الأربعة ، وتبدأ الحقـــبة الثانـــية بكارثة الطوفان التي أنهت حياة الخطاة وتجديد الأرض ، ولم ينجَ ســـوى المعـــبد القـــائم الذي حوى داخله نوح وأسرته والحيوانات والطيور ، وبعد إنـــتهاء الطوفـــان أعطى الله عهده لنوح وهو قوس قزح ، وكان هذا العهد عالمياً وشـــاملاً يمتد إلى جميع البشر وإلى كافة الشعوب والأمم ، ويعلن الله ذاته إنه هو إله جميع البشر .

وفي الحقبة الثالثة يختار الله إبراهيم ، ويقيم العهد الإلهي معه كأب للشعب المخـــتار ، وعلامة العهد هي الختان ، وفي الحقبة الرابعة يروي المؤلف الكهنوتي قصـــة الفصـــح والخروج من أرض مصر ويعطي مكانة ممتازة لهرون جد كهنة أورشـــليم ، وإن " هرون هو الذي تفاوض مع فرعون ، وألقى العصا أمام السحرة فتحولـــت إلـــى ثعـــبان (خر ٧ : ١ - ١٣) كما نجده يشترك مع موسى في إنزال الضـــربات على مصر " (٢) فعلامة العهد هي عصا هرون التي تمثل عائلة لاوي المسئولة عن خدمة المعبد والعبادة (عد ١٧ : ٢٣) .

٣- **الخصـــائص الدينية** : يذكر مؤلف المصدر الكهنوتي إسم " الله " أكثر من ٣٥٠ مرة في سفر اللاويين ويدقق المؤلف على سمو الله فيقول الأب أنطون نجيب

---

(١) رسالة صديق الكاهن يونيو ١٩٧٢م ص ٨٧
(٢) الأب أنطون نجيب - رسالة صديق الكاهن يونيو ١٩٧٢ ص ٩٠

في معرض حديثه عن هذا المصدر " يرفض تطبيق الأوصاف البشرية على أعمال الله وعلــى تدابــيره وتصــرفاته • وبعكس المصدرين اليهوي والإيلوهي ، تخلو الإعلانــات الإلهية من الظهورات الإلهية بطريقة حسية وسط عناصر الطبيعة ، أو بطــريقة باطنــية في الرؤى والأحلام • وتتم إعلانات الرب وأعماله كلها بواسطة كلمــته القديرة وحدها • فهي التي تعلن رغباته وتحقق إرادته ، ويكفي أن يصدر الأمر الإلهي ، لتنبعث الكائنات إلى الوجود " [1].

ولذلــك عــندما يذكر تغيّير إسم يعقوب إلى إسرائيل حين عودته من فدان آرام (تك ٣٥ : ٩ – ١٠) لا يذكر قصة صراع الله معه ، ويقولون أن الله في كل حقبة من التاريخ يعلــن عن إســم جديد له ، ففي بدء الخليقة كان إسمه المعروف " إيلوهيم " وهو إسم ينطبق على جميع الآلهة ، وفي عصر إبراهيم أعلن عن إسمه " إيــل شــداي • الإلــه القدير " (تك ١٧ : ١) وفي عصر موسى أعلن عن إسمه الخاص " يهوه " إله شعب العهد •

الإدعاءات بأن حزقيال النبي هو كاتب المصدر الكهنوتي :

س١٩ : مــا هــي الأدلة التي إستشهد بها النقاد في نسبة سفر اللاويين لحزقيال النبــي ؟ ومــا الدليل على بطلانها ؟ وما هي الأدلة الدامغة على نسبة هذا السفر لموسى النبي ؟

ج – من أهم هذه الأدلة التي أوردها أصحاب مدرسة النقد الأعلى ويستشهدون بها على نسبة سفر اللاويين لحزقيال النبي ما يلي :

١– قــالوا إن ســفر اللاويين ميز بين الكهنة واللاويين ، وإن هذا التميّيز لم يكن معروفاً إلاّ في زمن حزقيال النبي في القرن السادس قبل الميلاد •

---

(١) الأب أنطون نجيب – رسالة صديق الكاهن يونيو ١٩٧٢ ص ٩٤

تطبيق : التمييز بين الكهنة واللاويين كان معروفاً منذ أيام موسى النبي ، فالكهنوت كان قاصراً على هرون وبنيه ، فقال الرب " تُقدّم هرون وبنيه *إلى باب خيمة الإجتماع وتُغسلهم بماء . وتُلبس هرون الثياب المقدّسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لي . وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة . وتمسحهم كما مسحت أباهم ليكهنوا لي . ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتاً أبدياً في أجيالهم* " (خر ٤٠ : ١٢ - ١٥) أما اللاويين فقد وكلّ لهم موسى النبي خدمة المسكن ، فقال الرب لموسى " *وكّل اللاويين على مسكن الشهادة وعلى جميع أمتعته وعلى كل ما له . هم يحملون المسكن وكل أمتعته وهم يخدمون وحول المسكن ينزلون .. والأجنبي الذي يقترب يُقتل* " (عد ١ : ٥٠ ، ٥١) كما كان اللاويون يخدمون كهنة الرب " *وكلم الرب موسى قائلاً . قدّم سبط لاوي وأوقفهم قدام هرون الكاهن وليخدموه .. فتعطي اللاويين لهرون وبنيه . إنهم موهوبون له هبة من عند بني إسرائيل . وتُوكّل هرون وبنيه فيحرسون كهنوتهم والأجنبي الذي يقترب يُقتل* " (عد ٣ : ٥ - ١٠) و " *قورح من بصهار بن قهات بن لاوي* " (عد ١٦ : ١) كان من سبط لاوي ولكنه لم يكن من أبناء هرون فلم يكن له الكهنوت ، وعندما تجرأ وأراد أن يقوم بعمل الكهنوت ويقدم بخوراً للرب " *قال موسى لقورح إسمعوا يابني لاوي . أقليل عليكم أن إله إسرائيل أفرزكم من جماعة إسرائيل ليقربكم إليه لكي تعملوا خدمة مسكن الرب وتقفوا قدام الجماعة لخدمتها . فقرّبك وجميع أخوتك بني لاوي معك وتطلبون أيضاً كهنوتاً . إذن أنت وكل جماعتك متفقون على الرب . وأما هرون فما هو حتى تتذمروا عليه* " (عد ١٦ : ٨ - ١١) وجاءت النهاية " *خرجت نار من عند الرب وأكلت المئتين والخمسين رجلاً الذين قرّبوا البخور* " (خر ١٦ : ٣٥) إذاً إدعاء هؤلاء النقاد بأن التمييز بين الكهنة واللاويين لم يُعرف إلاَّ في زمن حزقيال هو إدعاء باطل كاذب ..

٢- قالوا أنه يوجد تشابه بين السفرين يتمثل في صفات وسلوكيات الكهنة التي وردت في سفر اللاويين وسفر حزقيال ، مثل عدم شرب الخمر والمسكر

والتميّز بين النجس والطاهر ، فجاء في سفر اللاويين " *وكلم الرب هرون قائلاً • خمــراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الإجتماع لكي لا تموتــوا • فرضــاً دهــرياً في أجيالكم وللتمييز بين المقدّس والمحلّل وبين النجس والطاهــر* " (لا ١٠ : ٨ – ١٠) وأوصى بعدم تنجس الكهنة بالموتى " *وقال الرب لموســى كلّم الكهنة بني هرون وقل لهم لا يتنجس أحد منكم لميت في قومه • إلاّ لأقربائه الأقرب إليه أمه وأبيه وابنه وابنته وأخيه ولأخته العذراء* •• " (لا ٢١ : ١ – ٣) وأوصــى بالإمتناع عن أكل لحوم الحيوانات أو الطيور الميتة " *وكلّم الرب موسى قائلاً • كلّم هرون وبنيه • ميتة أو فريسةً لا يأكل فيتنجس بها • أنا الرب* " (لا ٢٢ : ١ – ٨) وهــذه الأمور وردت في سفر حزقيال النبي " *ولا يشرب كاهن خمراً* عند دخوله *إلى الدار الداخلية •• ويرون شعبي التّمييز بين المقدّس والمحلّل ويعلّمونهــم التميّيز بين النجس والطاهر •• ولا يدنوا إنسانٍ من ميت فيتنجسوا • أمّــا لأبٍ أو أمٍ أو ابنٍ أو ابنةٍ أو أخٍ أو أختٍ لم تكن لرجل يتنجسون* " (حز ٤٤ : ٢١ – ٢٥)•

ويقول الأب أنطون نجيب في معرض حديثه عن التوراة في الفكر الحديث " يجــد العلمــاء في الوقائع السابقة دليلاً كافياً على أن كتاب اللاويين وباقي أجزاء المصــدر الكهنوتي (P) تنتمي إلى المدرسة الكهنوتية • وقد كان حزقيال النبي أكــبر مــن قام بإحياء هذه المدرسة • وبالتالي يرجع المصدر الكهنوتي إلى زمن الأسر البابلي (٥٨٦ – ٥٣٨ ق•م) أو إلى الزمن التابع له مباشرة "[١]•

تعلــيق : كان حزقيال النبي يتنبأ عن عودة الشعب من السبي ، وعودة الحياة إلى هيكل أورشليم ، فكان يتمنى أن يسلك الكهنة في وصايا الله ، ولذلك إقتبس من سفر اللاويــن صــفات الكاهن ، وليس معنى إقتباس حزقيال من سفر اللاويين أنه هو الذي كتب سفر اللاويين منتحلاً شخصية موسى ، تماماً كما رأينا بالنسبة للرد على

---

[١] رسالة صديق الكاهن – سبتمبر ١٩٧١م ص ٤١

القائليـــن بأن أرميا النبي إنتحل شخصية موسى النبي وكتب سفر التثنية ، فالرجاء الـــرجوع إلى تعليقنا في هذا الشأن ، ولو أخذنا بهذا المنطق المريض فهل نقول أن السيد المسيح والآباء الرسل الذين إقتبسوا من التوراة والمزامير هم الذين كتبوا هذه الأسفار ؟!!

والذيـــن قالوا أن هناك تشابهاً بين سفري اللاويين وحزقيال ، لماذا لم يبحثوا عـــن أوجـــه التشابه العديدة بين سفر اللاويين وبقية أسفار التوراة ونذكر هنا أمثلة قليلة من كثيرة :

أ- كـــلام الرب إلى موسى في خيمة الإجتماع (لا ١ : ١ = عد ٧ : ٨٩ ، ١٢ : ٤ ، ٥).

ب- تقديم التقدمات من فطير وليس من خبز مختمر (لا ٢ : ١١ = خر ٢٣ : ١٨ ، ٣٤ : ٢٥).

جـــ- التعويض عن الشئ المسلوب (لا ٦ : ٤ - ٦ = عد ٥ : ٧ ، ٨).

د - نصيب الكهنة من الذبائح (لا ٧ : ٣١ = تث ١٨ : ٣).

هـــ- إرتداء هرون الكاهن للصدرة (لا ٨ : ٨ = خر ٢٨ : ٢٩).

و - شريعة الختان (لا ١٢ : ٣ = تك ١٧ : ١٢).

ز - النهي عن أكل الدم (لا ١٧ : ١٠ = تث ١٢ : ١٦).

ح- النهي عن الجور في القضاء (لا ١٩ : ١٥ = خر ٢٣ : ٢ ، ٣).

ط- النهي عن أكل الغرباء في الأقداس (لا ٢٢ : ١٠ = خر ٢٩ : ٣٣).

ى- الحـــث على تقديم زيت الزيتون (لا ٢٤ : ١ ، ٢ = خر ٢٧ : ٢٠) .. إلخ.

(راجع نجيب جرجس - تفسير سفر اللاويين ص ٩ ، ١٠).

أما الأدلة على كتابة موسى لسفر اللاويين فهي أكيدة وتمثل :

أدلة داخلية : أ- أوضح السفر إن كاتبه هو موسى النبي وليس حزقيال النبي ولا شخصاً آخر ، فبعد أن تحدث موسى عن شريعة الذبائح في السبع إصحاحات الأولى يقول موسى النبي " *تلك شريعة المحرقة والتقدمة ونبيحة الخطية ونبيحة الإثم ونبيحة الملء ونبيحة السلامة • التي أمر الرب بها موسى في جبل سيناء يوم أمره بني إسرائيل بتقريب قرابينهم للرب في برية سيناء* " (لا ٧ : ٣٧ ، ٣٨) وبعد الحديث المستفيض عن الأحكام والشرائع يقول " *هذه هي الفرائض والأحكام والشرائع التي وضعها الرب بينه وبين بني إسرائيل في جبل سيناء بيد موسى* " (لا ٢٦ : ٤٦) وبعد الوصايا التي وردت في السفر قال موسى النبي " *وهذه الوصايا التي أوصى الرب بها موسى إلى بني إسرائيل في جبل سيناء* " (لا ٢٧ : ٣٤)•

ب- وردت عبارة " *كلم الرب موسى قائلاً* " في سفر *اللاويين* مراراً وتكراراً (لا ٤ : ١ ، ٥ : ١٤ ، ٦ : ١ ، ٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٧ : ٢٢ ، ٢٨ ، ١٢ : ١ ، ١٤ : ١ ، ٣٣ ، ١٧ : ١ ، ١٨ : ١ ، ١٩ : ١ ، ٢٠ : ١ ، ٢٢ : ١ ، ٢٣ : ١ ، ٢٤ : ١ ، ٢٧ : ١) ••• إلخ لقد تكررت هي ومثيلاتها أكثر من ثلاثين مرة•

جـ - كُتب السفر بينما كانت خيمة الإجتماع قائمة ، والهيكل لم يبنى بعد " *ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الإجتماع* " (لا ١ : ١) وحزقيال النبي لم يرَ خيمة الإجتماع هذه ، وكُتب السفر في جبل سيناء المكان الذي لم يره حزقيال " *وكلم الرب موسى في جبل سيناء قائلاً* " (لا ٢٥ : ١) وكُتب السفر في بداية الشهر الأول من السنة الثانية للخروج من أرض مصر (خر ٤٠ : ١٧) وقبل مغادرة جبل سيناء في بداية الشهر الثاني من السنة الثانية للخروج من أرض مصر (عد ١ : ١) قبل ولادة حزقيال بنحو ثمانية قرون ، وكُتب السفر بينما كان هرون مازال على قيد الحياة " *وفي اليوم الثامن دعا موسى هرون وبنيه وشيوخ إسرائيل*

وقـال لهـرون " (لا ٩ : ١ ، ٢) وورد إسم هرون في السفر مرات عديدة ، وبين هـرون وحزقيال مئات السنين ، وكُتب هذا السفر قبل دخول أرض كنعان " *ومتى دخلتم الأرض* " (لا ١٩ : ٢٣) .. " *متى جئتم إلى الأرض* " (لا ٢٣ : ١٠) .. " *متى أتيتم إلى الأرض* " (لا ٢٥ : ٢) فلو كان حزقيال هو كاتب السفر في أرض الموعـد فكيف يشير للأحداث وكأن الله لم يحقق وعده بعد ؟! وكأن الشعب مازال مـتغرباً في برية سيناء ؟! وكيف يكتب السفر ولا يشير مطلقاً بأي إشارة إلى سبي بابل ، ولا إلى الهيكل المتهدم ؟! .

د- بدأ السفر بحرف العطف " *ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الإجتماع قائلاً* " (لا ١ : ١) عطفاً على آخر ما جاء في سفر الخروج.

و- أسلوب سفر اللاويين هو أسلوب بقية أسفار التوراة الخمسة.

ادلة خارجية : أ - عـندما تقـدم رجل أبرص إلى السيد المسيح ليشفه قائلاً " إن أردت تقدر أن تطهرني . فمد يسوع يده ولمسه قائلاً أريد فأطهر . وللوقت طُهر برصـه . فقال له يسوع أنظر أن لا تقول لأحد . بل إذهب أرِ نفسك للكاهن وقدم القـربان الـذي أمـر بـه موسى شهادة لهم " (مت ٨ : ٢ - ٤) وشريعة تطهير الأبـرص وردت فـي سفر اللاويين ، فكون السيد المسيح ذاته يقول " كما أمر به موسـى " فهذه شهادة دامغة أن موسى هو كاتب هذا السفر ، ولا يصح بعد هذا أن إنسـاناً يدعو نفسه مسيحياً ويؤمن بكلام السيد المسيح ويشكك في كتابة موسى لهذا السـفـر ، أو نسـبة الـتوراة لموسى النبي .. ألا ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الشيطان ؟!

ب- قـال بولـس الرسـول " *لأن موسى يكتب في البرّ الذي بالناموس أن الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها* " (رو ١٠ : ٥) .. فأين كتب موسى هذا ؟ .. لقد كتبه في سفر اللاويين كقول الرب له " *أحكامي تعملون وفرائضي تحفظون لتسلكوا*

فـيها • أنا الرب إلهكم • فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها • أنا الرب " (لا ١٨ : ٤)•

جـ- أجمع علمـاء اليهود والمسيحيين ، وآباء الكنيسة ، والتقليد اليهودي والتقليد المسيحي ، أن كاتب سفر اللاويين هو موسى النبي •

نظرية يوليوس فلهاوزن (١٨٤٤ - ١٩١٨م) :

س٢٠ : ما هي نظرية فلهاوزن ؟ وكيف رتب المصادر الأربعة تاريخياً ؟

ج - فـي سـنة ١٨٧٨ م حدثت طفرة جديدة في تاريخ الدراسة النقدية ، لأنه في هـذا العـام ظهـر كتاب " فلهاوزن " J. Wellhausen " المقدمة النقدية لتاريخ إسـرائيل " Prolegomena to the history of Israel حيـث وضـع نظريته علـى أسـس تاريخـية أكثر من إعتماده على التحليل الأدبي ، فحدَّد " فلهاوزن " تاريخ **المصدر اليهودي** J (بسنة ٩٥٠ -٨٥٠ ق•م) ، وقـال أن الذي وضعه مؤلـف يهـودي مـن مملكـة يهوذا بقصد تمجيد ملك داود وتعظيم مكانة القدس وكهـنوت هـارون وضـرورة مركزية العبادة في أورشليم • وفيه يتكلم يهوه مع الـناس مباشـرة ، فيهوه شخصية واضحة جداً في هذا المصدر ، وخلع المصـدر الصـفات البشرية علـى يهوه ، فهو يأخذ صورة إنسان ويمشي ويتكلم مع الناس ويـأكل معهـم (تك ١٨ : ٨) كما تحدث هذا المصدر عن الآباء بإستفاضة كما رأينا من قبل •

كما حدَّد فلهاوزن **المصدر الأيلوهي** E بسنة (٨٥٠ - ٧٥٠ ق • م) ، وقـال أنـه وضـعه مؤلف ايلوهي أو أكثر من شخص في مملكة السامرة بقصد إظهار إمكانية العبادة في أي مكان (كما قالت المرأة السامرية للسيد المسيح آباؤنا سـجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجَد فـيه) وقال فلهاوزن أن المصدر الألوهيمي أظهر إيلوهيم الذي يتعامل مع الناس

عــن طريق الروى أو طريق الملائكة فقد استجاب لإيليا من خلال إرسال نار من السماء ، ويلتمس المصدر الأعذار لضعفات الآباء.

وحــدَّد " فلهاوزن " أيضاً **المصدر التثنوي D** بسنة ٦٢٣ ق.م في عصر يوشــيا الملك ، وذلك للتشابه الكبير بين مصطلحات يوشيا وكلمات سفر التثنية (٢ مل ٢٣ : ٤ – ٦ ، تث ١٢ : ١ – ٧) " *وأمر الملك حلقيا الكاهن العظيم وكهنة الفــرقة الثانــية وحُراس الباب أن يُخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل أجناد السماء وأحرقها خارج أورشليم في حقول قدرون وحمل رمادهــا إلى بيت إيل. ولاشئ كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقدوا على المــرتفعات في مدن يهوذا وما يُحيط بأورشليم والذين يوقدون للبعل للشمس والقمر والمــنازل ولكل أجناد السماء . وأخرج السارية من بيت الرب خارج أورشليم إلى وادي قــدرون وأحرقها في وادي قدرون ودقَّها إلى أن صارت غباراً وذرى الغبار علــى قبور عامة الشعب* (٢ مل ٢٣ : ٤ – ٦) .. " *هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرب أبائك لتمتلكها كل الأيام التي تحــيون على الأرض . تُخربون جميع الأماكن من حيث عبدت الأمم التي ترثونها ألهــتها علــى الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء . وتهدمون مذابحهــم وتكســرون أنصــابهم وتحرقون سواريهم بالنار وتقطعون تماثيل آلهتهم وتمحــون أســمهم من ذلك المكان* " (تث ١ : ١ – ٣) ويُظهر المصدر إهتمام الله بمحــبة إســرائيل ، ووعوده بالبركة لمن يسلك بأمانة ، والتهديد باللعنة للمخالف ، وقال أنه أُضيف إلى هــذا المصــدر أسفــار يشــوع والقضــاة وصموئيل .

وحــدَّد " فلهــاوزن " **المصــدر الكهنوتي P** بسنة (٥٠٠ – ٤٥٠ ق.م) وإدعى أن ذبيحة الخطية والإثم التي ذكرهما المصدر الكهنوتي لم يعرفهما الشعب لا أيــام موسى ولا بعد موسى ، إنما ظهرت الحاجة إليهما بعد الكوارث التي حلت بالشعب بعد سبي بابل { ورد على فلهاوزن فيما بعد ريتشارد فريدمان الذي قال أن

المذنـــب يشـــعر بالذنـــب في أي لحظة من التاريخ ، وفي سنة ٧٢٢ ق٠م عندما سـقطت مملكة إسرائيل كانت مدعاة للإحساس بالذنب ، ولذلك إختلف فريدمان مع فلهـاوزن فـــي تحديد تاريخ المصدر الكهنوتي (من كتب التوراة ؟ ص ١٤٦) } وقـــال فلهاوزن أن المصدر الكهنوتي كُتِب بمعرفة حزقيال النبي خلال فترة السبي البابلـــي ، وكـــان حزقيال كاهناً من أبناء هارون ، وقال فلهاوزن أن هناك تشابهاً كبـــيراً بيـــن المصـــدر الكهنوتي وبين ما جاء في سفر حزقيال ، وإهتمام المصدر الكهنوتـــي بأبـــناء هـــارون يتـــناغم مع ما جاء في رؤيا حزقيال بأن الكهنة أولاد صادوق إبن هارون هم فقط الذين سيخدمون في الهيكل " *أما الكهنة اللاويون أبناء صادوق الذي حرسوا حراسة مقدسي حين ضلَّ عني بنو إسرائيل فهم يتقدمون إليَّ ليخدمونـــي ويقفون أمامي ليُقرِّبوا لي الشحم والدم يقول السيد الرب ٠ هم يدخلون مقدسي ويتقدمون إلى مائدتي ليخدموني ويحرسوا حراسي* " (حز ٤٤ : ١٥ ، ١٦) كـــا قال فلهاوزن إننا في المصدر الكهنوتي نجد الله الجليل المتباعد عن الإنسان ، ومع هذا فإنه يخطط مجرى الأحداث ويهتم المصدر بتسلسل الأنساب وأصل الآباء والعـــبـــادة الطقسية ، ويمثل هذا المصدر الجزء الأخير من سفر الخروج (٢٥ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٠) وســـفر اللاويين بالكامل والجزء الأكبر من سفر العدد بالإضافة إلى ماورد من عبارات طقسية في سفري القضاه وصموئيل الأول ٠

وإدعـــى فلهـــاوزن أنـــه في سنة ٤٠٠ ق٠م أُدمجت كل هذه المصادر السابقة ، غالباً تحت رعاية عزرا الكاتب ، لكي تأخذ شكل التوراة الحالية ، وربط فلهـــاوزن بيـــن المصادر الأربعة وتاريخ إسرائيل الديني بشكل يبدو مقنعاً ، حتى أســـتحوذ علـــى فكـــر علماء العهد القديم في الغرب لمدة طويلة ويمتدح ريتشارد فريدمان اليوت عزرا الكاتب لأنه جمع المصادر بهذه الكفاءة في كتاب واحد فيقول " حظى عزرا ، دون الآخرين الذين أسهموا في كتابة أسفار التوراة الخمسة ، بمجد أكـــثر مـــنهم ٠ إن التقدير يحصل عليه المؤلفون للقصص والتشريعات بشكل عام

وليس محرّرها ، لكن هذا لا ينطبق على حالتنا هذه ، فقد كان المُحرّر هنا فنان في عملــه مثل مؤلف المصادر وكان إسهامه لا يقل عن إسهامهم ، وكان دوره إنتاجي أيضاً فكان الأمر يتطلب منه الحكمة في كل خطوة يخطوها وإحساساً أدبياً وموهبة فنــية لا تقل عن موهبة كتابة القصص ، وفي النهاية ذلك هو المُحرّر الذي أخرج المؤلَّــف الــذي تقــرأه مــنذ آلاف السنين ، فقد وضع الصورة النهائية للقصص والتشريعات التي أثرت بشكل كبير على الملايين في أنحاء العالم " [١]

وقد كتب فيلهاوزن مقالة " إسرائيل " في الموسوعة البريطانية ، كما كتب " الأســفار الستة " في الموسوعة الكتابية وبعد أن كان فلهاوزن يعمل في التدريس الدينــي فــي " جريفســفيلد " قدم إستقالته لأنه شعر أن آراءه هذه تؤثر على طلبته الذيــن تعدّهم الكلية للقيام بأعمال الرعاية والتبشير ، وجاء في إستقالة " لقد إخترتُ أن أكــون عالمــاً للاهوت لأنني إهتممت بالرؤية العلمية للعهد القديم ، وإتضح لي تدريجــياً أنــه على أستاذ علم اللاهوت أن يعدّ تلاميذه لخدمة الكنيسة التبشيرية ، وعلــى ما يبدو أنني لا أقوم بهذا العمل كما ينبغي لكن على العكس • وعلى الرغم مــن تحفظاتي إلاّ أنني أُضعِف مــن قــدرة تلاميــذي كــي يستحقــوا وظيفتهم " (R. J Thompson, moses and the Law in a century of criticism since graf, PP 42 F) [٢]

ويعتــبر فلهــاوزن مع جراف أكثر من أسهما في تثبيت نظرية المصادر الأربعــة التــي ســادت لوقت طويل ، وما يزال بعض النقاد في العصر الحديث يتمسكون بها •

ومع هذا فإنه بإزدياد الدراسة والمعرفة أتضح ما في نظرية فيلهاوزن من نقاط الضعف ، فرداً على التشابه بين سفري أرميا وحزقيال مع التوراة يليق بنا أن

---

(١) من كتب التوراة ؟ ص ١٩٨

(٢) أورده ريتشارد البوت فريدمان في كتابه من كتب التوراة ؟ ص ١٤٢

نذكر أن كل من النبيين قد إقتبس من التوراة التي كُتبت قبل ولادته بمئات السنين ، فمــثلاً مــا جــاء في سفر أرميا " *نظرت إلى الأرض وإذ هي خربة وخالية وإلى السموات فلا نور لها* " (أر ٤ : ٢٣) مقتبسة من (تك ١ : ١ – ٣) وقوله " *ويكون أن تكــثرون وتــثمرون في الأرض في تلك الأيام يقول الرب أنهم لا يقولون بعد تــابوت عهد الرب ولا يخطر على بال ولا يذكرونه ولا يتعهدونه ولا يُصنع بعد* " (أر ٣ : ١٦) فعبارة " تكثرون وتثمرون " مقتبسة من (تك ١ : ٢٢ ، ٢٨ ، ١٧ : ٢٠ ، ٢٨ : ٣ ، ٤٧ : ٢٧ ، ٤٨ : ٤) وقولــه عــن " تابوت العهد " مقتبس من (خــر ٢٥ : ١٠ – ٢٢) وقول حزقيال النبي " *لأجل ذلك هكذا قال السيد الرب ٠ مــن أجل أنكم ضجتم أكثر من الأمم التي حواليكم ولم تسلكوا في فرائضي ٠ ولم تعملــوا حسب أحكامي* " (حز ٥ : ٧) مقتبس من " *إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصــاياي وعملتم بها ٠٠* " (لا ٢٥ : ٣) وقول حزقيال النبي " *وإذا أرسلت عليكم الجــوع والوحوش الرديئة فتثكلك ٠٠* " (حز ٥ : ٢٧) مقتبس من اللاويين " *أُطلق عليكم وحوش البرية فتعدمكم الأولاد وتقرض بهائمكم* " (لا ٢٦ : ٢٢) وقوله أيضاً " *لمــا أتيت بهم إلى الأرض التي رفعت لهم يدي لأعطيهم اياها ٠٠* " (حز ٢٠ : ٢٨) مقتــبس من سفر الخروج " *وأُدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهــيم وإسحق ويعقوب ٠ وأعطيكم اياها ميراثاً ٠ أنا الرب* " (خر ٦ : ٨) بل ويعــترف ريتشارد فريدمان الذي ينكر نسبة التوراة لموسى النبي فيقول " يبدو أن المصــدر الــذي أعــتمد علــيه حزقيال في قصة الخروج من مصر هو المصدر الكهنوتي لكن حدد الباحثون منذ ريوس وجراف وفلهاوزن أن المصدر الكهنوتي قد كتــب بعــد حزقــيال ٠٠ ومن المنطقي أكثر أن النبــي إقتبس من التوراة وليس العكــس ، ومن الطبيعي أن يقتبس حزقيال من التوراة ، وأن ترتكز القصة الجديدة مــع القصة الأصلية وليس العكس ٠٠ إني أؤمن بأن الأساليب الجديدة في التحليل اللغــوي تضــع اليوم نهاية للجدال في هذا الموضوع ٠ ففي عام ١٩٨٢ م أوضح

البروفســور " أفي هورbيتس " من الجامعة العبرية بالقدس أن المصدر الكهنوتي قد تمت كتابته في مرحلة سابقة جداً لحزقيال " [١].

كما قال ريتشارد أيضاً " إضافة إلى رؤية " هورbيتس " إكتشف خمسة من الباحثيــن في السنوات الأخيرة ، إثنان من كندا وثلاثة من الولايات المتحدة شواهد لغوية تثبت أن معظم المصدر الكهنوتي قد كتب بعبرية العهد القديم الخاصة بالأيام التي سبقت سبي بابل "

(Jacab Milgrom, Ropert Polizin, Gary Rendsburg, Ziony Zevit, and A. R. Gueniher) [٢]

وأكــد ريتشــارد فــريدمان على هذا قائلاً " إن إدعاء ريوس بأن شريعة المصدر الكهنوتي قد جاءت بعد الأنبياء هو ببساطة إدعاء خاطئ " [٣].

وقــد ظلت فكرة تعدد المصادر التي اعتمد عليها موسى في كتابة التوراة في إضطراد حتى وصلت إلى ستة مصادر هي :

١- النسخة اليهوية Yahwistic ويُرمَز لها بالحرف J.

٢- النسخة الألوهيمية Ehohist ويُرمَز لها بالحرف E.

٣- النسخة الكهنوتية Priestly ويُرمَز لها بالحرف P .

٤- النسخة التثنوية Deuteronomy ويُرمَز لها بالحرف D .

٥- النســخة الســامريــة وهــــي نــتاج النسختين اليهوية والأيلوهية ويُرمَز لها بالحرفين JE .

٦- النســخة القدســيــة Holines كُتبــت فـــي زمن حزقيال النبي ويُرمَز لها بالحرف H .

وعندما مزجت هذه النسخ جميعها ظهرت بصورتها الحالية .

---

(١) من كتب التوراة ؟ ص ١٤٥

(٢) المرجع السابق ص ١٤٥

(٣) المرجع السابق ص ١٤

(Rene Pache; In the Jnspiration and Authority Scripture P 251) (١)

ووصل تشريح الكتاب المقدس بسبب نظرية المصادر إلى حد اللامعقول ، فمثلاً كان من الممكن أن ينسبوا أية واحدة إلى مصدرين أو أكثر إذا اعتقدوا أن كل جزء من الآيـة له خواصه اللاهوتية واللغوية المختلفة من الجزء الآخر ، وأحياناً يشـطرون القصة الواحدة الفريدة ويعيدون تركيبها من جديد ، وإذا وجدوا قصتين متشابهتين في مكانين مختلفين قالوا إن القصة واحدة ولكن المصدر مختلف ٠ كما إن آراء هؤلاء النقاد قد تباينت واختلفت ، فالجزء أو القسم الذي كان ينسبه البعض إلـى مصـدر معيـن ، كـان ينسبه الآخرن إلى مصادر أخرى ، وهذا ما فضح مزاعمهم الفاسدة٠

وتمـادت مدرسـة الـنقد الأعلى في أفكارها الهدامة ، فاعتبرت الكتاب المقـدس عبارة عن مجموعة أساطير بالإضافة إلى بعض الأجزاء التاريخية التي أعـيد صـياغتها بواسطة كتّاب آخرين ، طبقاً للإعتبارات السياسية والعقائد الدينية السائدة في عصرهم ، ولنا عودة في هذا الموضوع٠

خامساً : النقد التقليدي التاريخي The Tradits Historical Giticism :

س٢١ : مـتى ظهـرت نظرية النقد التقليدي التاريخي ؟ وما هي نظرتها لنسبة التوراة لموسى النبي ؟

ج : ظهـر هـذا النقد التقليدي مع بداية القرن العشرين ، ونادى بضرورة العودة للفكـر التقلـيدي الأصيل ٠ أي إن موسى النبي هو كاتب التوراة ، ومن رواد هذه المدرسة " اينجيل " Engell سنة ١٩٤٥م الذي نادى بأنه لا يوجد أي أثر للوثائق التي افترض السابقون إن كاتب التوراة إعتمد عليها٠

---

(١) أورده يوسف رياض في كتابه وحي الكتاب المقدس ص ١٢٨ ، ١٢٩

س٢٢ : هل يمكن قبول نظرية المصادر ؟

ج : لا يمكن قبول نظرية المصادر لأسباب عديدة نذكر منها :

١- يتجاهل أصحاب نظرية المصادر النصوص الواضحة والصريحة التي وردت في الأسفار المقدسة والتي تنسب السفر إلى كاتبه ، ويدَّعون أننا عرفنا كتبة الأسفار من التقاليد المتوارثة ، وراحوا يُشكّكون في هذا التقليد ، ويخلطون بين التقليد وبين النصوص الكتابية ، وبين الأسانيد التاريخية ، وفات عليهم أن التقليد هو ما تسلمته الكنيسة شفاهة من الآباء الرسل أو الآباء الرسوليين أي الجيل الثاني بعد الآباء الرسل ، وهل يُعقل أن نهمل نصوصاً كتابية واضحة تنسب الأسفار إلى كُتَّابها ونأخذ بآراء أصحاب مدرسة النقد الأعلى ؟! وعلى كلٍ فلنا عودة لهذا الموضوع في الفصل التاسع.

٢- إعتمد أصحاب نظرية المصادر على الإفتراضات والإحتمالات والتخمينات حتى صار أسلوب الدراسة في هذا المجال هو أسلوب التخمين ، فيقول ريتشارد فريدمان " تحول بحث العهد القديم إلى مجال عملي مقبول ، عندما نجح الخلط فيه بين الدراسة التاريخية للنص وبين الدراسة الأدبية له ، واصبح هذا النموذج الذي يدرس التوفيق بين مصادر النصوص المختلفة (تخمين المصادر) الأسلوب السائد في حقل البحث منذ ذلك الحين وحتى الآن "[1] وإقتنع " وليام روبرتسون سميث " أستاذ دراسات العهد القديم في كلية الكنيسة الحرة بابردين اسكتلندا في القرن التاسع عشر ، بنظرية تخمين المصادر ، وكتب عدة مقالات في عشرين عاماً ، ودُعي بالأسقف الشرير .. فقد كان كل واحد من النقاد يسجل أفكاره الخاطئة وتصوُّراته دون محاولة إثباتها بالأدلة الواقعية ، وبدون دراسة موضوعية جادة ، ولهذا نلاحظ التخبط الشديد والإختلاف البيّن بين هؤلاء الأشخاص ، فعلى سبيل المثال نجد الآتي :

---

(١) من كتب التوراة ؟ ص ٢٤

أ- تومـــاس هوبـــز Thomas Hobbes ســنة ١٦٥١م وسبينوزا Benedict Spinoza ســنة ١٦٧٠م أنكرا نسبة التوراة لموسى النبي ، وقالا أن الأسفار من التكوين وحتى الملوك هي من وضع عزرا الكاتب.

ب-ريتشـــارد سيمون Richarad Simon سنة ١٦٧٨م إدَّعـــى أن التوراة كتبها إنسان آخر غير موسى ، ولكنه أستعان بالمذكرات التي دونها موسى.

ج- الطبيـــب الفرنســـي جان أستروك Jaen Istruc سنة ١٧٥٣م قال أن موسى كتب التوراة مستعيناً بمصدرين سابقين ولذلك إستخدم أسمين للفظ الجلالة هما " إيلوهيم " و " يهوه ".

د- إيخهورن Eichorn سنة ١٧٨٠م قال بأن هناك نوعان من الأفكار والأساليب فـــي كتابة سفري التكوين والخروج مما يُغلِب بأن موسى أخذ من مصدرين ، ثم جاء شخص آخر فأعاد صياغة النص الذي كتبه موسى.

هـ -جيدس Geddes سنة ١٧٩٢م قـــال أن الكتاب المقدّس وصل إلينا كأجزاء مـــتفرقـــة ، وأن الـــتوراة كُتِبـــت في أرض كنعان وأورشليم في زمن الملك سليمان ، دون أن يُحدّد كتّاب هذه الأسفار ولا كيفية جمعها ولا زمن كتابتها ، ولا زمن جمعها.

و- فاتـــير Vater ســـنة ١٨٠٥م وهارتيمان Hartman سنة ١٨٣١م توسعا في نظرية المصادر حتى وصلا إلى ثلاثين مصدر إعتمد عليها كاتب التوراة.

ز- إيولـــد H. G. Ewold وضـــع نظرية التكميل بسنة ١٨٣٨م حيث أفترض أن موســـى لـــم يكتـــب التوراة إنما كتبها شخص معتمداً على عدّة وثائق لاحقة لموسى النبي ، وعاد في سنة ١٨٥٥م وهدم نظريته هذه ، وأقرّ أن موسى هو الذي كتب التوراة معتمداً على المصدر الإيلوهيمي والمصدر اليهوي.

ح- ريم E. Riehm سنة ١٨٥٤م أضاف المصدر التثنوي وأرجع تاريخه إلى ما قبل سنة ٦٢١ق.م بقليل.

ط- ريـــوس E. Reuss ســـنة ١٨٥٤م أضاف المصدر الكهنوتي للمصادر التي اعتمد عليها موسى في كتابة التوراة٠

ى- فلهـــاوزن J . Wellhausen ســـنة ١٨٧٨م حدَّد تواريخ المصادر الأربعة ، فحـــدَّد تاريخ المصدر اليهوي بسنة ٩٥٠ - ٨٥٠ ق٠م وقال أنه كتبه شخص مـــن مملكة يهوذا ، وحدَّد المصدر الإيلوهيمي بسنة ٨٥٠ - ٧٥٠ ق٠م وقال أنه كتبه شخص من السامرة ، وحدَّد تاريخ المصدر التثنوي بسنة ٦٢٣ ق٠م فـــي عصـــر يوشيا الملك ، وقال أن هذا المصدر أضيف إليه يشوع والقضاة وصموئيل ، وحدَّد المصدر الكهنوتي بسنة ٥٠٠ - ٤٥٠ ق٠م وقال أنه كُتب بواسطة حزقيال النبي ، ثم ادَّعى أن كل هذه المصادر أدمجت سنة ٤٠٠ ق٠م لتأخذ شكل التوراة الحالية٠

وفـــي فقـــرة صغيـــرة يذكـــر "ريتشارد فريدمان " ثلاثة آراء متعارضة فيقول، " وفي القرن الثامن عشـــر توصـــل ثلاثـــة باحثين إلى إستنتاج مماثل (للفصـــل بين المصـــدر اليهـــوي والألوهيمي) يقـــوم علـــى هذا الأسلوب وهـــم قـــس ألمانـــي " هــــ ٠ ب ٠ فيتر " وطبيب فرنسي " جان استروك " وبروفيســـور ألمانـــي " ى٠ ج أيخهورن " في البداية ظهرت فكرة أن إحدى روايتـــي قصص سفر التكوين هي صيغة قديمة إستخدمها موسى مصدراً له ، والـــرواية الثانـــية هو لموسى نفسه والتي يصف فيها الأحداث على لسانه ٠ وفـــي مـــرحلة متأخرة ساد رأي يقول بأن الروايتين كانتا نصين قديمين وقد وضـــعهما موســـى ٠ ثم توصل الباحثون إلى إستنتاج أن المصدرين دونهما كتَّاب عاشوا بعد عصر موسى " (١)٠

٣- يتصـــوَّر أصـــحاب نظرية المصادر أن كاتب التوراة وضع هذه المصادر أمامـــه ، وأخـــذ يوفق بينها ويضيف من عندياته حتى ظهرت بهذا الشكل الأخير ، والحقيقة أن البساطة الواضحة في كتابة التوراة ينقض هذا الزعم الباطل٠

---

(١) من كتب التوراة ؟ ترجمة عمرو زكريا ص ٢١

٤- لــو أن الكاتب نقل من مصـادر سابقة ، فهو يعتبر ناقل ، فأين دور العقل الإنساني الخلاق ؟! وأين دور الوحي الذي يعصمه أثناء الكتابة ؟!!

٥- أنتقد كثير من العلماء نظرية المصـادر ومن هؤلاء العلماء :

أ- فيجوروكس F. Vigourowx الذي ألف كتابه سنة ١٨٨٤م :

- Les Livres Saints et la Grtiqu Rationaliste

ورد فيه على مدارس النقد ٠

ب-كورنيلي R. Cornely الذي ألف كتابه سنة ١٨٨٧م :

- Introductio Specialis in Ristoricos Veteris Testamenti Libros, 1887

حيــث نــاقش نظرية المصادر ورد عليها ، وأعلن تمسكه بصحة الكتاب المقــدَّس المُوحَـــى بـــه مـــن الروح القدس ، والتقليد الذي أوصل لنا الكتاب بهذه الصورة٠

ج- داهس Dahse الذي هاجم سنة ١٩١٤م آراء فلهاوزن في كتابه :

- Dahse Die gegenwartige krisis in de alttestamentlichen, Kritik (1914)

د- لــور Lohr ســنة ١٩٢٥م أنــتقد نظــرية المصادر الأربعة التي تعتمد على الفرض والتخمين٠

هـ - كيتــيــل G. Kittel أيد صحة التقليد في وصول الأسفار القانونية إلينا ، وأكد على ضرورة دراسة العهد الجديد ، وأصدر كتابه الشهير سنة ١٩٢٦م :

- Die Probleme des Palastinischen Spatjuden tums und das Tbrchristentum (1926)

وفـــي سنة ١٩٣٢م أصدر قاموسه الضخم مستخدماً منهجه في التفسير ، وقــدم دراســة وافية لأحداث العهد الجديد بعد ربطها بالعهد القديم والأدب اليوناني والبيئة اليهودية التي ظهرت على مسرحها هذه الأحداث.

و- سترنبرج Sternberg سنة ١٩٢٨م هاجم نظرية المصادر وأكد نسبة التوراة لموســى النبي الذي كتبها بعد الخروج من أرض مصر ولم يستمدها من أية مصادر سابقة .

ز- أشترك العالمان ب. فولز P. Volz وردلف W. Rudolph سنة ١٩٣٣م في إصدار كتاب :

- Der Elohist als Erzaler. Ein Irrwey der pentaleuch Kritik (1933)

حيــث إنتقدا نظرية المصادر ، وأظهرا وحدة الكتاب المقدّس مؤكدين أن المصـــدر الإيلوهيمـــي (E) والمصـــدر الكهنوتي (P) هما فـــي الحقيقة أجـــزاء منقولة ومكررة عن المصدر الرئيسي اليهوي (J) .

ح- كاســيتو U. Cassuto وهــو كاتب يهودي وكان يعمل أستاذاً بجامعة روما أصــدر ســنة ١٩٣٤م كتابه : La questione della Genesi - 1934 - وأكــد فيه بأدلة ثابتة وقاطعة وحدة التوراة ، كما نقض نظرية المصادر أصلاً وموضــوعاً. (راجـــع د. وهيـــب جورجي – الكتاب المقدّس والعقيدة مع عرض ومناقشة مدارس النقد ص ٥٠ ، ٥١).

ط- إينجــيل Engell سنة ١٩٤٥م نادى بأنه لا يوجد أي أثر للوثائق التي أفترض أصحاب نظرية المصادر أن كاتب التوراة قد أعتمد عليها.

الفصل الرابع : الأدلة التي قامت عليها نظرية المصادر

بعد أن غصنا ياصديقي مضطرين في وحل نظرية المصادر وجزنا في الماء والنار ولم نحترق • نجد لزاماً علينا في هذا الفصل أن نتعرض إلى الأدلة التي أقامها أصحاب مدرسة النقد الأعلى على أن التوراة أخذت من عدة مصادر ، وقسّموا هذه الأدلة إلى :

أولا : أدلة لغوية : وتشمل إختلاف الأسماء الإلهية ، وإختلاف الأسلوب الأدبي ، وإختلاف الألفاظ والأسماء •

ثانيا : أدلة موضوعية : وتشمل التكرارات ، والمتناقضات •

ثالثاً : أدلة تشريعية : وتشمل مركزية العبادة ووحدة المعبد ، والأعياد ، والذبائح والتقدمات ، والنظام الكهنوتي •

وإن كانت مدرسة النقد الأعلى وليدة البروتستانتية ، فإننا نتحدث في هذا الفصل أيضاً على موقف الكنيسة الكاثوليكية من هذه المدرسة ، ومدى تأثرها بأفكار وسموم هذه المدرسة •• الهم إحفظنا من شر هذه الهرطقات القاتلة •

أولاً : الأدلة اللغوية التي إعتمدت عليها نظرية المصادر

س٢٣ : ما هي الأدلة اللغوية التي أعتمدت عليها نظرية المصادر ؟ وما هو الرد عليها ؟

ج : أورد أصحاب مدرسة النقد الأعلى ثلاث أدلة لغوية إعتمدوا عليها في القول بنظرية المصادر ، وهي إختلاف الأسماء الإلهية ، وإختلاف الأسلوب الأدبي ، وإختلاف الألفاظ والأسماء ، فيما يلي نورد كل دليل من أدلتهم مع التعليق عليه :

أ- إختلاف الأسماء الإلهية :

يقول أصحاب النقد " **الواقع الأول : إختلاف الأسماء** : تعطي التوراة أسماء مختلفة لله تعالى ، وأهمها " يهوه " و " إيلوهيم " ونلاحظ أن بعض أجزاء

التوراة تتميز بإستخدام أحد الإسمين ، بينما تتميز غيرها بإستعمال الآخر ٠ هكذا مثلاً يرد إسم " يهوه " ١٤٣ مرة في كتاب التكوين ، ٣٩٤ مرة في كتاب الخروج ، ٣١٠ مرة في كتاب اللاويين ، ٣٨٧ مرة في كتاب العدد ، ٥٤٧ مرة في كتاب التثنية ٠ أما إسم " إيلوهيم " فيأتي ١٦٥ مرة في التكوين ، ٥٦ مرة في الخروج ، ويغيب تماماً في اللاويين ، ويظهر من جديد ١٠ مرات في العدد ، ثم ٨ مرات في التثنية ، ويرد إسم " يهوه – إيلوهيم " ٢٠ مرة في التكوين٠

الواقع الثاني : إختلاف مكان ظهور الأسماء : ونلاحظ إن إسم " يهوه " و " إيلوهيم " يترددون بالتتابع في التكوين وفي بداية الخروج ٠ ثم يختفي إسم إيلوهيم إختفاء شبه تام إعتباراً من (خر ٦) فنقابل بعد ذلك إسم " يهوه " بصفة شبه مستمرة ٠٠

النتيجة : دخول مصادر مختلفة في تأليف التوراة ٠٠ فهناك المصدر اليهوي الذي يستخدم إسم " يهوه " والمصدر " الإيلوهي " الذي يستخدم إسم " إيلوهيم " ومصدر التثنية والمصدر الكهنوتي اللذان يشتركان مع المصدرين الأولين في إستخدام هذه الأسماء ، ولكن يختلفان عنهما في خصائص أخرى ٠٠ " [1].

وكان لأصحاب مدارس النقد آراء خاطئة في تفسير إسم يهوه ، فمثلاً :

١- رأى " فولتير " و " كومث " و " شلر " وغيرهم بأن إسم " يهوه " من أصل مصري ، وهذا الرأي يعتمد على أن خلاص شعب الله من أرض مصر تضمَّن صراعاً رهيباً بين يهوه وآلهة المصريين٠

٢- رأى " لاند " و " كولنصو " وآخرون أن إسم " يهوه " قد أُخذ من القبائل السامية الشمالية ، ومعناه " إله السماء " أو " معطي الخصب " وكانت تقدم له العبادة السريانية الخليعة٠

---

[1] الأب أنطون نجيب – رسالة صديق الكاهن سبتمبر ١٩٧١م ص ٣١ ، ٣٢

٣- قال البعض إن إسم " يهوه " يقصد به الإله " ديونسيوس " الكنعاني ، لأنهم وجــدوا أثــراً قديماً إرتبط فيه إسم " ياو " بالإله ديونسيوس ، فقالوا إن العبرانيين أخذوا إسم يهوه من " ياو " وبعد ذلك إكتشفوا أن هذا الأثر لاحق لظهور إسم يهوه على يد الآباء وموسى النبي.

٤- رأى الــبعض أن إســم " يهــوه " مُستمد من قوائم مصرية قديمة لأماكن كنعانية مثل " بيت ياه " و " بابياه ".

٥- رأى أتباع " فلهاوزن " أن " يهوه " كان إلهاً لقبيلة " القينيين " الساكنين في أرض ســيناء ، والتــي كان ينتسب إليهــا يثــرون حمــي موسى ، ولذلك إرتبط إسم " يهوه " بجبل سيناء.

٦- ربط البعض بيــن إسم " يهوه " وبين الأسماء الأشورية البابلية " ياهو " أو " ياه ".

٧- ربــط البعض بين إســم " يهوه " وفعل " هوى " أو " سقط " أي إندفع من عــل ، ولذلــك دعوه إله العاصفة ، وقالوا إن " يهوه " عبارة عن نيزك هوى من الســماء ، وقــال آخــرون إن إسم " يهوه " جاء في العربية من كلمة " هواء " أي هــبوب الــريح ، وقال " فلهاوزن " إن المشابهة اللغوية واضحة { يركب السماء } وأيضــاً دخلــت فكرة السقوط على النحو التالي : إن يهوه هو الذي يجعل الأشياء تســقط ، فهــو إله المطر ، إله العاصفة ، وهو ما يؤيده روبرتسون سميث وستاد وغيرهما " [1].

٨- يــرى " كيونين " أن معنى إسم " يهوه " أي الذي يجعل الأشياء تكون ، أي الخالق ، وفي المفهوم التاريخي " الذي يجعل مواعيده تتم " [2].

تعلــيق : كمــا تعودنا من أصحاب النقد أن ليس لهم رأياً واحداً . إنما هي آراء كثيرة متعارضة ، وكمثال على ذلك قولهم فيما سبق إن إسم " إيلوهيم " يغيب تماماً

(١) علم اللاهوت الكتابي ص ١٨٨
(٢) المرجع السابق ص ١٨٨

فـــي ســـفر اللاوييـــن ، بينما رأت الغالبية أن سفر اللاويين يمثل جزءاً أساسياً من المصـــدر الكهنوتي كما جاء في نفس المقال " يجد العلماء في الوقائع السابقة دليلاً كافـياً علــى إن كــتاب اللاويين وباقي أجزاء المصدر الكهنوتي (P) تنتمي إلى المدرسة الكهنوتيـــة " [1] وأكدوا مراراً وتكراراً أن المصدر الكهنوتي إستخدم إسم " إيلوهـــيم " كقولهـــم في مقال أضواء على خصائص المصدر الكهنوتي " المصدر الكهنوتـــي ٠٠ وقـــد أطلـــق العلمـــاء في البداية على هذا المصدر إسم " المصدر الإيلوهي " لأنه يدعو الله تعالى باسم " إيلوهيم " ٠٠ " [2] ٠٠ فليقولوا لنا هل ظهر إسم إيلوهيم في سفر اللاويين أم غاب عنه تماماً ؟!

وإن قـــال أصحاب نظرية المصادر أن إستخدام موسى إسم " يهوه " وإسم " إيلوهـــيم " يدل على أنه أعتمد على مصدرين في كتابة التوراة ، فإننا هنا نريد أن نوضـــح أن الهدف من إسم الله هو أن يتعرف الإنسان على الله ، ويدخل في علاقة شخصـــية معـــه ، أي أن إسم الله يعلن عن شخصيته وعن حضوره ، ولذلك عندما مـــال موسى لينظر النار المشتعلة في العليقة سمع صوت الله يقول له *" أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ٠ فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله "* (خـــر ٣ : ٦) وقال الرب لموسى *" المكان الذي يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ليضع إسمه فيه سكناه تطلبون وإلى هناك تأتون ٠٠ فالمكان الذي يختاره الرب إلهكم ليُحلّ إسمه فيه تحملون إليه كل ما أنا أوصيكم بها محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم وكل خيار نذوركم التي تنذرونها للرب "* (تث ١٢ : ٥ ، ١١) *" وتـــأكل أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره ليُحلّ إسمه فيه "* (تث ١٤ : ٢٣) ٠٠ *" فتذبح الفصح للرب إلهك غنماً وبقراً في المكان الذي يختاره الرب ليحلّ إســـمه فيه "* (تث ١٦ : ٢) (تث ١٦ : ٦ ، ١١ ، ٢٦ : ٢) ولأن إسم الله يدل على حضوره قال داود النبي *" ويبتهج بك محبو إسمك "* (مز ٥ : ١١) فالإسم يعبر عن

---

(١) الأب أنطون نجيب – رسالة صديق الكاهن سبتمبر ١٩٧١م ص ٤١
(٢) الأب أنطون نجيب – رسالة صديق الكاهن يونيو ١٩٧٢م ص ٨٤

الشخصـــية ، وقـــال الله لأشـــعياء النبي " *هكذا يقول لبيت يعقوب الرب الذي فدى ابراهـــيم ٠٠ يقدّسون إسمي ويقدّسون قدوسي يعقوب ويرهبون إله إسرائيل* " (أش ٢٩ : ٢٢ ، ٢٣) ومعنى تقديس إسم الله أي تقديس الله ذاته٠

وقـــد إســـتخدم الكتاب المقدّس أكثر من إسمين للفظة الجلالة ، وفيما يلي نذكر بعض هذه الأسماء ودلالتها :

١- **إيـــل** : وهو من أقدم الأسماء المعروفة للبشرية وتشير للألوهية ، حتى إن كثير من الشعوب الوثنية كان يستخدم ذات الإسم للتعبير عن آلهتهم ، فإسم " إيل " يـــدل علـــى الألوهية بصفة عامة سواء لدى شعب الله أو الشعوب الوثنية ويبدو إن إســـم " إيل " عُرِف لدى البشرية عقب الطوفان وقبل بلبلة الألسنة على إنه إسم الله الحقيقـــي ، وبعد بلبلة الألسنة وتفرق الشعوب وإنتشار الوثنياة دعى هؤلاء الوثنيون آلهـــتهم بإسم إيل ، وجاء إسم إيل في العهد القديم بصيغة الجمع " الوهيم " كإشارة مبكرة للثالوث القدوس ، فإسم إيل هو " إسم جنس يدل على الألوهة بصفة عامة ، وإســـم علـــم يـــدل على الشخص الوحيد والمحدود والذي هو الله ٠ أما الوهيم فهو صيغة جمع ، لا جمع التفخيم – فهذا غير معروف في اللغة العبرية – وليس أيضاً أثـــراً وثنـــياً ، إذ هو لا يتفق مع العقلية الإسرائيلية ، الحساسة جداً ، في مثل هذا الموضـــوع (تعدد الآلهة) ٠٠ كان " إيل " معروفاً ومعبوداً خارج إسرائيل كإسم جنس ، يدل على الألوهية ، تقريباً في كل العالم السامي ، وكإسم علم ، هو إسم إله عظـــيم ، يظهر أنه كان الإله الأعلى ، في القسم الغربي من هذه المنطقة ، خاصة في فينيقيا وكنعان " [1].

وقد إقترن إسم " إيل " بأسماء أخرى وصفيَّة لتشير إلى الله في صفاته " إن الأســـباط يسمون إلههم " إيل " وينعتونه بصفات شتى : الإله العلي (تك ١٤ : ٢٢)

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص ٩١

الـــراعي (تـــك ١٦ : ١٣) والله القدير (تك ١٧ : ١ ، ٣٥ : ١١ ، ٤٨ : ٣) وإله بيت إيل (تك ٣٥ : ٧) والإله السرمدي (تك ٢١ : ٣٣) " [1].

وبهذا نجد عدة أسماء لله مشتقة من إسم إيل نذكر منها :

أ- إيل عليون (إيليون) El Elyon

وتترجم في العربية إلى العلي ، من الفعل " علا " أي إرتفع ، فإن كان كل إلـــه مـــن آلهة الأمم الوثنية قد دعوه إيل ، فإن الله هو الإله العلي فوق جميع هذه الآلهة ، وبحسب الفكر اليهودي هو فوق كل الموجودات ، ويقول موسى في نشيده " *حيـــن قسم العليُّ (إيليون) للأمم حين فرَّق بني آدم* " (تث ٣٢ : ٨) وقال داود النبـــي " *أرعد الرب من السموات والعليُّ (إيليون) أعطى صوته* " (مز ١٨ : ١٣) وعـــندما أبصر نبوخذ نصر عمل الله العظيم مع الثلاثة فتية صرخ قائلاً " *ياشدرخ وميشخ وعبدنغو ياعبيد الله العلي إخرجوا وتعالوا* " (دا ٣ : ٢٦) وفي العهد الجديد نســـمع مجنون كورة الجدريين وقد " *صرخ بصوت عظيم وقال مالي ولك يايسوع ابن الله العلي* " (مر ٥ : ٧) .

ب – إيل شدَّاي El Shaddai

وشدَّاي جمع كلمة " شاد " أي قوة أو قدرة ، وشدَّاي = أصحاب القوات = أصـــحاب القـــدرات = المقتدرون ، وتُرجم في العربية إلى " القدير " ، وإيل شدَّاي أي القديـــر رب القوات أو الرب القدير ، وقد ورد إسم " شدَّاي " ٤٨ مرة في العهد القديم منها أكثر من ثلاثين مرة في سفر أيوب ومرتين في المزامير " *وعندما شتت القديـــر ملوكاً* " (مز ٦٩ : ١٤) " *الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت* " (مز ٩١ : ١) وفـــي أشعياء (أش ١٣ : ٦) وفي حزقيال (حز ١ : ٢٤) وفي يوئيل (يؤ ١ : ١٥) (دائرة المعارف جـــ ١ ص ٣٩٣ ، وعلم اللاهوت الكتابي ص ١٣٥)

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص ٩١

فعندما أعلن الله ذاته لإبراهيم قال له " *أنا الله القدير (إيل شدَّاي) سر أمامي وكن كاملاً* " (تك ١٧ : ١) وكان هذا هو الإعلان الأول للإنسان عن إسم من أسماء الله فـــي الكـــتاب المقدَّس (أ. جرجس صالح – أسماء الله ص ٧) وقال إسحق لإبنه يعقـــوب عـــندما أرسله إلى فدَّان أرام " *والله القدير (إيل شدَّاي) يباركك ويجعلك مـــثمراً ويكـــثرك فـــتكون جمهوراً من الشعوب* " (تك ٢٨ : ٣) وعندما ظهر الله لـــيعقوب فـــــي عودته من فدَّان أرام وغيَّر إسمه إلى إسرائيل " *قال له الله أنا الله القديـــر (إيـــل شـــدَّاي) أثمـــر وأكـــثر . أمة وجماعة أمم تكون منك . وملوك ســـيخرجون من صلبك* " (تك ٣٥ : ١١) وقال يعقوب لأولاده العائدين إلى أرض مصر " *والله القدير (إيل شدَّاي) يعطيكم رحمة أمام الرجلِ حتى يطلق لكم أخاكم الآخـــر وبنياميـــن* " (تك ٤٣ : ١٤) .. " *وقال يعقوب ليوسف الله القادر على كل شـــئ ظهـــر لفـــي في لوز في أرض كنعان وباركني* " (تك ٤٨ :.٣) وقال الرب لموســـى " *وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بإني الإله القادر على كل شئ* " (خـــر ٦ : ٣) وقـــال نعمى " *القدير قد أمرَّني جداً .. الرب قد رذلني والقدير قد كســـرني* " (را ١ : ٢٠ ، ٢١) ، وتُرجمت في الترجمة السبعينية إلى " كيريوس " وجاءت في العهد الجديد " بانطوكراكور" أي ضابط الكل.

جـ- إيل رئي El Roi

وتعنـــي الله إلـــه الـــرؤيا أي الذي يرى كل شئ ، فعندما ظهر الله لهاجر وأوصـــاها بـــالعودة إلـــى بيت سيدها " *فدعت إسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئى . لأنها قالت أههنا أيضاً رأيت بعد رؤية . لذلك دُعيت البئر بئر لَحَى رُئى* " (تـــك ١٦ : ١٣ ، ١٤) وفـــي المكان الذي أصعد إبراهيم إبنه إسحق ذبيحة " *فدعا إبراهـــيم إســـم ذلك الموضع يَهْوه يرأه . حتى إنه يقالُ اليوم في جبل الرب يُرَى* " (تك ٢٢ : ١٤).

د- إيل أولام El Olam

وهـذا تعبـيـر يشير إلى سرمدية الله أي إنه أزلي بلا بداية ، وأبدي بلا نهاية ، كما عرفه أبونا إبراهيم *" وغرس إبراهيم أثلاً في بئر سبع ودعا هناك باسم الرب الإله السرمدي "* (تك ٢١ : ٣٣).

هـ- إيل إله إسرائيل El Elohe Israel

فيعقوب في عودته من فدّان أرام عندما وصل مدينة شكيم ، وبعد أن غير الله إسـمه من يعقوب إلى إسرائيل *" أقام هناك منبحاً ودعاه إيل إله إسرائيل "* (تك ٣٣ : ٢٠).

و- إيل بيت إيل El Bethel

فعند عودة يعقـوب من فدّان أرام وهو في لوز (بيت إيل) يقول الكتاب *" بـنى هناك منبحاً ودعا المكان إيل بيت إيل . لأنه هناك ظهر له الله حين هرب من وجه أخيه "* (تك ٣٥ : ٧) فإيل بيت إيل تعني الله هو إله بيت إيل.

٢- الوهيـم Elohim

إسـم الوهيم جمع " إيل " ، ومعنى " إيل " القدير أو القوي ، فالوهيم تعني الله القوي الأزلي الأبدي وهو من أكثر الأسماء التي وردت في العهد القديم ، حتى أنه ورد في سفر التكوين نحـو مائتي مرة ، فجاء في أول آية في الكتاب المقدّس *" فـي البدء خلق الله (الوهيم) السموات والأرض "* (تك ١ : ١) فإسم الوهيم جاء كإشـارة مبكرة للثالوث القدوس ، ولهذا ورد في العهد القديم ٢٣١٠ مرة للإشارة للإلـه الحقيقـي المثلث الأقانيم ، ولذلك جاء الفعل في صيغة المفرد . بينما ورد ٣٤٥ مرة للإشارة لآلهة الأمم وجاء الفعل في صيغة الجمع ، ويترجم إسم إيلوهيم فـي العربية إلى " اللهم " وعندما نستخدم نحن المسيحيين هذا الإسم ونقول " اللهم

إرحمني أنا الخاطي " فإننا ندرك المعنى " أيها الثالوث القدوس إرحمني " أما عندما يستخدم هذا الإسم الذين ينكرون الثالوث فلا يجدون تفسيراً له .

٣- يهوه Yohweh

ورد إســم " يهــوه " في العهد القديم .كإسم شخصي لله ، وليس كصفة من صفاته ، وهو غير الأسماء العامــة (إيــل والوهيم وشدّاي .. إلخ) ويشير إسم " يهــوه " للوجــود المطلــق وهو يشير للوحدانية ، أي لجوهر الله الواحد ، وكان الــيهودُ يقرأون إسم " يهوه " " أدوناي " ، وكان الآباء يعرفون الله بهذا الأسم ولكن لا يدركون معناه " *وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شئ وأمــا بإســمي يهوه فلم أعرف عندهم* " (تك ٦ : ٣) فبالرغم من إن الآباء إســتخدموا الأســم قبل الطوفان وبعده إلاَّ إن معناه ومغزاه لم يكن معروفاً ، حتى ظهر الله لموسى في العليقة على جبل حوريب " *فقال موسى لله ها أنا آتي إلى بني إســرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم .. هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبــائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم . هذا إسمي إلى الأبد . وهذا ذكري إلى دور فدور* " (خر ٣ : ١٣ – ١٥) .

ويقــول الأســتاذ جرجس إبراهيم صالح " إن الله حينما أعلن لموسى عن إسمه الممجَّد (يهوه) لم يكن إسماً جديداً لكنه إعلاناً عن تمام عهده الذي قطعه مع إبراهــيم أب الآبــاء وأكده مع إسحق ويعقوب .. { *وأيضاً أقمت معهم عهدي أن أعطــيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها .. وأنا أيضاً سمعت أنين بنــي إسرائيل الذي يستعبدهم المصريون وتذكّرت عهدي* .. } (خر ٦ : ٤ ، ٥) فهو هنا يعلن عن نفسه أنه حافظ العهد وإله العهد ومتمم العهد (تك ١٥) " [١].

---

(١) أسماء الله ص ١٣

فأهْـيَه أو يهـوه هــو إسم ذات لله بمعنى (أكون ويكون) وهما في فعل الكينونة للمتكلم (أكون) وللغائب (يكون) فأهْيَه للمضارع الفرد المتكلم ، ويهوه للمضارع الفرد الغائب ، أهْيَه الذي أهْيَه = أكون الذي أكون (بصيغى المتكلم) = I am Who I am = أنا الــذي أنــا = أنا هو = الذي أنا هو = أنا هو الكائن = I am Being ·

يهوه = الكائن (صيغة المضارع الغائب) = الواجب الوجود = القائم بذاته·

وكــل مــن الأسم " أهْيَه " و " يهوه " مشتق من الفعل العبراني " هافاه " HAVAH ومعــناه " يكــون " أو " يَصير " أو " يوجد " والأمر الجميل أن السيد المســيح دعــى نفسه بكلا الإسمين في آية واحدة عندما قال *" أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن (يهوه) والذي كان والذي يأتي (أهْيَه الذي أهْيَه) القادر على كل شئ "* (رؤ ١ : ٨) ويتكرر المعنى في (رؤ ١١ : ١٧ ، ١٦ : ٥ – ٧) ·

وسواء كان إسم أهْيَه أو يهوه فالمقصود منه :

" ١- إن الله هــو الكائن وحده الذي لا شريك له في الربوبية ، وهذا يعني أن كل آلهة الأمم كاذبة ·

٢- أنه هو الكائن الواجب الوجود أي الذي لابد أن يكون·

٣- وهــو الكائن بذاته أي الذي لم يوُجده أحد ولا يعتمد في وجوده على أحد ، فهو إذاً ليس مخلوقاً ولا مصنوعاً مثل آلهة الأمم·

٤- وهو الكائن دائماً أي الأزلي الأبدي " [1]·

أمــا ما جاء من تعليلات عديــدة لإسم "يهوه" على ألسنة أصحاب مدرسة النقد الأعلــى ،من ربط إسم "يهوه" بآلهة وثنية أو أسماء مصرية أو كنعانية أو أشورية أو

---

(١) جرجس صالح – اسماء الله ص ٣

بابلـــية ، فجمـــيعها مجرد إفتراضات وتخمينات تخالف الحقيقة التي أعلنها الكتاب المقـــدّس ٠٠ لقد تركوا ينبوع الحياة وذهبوا يحفرون لأنفسهم أباراً مشتقة لا تضبط ماء٠

٤- أدوناي Adonai

أدونـــاي جمع كلمة " أدون " ومعناها السيد أو المولى أو المالك أو الرب الملك ، وتُرجمت في العربية إلى " السيـــد " أو " الـــرب " ، وفـــي اليونانيـــة إلي " كـــيريوس " ، وفي القبطية إلى " ابتشويس " ٠٠ قال الرب لأشعياء النبي " *هكذا يقول السيد (أدوناي) الرب* " (أش ٧ : ٧) وصلى دانيال النبي " *لك ياسيد (أدون) الـــبر وأما لنا فخزي الوجوه ٠٠ ياسيد (أدون)* حسب *كل رحمتك إصرف سخطك وغضـــبك ٠٠ ياســـيد (أدون) إســـمع٠ ياسيد (أدون) إغفر ٠ ياسيد (أدون) إصنع وإصـــنع* " (دا ٩ : ٧ – ١٩) وقد ورد إسم أدوناي نحو ٣٠٠ مرة في العهد القديم فـــي صـــيغة الجمع ، و ٢١٥ مرة بصيغة المفرد وقال الرب يسوع لتلاميذه " *أنتم تدعونـــي معلماً وسيداً (أدون) وحسناً تقولون لأنـــي أنا كذلك* " (يو ١٣ : ١٣) وفي صـــلاة الشـــكر نخاطـــب الله الآب " أيها السيد الرب الإله ضابط الكل ٠٠ " وفي أوشية الإنجيل نخاطب الله الإبن " أيها السيد يسوع المسيح إلهنا ٠٠ "٠

وقد تجد في آية واحدة إسمين من أسماء الله ، فإلى أي مصدر ننسب مثل هـــذه الآيـــة ، ولاسيما إن الإسمين قد يكونا متلاصقان ويستحيل فصل أحدهما عن الآخـــر ، وكمثال على ذلك ورود إسم " إيل " و " يهوه " في آية واحدة ، كما قال بلعام " *كيف ألعـــن مـــن لـــم يلعنـــه الله (إيل) وكيـــف أشتم من لم يشتمه الرب (يهوه)* " (عد ٢٣ : ٨) وقال داود النبي " *إني أسمع ما يتكلم به الله (إيل) الرب (يهـــوه)* " (مز ٨٥ : ٨) وقال أشعيـــاء النبـــي " *هكذا يقـــول الله (إيل) الرب (يهوه) خالق السموات وناشرها باسط الأرض ٠٠* " (أش ٤٢ : ٥)٠

وورد إسم " يهوه " و " إيلون " في آية واحدة " *فقال إبرام لملك سدوم رفعت يديّ إلى الرب الإله (يهوه) العليّ (إيليون) ملك السماء والأرض* " (تك ١٤ : ٢٢) وقال المرنم " *وأرنم لإسم الرب العالي* " (مز ٧ : ١٧) ، وأيضاً ورد إسم " الوهيم " و " يهوه " في آية واحدة أكثر من مرة " *يوم عمل الرب (يهوه) الإله (الوهيم) الأرض والسموات* " (تك ٢ : ٤) كما ورد إسم " أدوناي " و " يهوه " في آية واحدة في عدة مواضع " *فقال إبرام أيها السيد (أدوناي) الرب (يهوه) ماذا تعطيني وأنا ماض عقيماً* " (تك ١٥ : ٢) وقال داود النبي " *من أنا ياسيدي (أدوناي) الرب (يهوه) وما هو بيتي حتى أوصلتني إلى ههنا* " (٢صم ٧ : ١٨) .. " *أيها الرب (يهوه) سيدنا (أدوناي) ما أمجد إسمك في كل الأرض* " (مز ٨ : ٩) .. " *قال الرب (يهوه) لربي (أدوناي) إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك* " (مز ١١ : ١) ووردت عبارة " السيد الرب " (أدوناي يهوه) مرات عديدة في سفر حزقيال.

فهل هناك مصادر أخرى للتوراة يمكن أن يتخيلها أصحاب نظرية المصادر مثل مصدر أدوناي ، ومصدر إيليون ، ومصدر شدّاي ؟ .

وأيضا هناك أسماء وألقاب أخرى لإسم الجلالة في العهد القديم مثل " يهوه صباءوت " (١صم ١ : ٣) أي رب الجنود ، و " الرب يرأه " (تك ٢٢ : ١٤) أي الرب يدبر ، و " يهوه دفا " (خر ٢٣ : ٢٥) أي الرب شافينا ، و " يهوه نسّىْ " (خر ١٧ : ١٥) أي الرب رايتي ، و " يهوه شلوم " (قض ٦ : ٢٤) أي الرب سلامنا ، و " يهوه روعي " (مز ٢٣ : ١) أي الرب راعينا ، و " يهوه صدقينو " (أر ٢٣ : ٥ ، ٦) أي الرب برنا ، و " يهوه شمة " (خر ٤٨ : ٣٥) أي الرب هناك (راجع كتابنا أسئلة حول إلوهية المسيح ص ٨٥ – ٩٦ ، وكتابنا شهود يهوه .. هوة الهلاك ص ٤٢ – ٤٤).

لو أن كاتب سفر التوراة أخذ من أكثر من مصدر وخرج بمؤلف جديد ما كان يستخدم لقبين لإسم الجلالة (يهوه وإيلوهيم) إنما كان يستخدم لقب واحد للحفاظ على وحدة كتابه ، ولو أنه أضطر إلى إستخدام اللقبين ، فلابد أنه سيفضل لقب عن الآخر ، فيستخدم أحد اللقبين بكثرة وبصفة شائعة ، ويقلل من إستخدام اللقب الآخر ، ولاسيما في المواقع التي يستخدم فيها اللقب الأفضل ، وهذا لم يتحقق ، ففي قصة الخليقة يستخدم موسى النبي لقب إيلوهيم (تك ١ : ١ - ٢ : ٤) وأيضاً يستخدم لقب يهوه (تك ٢ : ٤ - ٥) ، وكذلك في قصة الطوفان (تك ٦ : ٥ - ٩ : ١٩) يستخدم الإسمين إيلوهيم ويهوه ، وهذا ما يدل على أن إيلوهيم ويهوه هما لقبان حقيقيان متساويان لله٠

والأمر الذي يشكل معضلة لنظرية المصادر أنه في الآية الواحدة يستخدم الكاتب الإسمين " الرب الإله " كما في تك ٢ : ٤ - ٣ : ٢٤ ، خر ٩ : ٣ ، وهذا الأمر يعجز عن تفسيره أصحاب نظرية المصادر٠

ويرى ر٠ د٠ ولسن R. D. Wilson أن إستخدام الأسم إيلوهيم " الله " الذي هو أساس نظرية المصدر { E } في (تك ١ : ١ - ٢ : ٣ ، ٦ : ٩ - ١٢ ، ٧ : ٢ - ١٤ ، ٢٠ ٠٠ إلخ) وكذلك أستخدم الاسم يهوه " رب " الذي هو أساس نظرية المصدر { J } في (تك ٤ ، ٧ : ١ - ٥ ، ١١ : ١ - ٩ ، ١٥ ، ١٨ : ١ - ١٩ : ٢٨ وغيرها) هو نوع من أسلوب الكتابة الذي كان شائعاً ومنتشراً في الكتابات الأدبية القديمة ٠٠ كما أن أسلوب الكتابة هذا يعكس محاولة الكاتب أن يؤكد أفكاره المرتبطة والمتعلقة بهذا الإسم (راجع د٠ صموئيل يوسف - المدخل إلى العهد القديم ص ٨٩)٠

ب- إختلاف الأسلوب الأدبي :

"**الواقـــع : أربعـــة أســـاليب متميزة** : يختلف أسلوب التوراة من جزء إلى جزء ٠٠ فهناك أجزاء تتميز بأسلوب تصوري بسيط وشيق ، ولا تتردد في تصوير الله تعالى بأوصـــاف بشـــرية وإنسانية ٠ وهناك أجزاء أخرى تتميز بالدقة ، وبوفرة الأخبار والمشاهد ، وبالتسامي عند الكلام عن الله تعالى وعن الأخلاق٠

وتتمـــيز مجموعة ثالثة من أجزاء التوراة بالصبغة الواعظية والسلوكية ، وأخـــيراً نجد مجموعة رابعة تتميز بأسلوبها الفقير ، وبالإستفاضة في الأوصاف ، وبكـــثرة المـــراجعات ، وبالعبارة المجردة الخالية من الجمال الأدبي ، وفي أحيان نادرة تفاجئنا هذه المجموعة بصفحات رائعة مثل رواية الخلقة الواردة في (تك ١) ومساومات إبراهيم لشراء حقل مكفيلة في حبرون (تك ٢٣)٠

النتـــيجة : أربعة مصادر في مجموعة واحدة ٠٠ وهكذا ميَّز العلماء بين المصدر الـــيهوي الـــذي يـــتكون مـــن المجموعة الأولى التي سبق الكلام عنها ، والمصدر الإيلوهـــي الذي يتكون من المجموعة الثانية ، ومصدر التثنية الذي يشمل المجموعة الثالثة ، والمصدر الكهنوتي الذي يضم المجموعة الرابعة " [(1)]٠

تعلـــيق : لا يوجـــد إختلاف بل يوجد تنوع في الأسلوب ، وهذا أمر متعارف عليه لـــدى كبار الكتَّاب ، فإسلوب الكتابة يتوقف على المرحلة التي يكتب فيها الإنسان ، ولاسيما لو إستمرت هذه المرحلة نحو أربعين عاماً كما حدث مع موسى النبي الذي كتـــب بعـــض الأسفار بعد الخروج من مصر وكان عمره نحو ثمانين عاماً ، مثلما كتـــب سفر اللاويين في بداية السنة الثانية من الخروج من مصر ، بينما كتب بعض الأســـفار فـــي نهايـــة حياته وكان عمره نحو مائة وعشرين عاماً ، مثلما كتب سفر التثنية في الشهر الأخير من حياته٠

---

(1) رسالة صديق الكاهن – سبتمبر ١٩٧١م ص ٣٣

وفـــي خـــلال السفر الواحد قد يتباين أسلوب الكتابة بحسب الحالة النفسية للكاتب ، ومدى إنفعاله بالحدث ، وطبيعة الموضوع الذي يتناوله في الكتابة وهلم جرا ..

جـ- إختلاف الألفاظ والأسماء :

قـــال أصحاب النقد " نلاحظ أيضاً في التوراة وجود ألفاظ وأسماء مختلفة تأتـــي للدلالـــة على أشياء واحدة .. ويبين الجدول الآتي بوضوح إختلاف الألفاظ والأسماء بإختلاف المصادر التي تنتمي إليها :

م	الموضوع	اليهوي	الإيلوهي	التثنية	الكهنوتي
١	سكان الأرض	الكنعانيون	الأموريون		
٢	حمو موسى	راجيل	يثرو		
٣	جـــد الأســـباط الإثنى عشر	يعقوب إسرائيل	يعقوب		
٤	جـــبل الـــرب (الظهور لموسى)	سيناء	حوريب	حوريب	سيناء
٥	الأرض	أديم		أرض	أرض
٦	حبرون	حبرون			قرية أربع
٧	أرض النهرين	أرآم النهرين			فدان آرام (١)

تعليق :

١- الأموريـــون هـــم قبـــيلة من قبائل الكنعانيين " *وكنعان ولد صيدون بكره وحـــثا . واليبوســـي والأمـــوري والجرجاشي* " (تك ١٠ : ١٥ ، ١٦) فلا يوجد إختلاف فيمكن تسمية سكان الأرض بالكنعانيين أو بالأموريين.

(١) رسالة صديق الكاهن – سبتمبر ١٩٧١م ص ٣٤

٢- حمـــي موسى له إسمان رعوئيل بإسمه ، ويثرون بلقبه مثلما كان سمعان بطـــرس فإسمه كان سمعان ودعاه الرب يسوع بطرس أي صخرة ، ودُعي أيضاً صفا ، فهوذا ثلاثة أسماء لشخص واحد٠

٣- كذلك يعقوب وإسرائيل إسمان لشخص واحد ، فعند ولادته دعوه يعقوب ودعـــاه الرب إسرائيل " *فقال لا يُدعى إسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل* " (تك ٣٢ : ٢٨) فلا يوجد خلاف في الأسماء٠

٤- الجـــبل الـــذي ظهر عليه الرب لموسى يُدعى حوريب بالنسبة للمقاطعة الجبلية ، فالجبل وما حوله يُدعى حوريب ، ولذلك قال الكتاب " *ها أنا واقف أمامك هناك علـــى الصخـــرة فـــي حوريب* " (خر ١٧ : ٦) وقـــال المرنم عن إسرائيل " *صنعوا عجلاً في حوريب* " (مز ١٠٦ : ١٩) أما قمة الجبل فتدعى سيناء ولذلك قـــال الكـــتاب " *ونـــزل الرب على جبل سيناء على رأس الجبل* " (خر ١٩ : ٢٠) ودُعـــي الجـــبل بإسم قمته " *وكان جبل سيناء كله يُدخن* " (خر ١٩ : ١٨) ولشهرة جـــبل سيناء دُعيت المنطقة كلها من خليج العقبة وخليج السويس بإسم شبه جزيرة سيناء٠

٥- الأديـــم هو وجه الأرض (مختار الصحاح ص ١٠) والأديم والأرض هما شئ واحد٠

٦- حبرون كانت تُدعى أولاً قرية أربع على إسم الشخص الذي أسَّسها وهو " أربـــع " جـــد العناقيين وقد أوضح الكتاب هذا عندما قال " *وماتت سارة في قرية أربع التي هـــي حبرون فـــي أرض كنعـــان* " (تك ٢٣ : ٢) وقال يشوع بن نون " *وإسم حبرون قبلاً قرية أربع الرجل الأعظم في العناقيين* " (يش ١٤ : ١٥)٠

٧- ســـميت أرض النهرين آرام النهرين وجاء فـــي قاموس الكتاب المقدَّس ص ٤٣ " آرام النهريـــن " (تك ٢٤ : ١٠) والنهران هما الدجلة والفرات ، ويظن البعض أنهما نهرا خابور والفرات ، وكان فدان آرام يقع في هذا الإقليم (تك ٢٨ : ٢ ، ٥) وقد سكن ناحور بن تارح ونسله في مدينة حاران في فدان آرام (تك ٢٩ :

٤ ، ٥) وقــد دعا العبرانيون هذه البقعة " *آرام التي في عبر النهر* " (٢صم ١٠ : ١٦) وجــاء في دائرة المعارف " آرام النهرين ٠٠ للدلالة على المنطقة التي يحدها نهــر الفرات الأعلى من الغرب ، ونهر خابور من الشرق ، وتشمل مدينة حاران التــي سكن فيها تارح بعد أن ترك أور الكلدانيين (تك ١١ : ٣١) وهي نفسها فدان آرام التي ذهب إليها عبد إبراهيم ليأخذ زوجة لإسحق " (تك ٢٤ : ١٠) "[١] وجاء فــي القــاموس عن فدان آرام " إسم سامي معناه سهل آرام ، موقع يوجد على ما يظهــر فــي آرام النهرين (تك ٢٤ : ١٠ ، ٢٥ : ٢٠ ، ٢٨ : ٥) "[٢] ولذلك فلا يوجد خلاف في دعوة هذه المنطقة آرام النهرين أو فدان آرام٠

ثانياً : الأدلة الموضوعية التي إعتمدت عليها نظرية المصادر

أورد أصحاب مدرسة النقد الأعلى دليلين موضوعيين أعتمدوا عليها في القــول بــنظرية المصادر ، وهما التكرارت ، والمتناقضات ، وفيما يلي نورد كل دليل من هذه الأدلة مع التعليق :

(أ) التكرارات :

س٢٤ : كــيف تخــيل أصــحاب مدرسة النقد الأعلى تكرار بعض الآيات وبعض الأحداث في الكتاب المقدَّس ؟ وما هو الرد على مزاعمهم هذه ؟

ج : يقــول أصحاب النقد " تحتوي التوراة أحياناً كثيرة على روايات متعددة لحادث واحد ، كما يتضح من الجدول الآتي :

---

(١) دائرة المعارف جـ ١ ص ١٥٥

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٢

الموضوع	المراجع
١- الخلقة	١- (تك ١ : ١ – ٢ : ٤ أ) ٢- (تك ٢ : ٤ ب – ٢٥)
٢- الطوفان	١- (تـــك ٦ : ٥ – ٨ ، ٧ : ١ – ٥ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٧ب ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٨ : ٦ – ١٠ ، ١٢ ، ٢٠ – ٢٢) ٢- (تـــك ٦ : ٩ – ٢١ ، ٧ : ٦ – ٧ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ – ٢١ ، ٢٤ ، ٨ : ١ – ٥ ، ٧ ، ١٣ ، ١٤ – ١٩)
٣- ضم زوجات الآبـــاء إلى حريم الملوك	١- سارة زوجة إبراهيم في مصر (تك ١٢ : ١٠– ١٩) ٢- سارة زوجة إبراهيم في جرار (تك ٢٠) ٣- رفقة زوجة إسحق في جرار (تك ٢٦ : ٦ – ١١)
٤- طرد هاجر	١- (تك ١٦ : ٤ – ١٦) ٢- (تك ٢١ : ٩ – ٢١
٥- عهـد الرب مع إبراهيم	١- (تك ١٥) ٢- (تك ١٧)
٦- العهـد مـع أبـيمالك ملـك جرار	١- مع إبراهيم (تك ٢١ : ٢٢ – ٣٤) ٢- مع إسحق (تك ٢٦ : ٢٦-٣٣)
٧- تكريس بيت إيل	١- (تك ٢٨ : ١٨ – ٢٢) ٢- (تك ٣٥ : ١٤ – ٢٥)
٨- قصة يوسف	١- (تك ٣٧ : ٣ ، ٤ ، ١٢ – ١٣ أ ، ١٤ ب ، ١٨ ب ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ب ، ٣٤) ٢- (تك ٣٧ : ٥ – ١١ ، ١٣ ب ، ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ب ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٦)

الموضوع	المراجع
٩- تأسـيس الفصح	١- (خر ١٢ : ١ – ٢٨ ، ٤٣ – ٥١) ٢- (خر ١٣ : ٣ – ١٢)
١٠- عبور البحر الأحمر	١- (خر ١٣ : ١٧ – ١٨) ٢- (خر ١٤)
١١- السلوى	١- (خر ١٦) ٢- (عد ١١)
١٢- مـياه الصخرة	١- (خر ١٧) ٢- (عد ٢٠)
١٣- الوصـايا العشر	١- (خر ٢٠ : ١ – ١٧) ٢- تث ٥ : ١ – ٢١ ب)

ويرى العلماء أن هذه الظواهر وأمثالها لا يمكن شرحها إلاَّ بوجود مصادر متعددة في التوراة • فقد كانت الأحداث الواحدة مروية في مصادر مختلفة ، ثم دمج مؤلفوا التوراة بينها ، وهذا ما يفسر وجود إختلاف في بعض التفاصيل بين أحداث الرواية الواحدة المتكررة ، وهذا ما نراه بوضوح مثلاً في خبر ضم زوجات الآباء إلى الملوك • فمرة يأتي هذا الخبر عن سارة زوجة إبراهيم في مصر (تك ١٢) ومرة ثانية في جرار (تك ٢٠) ومرة ثالثة عن رفقة زوجة إسحق في جرار (تك ٢٦) " (١).

تعليق :

١- **الخلقة** : ذكر قصة الخلقة مرتين لا يعتبر تكرار ، لأنه في الإصحاح الأول تكلم عن خلقة العالم كله في ستة أيام ، موضحاً الخلقة التي تمت في كل يوم من الأيام الستة أما في الإصحاح الثاني فذكر راحة الله في اليوم السابع ، ومباركته

---

(١) رسالة صديق الكاهن – سبتمبر ١٩٧١م ص ٣٥ - ٣٧

للإنســـان ، وبدأ يتكلم عن الجنة موضع آدم ، ووصية الله له بعدم الأكل من شجرة معـــرفة الخيـــر والشر ، وتسمية آدم للطيور والحيوانات ، وخلقة حواء من ضلع آدم ، وكـــل هذا لم يُذكر في الإصحاح الأول ، أما خلقة الإنسان والنبات والحيوان فقـــد جـــاءت فـــي سياق الحديث مع وضع آدم في الجنة ، وبذلك يعتبر الإصحاح الثاني إمتداد لقصة خلق الإنسان الأول.

٢- **الطوفـــان** : مـــثله مـــثل بقية القصص التي تم تقسيمها إلى قصتين ، مع ملاحظة أن النقاد لم يتفقوا على طريقة واحدة لتقسيم القصة ، فبعض الأجزاء التي قـــال الـــبعض أنها نابعة من المصدر اليهوي مثلاً نسبها الآخر للمصدر الكهنوتي والعكـــس ، كمـــا إن تقسيم القصة إلى قصتين يفقد كل قصة منهما بعض العناصر الهامـــة في القصة ، ويسلبها الترابط ، وكمثال عملي لهذا نأخذ المثال الذي أورده " ريتشارد إليوت فريدمان " أستاذ اللغة العبرية والأدب المقارن بجامعة كاليفورنيا ، والخاص بقصة الطوفان بين المصدر اليهوي والمصدر الكهنوتي :

المصدر اليهوي	المصدر الكهنوتي
الإصحاح السادس :	الأصحاح السادس :
٥ ورأى الـــرب أن الشـــر قد كثر في الأرض وإن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. ٦ فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلـــبه ٧ فقـــال الـــرب أمحو عن وجه الأرض الإنســـان الذي خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء. لأني حزنـــت إني عملتهم ٨ وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب.	٩ هذه مواليد نوح. كان نوح رجلاً باراً فـــي أجـــياله. وسار نوح مع الله. ١٠ وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث . ١١ وفسدت الأرض أمام الله وإمتلأت الأرض ظلمـــاً. ١٢ ورأى الله فإذا هي فسدت. إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض. ١٣ فقال الله لنوح نهاية كـــل بشر قد أتت أمامي. لأن الأرض إمـــتلأت ظلماً منهم. فها أنا مهلكهم مع

المصدر الكهنوتي	المصدر اليهوي
الأرض. ١٤ إصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر. تجعل الفلك مساكن. وتطليه من داخل ومن خارج بالقار. ١٥ وهكذا تصنعه. ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين ذراعاً إرتفاعه. ١٦ وتصنع كوًّا للفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق. وتصنع باب الفلك في جانبه. مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله. ١٧ فها أنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت. ١٨ ولكن أُقيم عهدي معك. فتدخل الفلك أنت وبنوك وإمرأتك ونساء بنيك معك. ١٩ ومن كل حيّ من كلّ ذي جسد إثنين من كل تُدخل إلى الفلك لإستبقائها معك. تكون ذكراً وأنثى. ٢٠ من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الأرض كأجناسها. إثنين من كلٍّ تُدخل إليك لإستبقائها. ٢١ وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يُؤكل وإجمعه عندك. فيكون لك ولها طعاماً. ٢٢ ففعل نوح حسب	**الإصحاح السابع :** ١ وقال الرب لنوح أدخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك . لأني إياك رأيت باراً لديَّ في هذا الجيل. ٢ من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وإنثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة إثنين ذكراً وإنثى. ٣ ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى. لإستبقاء نسل على وجه الأرض. ٤ لأني بعد سبعة أيام أُمطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة. وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملته. ٥ ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب. ١٠ وحدث بعد السبعة أيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض. ١٢ وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة . ١٦ وأغلق الرب عليه. ١٧ وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض. وتكاثرت المياه ورفعت الفلك. فإرتفع عن الأرض. ١٨ وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض . فكان الفلك يسير على وجه المياه. ١٩ وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض

المصدر الكهنوتي	المصدر اليهوي
كل ما أمره به الله. هكذا فعل. **الإصحاح السابع :** ٦ ولما كان نوح إبن ست مائة سنة صار طوفان الماء على الأرض. ٨ ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض. ٩ دخل إثنان إثنان إلى نوح إلى الفلك ذكراً وإنثى كما أمر الله نوحاً . ١١ في سنة ستّ مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم إنفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وإنفتحت طاقات السماء. ١٣ في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك. ١٤ هم وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الدبابات التي تدب على الأرض كأجناسها وكل الطيور كأجناسها كل عصفور كل ذي جناح. ١٥ ودخلت إلى نوح إلى الفلك إثنين إثنين من كل جسد فيه روح حياة. ١٦ والداخلات دخلت ذكراً وأنثى من كل ذي جسد كما أمره الله ـــ ٢١ فمات	. فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء. ٢٠ خمس عشر ذراعاً في الإرتفاع تعاظمت المياه. فتغطت الجبال. ٢٢ كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات. ٢٣ فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض. الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء فإنمحت من الأرض وتبقّى نوح والذين معه في الفلك فقط. **الإصحاح الثامن :** ٣ ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً ـ ٦ وحدث من بعد أربعين يوماً أن نوحاً فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها. ٨ ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلّت المياه عن وجه الأرض. ٩ فلم تجد الحمامة مقرّاً لرجليها. فرجعت إلى الفلك. لأن مياهاً كانت على وجه كل الأرض. فمد يده وأخذها وأدخلها عنده إلى الفلك. ١٠ فلبث أيضاً سبعة أيام أُخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك. ١١ فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها . فعلم نوح أن المياه

المصدر الكهنوتي	المصدر اليهوي
كل ذي جسد كان يدب على الأرض، من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. ٢٤ وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوماً. **الإصحاح الثامن :** ١ ثم ذكر الله نوحاً وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك. وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه. ٢ وإنسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء فامتنع المطر من السماء. ٣ ـــ وبعد مائة وخمسة يوماً نقصت المياه. ٤ وإستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أرارا ط. ٥ وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر وفي العاشر من أول شهر ظهرت رؤوس الجبال. ٧ وأرسل الغراب. فخرج متردداً حتى إنشقت المياه عن الأرض. ١٣ وكان في السنة والست مئة في الشهر الأول في أول الشهر أن المياه نشفت من الأرض. ١٤ وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت	قد قلت عن الأرض. ١٢ فلبث أيضاً سبعة أيام أخر وأرسل الحمامة فلم ترجع إليه أيضاً. ١٣ ـــ فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف. ٢٠ وبنى نوح مذبحاً للرب . وأخذ من البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. ٢١ فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضاً أُميت كل حيّ كما فعلت . ٢٢ مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال.

المصدر اليهوي	المصدر الكهنوتي
	الأرض. ١٥ وكلم الله نوحاً قائلاً. ١٦ أخـــرج مـــن الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونســـاء بنيك معك. ١٧ وكل الحيوانات التـــي معـــك من كل ذي جسد الطيور والــبهائم وكـــل الدبابات التي تدب على الأرض أخـــرجها معـــك. ولتتوالد في الأرض وتـــثمر وتكـــثر على الأرض. ١٨ فخـــرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنـــيه معـــه. ١٩ وكل الحيوانات وكل الدبابـــات وكل الطيور كل ما يدب على الأرض كأنواعها خرجت من الفلك.

تعليق :

١- لم يذكر فريدمان من هو صاحب هذا التقسيم ، إنما أورده بعد حديثه عن ثلاثة من أصحاب النقد الأعلى وهم فيتر ، وجان استروك ، وايخهورن ، فمن منهم صاحب هذا الفعل ؟! وهل لو قام كل النقاد بتقسيم هذه القصة .. تُرى هل سيتفقون. أم إن أقوالهـــم ستتضـــارب ، وهذا ماحدث في الواقع العملي إذ بينما نسب البعض منهم أجزاءاً معينة إلى مصدر معين خالفه الآخرون في هذا.

٢- الذي قسم القصة إلى قصتين بهذا الشكل لم يشرح لنا المعايير والمقاييس التـــي إتـــبعها لـــتحديد مصدر كل جزء من القصة ؟! فإذا كان المعيار الذي أتخذه لتقصـــيص القصـــة هو التكرار ، فإنه بتقسيم القصة إلى قصتين لم يخلص من هذا الـــتكرار ، فمثلاً من التكرار الوارد في المصدر اليهوي قول الرب إنه سيمحو عن وجـــه الأرض كل الكائنات الحية فقد تكرر في نفس المصدر ثلاث مرات (تك ٦ :

٧) ، (تــك ٧ : ٤) ، (تــك ٧ : ٢٣) وعمر نوح وقت الطوفان تكرر مرّتين في المصــدر الكهنوتي (تك ٧ : ٦) ، (تك ٧ : ١١) وتعاظم المياه وتكاثرها جداًتكرر فــي المصدر اليهوي (تك ٧ : ١٨) ، (تك ٧ : ١٩) ، (تك ٧ : ٢٠) إذاً التكرار له قصــد معيــن مــن الكاتــب المُرشَد بالروح القدس وهو التوضيح والتأكيد وترسيخ معلومــة معينة ، وقد يذكر المعلومة مرة مجملة ومرة أخرى بالتفصيل ، كما نرى فــي قصة الخليقة بين الإصحاح الأول والإصحاح الثاني من سفر التكوين ، أما إذا كان معيار التقسيم الذي تم على أساسه تفصيص القصة إلى قصتين هو إستخدام إسم " يهــوه " أحــياناً وإستخدام إسم " إيلوهيم " في مواضع أخرى فإن الوحي قصد منذ الــبداية أن يقــدم الله من خلال إسمين وكل إسم له دلالته ، فإسم يهوه يشير للوجود المطلــق ووحدانــية الجوهر ، وإسم إيلوهيم يشير للقدرة الكلية وتثليث الأقانيم كما سنرى بعد ذلك بالتفصيل .

٣- **هــنا عبارات وُضعت بالمصدر اليهوي فقط**.وهي تدخل في سياق القصة وضــرورية لهــا ، مثل إبلاغ الله لنوح بوقت الطوفان قبل حدوثه بسبعة أيام حتى يســتعد ويخزن الطعام الكافي (تك ٧ : ٤) والمدة التي إستمرت فيها الأمطار وهي أربعين يوماً وأربعين ليلة (تك ٧ : ١٢) وإكتشاف جفاف الأرض عن طريق إرسال نــوح للحمامة عدة مرات (تك ٨ : ٨ – ١٢) وتقديم نوح ذبائح للرب من الحيوانات الطاهرة والطيور الطاهرة ، ووعد الله بأنه لن يجلب طوفاناً آخر على الأرض (تك ٨ : ٢٠ –٢٢) .. إلخ وأيضاً **هناك عبارات وُضعت بالمصدر الكهنوتي فقط** وهي تدخــل فــي سياق القصة وضرورية لإستكمال الصورة ، مثل أمر الله لنوح بعمل الفلك (تك ٦ : ١٤) وأوصاف الفلك وأبعاده وفتحات التهوية ووضع الباب (تك ٦ : ١٤ – ١٦) والداخليــن إلى الفلك (تك ٦ : ١٨) وأمر الله لنوح لأخذ طعام للطيور والحــيوانات والدواب (تك ٦ : ٢١) وتفصيل أحداث الطوفان منذ حدوثه وحتى أن نشفت الأرض (تك ٧ : ٦ ، ٨ : ٤ ، ٥ ، ١٣ ، ١٤) .. إلخ .

فوضع بعض التفصيلات حسب المصدر اليهوي فقط ، وبعض التفصيلات الأخرى حسب المصدر الكهنوتي فقط ، هو دليل قاطع على إن القصة واحدة ، وما فعلـــه هؤلاء النقاد من تفصيص للقصة الواحدة ما هو إلاّ نوعاً من العبث الصبياني الشيطاني بكلمة الله المقدَّسة ، ولكن كلمة إلهنا ثابتة ، والسماء والأرض تزولان ولا يزول حرف واحد من كلمة الله.

٤- نتيجة تقسيم القصة إلى قصتين أدى إلى خلل في تركيب القصة وتسلسل الأحـــداث ، فمـــثلاً وضعوا في المصدر اليهوي هبوط المطر على الأرض أربعين يومـــاً وأربعيـــن ليلة (تك ٧ : ١٢) وعقب هذا مباشرة وضعوا إغلاق الرب لباب الفلك (تك ٧ : ١٦) مع إن إغلاق الباب حدث قبل المطر وليس بعده ، وإن قال أحد إن نفـــس المشـــكلة ســـتظل قائمة في حالة ورودها كقصة واحدة ، نقول هذا ليس صحيح لأنه بعد أن ذكر هبوط الأمطار عاد وذكر بعض التفصيلات فذكر من جديد دخـــول نوح وإسرته والوحوش والدبابات والطيور إلى الفلك (تك ٧ : ١٣ – ١٦) ولذلك يأتي إغلاق باب الطوفان في (تك ٧ : ١٦) في ترتيبه المنطقي.

وأيضـــاً القصـــة التـــي وضـــعوها بحسب المصدر الكهنوتي فقدت التركيب والتسلسل فمثلا ذكر في (تك ٧ : ١٦) الدخول إلى الفلك ، وأعقبه مباشرة بتكوين ٧ : ٢١ عـــن مـــوت الكائنات الخارج الفلك ، وبذلك أغفل سقوط الأمطار ، وجاءت متأخرة في (تك ٧ : ٢٤) فعندما إقتطع الأحداث الخاصة بنزول المطر مدة أربعين يوماً • وتكاثر المياه وإرتفاع الفلك وتعاظم المياه فوق رؤوس الجبال (تك ٧ : ١٧ – ٢٠) أخل بالتركيب الفني للقصة ، بينما لو ذكروا القصة كقصة واحدة يظهر جلياً ترابطها وتسلسل الأحداث منطقياً وإختفاء أي ثغرات في القصة ، ومثال ثالث للخلل فـــي التركيب وهو إنه وضع إرسال الغراب في المصدر الكهنوتي (تك ٨ : ٧) ولم يعـــد الغـــراب ، فمـــن أين عرف نوح أن المياه جفت لو لم يُرسل الحمامة عدة مرات ؟! وهذا ما إقتطفه من القصة التي نسبها للمصدر الكهنوتي.

٥- ما إعتمدوا عليه من حجج للفصل بين القصتين له التفسير فمثلاً إعتقادهم بأن بعض الآيات ورد بها إسم يهوه والأخرى ورد فيها إسم إيلوهيم فقد أجبنا عليه فيما قبل ، وإعتقادهم بأن المطر إستمر حسب المصدر اليهوي أربعين يوماً وأربعين ليلة ، وبحسب المصدر الكهنوتي إستغرق نحو عام له تفسيره ، فإن المطر ظل ينهمر مدة أربعين يوماً وأربعين ليلة ، وقد بدأ إنهمار المطر في ٢/١٧/ ٦٠٠ من حياة نوح (تك ٧ : ٦) وإنقطع المطر بعد أربعين يوماً ، وفي ٦٠٠/٧/١٧ إستقر الفلك على جبال أراراط (تك ٨ : ٤) وظهرت رؤوس الجبال في ١٠/١٠/ ٦٠٠ (تك ٨ : ٥) ونشفت المياه عن الأرض في ٦٠٠/١/١ (تك ٨ : ١٣) وجفت الأرض في ٦٠١/٢/٢٧ من حياة نوح (تك ٨ : ١٤) وبذلك تكتمل الصورة تماماً وتتضح ، وحجة ثالثة وهي إعتقادهم أن المصدر اليهوي ذكر سبعة أزواج من الحيوانات الطاهرة وطيور السماء ذكراً وأنثى ، بينما المصدر الكهنوتي ذكر زوج واحد ، فهذا له تفسيره وهو إن الله ذكر الموضوع كجملة واحدة (تك ٦ : ١٩) ثم ذكر الأمر بتفصيل أكبر مفرقاً بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة فقال" *من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى • ومن البهائم التي ليست بطاهرة إثنين ذكراً وأنثى • ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى* " (تك ٧ : ٢ ، ٣) كما حدث عن قصة خلقة العالم إذ ذكر في الإصحاح الأول من سفر التكوين القصة مجملة ، ثم وضع التفصيلات الخاصة بآدم وحواء في الإصحاح الثاني ، وهذا ما دعاهم للقول بأن قصة الخليقة أيضاً مأخوذة من مصدرين ، وحجة رابعة : وهي إعتقادهم أن المصدر اليهوي ذكر إرسال نوح للحمامة بينما ذكر المصدر الكهنوتي إرسال نوح للغراب والحقيقة إن نوح أرسل أولاً الغراب فلم يعد لأنه إنشغل بالجثث الطافية على وجه المياه فأرسل نوح الحمامة عدة مرات حتى أكتشف الحقيقة كاملة ، وهكذا تكتمل القصة ، وأرجوك ياصديقي أن تعيد قراءة القصتين بتمعن بعد هذه الملاحظات ، وستكتشف كثيراً من الخلل بحسب عقلك الراجح وليس بحسب ضعفي وعجزي•

٣- ضم زوجات الآباء إلى حريم الملوك : ثلاثة حوادث إعتبرها النقاد حادثة واحـدة مع إختلاف المصادر للقصة ، ومن الواضح إن حادثة حجز فرعون لسارة ليتزوج بها (تك ١٢ : ١١ – ١٥) غير حادثة أبيمالك ملك جرار لها (تك ٢٠) غير حادثـة قـول إسـحق عن رفقة إنها أخته ، وإكتشاف أبيمالك ملك الفلسطينيين لهذه الحقيقة وعتاب إسحق " *فأوصى أبيمالك جميع الشعب قائلاً الذي يمس هذا الرجل أو امـرأته موتاً يموت* " (تك ٢٦ : ١١) وهناك فروقاً واضحة بين القصص الثلاث ، فالقصـة الأولـى والثانية تخصان سارة ولكن الشخص الذي رغب في الزواج منها مخـتلف ، ففي القصة الأولى فرعون ، وقد ضربه الرب هو وبيته ضربات عظيمة فإكتشـف الحقـيقة ، وفي القصة الثانية أبيمالك ملك جرار وظهر له الرب في حلم وأعلمـه بالحقيقة وأنذره ٠ أما القصة الثالثة فقد حدثت مع رفقة ، فهم ثلاث قصص وليست قصة تكررت ثلاث مرات بحسبما تصوَّر هؤلاء النقاد الذين فقدوا بصيرتهم الروحية٠

٤- طرد هاجر : تكرر طرد هاجر مرَّتين في المرَّة الأولى عندما كانت حامل بإسـماعيل وتعالت على سيدتها ساراي " *فأذلتها ساراي ٠ فهربت من وجهها* " (تك ١٦ : ٦) وأعادها ملاك الرب " *فقال لها ملاك الرب إرجعي إلى مولاتك وإخضعي تحت يديها* " (تك ١٦ : ٩) وفي المرَّة الثانية عندما كان إسماعيل يمزح مع إسحق " *فقالـت (سـارة) لإبراهـيم أطرد هذه الجارية وابنها ٠٠ فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه ٠ فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك ٠٠ كل ما تقول لك سارة إسـمع لقولها ٠ لأنه بإسحق يُدعى لك نسل ٠ وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك* " (تك ٢١ : ١٠ – ١٣) فمن الواضح أنهما حدثين وليس حدثاً واحداً ٠

٥- عهد الله مع إبراهيم : وتكرر هذا العهدَ مرَّتين ، ففي المرَّة الأولى كان كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا ، وشكوى أبرام له من العقم ، ووعد الله له بأن نسله سـيكون كـنجوم السماء ٠ ثم تقديم أبرام ذبيحة للرب عجلة وعنزة وكبشاً ويمامة

وحمامة ، وقطع الرب ميثاقاً مع أبرام (تك ١٥) أما في العهد الثاني فقد حدث بينما كـــان عمر أبرام تسع وتسعين سنة ، وغيَّر الرب إسم أبرام إلى إبراهيم ، وغيرً إسم ســاراي إلـــى ســارة ، وأعطى الرب علامة العهد لإبراهيم " *يُختن منكم كل ذكر فتختتـــنون فـــي لحـــم غرلتكم • فيكون علامة بيني وبينكم* " (تك ١٧ : ١٠ ، ١١) وتمـــنى إبراهيم أن الله يبارك إسماعيل فقال له الرب " *بل سارة امرأتك تلد لك إبناً وتدعو إسمه إسحق • وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده* " (تك ١٧ : ١٩) •• فأين التكرار في القصة ؟!

٦- **العهد مع أبيمالك ملك جرار** : لا يوجد تكرار لأن العهد الأول (تك ٢١ : ٢٢ – ٣٤) كان بين أبيمالك وإبراهيم ، وأعاد أبيمالك البئر التي إغتصبها عبيده إلى صـــاحبها إبراهيم ، وقدم له إبراهيم سبع نعاج كعلامة لهذا العهد ، فدعيت البئر بئر ســبع ، والعهد الثاني (تك ٢٦ : ٢٦ – ٣٣) أقيم بين أبيمالك وإسحق بن إبراهيم ، وكـــان عبـــيد أبيمالك قد طهروا بئر سبع ، فعاد عبيد إسحق وحفروها ، وإستردها إسحق بعهد سلام مع أبيمالك •• فأين التكرار ؟!

٧- **تكـــريس بيت إيل** : حدث مرَّتين في المرَّة الأولى عند هروب يعقوب من وجـــه عيســـو ، وفي نومه في الصحراء رأى في حلمه سلماً منصوباً من الأرض للســـماء (تك ٢٨ : ١٢) " *وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأســـه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه* " (تك ٢٨ : ١٨) ونذر يعقوب لله أن حفظـــه وأعاده بسلام إلى أرضه يكون الله إلهه ويُخرج له العشور (تك ٢٨ : ٢٠ – ٢١)•

أما المرة الثانية فقد حدثت بعد عشرين عاماً ، في عودة يعقوب من عند خاله لابـــان ومعه زوجاته وأولاده ومواشيه وغنمه، فظهر له الرب في ذات المكان الذي رأى فـــيه حلمـــه فـــي المرة الأولى ، فباركه وأعطاه إسماً جديداً ووعده بأن ملوكاً سيخرجون من صلبه ، وإن الرب سيعطيه الأرض ولنسله من بعده " *فنصب يعقوب*

عمـــوداً في المكان الذي فيه تكلم معه عموداً من حجر • وسكب عليه سكيباً وصب علـــيه زيتاً • ودعا يعقوب إسم المكان الذي فيه تكلّم الله معه بيت إيل " (تك ٣٥ : ١٤ ، ١٥) فواضح أن المرة الأولى غير الثانية ، فلا يوجد تكرار في القصة•

٨- **قصة يوسف** : الذي يطالع القصة بتمعن يعرف تماماً أنها قصة واحدة لا تكـــرار فيها ، ففي الجزء الأول الذي فصلوه جاءت قصة حب يعقوب لإبنة يوسف وصُـــنع قمـــيص ملـــون له ، وحسد إخوته ، وذهاب يوسف لإفتقاد سلامة إخوته ، وإحتـــيالهم له ليميتوه ، ومحاولة راوبين لإنقاذه وبيعه للإسماعيليين ، وحزن يعقوب علـــيه ، وفي الجـــزء الثاني من نفس الإصحاح جاءت أحلام يوسف ، وحسد إخوته لـــه ، وتدبـــيرهم لقتله ، وبيعه للإسماعيليين ، وحزن أبيه عليه ، فهي قصة واحدة متكاملة مترابطة قسّمها أصحاب مدرسة النقد الأعلى لحاجة في نفس يعقوب•

٩- **تأسيس الفصح** : في الموضع الأول (خر ١٢ : ١ – ٢٨ ، ٤٣ – ٥١) يذكـــر عمـــل بنـــي إسرائيل للفصح ليلة خروجهم من أرض مصر ، وفي الموضع الثانـــي (خـــر ١٣ : ٣ – ١٢) تأتي وصية موسى لشعبه لعمل الفصح متى دخلوا أرض كنعان• إذاً في موضع يذكر عمل الفصح كحدث تاريخي ، وفي موضع آخر يذكر الفصح كعمل يجب أن يستمر من جيل إلى جيل ، فأين التكرار ؟!

١٠- **عـــبور الـــبحر الأحمر** : في الموضع الأول (خر ١٣ : ١٧ ، ١٨) لم يرشد الله شعبه إلى أرض الموعد مباشرة لئلا يعودوا إلى مصر ، فأدار الشعب في طـــريق برية بحر سوف ، وفي الموضع الثاني (خر ١٤) أمر الله شعبه أن ينزلوا مقابل البحر حتى يصعد فرعون عليهم ، وفعلاً سعى فرعون خلفهم فغرقوا في اليم ونجى شعب الله ، فواضح أنه لا تكرار في القصة•

١١- **السـلوى :** ذكـر موسى النبي في (خر ١٦) قصة نزول السلوى في برية سين في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني من خروجهم من أرض مصر ، وفـي (عـد ١١) يذكر موسى نزول السلوى بعد إشتهاء اللفيف اللحم وتزمر بني إسـرائيل ، فأرسل الله لهم السلوى لمدة شهر كامل " *وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن ينقطع حمى غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جـداً • فدُعي إسم ذلك الوضع قبروت هتاوة لأنهم هناك دفنوا القوم الذين إشتهوا* " (عـد ١١ : ١٣) فواضح أن السلوى نزلت مرَّتين ، مرة في برية سين وأخرى في قبروت هتاوة ، وفي زمانين مختلفين•

١٢- **مياه الصخرة :** ضرب موسى الصخرة مرتين ؛ في المرة الأولى (خر ١٧) ضـرب موسى الصخرة في رفيديم حسب كلام الرب " *فتضرب بها الصخرة فـيخرج منها ماء فيشرب الشعب • ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل* " (خـر ١٧ : ٦) أما في المرة الثانية (عد ٢٠) فكانت في قادش وكان كلام الرب لموسـى وهرون " *كلّما الصخرة أمام أعينهم أن تعطي ماءها • فتخرج لهم ماء من الصـخرة* " (عـد ٢٠ : ٨) ولكن موسى تعدى الوصية وبدلاً من أن يكلّم الصخرة حسب قول الرب ضربها " *ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج مـاء غزير فشربت الجماعة ومواشيها* " (عد ٢٠ : ١١) فغضب الرب على موسى وهـرون وحرمهما من دخول أرض الموعد " *فقال الرب لموسى وهرون من أجل إنكمـا لـم تؤمـنا بـي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل لذلك لا تُدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم اياها* " (عد ١١ : ١٢) لأن الصخرة كانت تشير للسيد المسيح الذي صُلب مرة واحدة •• فأين التكرار ؟!!

١٣- **الوصـايا العشر :** وردت في المرة الأولى (خر ٢٠ : ١ - ١٧) حيث نطـق بهـا الـرب على جبل سيناء ، أما في المرة الثانية (تث ٥ : ١ - ٢١) فقد

ذكـــرها موســـى النبي ليُذكّر بها الجيل الجديد من شعب الله قبل دخولهم إلى أرض كنعان ، وبين المرة الأولى والثانية نحو أربعين عاماً ، فأين التكرار ؟!

(ب) المتناقضات :

س٢٥ : أذكـــر أمـــثلة من المتناقضات الظاهرية بحسبما تصوّرها أصحاب مدرسة النقد الأعلى ، مع توضيح الحقيقة .

ج : يقـــول الأب أنطـــون نجيب في معرض حديثه عن التوراة في الفكر الحديث " تحـــتوي الـــتوراة علـــى متناقضات عديدة ، نجد أغلبها بطبيعة الحال في الأجزاء المتكررة . ونكتفي هنا بذكر أهم المتناقضات :

١- **الخلقـــة** : فـــي الـــرواية الأولى عن الخلقة ، يظهر الإنسان بعد العشب والحـــيوان (تك ١ : ١١ ، ١٩ – ٢٥ ، ٢٦ – ٢٧) ولكنه يظهر قبل هذه العناصر في الرواية الثانية (تك ٢ : ٧ ، ١٩) .

٢- **الطوفـــان** : فـــي رواية أولى ، يأمر الله نوحاً بأن يأخذ في الفلك زوجاً واحـــداً من جميع أنواع الحيوانات ، بلا تمييز بينها (تك ٦ : ١٩ –٢٠) وينفذ نوح هـــذا الأمـــر بدقة (تك ٧ : ١٤ – ١٥) وفي رواية ثانية نجد تمييزاً بين الحيوانات الطاهـــرة وغير الطاهرة ، فيأخذ نوح سبعة أزواج من الطاهرة ، وزوجاً واحداً فقط من غير الطاهرة (تك ٧ : ٢).

٣- **تـــنقلات الآباء** : توجد متناقضات عديدة في أخبار تنقلات الآباء . وقد ذكـــرنا مـــثلاً حادث سبي زوجات الآباء ، الذي جرى مع سارة مرة في مصر (تك ١٢ : ١٠ – ١٩) وأخرى في جرار (تك ٢٠) وجرى مرة ثالثة مع رفقة في جرار (تك ٢٦ : ١ – ١١).

٤- **ســـلالة حـــام وسام** : من الغريب حقاً أن نجد سبأ وحويلة وددان ولوديم ضمن سلالة حام مرة (تك ١٠ : ٧ ، ١٣) وضمن سلالة سام مرة أخرى (تك ١٠ : ٢٢ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٥ : ٣) .

٥- **زوجـات عيســو** : تزوج عيسو " يهوديت " بنت " بيئري " الحثي ، و " بســمة " بنت " أيلون " الحثي (تك ٢٦ : ٣٤) و " محله " بنت إسماعيل بن إبراهيم وأخت بنايوت (تك ٢٨ : ١)٠

ولكننا نقرأ في رواية أخرة " عادة " بنت " أيلون " الحثي ، و " أهليبامة " بنت " عانـة " بنـت صبعون " الحوي " ، و " بسمة " بنت " إسماعيل وأخت " بنايوت " وهكذا نجد تناقضاً في أسماء زوجات عيسو ، وفي أسماء آبائهن ٠

٦- **يوســف** : بـيع يوسف إلى الإسماعيليين كما نقرأ في (تك ٣٧ : ٢٦) ولكننا نقرأ في رواية أخرى أنه بيع إلى المديانيين (تك ٣٧ : ٢٨) ٠

هـل مـن الممكـن إذاً أن يكون مؤلف واحد قد سمح لنفسه بتدوين مثل هذه العناصـر المتناقضـة ، خاصـة إذا كـان المؤلـف يحمـل إسماً عظيماً مثل موسى ؟ " [١].

تعلـيق : جمـيع الأمور التي تبدو متناقضة في الكتاب المقدَّس إذا تمعنا فيها بروح الصـلاة تظهر متوافقة تماماً ، المهم أن تتوافر النية الحسنة ، وما أجمل قول الشهيد يوستين في القرن الثاني الميلادي " **إذا بدأ لي أن هناك نصوصاً تتعارض مع أخرى فـي الكتـاب المقدَّس ، فالأفضـل أن أعتـرف بأني لم أفهم جيداً ما هو مكتوب** " (الحوار مع تريفو ٦٥ : ١) [٢].

١- **الخلقـة** : ذكر الإصحاح الأول الخلقة ككل ، وذكر أن الله خلق النباتات فـي اليوم الثالث ، وخلق الحيوانات والإنسان في اليوم السادس ، وإستراح في اليوم السابع ٠ أما الإصحاح الثاني فمحوره التركيز على آدم وحواء وعلاقتهما بالخليقة ، وعـندما تحدث موسى عن غرس الرب لجنة عدن ذكر نمو النباتات " *وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة وشـجرة معـرفة الخير والشر* " (تك ٢ : ٩) وعند حديثه عن تسمية آدم للحيوانات

---

(١) رسالة صديق الكاهن – سبتمبر ١٩٧١م ص ٣٧ ، ٣٨

(٢) أورده د٠ جوزيف موريس في مذكرة مؤتمر تثبيت العقيدة السادس سبتمبر ٢٠٠٣ ص ١٣٥

والطيور ذكر خلقة الحيوانات وفي الأصل الإنجليزي جاء فعل " جبل " في الماضي التام " *وكان الرب الإله قد جبل من التراب كل وحوش البرية وطيور السماء وأحضرها إلى آدم ليرى بأي أسماء يدعوها* " (تك ٢ : ١٩) وعندما ذكر موسى خلقة الإنسان قبل النبات والحيوان في الإصحاح الثاني فذلك يتناسب مع كرامة الإنسان وسيادته على الكون ، وإن كان ليس حسب الترتيب الزمني للخلقة.

٢- **الطوفان** : في (تك ٦ : ١٩ ، ٢٠) ذكر الأمر الإلهي العام بأن يأخذ ذكراً وأنثى من كل الطيور والحيوانات ودبابات الأرض ، وما جاء في تك (٧ : ٢ ، ٣) ذكر الأمر الخاص بالبهائم الطاهرة وطيور السماء وهو زيادة أعدادها من زوج واحد إلى سبعة أزواج ، حتى إذا قدم منها نوح ذبائح بعد الطوفان لا تنقرض ، فلا يوجد أي تناقض لأن أخذ سبعة سبعة من الحيوانات الطاهرة لا يناقض أخذ ذكراً وإنثى من كل أنواع الحيوانات.

٣- **تنقلات الآباء** : سبق الرد عليها في رقم (٣) من التكرار.

٤- **سلالة حام وسام** : عجيب أمر هؤلاء النقاد فقد حصروا أربعة أسماء هم سبا وحويلة وددان ولوديم في عدة أجيال من سلالة حام فوجدوها مكرَّرة في عدة أجيال من سلالة سام ، فاعتبروا أن نفس الأشخاص وردت أسماؤهم مرة في سلالة حام ومرة أخرة في سلالة سام ، وحكموا بأن هذا تناقض .. ياللعجب !! هل من الصعب أن تجد عدة أشخاص لهم نفس الأسماء في جيل واحد فكيف تستنكر هذا إذا حدث في عدة أجيال ، ولو أخذنا بهذا المنطق لاعتبرنا أن تلاميذ السيد المسيح ليسوا إثنى عشر لأن هناك تلميذان بإسم يعقوب (يعقوب بن حلفى ، ويعقوب بن زبدي) وآخران بإسم سمعان (سمعان القانوي وسمعان بطرس) ولو أخذنا بهذا المنطق لاعتبرنا ناثان بن داود وناثان النبي شخص واحد ، ولاعتبرنا أيضاً فيلبس الرسول وفيلبس الشماس وفيلبس رئيس الربع شخص واحد ، ولاسيما أن في كل مثل من الأمثلة السابقة عاش الأشخاص الذين جمعهم إسم واحد في جيل واحد وليس عدة أجيال ، وربما كانوا قريبين من بعض جداً مثل تلاميذ السيد المسيح.

ولتكتمل الصورة نقول أن سبا وحويلة من الجيل الثالث لحام بينما سبا وحويلة الآخران من الجيل السادس لسام ، ودادان من الجيل الرابع لحام ودادان الآخر من الجيل الثالث عشر لسام ، ولوديم من الجيل الثالث لحام ، ولوديم الآخر من الجيل الثاني لسام (راجع تك ١٠ : ٦ ، ٧ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٥ : ١ - ٣) (راجع الشماس يسى منصور - التوراة فوق الفكر الحديث ص ٥٩ ، ٦٠) .

٥- **زوجات عيسو** : وردت أسماءهن في ثلاثة مواضع " *ولما كان عيسو إبن أربعين سنة إتخذ زوجة يهوديت إبنة بيري الحثّي وبسمة إبنة إيلون الحثي* " (تك ٢٦ : ٣٤) ... " *فذهب عيسو إلى إسماعيل وأخذ محله بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت نبايوت* " (تك ٢٨ : ٩) وفي المرة الثالثة قال " *أخذ عيسو نساءه من بنات كنعان عدا بنت إيلون الحثي وأهوليبامة بنت عَنَى بنت صبعون الحويّ . وبسمة بنت إسماعيل أخت نبايوت* " (تك ٣٦ : ٢ ، ٣) والتناقض الظاهري هنا مصدره هو تسمية الشخص الواحد بأكثر من إسم فمثلاً سارة كانت تُدعى ساراي ، وعيسو كان له إسم آخر وهو أدوم ، وبنفس المنطق نقول أن زوجات عيسو هنَّ :

١- يهوديت بنت بيري الحثّي (تك ٢٦ : ٣٤) ومعنى إسم يهوديت أي " يهودية " وبيري أي " صاحب البئر ".

٢- أهوليبامة بنت عَنَى بنت صبعون الحويّ (تك ٣٦ : ٢) فهي بنت عَنَى وحفيدة صبعون الحوى ، وكان من الممكن أن ينسب الإبن أو الإبنة إلى الجد ، ومعنى أهوليبامة أي " خيمة العلو " .

٣- عدا بنت إيلون الحثي (تك ٣٦ : ٢) وهي الملقّبة بإسم بسمة بنت إيلون الحثي (تك ٢٦ : ٣٤) ومعنى إسم عدا أي " زينة " ومعنى إسم إيلون أي " شجرة البلوط " ومعنى إسم بسمة أي " حرة " .

٤- محلة بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت نبايوت (تك ٢٨ : ٩) وهي الملقّبة بسمة بنت إسماعيل أخت نبايوت (تك ٣٦ : ٣ ، ٤) ومعنى إسم محلة " آلة طرب ".

٦- **بـيع يوسف** : جاء في موضع أنه بيع للإسماعيليين " *فقال يهوذا لأخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه ، تعالوا فنبيعه للإسماعيليين* " (تك ٣٧ : ٢٦ ، ٢٧) وفـي الآية التالية أنه بيع للمديانيين " *واجتاز رجال مديانيُّون تجار ، فسحبوا يوسـف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيليين* " (تك ٣٧ : ٢٨) والحقيقة تتضح في موضع ثالث " *سكن الإسماعيليون بلاد مديان بن إبراهيم* " (تك ٢٥ : ١) لذلـك سـمى الكتاب التجار بالإسماعيليين لأنهم أبناء إسماعيل ، وهذا هو جنسهم ، ودعـاهم أيضـاً بالمديانيين نظراً إلى مكان إقامتهم ، وهذا أمر مستساغ ، فموسى النبـي بحسـب جنسه هو عبراني ، وبحسب مكان إقامته هو مصري " *فقلن رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة* " (خر ٢٠ : ١٩)٠

ثالثاً : الأدلة التشريعية التي إعتمدت عليها نظرية المصادر

س ٢٦ : مـا هي الأدلة التشريعية التي إعتمدت عليها نظرية المصادر ؟ وما هو الرد عليها ؟

ج : **أورد أصـحاب مدرسـة النقد الأعلى أربعة أدلة ، إعتمدوا عليها في قولهم بـنظرية المصـادر ، وهـي مركزية العبادة ووحدة المعبد ، والأعياد ، والذبائح والـتقدمـات ، والنظام الكهنوتي** (راجع رسالة صديق الكاهن – سبتمبر ١٩٧١م ص ٤١ – ٤٩)٠ **ونورد هنا الدليل الأول كمثال لهذه الأدلة مع التعليق عليها :**

مركزية العبادة أو وحدة المعبد :

قـال الأب أنطون نجيب في سياق حديثه عن التوراة في الفكر الحديث تحت عنوان مركزية العبادة أو وحدة المعبد " **الواقع الأول : التطور التشريعي** : نجد في الشـريعة تصـوراً واضحاً بالنسبة إلى مكان العبادة ٠ **ففي البداية** كان من الممكن إقامة المذابح في أي مكان ٠ ولدينا نصوصاً صريحة بهذا المعنى ، مثل هذا النص " *مذبحـاً ٠٠ تصـنع لي ٠٠ وفي كل موضع يذكر فيه إسمي آتيك وأباركك* " (خر

٢٠ : ٢٤) وفي **مرحلة ثانية** أتت شريعة وحدة المعبد (تث ١٢ :١١ ، ١٧ – ١٨) وفي **مرحلة ثالثة** يظهر بوضوح أن هذه الوحدة قد تحقّقت (تث ١٧ : ٣ – ٩)٠

الواقـــع الثاني : التطور التاريخي : وإذا رجعنا إلى التاريخ المقدَّس ، نجد أن تطور الشـــريعة كـــان موازياً للتطور التاريخي نفسه ، وبالفعل خضع تنظيم مكان العبادة لـــتطور واضـــح أكيد ٠ **ففي البداية** لم يكن هناك مكان ثابت لتشييد المذابح ، وكان الحـــــال كذلـــك في زمن القضاة ، كما يظهر في أعمال جدعون (قض ٦ : ١٩ – ٢١) ومـــنوح (قـــض ١٣ : ١٩) ولم يتغير الوضع في زمن صموئيل ، الذي قدم ذبائح في معابد المصفاة ، والجلجال ، وبيت لحم ، وغيرها ، كما إنه بنى مذبحاً في الرامة (١صم ٧ : ٩ ، ١٠ : ٨ ، ١٦ : ٥) وقبل بناء الهيكل كان الشعب يذبح على المشارف (١مل ٣ : ٢)٠

وقـــد إســـتمرت عادة تقديم الذبائح في معابد محلية حتى بعد بناء الهيكل ، وهذا نراه فـــي عهد سليمـــان نفسه (١مل ١١ : ٧) ثم في عهد خلفائه مثل رحبعام (٩٣٥ – ٩١٤ ق٠م) (١مـــل ١٤ : ٢٣) ونجد ملوكاً أتقياء مثل آسا (٩١١ – ٨٧٠ ق٠م) ويوشـــافاط (٨٧١ – ٨٤٧ ق٠م) يتركون المشارف قائمة (١مل ١٥ : ١٤ ، ٢٢ : ٤٣)٠

وأكـــثر مـــن ذلك نجد إيليا النبي نفسه يحتج بشدة ضد هدم معابد يهوه في عهـــد إيزابـــيل الشريرة ، ثم يعيد بناء معبد الكرمل (١مل ١٩ : ١٤ ، ١٨ : ٣٠) واليشع النبي ذبح عجولاً للرب في حقله أو في بيته (١مل ١٩ : ٢١)٠

يتضـــح مـــن ذلك أن شريعة وحدة المعبد كانت مجهولة في القديم ٠٠ ثم جـــاءت **مرحلة ثانية** إختفت فيها المشارف تدريجياً ، وأخذت العبادة تتركز تدريجياً فـــي هيكل أورشليم ٠ وكان حزقيا (٧١٦ – ٦٨٧ ق٠م) أول من أمر بالقضاء على المشـــارف (٢مـــل ١٨ : ٤) ثم إجتهد يوشيا (٦٤٠ – ٦٠٩ ق٠م) في مواصلة هذا الإصلاح٠

وأخـيراً جـاءت مرحلة ثالثة تم فيها القضاء نهائياً على المشارف وعلى المعـابد المحلـية ، وصـار هيكل أورشليم مكان العبادة الوحيد ، وقد بدأ ذلك بعد إكتشاف " سفر توراة الرب " (٢مل ٢٢ – ٢٣) ولكن هذا النظام لم يتحقق تماماً إلاَّ بعد العودة من الأسر البابلي ، أي بعد سنة ٥٣٨ ق٠م ٠٠

النتـيجة : ٠٠ فهـناك أولاً النصوص التي تجيز إقامة المذابح في أي مكان ، أو تروي أحداثاً تطابق هذا الوضع ، وترجع هذه النصوص إلى المصدرين القديمين ، أي المصـدر اليهوي والمصدر الإيلوهي ، وتسبق بكل تأكيد إصلاح يوشيا (٦٢١ ق٠م) وتأتـي ثانـياً النصـوص التـي تبين محاولات توحيد المعبد ، وترجع هذه النصـوص إلـى مصدر ثالث ، هو مصدر التثنية ، الذي ظهر بعد إصلاح يوشيا مباشـرة (حوالـي ٦٢٠ ق٠م) ولدينا أخيراً النصوص التي تفترض واقع وحدة المعـبد وتنتمـي إلى المصدر الكهنوتي ، وترجع إلى زمن الأسر البابلي أو إلى الزمن اللاحق له مباشرة (حوالي ٥٤٠ ق٠م) " [١]٠

تعلـيق : أ- عندما كان بنو إسرائيل يرتحلون في البرية من مكان إلى آخر كانوا يضـطرون إلـى إقامة مذبح في كل مكان يحلون فيه ، وهذا ما قصده الكتاب من قولـه " *مذبحـاً مـن تراب تصنع لي وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك غنمك وبقـرك ٠ في كل الأماكن التي فيها إصنع لإسمي ذكراً آتي إليك وأباركك* " (خر ٢٠ : ٢٤)٠

ب- بعد الوصول إلى أرض كنعان كان هناك وصية مسبقة أن تكون العبادة فـي المكان الذي يختاره الرب " *فمتى عبرتم الأردن وسكنتم الأرض التي يقسمها لكم الرب إلهكم وأراحكم من جميع أعدائكم الذين حواليكم وسكنتم آمنين ٠ فالمكان الـذي يخـتاره الـرب إلهكـم ليحل إسمه فيه تحملون إليه كل ما أن أوصيكم من*

---

[١] رسالة صديق الكاهن- سبتمبر ١٩٧١م ص ٤١ ـ ٤٤

محـــرقاتكم وذبـــائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم وكل خيار نذوركم التي تنذرونها للرب " (تث ١٢ : ١٠ ، ١١) وقد تحقق هذا ببناء هيكل أورشليم.

ج- في أيام القضاة لم يكن الهيكل قد بني بعد ، لذلك قدموا الذبائح في أماكن مخـــتلفة ، فقدم جدعون ذبيحة في عفرة بعيداً عن أورشليم (قض ٢ : ١٩ - ٢١) وقـــدم مـــنوح على صخرة في صرعة (قض ١٣ : ١٩ - ٢٠) وقدم صموئيل في المصفاة (اصم ٧ : ٩) وفي الجلجال (اصم ١٠ : ٨) وفي بيت لحم (اصم ١٦ : ٥) وذكـــر سفر الملوك سبب تقديم الذبائح على المرتفعات في أيام سليمان الأولى " *إلاَّ أن الشـــعب كـــانوا يذبحون في المرتفعات لأنه لم يبن بيت لإسم الرب إلى تلك الأيام* " (امل ٣ : ٢).

د- الذبـــائح التـــي قُدمت بعد بناء الهيكل بعيداً عن الهيكل لم تقدم للرب بل للأصـــنام ، مـــثل الذبائح التي قدمها سليمان وإحتج بها على أصحاب النقد الذين لا فرق عندهم بين ذبائح الله وذبائح الأصنام ، فيقول الكتاب " *وعمل سليمان الشر في عينـــي الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجـــس الموآبيـــن على الجبل الذي تجاه أورشليم . ولمولك رجس بنى عمُّون . وهكـــذا فعـــل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنَّ يوقدن ويذبحن لآلهتهنَّ . فغضب الرب على سليمان* " (امل ١١ : ٦ - ٩) وهكذا الذبائح التي قدمت أيام رحبعام بن ســـليمان " *وعمـــل يهـــوذا الشر في عيني الرب وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آبـــاؤهم بخطايـــاهم التـــي أخطأوا بها. وبنوا هم أيضاً لأنفسهم مرتفعات وأنصاباً وسواري على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء. وكان أيضاً مأبونون على الأرض . فعلـــوا حســـب كـــل أرجـــاس الأمم* " (امل ١٤ : ٢٢ - ٢٤) أما آسا ويهوشافاط رجال الله فلم يقدموا ذبائح للأصنام على المرتفعات إنما هما لم يستطيعا أن يزيلا هذه المرتفعات لتمسك الشعب بها.

هـ - ذبيحة إيليا (١مل ١٨ : ١٧ - ٤٠) لم يكن من الممكن إقامتها في هيكل أورشليم لأنها كانت نوعاً من التحدي مع آلهة البعل ، وإتفقوا على أن يقدم كل منهم ذبيحة على جبل الكرمل في مملكة بني إسرائيل الشمالية ليروا أي ذبيحة يقبلها الرب . ذبيحة أنبياء البعل أم ذبيحة إيليا ؟ . إذاً كان هناك ضرورة لمواجهة تحدي الشيطان فإضطر إيليا أن يقدم ذبيحته خارج هيكل أورشليم.

و- لم يقدم إليشع ذبيحة إنما صنع وليمة محبة للشعب بمناسبة دعوته للخدمة *" أخذ فدان بقر وذبحهما وسلق اللحم بأدوات البقر وأعطى الشعب فأكلوا . ثم قام ومضى وراء ايليا وكان يخدمه "* (١مل ١٩ : ٢١) .

ونختتم حديثنا في هذا الفصل عن موقف الكنيسة الكاثوليكية من مدارس النقد .

س٢٧ : ما هو موقف الكنيسة الكاثوليكية من مدارس النقد ؟ وما هو مدى تأثرها بأفكار وسموم هذه المدرسة ؟

ج : للأسف إنقسم الكاثوليك فمنهم من هاجم مدارس النقد ، ومنهم من أيدها وهم الأغلبية الساحقة . أما الآن فللأسف الشديد فإننا نعاين الكنيسة الكاثوليكية وهي تتبنى أفكار مدرسة النقد الأعلى وتبشر بها .

أولاً : تمسك بعض الكاثوليك بقدسية الكتاب المقدس ، وأقرُّوا الوحي الإلهي في الكتاب كله ، واعترفوا بالتقليد الذي أوصل لنا الكتاب بهذه الصورة ، ومن أهم الذين كتبوا يؤيدون هذا الإتجاه البابا لاون الثالث عشر (١٨٧٨ - ١٩٠٣م) في الرسالة العامة التي أصدرها في ١٨ نوفمبر ١٨٩٣م باسم " الله الكلي العناية " وتؤكد على الآتي :

١- التنديد بأضاليل مدرسة النقد الأعلى التي ترفض الوحي الإلهي ، وتعتبر الكتب المقدّسة كتب بشرية محضة تنقصها الحقيقة التاريخية ، وتنكر المعجزات

فتنسبها إلى قوى طبيعية مجهولة أو تعتبرها بقايا خرافات وأساطير شعبية ، فتقول الرســالة " ونظراً لأن الكثيرين منهم متشبعون بأضاليل الفلسفة الباطلة ، والمبادئ العقلــية الطبيعية الفاسدة ، فإنهم لا يخجلون من رفض النبوات والمعجزات ، وكل ما يفوق الوضع الطبيعي في الكتب المقدَّسة " (١).

٢- صرحت الرسالة بأن خير وسيلة للدفاع عن الكتب الموحاة هو الإرتقاء بدراسة الكتاب المقدَّس في المؤسسات الكنسية ، مع الإستعانة بالوسائل الضرورية الـنافعة ، ولا يغيب عن ذهن المفسر قول القديس أغسطينوس إن المهم هو إعلان ما يعنيه الكتاب المقدَّس وليس ما يريده المفسر .

٣- حضــت الرســالة علــى دراسة اللغات الشرقية القديمة التي كُتبت بها الأسفار القانونية .

٤- شــجعت الرســالة علــى النقد الأدبي الصحيح فقال " ينبغي أيضاً على الأســاتــذة أن يكونـــوا متضلعين في علم النقد الأدبي الصحيح ، ومتمرسين فيه عملــياً " (٢) وشــجبت النقــد الأدبي الناقص الذي يعتمد على الأدلة الداخلية للنص فقــط ، فتقول الرسالة " وقد أقام البعض ، بدون حق ، وعلى حساب الدين ، منهجاً يدعونــه { النقد الأعلى } يستند فقط على الأدلة الداخلية ، كما يدعونها ، من أجل الحكــم على أصل الكتاب ، وسلامته ، وسلطته { فلابد من الأدلة الخارجية وشهادة الوثــائق التاريخية ، وتعاليم الآباء } من الواضح ، بعكس ذلك إن شهادات التاريخ تتمــتع بقــيمة أكبر من قيمة سائر الدلائل ، وذلك في المواضيع التاريخية ، حتى أصــل الكتــب ، وحفظها ، وسلامتها . لذا يجب البحث بعناية عن هذه الشهادات التاريخــية ، وفحصــها بكــل دقـــــة . أما أدلة النقد الداخلي فلا تتمتع في أغلب

---

(١) رسالة صديق الكاهن – مارس ١٩٧٣م ص ٦٩

(٢) المرجع السابق ص ٦٨

الأحـــيان ، بقـــوة كافية للإستناد إليها ، وإن كانت قد تنفع أحياناً في تدعيم البحث ومساندته " [1].

وأوضحت الرسالة الضرر الناشئ من النقد الأدبي الناقص فتقول " وبغير ذلـــك ســـوف تنجم أضرار جسيمة ، وتزداد جرأة أعداء الدين ، فيتجاسرون على الطعن في صحة الكتب المقدَّسة ، وسوف يقودهم مبدأ " النقد الأعلى " الذي ينادون بــه إلـــــى عواقـــب وخـــيمة . فلن يحصلوا على ذلك النور المنشود لفهم الكتب المقدَّســـة ، ولـــم يجـــنوا أية فائدة من آرائهم وتعاليمهم ، وإنما ستتكشف فقط تلك العلامـــة الأكيدة على خطإهم وضلالهم ، ألا وهي تضارب الآراء والأقوال ، كما هو واضح منذ الآن لدى أصحاب تلك النظرية " [2] .

٥- تؤكـــد الرســـالة أن العلـــم الصحيح لا يمكن أن يتضارب مع كلمة الله الموحـــاة ، وأي إختلاف أو تضاد ظاهري بين الكتاب المقدَّس والعلوم يمكن حله ، وإن بقيـــت بعض المشاكل بلا حل فقد تكون ناشئة من خطأ النُساخ فتقول الرسالة " أجل ، من الممكن أن يكون النساخ الذين نقلوا المخطوطات ، قد أخطأوا في كتابة بعـــض النصوص ، ولكن يجب في مثل هذه الحالة ، أن يكون الحكم ناضجاً ، وأن لا نسلم به إلاَّ في النصوص التي يثبت فيها خطأ النساخ بوضوح " [3] ويؤكد نفس المعنى الأب أنطون نجيب فيقول " أما بالنسبة إلى النصوص التي قد تظهر مخالفة للحقـــيقة ، فيجـــب القول مع القديس أوغسطينوس بأنها لا تعدو أن تكون خطأ في النسخ ، أو خطأ في التفسير ، أو عدم فهم من جهتي " [4] { ملاحظة : لا أحد ينكر أن هـــذا التصـــريح البابوي بإمكانية خطأ النُساخ قد شجع البعض على الطعن في بعـــض نصوص الكتاب المقدَّس ، وهذا ما أصبحت تعاني منه الكنيسة الكاثوليكية الآن } .

---

(١) رسالة صديق الكاهن ــ مارس ١٩٧٣م ص ٦٨
(٢) المرجع السابق ص ٦٨
(٣) المرجع السابق ص ٦٩ ، ٧٠
(٤) المرجع السابق ص ٧١

٦- هاجمت الرسالة فكرة الوحي الجزئي فقالت " ولكن من الخطأ البين حصر الوحي الإلهي في بعض أجزاء الكتاب المقدّس فقط ، أو التسليم بوقوع الكاتب الموحى (إليه) في الخطأ ، ولا يمكن الإقرار برأي الذي لا يترددون في التسليم بأن الوحي الإلهي يقتصر على أمور الإيمان والأخلاق ، دون سواهما ، رغبة منهم في التخلص من الصعوبات " (١) وتؤكد الرسالة على الوحي الكامل فتقول " لأن الكتب التي تقبلها الكنيسة كمقدّسة وقانونية ، قد كُتبت كلها ، في جميع أجزائها بإملاء الروح القدس ، فلا يمكن أبداً أن يقع أي خطأ في الوحي الإلهي ، فهو بطبيعته ينفي كل خطأ ، بل هو ينفيه ويستبعده بنفس الضرورة التي يمتنع معها أن يكون الله تعالى ، الحقيقة العليا ، مصدراً لأي خطأ " (٢) ويعلن الأب أنطون نجيب موضحاً طبيعة الوحي فيقول " وبهذه المناسبة تُحدّد الرسالة طبيعة وحي الكتب المقدّسة ، فتعلن أن الروح القدس ، المؤلف الأول والأساسي ، إستخدم بعض الأشخاص كأداة للكتابة ، فإن الروح القدس بقوته الفائقة الطبيعية ، حركهم وساقهم إلى الكتابة ، وساعدهم عند الكتابة ، بحيث أنهم أدركوا إدراكاً صحيحاً كل ما أمر بكتابته ، ولا شئ غيره ، وأرادوا كتابته بأمانة ، وعبروا عنه تعبيراً صحيحاً ، معصوماً من كل خطأ ، وبخلاف ذلك لن يكون الله تعالى مصدر الكتاب المقدّس كله " (٣).

وقد ألف العلامة الفرنسي الأب " فيجوروكس " F. Vigourowx كتاباً (٤) سنة ١٨٨٤م ردّ فيه على مدرسة النقد الأعلى. كما وضع هذا الأب **قاموس الكتاب المقدس** الذي أستغرق منه نحو عشرين عاماً (١٨٩١ - ١٩١٢م) ، وأيضاً العلامة " كورنيلي " R. Cornely سار في ذات الدرب ،

---

(١) رسالة صديق الكاهن - مارس ١٩٧٣م ص ٧٠

(٢) المرجع السابق ص ٧٠

(٣) المرجع السابق ص ٧٠ ، ٧١

(4) Les Livres Saints et la Critiqu rationaliste

وألــف كــتاباً [1] ســنة ١٨٨٧م كشــف فيه أخطاء مدرسة النقد ، وناقش نظرية المصــادر وردّ علــيها ، وأعلن تمسكه بصحة الكتاب المقدس لأنه مُوحَى به من الــروح القــدس ، والتقلــيد هو الذي أوصل لنا الكتاب بهذه الصورة كما إشترك " كورنيلــي " مع مجموعة من الدارسين في وضع مجموعة تفسيرية باسم " **دروس فــي الكتاب المقدس** " حيث إعتمدوا في كثير من الأحيان على أقوال آباء الكنيسة الأوائل .

ثانــياً : قــبل معظــم الكاثوليك أفكار مدرسة النقد الأعلى ، وشجعوا نظرية المصــادر ، ولاســيما تحت تأثير الراهــب الدومنيكانــي الأب " ماري جوزيف لاجرانج " M. G. Lagrange الذي أسَّس " مدرسة أورشليم للدراسات الكتابية " ســنة ١٨٩٠م في مدينة القدس ، وفي سنة ١٨٩٢م أصدر " المجلة الكتابية " وفي ســنة ١٩٠٩ أنشأ معهد الكتاب المقدَّس البابوي في روما ، وإن كان هذا المعهد لا يتــبع الفاتــيكان إلاَّ أنــه معــتمد منه رسمياً ، كما إستعان ببعض الدارسين الذين يوافقونــه ميوله في وضع مجموعة " الدراسات الكتابية " وكان " لاجرانج " متأثراً بأفكار وآراء " ليسنج " Lessing الذي يدعو للفصل بين الدين والكتاب المقدس ، حيــث يعتــبــر أن الدين ينبع من عقل الإنسان وقلبه ، ولا يحتاج إلى كتاب معين ليحدد له طريق الإيمان بالله .

وأنكــــر " لاجــرانج " الوحي الإلهي بمفهومه التقليدي ، وقال أن الوحي نــابع من العقل والإرادة ، فالله يستغل من عقول الناس وإرادتهم سبيلاً للكشف عما فــي عقلــه وإرادتــه هــو ، وذلك بأن يحرك هؤلاء الكتاب إلى دراسة الحفريات وإســتنطاق الأرض دون الحاجــة إلى الإيمان بكل ما جاء في الكتاب المقدس من تعالــيم الســمــاء ، وتجــرأ " لاجــرانج " على الكتاب المقدَّس **فحذف ماشاء من الأحــداث ، واعتــبرها أساطير خرافية** ، وقال " لاجرانج " أن هناك ثلاثة مصادر

---

(1) Introductio Specialis in Ristoricos Veteris Testamenti Libros, 1887

للـــتوراة هم الإيلوهي E ، واليهوي J ، والكهنوتي P ، والمصـــدر الأيلوهي وُجِد قبل موسى ، وإستعان به موسى في تدوين الجزء التاريخي السابق عليه ، أما المصدر اليهوي فقد كتبه أحد أتباع موسى بموافقته أو بناء على توجيهات شخصية مـــن موســـى ، والمصدر الكهنوتي يمثل مؤلف وجيز كُتب بعد موسى ، وأن هذه المصـــادر الثلاث جرى عليها تعديل وتصحيح وتنقيح في عصور متلاحقة (وهذا ما تنقله لنا مدرسة المدَّعين التحريف نقلاً عن العلماء المسيحيين كما يدعون) •

وللأســـف فإن الأغلبية الساحقة من الكاثوليك سقطوا في فخ مدارس النقد ولاسيما أن البابا بيوس الثاني عشر (١٩٣٩ – ١٩٥٨م) أعلن سنة ١٩٤٣م عن تشـــجيع حـــرية البحـــث في دراسات الكتاب المقدَّس ، والبحث عن معلومات عن واضـــعي العهد القديم ، فقال للباحثين " فسروه مع توخي الحذر المطلوب ، وبدون إهمـــال الـــنور النابع من البحث الجديد لتحديد الشكل الخاص والظروف التي عمل فـــيها المؤلِـــف المقدَّس ، والفترة التي عاشها ، والمصادر المكتوبة أو التي بلغ بها شـــفهياً ، وصـــوَّروا التعبـــيرات التي إستخدموها " (١) ، وأيضاً للأسف الشديد أن مدرســـة " لاجـــرانج " الذي مات سنة ١٩٣٨ ظلت مستمرة ، والأمر المدهش أنها وجـــدت طـــريقها إلى مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢ – ١٩٦٥م) الذي وضـــع تعريفاً جديداً للوحي ، كما وضع بعض القواعد اللازمة لمفسّري الكتاب المقدس في قـــراراته الصـــادرة في ١٨ نوفمبر ١٩٦٥م ، وفي سنة ١٩٦٨م نشرت مجلة من جـــروم بيبلـــيكال كومنتري " الكاثوليكية التصريح التالي : " ليس سراً أن الخمس عشـــرة أو العشـــرين ســـنة الأخيرة كانت تتميز بالتحول والتغير في كل ما يتعلق بالبحـــث الكاثوليكـــي للعهد القديم – التغيُّر الذي أبدته السلطة في الخطاب البابوي Divino Afflante Spiritu للـــبابا بيوس الثاني عشر • فإن نقد الأسس الأدبية والتاريخـــية التي كانت محل شك لفترة طويلة أصبحت اليوم مقبولة ، بل ويقوم بها

(١) ريتشارد فريدمان – من كتب التوراة ؟ ـ ترجمة عمرو زكريا ص ٢٥

متخصصـــوا العهــد القديــم من الكاثوليك " [1] ، وقــد تكون الكنيسة الكاثوليكية شـــجعت علـــى النقد الكتابي بدافع جمع شمل الأسرة المتفرقة إلى واحد ولم شمل الشـــعوب الأوربـــية المنشـــقة عنها ، ولكن كيف نضحي بالإيمان مقابل الوحدة ؟ وكـــيف نطرح ما تسلمناه من تراث ثمين مقدس لمجرد إرضاء المسيحيين بالأسم ، وضـــمهم للخضـــوع للرئاسة الدينية ؟! .. إن أي مسايرة لأصغر مذهب منحرف تخـــرج الإنســـان من دائرة الإيمان الصادق المسلّم مرة للقديسين وتدخله دائرة هذا المذهـــب المـــنحرف .. وفيما هم يوسعـــون الأبواب ليدخل الذين في الخارج فإذ بالذيـــن فـــي الداخل يتسربون من حظيرة الإيمان !! ، ولكيما تتصوَّر ياصديقي ما آلت إليه الكليات اللاهوتية فـــي الغـــرب أضـــع أمامـــك اللقطة الآتية التي سجلها " ريشار وورمبراند " الذي تحمل عذابات لا تطاق في سجون رومانيا الشيوعية من أجـــل الإيمان ، ولم يكف عن الكرازة بإسم المسيح ، إذ يقول " ومنذ أن جئتُ إلى الغـــرب زرت عـــدداً كبيراً من الكليات اللاهوتية .. أكتشفت أن الطلاب في هذه المعـــاهد اللاهوتـــية يتعلمون عن الكتاب المقدَّس إن قصة الخلق ليست صحيحة . كذلـــك ولا قصة آدم ، أو الطوفان ، أو معجزات موسى . وإن النبوات قد سجلت بعـــد إتمامهـــا . وإن ولادة المســـيح العذراوية لهي من نسيج الخيال وكذلك قيامة المســـيح من بين الأموات . وإن عظامه بقيت في قبرها . وإن الرسائل في العهد الجديد ليست واقعية ، وإن سفر الرؤيا هو سفر أحد البلهاء .. " [2].

ثالثاً : ما جاء في مقدمة الطبعة اليسوعية التي صدرت سنة ١٩٨٨م ومقدمات الأســـفار التـــي إحـــتوتها فإنه يحتاج إلى وقفة عميقة ، ليدرك الجميع مدى تأثر الكنيســـة الكاثوليكية بآراء مدرسة النقد الأعلى ، بل قل تبنيها هذه الآراء ، ومن أمثلة ذلك ما يلي :

---

(١) ريتشارد فريدمان – من كتب التوراة ؟ - ترجمة عمرو زكريا ص ٢٥
(٢) العذاب الأحمر ص ١١٤

١- جاء في الجدول التاريخي بمقدمة الطبعة "٤٠٠ – ٣٥٠ ق٠م إنجاز بعض الكتب منها ملاخي وأيوب والمزامير ويونان وأخبار الأيام وعزرا ونحميا " [١].

٢- في مقالة " مدخل إلى التوراة " وتحت عنوان : التقاليد ٠ تناول الكاتب نظرية المصادر الأربعة للتوراة كما أقرها أصحاب مدرسة النقد الأعلى ، وهم المصدر اليهوي " ى " – J ، والألوهيمي " أ " – E ، والكهنوتي " ك " – P ، والتثنوي " ت " – D ، وقال الآباء اليسوعيين بما قاله أرباب مدرسة النقد الأعلى بأن الصيغة النهائية للتوراة تمت في أيام عزرا فيقولون " في أصل هذا التاريخ الأدبي تقاليد (يقصد مصادر) يرقى عهدها إلى أيام موسى وقد تكون قد إنتقلت مشافهة مدة طويلة من الزمن ، قبل أن يجمعها ويحرّرها كُتّاب مُلهمون ، في مختلف العصور ٠٠ ونجد في نهاية هذا التاريخ التوراة كما نعرفها اليوم ، والتمعن في تأليفها الأدبي يكشف لنا أن ذلك التحرير النهائي (على الأرجح في أيام عزرا خلال القرن الخامس) راعى بإحترام مختلف التقاليد (المصادر) الدينية لدى الشعب الإسرائيلي " [٢].

٣- يؤيد الآباء اليسوعيين نظرية المصادر بسبب تكرار بعض الأحداث في التوراة ، فقالوا " فالقارئ المنتبه إلى وحدة التوراة يفاجأ أحياناً ببعض مظاهرها الأدبية (يقصد التكرار) فالوصايا العشر ترددت مرتين (خر ٢٠ ، تث ٥) ٠٠ فهناك رواية مزدوجة تورد تفاصيل الخلق (تك ١ : ١ – ٢ : ٤ ، ٢ : ٤ – ٢٥) وطرد هاجر (تك ١٦ ، ٢١) ٠٠ إلخ وليس الأمر أمر تكرارات فحسب ، فكل رواية من روايات الحدث الواحد لها طابع مبتكر ٠ وهذا واضح بنوع خاص في قصة الأب الذي يُعلن أمام أحد الملوك أن امرأته هي إخته ٠ فهذه الحكاية ترد

---

(١) الطبعة اليسوعية للكتاب المقدّس سنة ١٩٨٨م ص ٢٢
(٢) المرجع السابق ص ٦٠

ثـــلاث مـــرات ، في تك ١٢ ، ٢٠ فالكلام عن سارة وإبراهيم ، وفي تك ٢٦ عن إســحق ورفقة• وقد ترد رواية مزدوجة ، لا في شكل قصتين منفصلتين ، بل في شـــكل قصـــة واحدة يختلط فيها التقليدان (يقصد المصدران) مثل رواية الطوفان (تـــك ٦ : ٥ – ٩ : ١٧) فلهـــذا النص طابع مختلط يظهر بوضوح • لأن فوارق الإنشاء ملحوظة فيه• حسبنا أن نشير إلى الإختلاف في المعلومات العديدة • هناك حيوانان من كل جنس (٦ : ١٩) أو سبعة (٧ : ٢) وأربعون يوماً من الطوفان (٧ : ١٧) أو مئة وخمسون (٧ : ١٤) " [١].

٤– أيـــد الآباء اليسوعيين نظرية المصادر بسبب إستخدام أكثر من إسم للذات الإلهـــية ، فيقولون " ونلاحظ أبرز هذه الفوارق في إستعمال أسماء إلهيَّة مختلفة ، وفـــي الروايـــات المتوازية خاصـــة ، فإحدى روايتي طرد هاجر تتكلم عن الرب " يهـــوه " (تـــك ١٦ : ٣ – ١٤) بينما يستعمل الأخرى الإسم الشائع لله " ايلوهيم " (تـــك ٢١ : ٩ – ١٩) فقـــد إتخـــذ النقاد هذين الإسمين الإلهيين لتسمية تقليدين أدبييـــن مختلفيـــن ، يشيرون إليها بالحرف الأول مـــن هذين الإسمين " (ى) للتقليد الـــيهوي ، و (أ) للتقليد الإيلوهيمي ، غير إن هذين التقليدين لا يكفيان لتحليل كل مـــا في التوراة من غنى أدبي ، فإقترح النقاد تمييز تقليدين آخرين • الأول يُقال له التقليد الكهنوتي (ك) والآخر خاص بتثنية الإشتراعَ (ت) " [٢].

٥– أقـــرَّ الآباء اليسوعيين ما في كل مصدر من تمايز عن المصادر الأخرى كمـــا تصـــوَّر ذلك أصحاب مدرسة النقد الأعلى ، مؤكدين أن فهم نظرية المصادر يســـاعدنا علـــى قـــراءة الـــتوراة بعمق ، فقالوا " ولكل من هذه التقاليد (يقصدون المصـــادر) ميزات خاصة • فإنشاء (أسلوب) اليهوي (ى) واقعي وتصويري وغنـــي بالإستعارات ويكاد يكون ساذجاً • إنه إنشاء راوي قصصي •• لا يتردد

---

(١) الطبعة اليسوعية للكتاب المقدس سنة ١٩٨٨م ص ٦٠

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ ، ٦١

فــي الكلام عن الله بألفاظ كثيرة الصور ، كأنه إنسان " فسمعا (آدم وحواء) وقع خطــى الرب الإله وهو يتمشى في الجنة عند نسيم النهار " (تك ٣ : ٨) و " أغلق الــرب علــى نوح " (تك ٧ : ١٦) وبالمقابل نلاحظ أن الإيلوهي (أ) أشدَّ إبرازاً للبعد القائم بين الله والإنسان ، ويحب الكلام على مَلاكٍ ، بل على إنسان (تك ٢٢ : ١١ – ١٨ ، ٣٢ : ٢٣ – ٣٣) تجنــباً لإدخال الله نفسه في نشاط بشري ، ويُظهِر الله أحياناً في مظهر رهيب ٠ إن التقليدين (ى ، أ) يحتويان خاصة على روايات قصصية.، ونادراً على نصوص تشريعية٠

أما التقليد الكهنوتي (ك) فجوهره قائم على أمور قانونية ، فسفر الأخبار مثلاً لا يحتــوي علــى غيــر ذلك ٠ لكــن التقليد الكهنوتي يتضمن أيضاً روايات (الخلــق تك ١ ، وشراء مغارة مكفيلة تك ٢٣) ويمتاز إنشاؤه بالتكرار وببعض التصــلب وحب الإيضاحات العديدة والميل إلى كل ما يتعلق بالعبادة والليترجية ٠ والجمــود الإنســاني الذي يتصف به التقليد (ك) ساعد على خلق إطار مستوعب للتقليدين (ى ، أ) وهما أشد مرونة منه ٠

أمــا التقلــيد التثنوي (ت) وهو يقتصر في الواقع على تثنية الإشتراع ، فإنشــاؤه خطابي وتكثر فيه العبارات القولية كهذه " إسمع ياإسرائيل " و " بكل قلبك وكل نفسك " و " أرض تدر لبناً حليباً وعسلاً " و " الرب إلهك "٠

يســاعدنا هذا التحليل الأدبي (يقصد نظرية المصادر) على قراءة التوراة بمــزيــد من العمق ٠٠ وها هي رواية الخلق الكهنوتية تنوه بسيادة الله على العالم كلــه ، فــي حيــن أن الــرواية اليهوية تُبرز بوجه خاص العلاقة القائمة بين الله والإنسان " [1] .

---

(1) الطبعة اليسوعية للكتاب المقدس سنة ١٩٨٨م ص ٦١

٦- وافـق الآبـاء اليســوعيين أصحاب مدرسة النقد الأعلى في تحديد أزمنة المصــادر فـإدعوا أن المصدر اليهوي يرجع إلى نحو القرن العاشر قبل الميلاد ، والإيلوهـي إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، والتثنوي إلى القرن السابع قبل الميلاد ، والكهنوتـي إلـى زمن السبي البابلي الذي إنتهى سنة ٥٣٨ ق٠م فيقولون " التقليد (ى) اليهوي الذي بإستعماله التشبيه يلفت النظر إلى قرب الحضور الإلهي ، وهذا التقليد يناسب تماماً زمن الملكية في يهوذا ٠٠ للتفكير الديني الإيلوهي صلة بالتيار النـبوي فـي مطلع القرن الثامن قبل المسيح ٠٠ أما في تثنية الإشتراع وهو سفر يناسـب أزمـنة القـرن السابع قبل المسيح ٠٠ أخيراً نرى أن الإله الذي تعرضه النصوص الكهنوتية على الأرجح في زمن الجلاء ٠٠ " (١).

٧- فـي مقدمـة سـفر التكوين قال الآباء اليسوعيين إن هذا السفر مأخوذ من ثـلاث مصـادر سابقة فيقولون " ولابد أن التذكّر أيضاً بأن سفر التكوين لم يؤلف دفعـة واحـدة ، بل جاء نتيجة عمل أدبي إستمر عدة أجيال ٠٠ قد يفضل البعض التقسيم الأفقي (للسفر) الذي يبين كيف تألّف السفر الأول في العهد القديم من عدة طـبقات تمتد إلى ما بعد تك ٥٠ ، وكيف إعتمد في صيغته الحالية ، تقاليد مختلفة تُسمى " اليهوي " و " الإيلوهي " و " الكهنوتي " وقد تراكبت على مرّ العصور كما يظهر ذلك في أسفار التوراة كلها ٠٠

فالـرواية " الـيَهوِية " العائدة ولا شك في زمن المملكة التي أسسها داود ودونهـا سـليمان (القـرن العاشـر ق٠م) كانت أول صيغة أدبية لتقاليد محلية وعشـائرية ٠٠ والتقلـيد (المصدر) الإيلوهي ليس إلاَّ طبعة ثانية يصعب تحديد سـعتها وأهميتها ، وأسلوبه أكثر إعتدالاً وأقل تفاؤلاً من التقليد السابق (ى) فالله قلـيل التدخل مباشرة في شئون البشرية ، والطاعة هي أول ما يتوقعه خدامه ، وقد

(١) الطبعة اليسوعية للكتاب المقدّس سنة ١٩٨٨م ص ٦٢ ، ٦٣

تمت عن يد أوساط الكهنة المنفيين إلى ما بين النهرين ، إعادة نظر جديدة في مآثر الآباء فرضها سقوط أورشليم الأليم في العام ٥٨٧ قبل المسيح ، فالرواية الكهنوتية ذات الطابع المجرد تتناول ما في العمل الإلهي من وجوه ثقافية وشرعية ، وتشدد في عهد الله لإبراهيم أي العهد التابع للعهد المقطوع مع نوح (٩) والممهد لعهد سيناء " [١].

٨- في مقدمة سفر اللاويين قال الآباء اليسوعيين أن كتابة هذا السفر يرجع إلى زمن ما بعد السبي " إن النص في وضعه الحالي والقانوني ، هو من التأليف الذي تبع الجلاء ، حتى وإن جمع في وحدة متماسكة إلى حد ما عناصر مختلفة المصادر قد يرقى بعضها إلى أقدم العصور ٠٠ وأضافوا إليها ما يلائم حاجات الهيكل الثاني " [٢].

٩- في مقدمة سفر اللاويين يؤكد الآباء اليسوعيين أن هذا السفر مأخوذ من المصادر الكهنوتية واليهوية والإيلوهية ، فيقولون " إن سفر العدد مُؤلَّف من سلسلة روايات تواصل روايات سفر الخروج ، ويمكننا في هذا الكتاب ، كما في سفر الخروج ، أن نرى ثلاث لُحَم روائية ، وهي التقليد الكهنوتي (ك) والتقليد اليَهْوي (ى) والتقليد الإيلوهي (أ) ولكنها أحسن إندماجاً في سفر العدد ٠٠ في الرواية الإيلوهية (وفي الرواية اليهوية إلى حد ما) وصفاً لموسى يتميز بالحيوية وبالملامح الفنية ، وأبرز هذه الملامح إخلاصه التام لمهمة معقدة وشاقة ، وصلاته هي التي تنقذه عدة مرات من شعب يتمرد عليه (١٢ : ١٣ ، ١٤ : ١٣ - ١٩ ، ١٦ : ٢٢ ، ١٧ : ١٠ - ١٣) فقد كان رجل صلاة يعيش مع الرب في ألفة خارقة (٢٢ : ٦ - ٨) وهذا ما يرفع مقامه فوق جميع الأنبياء ٠

---

(١) الطبعة اليسوعية للكتاب المقدّس سنة ١٩٨٨ م ص ٦٥ ، ٦٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٤ ، ٢٢٥

أمـــا فـــي النصـــوص " الكهنوتية " فوجهه يختلف أشد الإختلاف ، فليس موســى فــي غالــب الأحيــان إلاّ لســان حال لإرادة الرب ٠٠ وتقيم النصوص " الكهنوتـية " إلى جانبه هرون أخاه وعظيم الكهنة ٠٠ وفي كون النصوص (ك) تفترض أن ترتيب الأنظمة إنتهى قبل مغادرة سيناء ، فيما يبقى كل شئ ناقصاً في نظــر (ى) و (أ) ٠٠ فــي النصوص (ك) ليس إسرائيل شعباً يحمل السلاح وأمــه تخوض الحياة السياسية الدولية ، بل هو جماعة تقف حياتها في عبادة الرب ٠٠ فالنصوص " اليهوية " التي تعرض على وجه خاص تقاليد أسباط الجنوب هي أشــد مــراعاة لجوانب تاريخ الإنسانية ٠٠ وأمّا النصوص " الإيلوهية " وهي أكثر تجــزؤاً ، ففي إمكاننا أن نجد فيها شعوراً أدق بوحدة الشعب والإستنكار لكل نزعة إنفصالية ٠٠ " [١].

١٠- في مقدمة سفر التثنية أقرّ الآباء اليسوعيين آراء مدرسة النقد الأعلى بأن هذا السفر كُتب في زمن يوشيا الملك في القرن السابع قبل الميلاد فيقولون " يكوّن هــذا الســفر وحــدة أدبية من نوع خاص ، إذ إنه يحتوي على أحد تقاليد التوراة الكــبرى الأربعة على وجه شبه كامل ، وهو التقليد التثنوي (ت) ٠٠ فلا ترد فيه سائر التقاليد (اليهوي والإيلوهي والكهنوتي) إلاّ في أواخر الكتاب من الفصل ٣١ فما بعده ٠٠ ما هي هذه المراحل الكبرى التي مرّ بها عند التأليف الأدبي الطويل ؟ ٠٠ فــي أي زمن تمّ أول تدوين لسفر تثنية الإشتراع ، فإن سفر الملوك يروي لنا في ٢ مل ٢٢ أنهم ، في السنة الثامنة عشرة لمُلك يوشيا ، أي في السنة ٦٢٢ ق٠م عثروا في هيكل أورشليم على سفر الشريعة (٢ مل ٢٢ : ٨ ، ١١) أو سفر العهد (٢ مــل ٢٣ : ٢ ، ٢١) تأثر الملك بما في هذا الكتاب من إنذارات ، فجمع الشعب كله وجدّد العهد ونادى بإصلاح العبادة ٠٠ والحال إن برنامج هذا الإصلاح (٢ مل ٢٣ : ٤ – ٢٠) يطــابق المقتضـــى الأساسي الوارد ذكره في تثنية الإشتراع ، أي

---

[١] الطبعة اليسوعية للكتاب المقدّس سنة ١٩٨٨ م ص ٢٨٠ ـ ٢٨٢

تدمير جميع معابد الأرياف وحصر العبادة في أورشليم (تث ١٢) ويبدو أن الوثيقة التــي أصــدرها يوشيا هي سفر تثنية الإشتراع ٠٠ مازالت الوثيقة التي بني عليها يوشــيا إصلاحه تزداد حجماً يوماً بعد يوم ٠ فقد وسَّعوا فيها العظات ٠٠ وأدخلوا المواعــظ ٠٠ وأضافوا أجزاءاً قديمة تتناول المواضيع نفسها ٠٠ وجُمعت في آخر الكــتاب التقالــيد الــيهوية والإيلوهــية والكهنوتية التي تتحدث عن موت موسى ، بالإضافة إلى نشيدين يُنسبان إلى موسى (٣١ – ٣٤) وقام مُدوّن آخر ، هو على الأرجــح الــذي وضع أسفار الملوك بتحرير خطاب مقدمة (١ – ٣) ليدمج سفر تثنــيــة الإشــتــراع في لوحته التي تتحدث عن مصير الشعب ، من موسى إلى الجلاء " [١].

تُــرى هل تعود الكنيسة الكاثوليكية للحق ، وتترفع عن هذه الهرطقات ، وتسلم بأقوال الكتاب في العهدين ولاسيما أقوال الرب يسوع والتي تنسب التوراة لكاتبها موسى النبي ، وليس لأي شخص آخر ؟!!! ومن هنا كانت الضرورة على تأكيد نسبة التوراة لموسى النبي ، وهذا ما سنفعله في الفصل القادم ٠



(١) الطبعة اليسوعية للكتاب المقدس سنة ١٩٨٨ م ص ٣٤٨ - ٣٥٢

الفصل الخامس : الأدلة على إن موسى النبي هو كاتب التوراة

فـــي هذا الفصل نستكمل المشوار ياصديقي في الرد على نظرية المصادر التي إبتدعتها مدرسة النقد الأعلى ، حيث إدَّعوا بأن موسى النبي لم يكتب التوراة ، وأخـــذوا يســـوقون الحجج بأن أرميا النبي كتب سفر التثنية مع الستة أسفار التالية حـــتى ســـفر الملـــوك الثاني ، وإن حزقيال النبي هو كاتب سفر اللاويين .. إلخ وإنســـاقت وراءهم الكنيسة الكاثوليكية والطوائف البروتستانتية .. اللهم إحفظنا من شر هذه الهرطقات.

س ٢٨ : مـــاذا يـــرى أصـــحاب مدرسة النقد الأعلى في كاتب التوراة ، وما هي الأدلة على إن موسى النبي هو كاتب التوراة ؟

ج : قـــال ريتشـــارد إلـــيوت فـــريدمان " إخـــتلف الدارسون المحافظون ، يهود ومســـيحيون ، حتى الجيل الأخير حول إستخدام مصطلح { تخمين المصـــادر } في الدوائر العلمية والبحثية. وفي مقابل ذلك يصعب اليوم العثور في العالم على باحث للعهـــد القديم يشتغل في هذه الموضوعات ، يقول إن أسفار التوراة قد كتبها موسى أو مُؤلِـــف واحـــد أيّاً كان بل يناقش الدارسون إشكاليات عديدة حول عدد المؤلفين الـــذي كتـــبوا هـــذا الســـفر أو ذاك ، ويبحثون الزمن الذي تم فيه تدوين المصـــادر المخـــتلفة ويهـــتمون بمسألة إلى أي مصدر تنتمي هذه الفترة أو غيرها ؟ ويعربون عـــن درجـــات مخـــتلفة مـــن الإرتياح أو الشك حول القدرة على إستخدام تخمين المصـــادر كحل للمشاكل الأدبية أو التاريخية ، لكن التخمين نفسه يستمر في كونه نقطـــة الإنطـــلاق فـــي كل بحث . ولا يوجد طالب جاد في دراسة العهد القديم لا يـــدرس هـــذه الـــنقطة .. أما عن الأدوات الحديثة وأساليب التحليل اللغوي التي تطـــورت في الخمسة عشر عام الأخيرة مكّنت من وضع عملية الترتيب التاريخي لنصـــوص العهد القديم ، وقياس ووصف صفات عبرية العهد القديم في عصورها المختلفة . وبتعريف بسيط ، من الممكن أن نحدّد أن موسى عاش قبل فترة طويلة

مـــن تعدد روافد اللغة العبرية التي وردت في أسفار التوراة الخمسة ، ويعتبر ذلك الإخـــتلاف أكبر من الفرق بين لغة شكسبير في عصره والإنجليزية الحديثة اليوم. هــذا وقد حدث منذ عصر فلهاوزن ، تطور كبير في علم الآثار الأمر الذي أدى إلى إكتشافات مهمة لها دور كبير في مجال البحث المرتبط بمؤلفي العهد القديم .. ومازال لغز تأليف العهد القديم قائماً بلا حل " [1].

وبينما يتوه الباحثون في البحث عن كتب التوراة ، أضع أمام القارئ أعظم شـــهادة بـــأن موسى هو وليس غيره كاتب الأسفار الخمسة بشهادة الكتاب المقدس نفسه أولاً ثم بعض الشهادات الأخرى :

أولاً : أقوى شهادة على أن موسى هو كاتب التوراة هي شهادة نصوص الكتاب المقدس

١- ما ورد في التوراة :

أ- " *فقال الرب لموسى أكتب هذا تذكاراً في الكتاب* " (خر ١٧ : ١٤).

ب- " *فكتـــب موسى جميع أقوال الرب .. وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب* " (خر ٢٤ : ٤ ، ٧).

ج- " *وقال الرب لموسى أكتب لنفسك هذه الكلمات* " (خر ٣٤ : ٢٧) .

د- " *وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب* " (عد ٣٣ : ٢).

هـــــ- " *وكتب موسى هذه التوراة وسلّمهـــا للكهنـــة بني لاوي حاملي تابوت الرب ولجميع شيوخ إسرائيل* " (تث ٣١ : ٩).

و- قال الرب لموسى " *فالآن أكتبوا لأنفسكم هذا النشيد وعلّم بني إسرائيل اياه .. فكتـــب موســـــى هذا النشيد في ذلك اليوم وعلّم بني إسرائيل اياه* " (تث ٣١ : ١٩ ، ٢٢).

---

(١) من كتب التوراة ؟ ترجمة عمرو زكريا ص ٢٦

ز – " فعـــندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها ، أمر موســـى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً ، خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم " (تث ٣١ : ٢٤ – ٢٦).

٢– شهادة رجال العهد القديم :

أ – قـــال الـــرب ليشـــوع " كن متشدّداً وتشجع جـــداً لكـــي تتحفظ للعمــــل حســـب كل الشريعـــة التـــي أمرك بهـــا موسى عبدي " (يش ١ : ٧) { عد ٢٧ : ٢٣ ، تث ٣١ : ٧}.

ب– بنى يشوع مذبحاً للرب " كما أمر موسى عبد الرب نبي إسرائيل ، كما هو مكـــتوب فـــي سفـــر تـــوراة موســـى " (يش ٨ : ٣١) { خر ٢٠ : ٢٥ ، تث ٢٧ : ٥ ، ٦ }.

ج– في وصية يشوع للشعب قال " فتشدّدوا جداً لتحفظوا وتعلموا كل المكتوب في شريعة موسى " (يش ٢٣ : ٦) { عد ٢٧ : ٢٣ ، تث ٣١ : ٧ }.

د– أوصى داود إبنه سليمـــان " إحفظ شعائـــر الرب إلهك إذ تسير في طرقه وتحفظ فرائضـــه ووصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في شريعة موسى " (١مل ٢ : ٣).

هـــ – الملك أمصيا قتل الذين قتلوا أبيه " ولكنه لـــم يقتل أبناء القاتلين حسب مـــا هو مكتوب في سفر شريعة موسى حيث أمر الرب قائلاً لا يُقتل الآباء من أجل البنين والبنون لا يقتلون من أجل الأباء " (٢مل ١٤ : ٦) { تث ٢٤ : ١٦ }.

و– عـــند عـــودة الشـــعب مـــن السبي " بنوا مذبح إله إسرائيل ليصعدوا عليه محـــرقات كما هـــو مكتـــوب فـــي شريعـــة موســـى رجـــــل الله " (عز ٣ : ٢) { تث ١٢ : ٥ }.

ز- " *وأقاموا الكهنة في فرقهم واللاويين في أقسامهم على خدمة الله التي في أورشليم كما هو مكتوب في سفر موسى* " (عز ٦ : ١٨) { عد ٣ : ٦ ، ٨ : ٩ }٠

ح- في صلاة نحميا " *لقد أفسدنا أمامك ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أمرت بها موسى عبدك* " (نح ١ : ٧)٠

ط- وكذلك عند إجتماع الشعب أيام نحميا " *قالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى التي أمر بها الرب إسرائيل* " (نح ٨ : ١)٠

ى- صلى دانيال قائلاً " *كما كُتِب في شريعة موسى قد جاء علينا* " (دا ٩ : ١٣) { لا ٢٦ : ١٤ ، تث ٢٨ : ١٥ } ٠

ك- قال الله في سفر ملاخي " *أذكروا شريعة موسى عبدي الذي أمرته بها في حوريب* " (ملا ٤ : ٤) { خر ٢٠ : ٣ }٠

ونسبة التوراة لموسى النبي كان أمراً مستقراً لدى الكنيسة اليهودية بشهادة بعض المؤرخين اليهود المشهورين مثل فيلون الاسكندري ، ويوسيفوس فلافيوس ، وغيرهما ، ومن الكنيسة اليهودية تسلمت الكنيسة المسيحية حقيقة نسبة التوراة لكاتبها موسى النبي٠

٣- شهادة السيد المسيح :

أ- قال السيد المسيح لليهود " *أعطاكم موسى الختان ٠ ليس أنه من موسى بل من الآباء* " (يو ٧ : ٢٢) وبهذا أثبت نسبة سفر التكوين (تك ١٧ : ١٠) لموسى النبي٠

ب- قال الرب يسوع " *لأن موسى قال أكرم أباك وأمك ٠ من يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً* " (مر ٧ : ١٠) وبهذا أثبت نسبة سفر الخروج (خر ٢٠ : ١٢ ، ٢١ : ١٧) لموسى النبي٠

ج- قال يسوع المسيح للأبرص " *اذهب أرِ نفسك للكاهن وقدّم عن تطهيرك ما أمــر به موسى شهادة لهم* " (مر ١ : ٤٤) وبهذا أثبت نسبة سفر اللاويين (لا ١٤ : ١ - ٣٢) لموسى النبي٠

د- قــال السيد المسيح لليهود " *كما رفع موسى الحيّة في البرية هكــذا ينبغي أن يُــرفع ابــن الإنسان* " (يو ٣ : ١٤) وبهذا أثبت نسبة سفر العدد (عد ٢١ : ٩) لموسى النبي٠

هـــ - قال الــرب يسوع لليهود " *أليس موسى قد أعطاكم الناموس* " (يو ٧ : ١٩) وبهذا أثبت نسبة سفر التثنية (تث ٣٣ : ٤) لموسى النبي٠

و- كما قال الرب يســوع لليهود " *إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم* " (مت ١٩ : ٨)٠ وقال للصدوقيين " *وأما من جهة الأموات إنهم يقومون أفما قرأتم في كتاب موسى ٠٠* " (مر ١٢ : ٢٦)٠ وقال لليهود " *لأنكم لو كنتم تُصدّقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني* " (يو ٥ : ٤٦)٠

ز- وعــند لقاء السيد المسيح مع تلميذي عمواس " *ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب* " (لو ٢٤ : ٢٧)٠

٤- شهادة رجال العهد الجديد :

أ- " *فيلــبس وجـــد نثنائــيل وقال له وجدنــا الذي كتب عنـــه موسى في الأنبياء* " (يو ١ : ٤٥)٠

ب- فـــي حديــث إسطفانوس عن موسى (أع ٧ : ٢٠ - ٤٤) قال " *هذا هو الــذي كـــان فـــي الكنيسة في البرية مع الملاك الذي كان يكلمه في جبل سينا ومع آبائنا ٠ الذي قبل أقوالاً حيّة ليعطينا إياها* " (أع ٧ : ٣٨)٠

ج- قال يعقوب الرسول في مجمع أورشليــم " *لأن موسى منذ أجيالٍ قديمة له في كل مدينة من يكرز به إذ يُقرأ في المجامع كل سبت* " (أع ١٥ : ٢١)٠

د- قـــال بولـــس الرسول في مجمع أنطاكية " *بهذا يتبرَّر كل من يؤمن من كل مالم تقدروا أن تتبرَّروا منه بناموس موسى* " (أع ١٣ : ٣٩)٠

هـ - عـندما جاء وجهاء اليهود إلى بولس الرسول في سجنه بروما " *فطفق يشـرح لهـم شاهـــداً بملكوت الله ومقنعاً اياهم من ناموس موسى والأنبياء بأمر يسوع من الصباح إلى المساء* " (أع ٢٨ : ٢٣)٠

و- قـــال بولـــس الرســـول لأهـــل رومية " *لأن موسى يكتب في البرّ الذي بالناموس أن الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها* " (رو ١٠ : ٥) { لا ١٨ : ٥ }٠

ز- " *أولاً موســى يقول أنا أغيركم بما ليس أمة ٠ بأمـــة غبية أغيظكم* " (رو ١٠ : ١٠) {تث ٣٢ : ٢١}٠

ح- قال بولس الرسول لأهل كورنثوس " *فإنه مكتوب في ناموس موسى لا تكم ثوراً دارساً* " (اكو ٩ : ٩) {تث ٢٥ : ٤}٠

ط- " *ولكن حتى اليـــوم حيـــن يُقرأ موســـى البرقع موضوع على قلبهم* " (٢ كو ٣ : ١٥)٠

ى- قـــال يوحنا الإنجيلي عن الغالبين " *وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله* " (رؤ ١٥ : ٣) {خر ١٥ : ١}٠

ك- وقال الصدوقيون للسيد المسيح " *يامعلم كتب لنا موسى٠٠* " (مر ١٢ : ١٩)٠

ومـــن جمـــيع النصوص السابقة وغيرها يتضح تماماً أن موسى هو كاتب الـــتوراة دون أن يـــنقلها مـــن أي مصدر آخر ، ولايوجد نص كتابي يقول بطريقة مباشـــرة أو غـــير مباشرة أن موسى نقل ممن قبله ٠٠ عجباً أن القرآن يعترف أن التوراة نزلت على موسى ، والذين يدعون أنفسهم بأنهم مسيحيون ينكرون هذا !!

ثانياً : شهادة آباء الكنيسة الأول مثل إيريناؤس وترتليان وأكليمنضس الأسكندري وجـــيروم وأثناسيوس الرسولي فجميعهم نسبوا التوراة إلى كاتبها موسى النبي دون أية إشارة أو تلميح أنه نقل من مصادر سابقة٠

ثالثاً : يمثل موسى الشخصية الرئيسية بلا منازع في الأسفار الأربعة الأخيرة من الخـــروج إلى التثنية ، وكثيراً ما تكرر القول " *وكلم الرب موسى قائلاً* " ، و " *كما أمـــر الرب موسى* " وفي بداية سفر التثنية يقول " *هذا هو الكلام الذي كلم به موسـى جمـــيع إسـرائيل* " (تث ١ : ١) وحيث أن سفر التكوين يعتبر تمهيداً أساسياً لسفر الخـــروج ، ولا يمكــن فهـــم سفر الخروج بدون سفر التكوين ، وحيث أن سفر الخـــروج يـــبدأ بحرف العطف " الواو " مما يثبت أنه يتبع ما قبله إذاً لابد أن يكون كاتب سفر التكوين أيضاً هو موسى النبي.

رابعاً : موسى النبي الذي تهذَّب بكل حكمة المصريين ، والذي أختبر حياة التأمل في البرية حتى بلغ عمره ثمانون عاماً ، وقاد شعب بني إسرائيل في البرية حتى بلغ عمـــره مائة وعشرين عاماً ليس كثيراً عليه أن يسجل الأسفار الخمسة . بل أنه هو أقدر وأكفأ إنسان يقدر أن يسجل هذه الأسفار المقدَّسة.

خامســاً : مـــا ذُكِر في التوراة عن مصر وعادات المصريين لا يمكن أن يعرفه إنســـان إلاَّ إذا كـــان قد عاش في قلب مصر مع المصريين وكان كواحد منهم. أما الإنســـان الأجنبـــي عن مصر فكان يجد مشقة كبيرة في الحصول على أية معلومة تخـــص المصريين ، حتى قال سير جاردنر ولكنسون " أن سكان وادي النيل القدماء كانـــت لهم غيرة مشهورة من الأجانب الذي منعوهم بقدر الإمكان من التغلغل داخل البلاد ولم يفصحوا لهم إلاَّ عن معلومات قليلة فيما يختص بمؤسسات بلدهم " (قدماء المصريين جـــ١ : ٤٠) (١).

ومن أمثلة ما ذكره موسى عن طبائع وعادات وخصائص المصريين وهو ما يثبت أنه هو كاتب التوراة دون أن ينقلها عن أحد ما يلي :

---

(١) أورده القس عبد المسيح بسيط في كتابه التوراة .. كيف كُتبت ؟ وكيف وصلت إلينا ؟ ص ١٠٧

أ – عادة زواج الخصيان مثل فوطيفار (تك ٣٧ : ٣٦ ، ٣٩ : ١)٠

ب– عادة من يريد فرعون أن يُكرّمه " *وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يـد يوسف٠ والبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه٠ وأركبه في مركبته الثانـية ونادوا أمامه أركعوا* " (تك ٤١ : ٤٢ ، ٤٣) ويذكر هيرودوتس وبليني أن ثياب البوص هذه كانت تصنع من نسيج الكتان وتخصص لكهنة المصريين فقط٠

ج- ذكـر موسى بعض أسماء المصريين مثل الإسم الذي أطلقه فرعون على يوسـف " صـفنات فعنيح " (تك ٤١ : ٤٥) أي مخلص العالم ، وإسم زوجة وحما يوسف ومدينته " *وأعطاه اسنات بنت فوطي فارع كاهـن أون زوجة* " (تك ٤١ : ٤٥) فمعـنـى " أسـنات " أي للإلهة نيث ، ومعنى " فوطي فارع " أي المكرّس للشـمس ، و " أون " هـو الإسم القديم لمدينة هليلوبوليس ، وذكر مدينتي " فيثوم ورعمسـيس " (خـر ١ : ١١) اللتان بناهما اليهود لفرعون و " فيثوم " تعني مقر الشمس ، و " رعمسيس " معناها مقر رمسيس٠

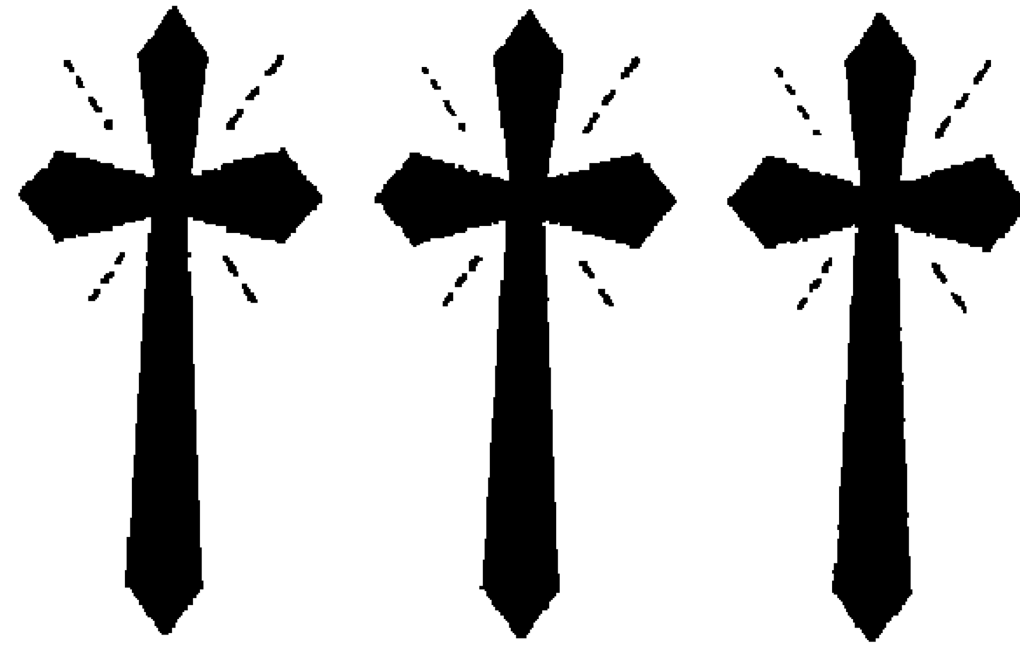
د– ذكـر عـادة المصـريين لأنهم لا يأكلون مع الأجانب فلم يأكلوا مع أخوة يوسـف " *فقدمـوا له وحده ولهم وحدهم وللمصريين الآكلين عندهم وحدهم٠ لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين* " (تك ٤٣ : ٣٢) وذكر بعض العـبارات التي كان قدماء المصريين يستخدمونها مثل " رؤساء التسخير (خر ١ : ١١) و " سفطاً من البردي " (خر ٢ : ٣) و " أنتنتما رائحتنا " (خر ٥ : ٢١)٠

هـ – لأن موسـى عاش عشرات السنين في أرض سيناء لذلك ذكر معالمها ورحـلات شـعب الله فـيها وجغرافيتها وينابيعها الحلوة والمرة (خر ١٥ : ٢٣) وأبارهـا ونخـيلها (خر ١٥ : ٢٧) وأشجار السنط (خر ٢٥ : ١٠) ٠٠ إلخ فهذه المعلومـات ليست بعيـدة عن موسى النبي الذي عاش ثمانين سنة في أرض سيناء

(راجـــع القس عبد المسيح بسيط • التوراة•• كيف كُتبت ؟ وكيف وصلت إلينا ؟ ص ١٠٧ ، ١٠٨)•

سادســـاً : اللغـــة العبرية القديمة التــي كُتبت بهـــا التوراة وما بها من خصـائص معيـــنة مثل إستعمال ضمير الغائب " هو " للذكر والأنثى تثبت أن التوراة كُتبت في عصـــر موســـى النبي وليس بعده بمئات السنين كما قال فلهاوزن أنها جمعت سنة ٤٠٠ ق•م•

وبعد أن أيقنا صحة إيماننا بأن موسى النبي هو هو كاتب التوراة وليس أي شـــخص آخـــر ، يجـــب عليـــنا أن نستعرض الإعتراضات على نسبة التوراة لموسى النبي ونجيب عليها ، وهذا ما سنفعله ياصديقي في الفصل القادم•



الفصل السادس : أهم الإعتراضات على نسبة التوراة لموسى النبي

مـــا أكـــثر الإعتراضات التي أوردها أصحاب مدرسة النقد الأعلى للتدليل على إن موسى النبي لم يكتب التوراة ، ومن أهم هذه الإعتراضات ما يلي :

١- موسى كان قائداً وليس كاتباً.

٢- الكتابة لم تكن معروفة حينذاك.

٣- كُتبت التوراة بصيغة الغائب.

٤- الكاتب يمدح موسى.

٥- تعاليم التوراة الأدبية تفوق ذلك العصر.

٦- الله لم يوصي بالذبائح عند الخروج من مصر.

٧- لم يذكر إسم إبنة فرعون ولا موت زوجته ولا زواجه من الكوشية.

٨- التوراة حوت معلومات خاطئة عن مصر.

٩- مدلولات جغرافية.

١٠- مدلولات أثرية.

١١- مدلولات تاريخية.

ويلذ لنا ياصديقي أن نرد على هذه الإعتراضات واحداً فواحداً.

١- موسى كان قائداً ولم يكن كاتباً :

س٢٩ : هـــل كان موسى النبي قائداً فذاً فقط ، فلم يكن لديه جهداً ولا وقتاً لكتابة هذه الأسفار ؟

ج : أ - كانـــت شخصـــية موســـى متعددة الجوانب ، فلا عجب أنه نراه قائداً ، وراعـــياً لشعبه ، ومعلماً وسط شعبه ، وحاكمـــا وقاضياً ، وكاتباً ، ولا يوجد أدنى تعـــارض بيـــن عمل وآخر مادام هناك نوعاً من التنظيم . ألم يكن داود النبي قائداً جـــباراً في الحروب ومع ذلك فقد وضع لنا المزامير التي مازالت البشرية تتغنى بها للآن ؟!

ب- قال الكتاب عن موسى " *ولما كبر الولد جاءت به (أمه) إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً* " (خر ٢ : ١٠) وبذلك تربى موسى في قصر فرعون كأحد الأمراء ، فأي إهتمام ناله في التربية والتعليم ؟! ولذلك قال عنه الكتاب " *فتهذّب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً في الأقوال والأعمال* " (أع ٧ : ٢٢) وهذه الحكمة تشمل بلاشك الكتابة ، فهو أقدر شخص على تسجيل كل الأحداث التي مرت به٠

ج- تسلم موسى المعلومات الخاصة بالخليقة من التقليد الأبائي بإرشاد الروح القدس ، فلم يكف آدم عن قص قصة الخليقة لأولاده وأحفاده ، وتسلسل الآباء من آدم إلى موسى ليس بالعدد الكثير نظراً لطول عمر الإنسان في بداية الخلقة٠

د- تسلم موسى الوصايا العشر والشريعة من الله ، وقاد شعبه لمدة أربعين سنة في رحلته من مصر إلى أرض الموعد ، فهو أقدر من يصف هذه الرحلة٠

هـ- أطاع موسى حميه يثرون وسمع مشورته ، فبعد أن كان موسى يستمع لقضايا الشعب من الصباح إلى المساء ، قال له ثيرون " *ليس جيداً الأمر الذي أنت صانع ٠٠ كن أنت للشعب أمام الله ٠ وقدّم أنت الدعاوي إلى الله ٠٠ وأنت تنظر من جميع الشعب ذوي قدرة خائفين الله أمناء مُبغضين الرشوة وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات ٠ فيقضون للشعب كل حين ٠٠ فسمع موسى لصوت حميه ٠٠* " (خر ١٨ : ١٧ - ٢٦) وبلا شك أن هذا التنظيم منح موسى الوقت اللازم للكتابة ٠

و- فترة رعاية الغنم الطويلة لابد أنها أكسبت موسى صفة التأمل في أعمال الله العظيمة وتدابيره الحسنة ، ولذلك أستخدمه الله لكتابة التوراة لتكون بركة لكل الأجيال ، ولابد أن الله منحه الحكمة التي يكتب بها ، وروح الله هيمن عليه وعصمه

مـــن كل ذلل ومن كل شطط ، وهذا ما نلاحظه في قصة الخليقة والطوفان ، فبينما كانت هنـــاك خرافـــات ومعتقدات خاطئة كثيرة فإن موسى لم يتأثر ولا بواحدة منها (راجع كتابنا أسئلة حول الكتاب المقدَّس ص ١٤٣ – ١٤٥ طبعة ثانية)٠

٢- الكتابة لم تكن معروفة حينذاك :

س٣٠ : هــل حقاً إن الكتابة لم تكن معروفة في زمن موسى النبي ؟ وما هي المـــــواد التــي كتــبوا عليها ؟ وما هي الأدوات التي إستخدموها في الكتابة حينذاك ؟

ج : أ – عُرِفــت الكــتابة فـــي الشرق الأوسط نحو سنة ٣١٠٠ ق٠م ، وعُرفت الحروف الأبجدية في الألف الثانية قبل الميلاد ، فمثلاً عُرفت اللغة الهيروغليفية في مصر منذ الأسرة الفرعونية الأولى نحو ٣٠٠٠ ق٠م ، وكانت لغة تصوّيرية ، فهي عــبارة عـــن صورّ تُعبر عن أشياء تمثلها ، مثلما نقول " ب " بطة فتصبح صورة الــبطة معــبرة عـــن حـــرف الباء وهكذا ٠٠ وظهر من الهيروغليفية الهيراطيقية والديموطيقـــيـــة ، فالهيراطيقـــية ذات حروف متصلة حيث تم إختزال الصورّ إلى رمـــوز ، وهـــي بالنســـبة للهيروغليفـــية أشبه بخط اليد بالنسبة لحروف الطباعة ، وظهرت هذه اللغة الهيراطيقية بعد الهيروغليفية بقليل ، وظلت مستّخدمة حتى القرن الـــرابع الميلادي٠ أما الديموطيقية فهي أكثر إختصاراً من الهيراطيقية وقد ظهرت في القرن السابع قبل الميلاد وظلت مستخدمة حتى القرن الخامس الميلادي ، وكانت الكـــتابات المقدسة تُكتب باللغة الهيروغليفية ، والكهنة يكتبون الهيراطيقية ، والشعب كـــان يكتـــب الديموطيقية٠ وبعـــد أن توقف إستخدام هذه اللغات ظلت مجهولة لمدة ثلاثـــة عشـــر قرناً ، حتى سنة ١٨٢٢م حيث إستطاع العالِم الفرنسي شامبليون فك رموزها بواسطة إكتشاف حجر رشيد الذي يرجع إلى سنة ١٩٦ ق٠م وكان مكتوباً باللغات الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية٠

ب- عُرِفت الكتابة الأكادية (وهي نوع من الكتابات المسمارية) في بابل سنة ٣١٠٠ ق٠م ، وكانت كتابة تصويرية ، وكُتبت على الأحجار وقوالب الطين ، وظلت تتطوَّر حتى سنة ٢٨٠٠ ق٠م ، وأنتشرت خارج بلاد النهرين فاستخدمت في اللغات السومرية والبابلية والأشورية ، وخلال الفترة بين القرنين الخامس عشر والثالث عشر قبل الميلاد أستخدمت هذه اللغة الأكادية في بلاد فلسطين ، وقد تم إكتشاف ألواح مسمارية في تعنك وشكيم وافيق وتل الحصى وجازر وحاصور وأريحا ، وفي سنة ١٩٥٥م تم إكتشاف جزء من ملحمة جلجامش في مجدو٠

ج- عُرِفت الكتابة البهستانية المعروفة بالخط المسماري في قارتي آسيا وأفريقيا أيام إبراهيم أب الآباء ، وعُثر في أور الكلدانيين على آثار لمدارس بها أعداد وافرة من ألواح اللبن التي كان التلاميذ يتعلمون فيها وعليها دروس للقراءة والنحو والنظريات الرياضية والحسابية ، كما أُستخدم الخط المسماري في بابل في عهد إبراهيم أيضاً ، حتى أنه كان لبابل مؤسسة للمراسلات البريدية التي تصل إلى مستعمراتها في الأماكن البعيدة ، وفي بابل كان عدد كبير من المدارس والمكتبات ، وكان الرجال يتعلمون القراءة والكتابة٠

د- في المتحف البريطاني توجد رسالة مكتوبة على ورق البردي بعنوان " حل المشكلات " وتشمل مجموعة مسائل حسابية وهندسية بالكسور والدوائر ومقاييس الهرم وبعض مثلثات وإشارات جبرية ، ورمز للجمع برجلين متقدمين للأمام والطرح برجلين ترجعان للخلف ، وقد حرَّرها (أحميس) أحد كهنة قدماء المصريين ، وتُلقب برسالة " رند " وهي صورة رسالة يرجع تاريخها إلى سنة ٣٤٠٠ ق٠م ، وفي متحف " تورين " يوجد بردية كُتبت في مصر وتشمل على وثيقة من عهد تحتمس الثالث ، وهي قبل موسى بقرنين من الزمان٠

هـ - تم إكتشاف برديات مصرية ترجع إلى سنة ٢٧٠٠ ق٠م بعضها بأطوال كبيرة ، وبعضها مُزين برسومات ملونة مثل كتاب الموتى ، كما وُجِد أن بردية " ايبرس " التي تحوي معلومات طبية ترجع إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وبردية " هاريس " التي يبلغ طولها ١٣٣ قدماً وبها منجزات رمسيس الثالث ترجع إلى منتصف القرن العاشر قبل الميلاد٠

و- في سنة ١٨٨٨م تم إكتشاف أكثر من ٣٠٠ قالب طوب في العمارنة بدير مواس مكتوب عليها بالقلم المخروطي ويرجع تاريخها إلى ما قبل زمن موسى بنحو ١٥٠ سنة ، وقد تم نقل معظمها إلى برلين بألمانيا والباقي إلى لندن ، وفي سنة ١٩٢٩م عُثر في راس شمرا بشمال سوريا على مخطوطات قديمة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر وأوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، مما يؤكد أن الكنعانيين عرفوا الكتابة حينذاك ، وفي سنة ١٩٣٥م تم إكتشاف نحو عشرين ألف لوحة في منطقة تل الحريري Tell Hariri على نهر الفرات يرجع تاريخ معظمها إلى ما قبل سنة ١٥٠٠ ق٠م٠

ز- تم إكتشاف كتابة بالحروف الهجائية في تل عيد دوير بالقرب من أورشليم وهي التي ذُكرت باسم لخيش (يش ١٠ : ٣) منها نقش على خنجر يرجع تاريخه إلى نحو ١٦٠٠ ق٠م ، وتم إكتشاف كتابات باللغة السينائية الأولية في سيرابيط الخادم Serabite El Khadim بشبه جزيرة سيناء ، كتبها بعض الرجال الأسيون الذين كانوا يعملون في أحد مناجم سيناء ، وقد أرجع العالم الكبير ألبرايت W.F.Albright إلى سنة ١٥٠٠ ق٠م٠

ح- أيوب الصديق الذي عاش قبل موسى النبي تمنى لو أن كلماته تُكتب *" ليت كلماتي تُكتب ٠ ياليتها رُسمت في سفر٠ ونُقرت إلى الأبد في الصخر بقلم حديد وبرصاص "* (أي ١٩ : ٢٣ ، ٢٤) ولو لم تكن الكتابة معروفة في أيام موسى

فكيف يأمره الله بالكتابة "*أكتب هذا تذكاراً في الكتاب • وضعه في مسامع يشوع*" (خـر ١٧ : ١٤) ؟! •• وإن كانـت الكتابة قد عرفت بعد موسى بنحو مائتي سنة لـبعض العامة في أرض فلسطين ، فعندما "*أمسك (جدعون) غلاماً من أهل سكوت وسـألـه فكتب له (الغلام) رؤساء سكوت وشيوخها سبعة وسبعين رجلاً*" (قض ٨ : ١٤) •• فهل يُعقل أن الكتابة لم تكن معروفة في مصر قبل هذا التاريخ بنحو مائتي أو ثلـثمائة عـام ؟! وهـل يُعقل أن موسى الذي كـان قائـداً عظيمـاً كان يجهل الكتابة ؟!•• يذكر يوسيفوس أن موسى قاد فرقة عسكرية إلى الحبشة وأستولى على مدينة سبأ وكان عمره أربعين عاماً•

ط – يـرى مستر " سايس " والكولونيل " كوندر " والدكتور " نافل " أنه لابد أن موسـى كتـب التوراة بالخط المسماري على ألواح من الأجر حيث تُكتب على ألـواح طينـية ثـم تحـرق فـي النار كما كانت عادة المصريين القدماء ، وقال مسـيو " جريبو " في رسالته التي كتبها عن رسالة شامبليون أن الكتابة على الرقوق والـبردي كانـت معـروفة أيام موسى النبي ، وقال " بليك " Bleek " أن إستخدام الكـتابة قبل عصر موسى بين العبرانيين أمر معترف به الآن بصفـة عامة " [١] ، ولاحـظ ايولـد Ewald أن كلمات " كتابة " و " كتب " و " سفر " و " حبر " كانت شائعة في كل فروع ولهجات اللغة السامية عدا الأثيوبية والعربية الجنوبية•

ى- يعـترف القـرآن بأن الله كتب لموسى على الألواح " ولما جاء موسى لميقاتـنا وكلمـه ربه قال ربّ أرني أنظر إليك •• قال يا موسى إن أصطفيتك •• وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة " (الأعراف ١٤٣ – ١٤٥)•

ويجدر الإشارة هنا إلى مواد وأدوات الكتابة التي أستخدمها الإنسان حينذاك :

مواد الكتابة : إستخدم الإنسان الأسطح الملساء للنقش أو الكتابة عليها ، ومن المواد التي إستخدمها الإنسان للكتابة مايلي :

---

(١) أورده القس عبد المسيح بسيط في كتابه التوراة كيف كُتبت ؟ وكيف وصلت إلينا ؟ ص ١٠٤

١- **الأحجـــار** : كانت الكتابة تنقش على الأحجار بواسطة أقلام من حديد كما تمـــنى أيـــوب أن تُـــنقر كلماته في الصخر بقلم من حديد (أي ١٩ : ٢٤) وكانت الأحجـــار تعد كألواح مثل لوحي الشريعة " *لوحان مكتوبان على جانبيهما ، من هنا ومـــن هنا كانا مكتوبين ، واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحيـــن* " (خر ٣٢ : ١٥ ، ١٦) وعندما كسرها موسى " *قال الرب لموسى أنحت لك لوحين من حجر مثل الأولين ، فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحيـــن الأوليـــن اللذين كسرتهما* " (خر ٣٤ : ١) وهنا يظهر إهتمام الله الواضح علـــى تدويـــن الشـــريعة كـــتابة ، وأيضاً كان الإنسان ينقش الكتابة على الأعمدة والمســـلات وجدران المعابد والمقابر كما نرى في الحضارة المصرية القديمة ، كما إن حمورابي نقش شريعته على لوحي حجر ٠

٢- **الشـــقف** : وهو قطع الخزف وكان يستخدم في الكتابات القصيرة بواسطة قلم أو فرشاة وحبر ، وأيضاً كان الإنسان يكتب على الأواني الفخارية سواء قبل أو بعـــد حرقها ، وكانت تستخدم بكثرة لتوفرها ورخص ثمنها ، وقد تم إكتشاف أعداد كبيرة منها في مصر وسوريا والعراق وفلسطين ٠

٣- **الألـــواح** : وكانـــت تُصنع من الخشب أو العاج وتُتطلى بطبقة من الشمع ولهـــا حافـــة لحفـــظ الشـــمع ، وكان الإنسان يكتب عليها بآلة حادة ، ولعل أشعياء إســـتخدم مـــثل هذه الألواح " *وقال لي الرب خذ لنفسك لوحاً كبيراً وأكتب عليه بقلم ٠٠* " (أش ٨ : ١) ٠٠ " *فقـــال الآن أكتب هذا عندهم على لوح وأرسمه في سفر* " (أش ٣ : ٨) وكـــان أحياناً يثقبون هذه الألواح ويجمعونها بواسطة مفصلات لتكون كـــتاباً ٠ وقد تم إكتشاف مثل هذه الألواح في نمرود " أشور " ويرجع تاريخها إلى سنة ٧٠٥ ق٠م ، وقد ظلت هذه الألواح تستخدم في العصور اليونانية والرومانية ٠

٤- **ورق الـــبردي Papyrus** : كان نبات البردي ينمو بكثرة في مصر بالمياه الـــراكدة بالمســـتنقعات والبرك التي كان يخلفها الفيضان على جانبي النهر ، وتفنن

الإنسان المصري في الإستفادة من هذا النبات ، فكان يستخدم الجذور عوضاً عن الأخشاب في الوقود وفي صنع السلال والجوالق والأسفاط ، وأستخدم سيقان النبات في صنع القوارب ، وأستخدم اللحاء الداخلي في نسج الثياب والزكايب والحبال والحصر ، وصنع الإنسان المصري القديم لفائف البردي من سيقان النبات ، بوضع شرائح بالعرض وأخرى بالطول وبينهما سائل طيني وتُضغَط في مكابس وتُجفَف في الشمس وتُطـرّق بشدة ويُصقَل وجهها بحجر الخفاف فتصبح متينة وصالحة للكتابة ، وكان يمكن عمل مجلد من هذه الأوراق بحيث لا تزيد عن عشرين ورقة ، ويمكن إستخدامها للكتابة أكثر من مرة ، فعندما تبهت الكتابة يمكن إزالتها والكتابة على اللفافة مرة أخرى ، وتحتاج هذه اللفائف لحفظها جو جاف فتظل آلاف السنين سليمة ، ولذلك معظم اللفائف التي تم إكتشافها خرجت إلينا من صعيد مصر ، كما أن مخطوطات وادي قمران شملت بعض لفائف البردي٠

٥- **القوالب الطينية** : وتم إستخدامها بكثرة في بابل لعدم توفر الأحجار والصخور ، وهي مثل اللبنة التي أستخدمها حزقيال *" وأنت يا ابن آدم خذ لنفسك لبنة وضعها أمامك وأرسم عليها مدينة أورشليم "* (حز ٤ : ١) وكانوا يحرقون هذه القوالب لتكتسب صلابة أقوى ، وتم إكتشاف فرن في " أوغاريت " لحرق ألواح الطين يرجع تاريخها إلى سنة ١٢٠٠ ق٠م ووجد بداخلها بعض الألواح التي لم تحرق بعد٠

٦- **الجلود** : إستخدم الإنسان جلود الماعز والأغنام والحيوانات الأخرى بعد تجفيفها ونزع الشعر عنها ، وكان من الممكن محو الكتابة بغسلها بالماء٠

٧- **الرقوق** : وهي جلود حيوانات بعد معالجتها بطريقة خاصة لتصبح أكثر نعومة وأسهل في الكتابة ، وأفضل هذه الرقوق هي نوع Velum المصنوع من جلد العجول٠

أدوات الكـــتابة : إستخدم الإنسان أدوات للكتابة تناسب المواد المستخدمة ، فاستخدم القلم الحديـــد (أي ١٩ : ٢٤) وأحياناً كانوا يصنعون له سناً من الماس (ار ١٧ : ١) للـــنقش على الأحجار أو المعادن ، واستخدم الإنسان أقلام من القصب (الغاب) للكـــتابة بالحبر ، وكان يستخدم المبرأة لتهذيب هذه الأقلام (أر ٣٦ : ٢٣) أما الحبر فكـــان يوضـــع في دواة الكاتب (حز ٩ : ٢) وكانوا يصنعونه من السناج المخلوط بالصـــمغ أو الزيـــت للكـــتابة على الرقوق ، أو يخلطونه بمادة معدنية للكتابة على أوراق البردي ، وخلطه كتبة اليهود بعسل النحل النقي ، كما أستخدم الرومان الحبر المســتخرج مـــن ســـمك الحـــبَّار { راجع الهداية جـــ ١ ص ٩٧ – ٩٩ ، الأسقف أيســـيذورس مشـــكاة الطلاب في حل مشكلات الكتاب ص ٦٤ ، ٦٥ ، والقس عبد المســـيح بســـيط – الـــتوراة كيف كُتبت ؟ وكيـــف وصلت إلينا ؟ ص ٢٥ – ٢٨ ، ١٠٤ ، ونجيـــب جرجس – تفسير سفر التكوين ص ٢٠ ، ودائرة المعارف الكتابية جـــ ٢ ص ١١٣ – ١٢١ ، جـــ ٦ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، والقس منيس عبد النور – شبهات وهمية ص ٢٧ ، ٢٨ } .

٣- كُتبت التوراة بصيغة الغائب :

س٣١ : هل إستخدام موسى النبي صيغة الغائب عند حديثه عن نفسه أحياناً يعني أنه لم يكتب التوراة ؟

ج : أ – إســـتخدم موســـى الأسلوبين فـــي الكتابـــة ، فتكلـــم بضمير الغائب مثلما قـــال " *وكتـــب موســـى هذه التوراة وسلّمها لكهنة بني لاوي* " (تث ٣١ : ٩) وفي الإصـــحاح التالـــي تكلم بضمير المتكلم " *وجّهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم* " (تث ٣٢ : ٤٦) كما تكلم بصيغة المتكلم عشرات المرات في أسفار الخروج واللاويين والعدد والتثنية .

ب- كثيراً ما كان المؤلفون القدماء يستخدمون ضمير الغائب في كتاباتهم كما هو واضح من كتابات زنوفن ، ويولينوس ، وبروكوبوس ، وأكسينوفون ، ويوسيفوس.

ج- هذا الأسلوب كان متعارفاً عليه في الأدب المصري القديم ، وواضح من نقوش الفراعنة التي سجلت إنتصاراتهم وأستخدموا فيها ضمير المتكلم وضمير الغائب أيضاً ، كما ظهر في نقش تحتمس الثالث في كتاب " سجلات الماضي " جـ ٢ ص ٣٥ – ٨٥ .

د- نسج القرآن على نفس المنوال فقال " وما محمد إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل أنقلبتم على أعقابكم " (آل عمران ١٤٤) " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم " (الأحزاب ٤٠) و " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكُفَّار رحماء بينهم " (الفتح ٢٩).

٤- الكاتب يمدح نفسه :

س٣٢ : هل مدح موسى لنفسه أكثر من مرة يُعد دليلاً على أنه لم يكتب التوراة ؟

.. قال باروخ سبينوزا في تحليله النقدي الذي نشره في هولندا في القرن السابع عشر أنه لو كان موسى هو كاتب التوراة ما كان يمتدح نفسه قائلاً " *وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض* " (عد ١٢ : ٣) .. فما رأيك في هذا ؟

ج - إذا رجعنا إلى المواقف التي مدح فيها موسى نفسه نلاحظ الآتي :

أ - قال موسى عن نفسه " *وأيضاً الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب* " (خر ١١ : ٣) وهو قصد أن يُظهِر تأثير المعجزات التي أجراها الله بواسطة عبده موسى على فرعون وشعبه وعبيده ، فهو يقرّر حقيقة واقعة بقصد تمجيد إسم الله.

ب- مدح موسى نفسه عندما تكلمت عليه أخته مريم وأخيه هرون " وتكلمت مـريم وهـرون علـى موسى بسبب المرأة الكوشية التي إتخذها •• فقالا هل كلّم الـرب موسـى وحده • ألم يكلمنا نحن أيضاً • فسمع الرب • وأما الرجل موسى فكان حليماً جـداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢ : ١ - ٣) والدليل على حلم موسى أنه بعـد أن ضرب الله مريـم بالبرص بسبب كلامها علـى موسى " فصرخ موسى إلى الرب قائلاً اللهمّ أشفها " (عد ١٢ : ١٣) فهو إذاً يقـررّ حقـيقـة تمجّد إسم الله ، لأنه من أين جاء الحلم لموسى إلاّ من إلهه طويل الأناة ؟!

ج- وإن كـان موسى إفتخر في موقعين ، فإنه لم يتورع أن يذكر الكثير من أخطائـه مـثل قـتله للمصري وهروبه ، ومحاولة الإستعفاء من إرسالية الله له ، وغضبه ومخالفته وصية الله عندما ضرب الصخرة في المرة الثانية ، وذكر العقاب الذي حلّ به يحرمه من الدخول إلى أرض الموعد•

د- هـاجـم الـيهود السيد المسيح أما هو فقال لهم " من منكم يبكتني على خطـية " (يـو ٨ : ٤٦) وعـندمـا لطـم واحد من الخدام السيد المسيح وقت المحاكمة " أجابه يسوع إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي وأنا حسناً فلماذا تضربني " (يو ١٨ : ٢٣) ، وعندما طعن البعض في رسولية بولس الرسول دافع عن نفسه وافتخر بمؤهلاته مقارناً نفسه بالرسـل ، وكتب لأهـل كورنثوس يقول " أهـم خـدام المسيح• أقول كمختل العقـل • فأنا أفضل في الأتعاب أكثر • في الضـربات أوفـر • في السجون أكثر • في الميتات مراراً كثيرة •• " (٢كو ١١ : ٢٣ - ٣٣) فهل معنى هذا أن بولس الرسول لم يكتب هذه الرسالة ؟!

٥- تعاليم التوراة الأدبية تفوق ذلك العصر :

س٣٣ : قال البعض أن التـوراة تعبر عن صورة رفيعة من الأدب لم تكن معروفة حيـنذاك ، فقال دي وايت De Wette أن التوراة تمثل صورة رفيعة من الأدب لم

تكـن معـروفة أيام موسى حيث كان الأدب مازال في طفولته .. فهل هذه حقيقة تُثبت أن موسى النبي لم يكتب التوراة ؟

ج : أ - أن الشعوب القديمة ذات الحضارات العريقة كانت قد وصلت إلى مرحلة من التقدم والرقي عن طريق الناموس الطبيعي الذي أودعه الله في الإنسان ، وأيضاً عـن طـريق معاشرة رجال الله الأتقياء ، ولذلك لا عجب أن نجد الأسلوب الأدبي الرفيع في قوانين حمورابي ملك بابل الذي كان معاصراً لإبراهيم أب الآباء.

ب - وصـل الأدب في مصر إلى ذروته في عصر الأسرتين ١٨ ، ١٩ ، ويشهد بهذا ما تم إكتشافه من برديات ذات مستوى أدبي رفيع مثل بردية " أيبرس Ebers P " التـي تـرجع إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وبردية " هاريس Harris P " التي بلغ طولها ١٣٣ قدم (نحو ٤١ م) وعرضها ١٧ بوصة (٣٢سم) وتقـع في ١١٧ عمود وترجع للقرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وكتاب الموتى الذي يـرجع للقـرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وقصيدة بنتاؤر Pentaour التي مازالت منقوشة على جدران معبد الكرنك.

ج- كُتبـت الـتوراة بإرشاد الروح القدس ، والذي كتبها إنسان مميز جداً ، وهـو موسـى الـذي نشـأ كأمـير في قصر فرعون " *فتهذَّب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً في الأقوال والأعمال* " (أع ٧ : ٢٢).

د- كتبـت الـتوراة بأسـلوب بسيط وسهل بدون تكلُّف بعيدة عن الأسلوب البلاغي الصعب والتعقيدات اللغوية ، وليست بعيدة عن أرض الواقع.

٦- الله لم يوصي بالذبائح في الخروج من مصر :

س ٣٤ : قـال البعض أنه ورد في أسفار أرميا وأشعياء وعاموس وميخا أن الله لم يـوصِ الشعب عند خروجه من أرض مصر بالذبائح التي حواها سفـر اللاويين ، واستشهدوا بما يأتي :

قــول أرميا النبي " *لأني لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة ونبيحة ٠٠ بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلاً أسمعوا صوتي فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً* " (أر ٧ : ٢٢ ، ٢٣)٠

قول أشعياء النبي " *لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب ٠ أتخمت من مُحرقات كباش وشــحم مســمَّنات ٠ وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسرُّ ٠ حينما تأتون لتظهروا أمامي من طلب هذا من أيديكم* " (أش ١ : ١١ – ١٥)٠

قول عاموس النبي " *إني إذا قدمتم لي محرقات وتقدماتكم لا أرتضي وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها ٠٠ هل قدمتم لي ذبائح وتقدمات في البرية أربعين سنة يا بيت إسرائيل* " (عا ٥ : ٢١ – ٢٥)٠

وقــول مــيخا النبي " *هل يسر الربُّ بألوف الكباش بربوات أنهار زيت هل أعطي بكري عن معصيتي ثمرة جسدي عن خطية نفسي ٠ هل أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح ٠ وماذا يطلبه منك الرب إلاَّ أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مــع إلهــك* " (مي ٦ : ٧ ، ٨) ٠٠ **فهل معنى هذا إن سفر اللاويين كُتب بعد هذه الأسفار ، وبالتالي فإن الكاتب شخص آخر غير موسى النبي ؟**

ج : الحقــيقة أنــه ليس المقصود من الآيات السابقة أن الله لم يوصِ بني إسرائيل بــتقديم الذبائح ، ولا يُفهم منها أن سفر اللاويين لم يُكتب بيد موسى وذلك للأسباب الآتية :

أ – طقس تقديم الذبائح كان معروفاً قبل تدوين أي شريعة ، فمنذ آدم وطقس الذبائح معمول به ، وقبل أن يخرج الله شعبه من أرض مصر أوصاهم بعمل ذبيحة الفصح٠

ب– لقد ظن اليهود أنهم سيرضون الله بذبائحهم بغض النظر عن سلوكياتهم ، فراحوا يقدمون ذبائح للأوثان وهم يقدمون ذبائح لله " *ذبحوا لأوثان ليست الله* " (تث

٣٢ : ١٧) وهـــذا ما أوضحه الله على فم أرميا النبي قائلاً " *فلم يسمعوا ولم يميلوا آذانهم بل ساروا في مشورات وعناد قلبهم الشرير وأعطوا القفا لا الوجه* " (ار ٧ : ٢٤) فسقوط اليهود في العبادات الوثنية أغضب الله فرفض ذبائحهم •

ج- لأن الـــيهـــود ظلوا يمارسون الطقوس بلا روح وبلا معنى ، وبسلوكهم الـــردئ قـــد أغضبوا الله القدوس ، لذلك عاتبهم الله على أفواه أنبيائهم على سلوكهم الـــردئ ، ولذلـــك صـــمت الأنبياء عن ذكر الجوانب الطقسية ، ولكن أعابوا على الشعب السلوك الشرير •

د – كـــل ذبـــائح العهد القديم ما هي إلاَّ رمزاً لذبيحة المسيا ، ومادامت هذه الذبـــائح قـــد خرجـــت عن الإطار الذي رسمه الله لها ، وصارت تُقدَم بأيدي دنسة متمســـكة بالشر وغير تائبة عن الإثم ، لذلك يحسب الله نفسه كأنه لم يوصِ بها لتقدم بهذا الشكل السئ •

هـــ- إن قال البعض أن الأنبياء إقتبسوا من سفر التثنية دون اللاويين ، فهذه مغالطة لأن عاموس مثلاً أشار إلى سفر اللاويين في عدة مواضع (عا ٤ : ٤ ، ٥ ، ٥ : ٢١ ، ٩ : ٤)•

و- عـــندما قـــال الله على لسان عاموس " *هل قدمتم لي ذبائح وتقدمات في الـــبرية أربعيـــن سنة يابيت إسرائيل ؟* " كـــان مجـــرد تساؤل بهـــدف معين وليس نفـــي ، فلم يقل " أنكم لم تقدموا لي ذبائح وتقدمات •• " فكان الأنبياء ينظرون إلى فترة البرية التي عاشها بنو إسرائيل وكان الله يعولهم بطريقة معجزية على أنها فترة مثالية ، ومع ذلك فإن الله تغاضى عن إهمالهم في تقديم الذبائح ربما بسبب تجوالهم في البرية ، فلم يقدموا ذبيحة الفصح من السنة الثانية بعد الخروج حتى دخول أرض كـــنعان ، وكـــأن تركـــيز الله بالأكثر على الوصايا الأدبية ، ولذلك قال " *من حفظ الشـــريعة فقـــد قدم ذبائح كثيرة• من رعى الوصايا فقد ذبح ذبيحة الخلاص • ومن أقلع عن الإثم فقد ذبح ذبيحة الخطيئة وكفر ذنوبه • من قدم السميذ فقد وفَّى بالشكر*

ومـــن تصدّق فقد ذبح ذبيحة الحمد • مرضاة الرب الإقلاع عن الشر " (إبن سيراخ ٣٥ : ١ – ٥)•

٧- الكاتب لم يذكر اسم إبنة فرعون ، وموت زوجته ، وزواجه من الكوشية :

س٣٥ : قالوا كيف يكون موسى هو كاتب التوراة ولا يذكر أموراً هامة في حياته مـــثل إســـم إبـــنه فرعون التي تبنته ، وموت زوجة صفورة ، وزواجه من المرأة الكوشية ؟

ج : كتب موسى بأمر صريح وواضح ومتكرر من الله كما رأينا من قبل ، كما أنه كتـــب بإرشـــاد ووحـــي من روح الله القدوس الذي كان يوجه الكاتب ويعصمه من الخطـــأ ، فـــإن كـــان لحكمـــة معينة لم يشأ الروح القدس أن يذكر مثل هذه الأمور وغيرها مما تخص حياة موسى ، فليس معنى هذا أن موسى لم يكتب التوراة ، **لأن التوراة ليست هي مذكرات شخصية لموسى** • كما إن إبنة فرعون ، وفرعون الذي تـــربى موســـى في قصره ، وفرعون الذي خرج بنو إسرائيل في عصره ، جميعهم كـــانـــوا معروفيـــن جيداً لمعاصري موسى ، أما موسى فاهتم بذكر أعمال الله مع شـــعبه ، والحقـــيقة لـــو أن كاتب التوراة كان متأخراً عن موسى لذكر هذه الأسماء لـــيعرفها معاصروه ، وأيضاً نقول أن موسى ذكر زواجه من المرأة الكوشية (عد ١٢) وذلك لأن في هذا الزواج رمزاً لزواج السيد المسيح من كنيسة الأمم ، ولكنه لم يرد الإسترسال في هذا الأمر لأن الزواج الثاني غير مستحب•

٨-معلومات خاطئة عن مصر :

س ٣٦ : قالوا أن هناك معلومات خاطئة وردت في التوراة مما يؤكد أن موسى لـــيس هـــو كاتب التوراة ، وذكروا أمثلة لهذه المعلومات الخاطئة وهي إستخدام المصـــريين للطـــوب اللبن مثل البابليين بينما كان المصريون يبنون بالأحجار ، وأنهـــم إســـتخدموا الحمـــير والجمال أيام إبراهيم مثل العرب ، وأنهم يزرعون

الكـــروم كما جاء في قصة يوسف بينما الكروم لم تُزرع إلاَّ في حكم بسماتيك بعد موسى بنحو ٨٠٠ سنة٠٠ هل هذا حقيقة ؟

ج : الحقيقة أن الآثار المصرية القديمة قد أثبتت أن المصريين إستخدموا الأحجار لبـــناء المعابد ، والطوب اللبن للبيوت والمدافن ، وتم الكشف عن آثار مدينة فيثوم فـــي تـــل المســـخوطة قرب الإسماعيلية وبها آثار مخازن مبنية من الطوب اللبن المصنوع من الطين والتبن ، كما أن بقايا بعض الأهرامات في الطريق إلى الفيوم والتـــي أقيمـــت مـــن الطـــوب اللبن تثبت إستخدام الطوب في مصر قبل عصر موســـى ، كمـــا أن الحمـــير والجمال عُرِفت في مصر منذ زمن بعيد ، ففي سنة ١٩٣٥م وُجدت في رمال مصر جمجمة جمل ترجع إلى سنة ٢٠٠٠ ق٠م ، وحبل مـــن شـــعر جمل يرجع إلى سنة ٢٥٠٠ ق٠م ، وقطعة فخار تحمل صورة رأس جمـــل تـــرجع إلـــى سنة ٣٠٠٠ ق٠م ، وأيضاً بالنسبة للكروم فقد شهد هيرودوت المؤرخ (٢ : ٣٧) بأن الخمر كانت موجودة أيام يوسف الصديق ، كما أن الآثار الفرعونية القديمة عليها صور الكروم والعنب٠

٩- **مدلولات جغرافية :**

س ٣٧ : قـــال بعـــض النقاد أن هناك مدلولات جغرافية تؤكد أن الأسفار الخمسة وُضِـــعت فـــي عصر لاحق لموسى النبي ٠٠ ما هي هذه المدلولات ؟ وكيف يمكن توضيحها ؟

ج : مـــن أهـــم المدلولات الجغرافية التي إستدل بها أصحاب مدرسة النقد الأعلى على أن موسى النبي لم يكتب التوراة ما يلي :

أ- **بيـــت إيل – لُوزَ** : قال كاتب سفر التكوين عن إبراهيم " *ثم نقل من هناك إلـــى الجبـــل شرقي بيت إيل* " (تك ١٢ : ٨) فقال النقاد إن " بيت إيل " كان إسمها أولاً "لُوزَ " ، ولم تُعرف ببيت إيل إلاَّ بعد أيام موسى ، فيقول يشوع بن نون وهو مـــن سبط بنيامين " *وعبر التُخم من هناك إلى لوز إلى جانب لوز الجنوبي* ٠ هي

بيـت ايل " (يش ١٨ : ١٣) " *وإستكشف بيت يوسف عن بيت ايل ٠٠ وكان إسم المدينة قبلاً لُوزَ* " (قض ١ : ٢٣)٠

تعلــيق : تسمية " لُوزَ " ببيت إيل عُرف قبل موسى بمئات السنين ، والذي دعاها هكذا يعقوب أب الآباء ، فعند هروبه من أخيه عيسو قاصداً خاله لابان وبعد حلمه " *فإستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم٠ وخاف وقــال مــا أرهــب هذا المكان ٠ ما هذا إلاّ بيت الله ٠ وهذا باب السماء ٠ وبكّر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصبَّ زيتاً علــى رأسه ٠ ودعا إسم ذلك المكان بيت ايل ٠ ولكن إسم المدينة أولاً كان لَوزَ* " (تك ٢٨ : ١٦ – ١٩) وتكرر الموقف بعد عشرين سنة عند عودة يعقوب من عند خاله إذ ظهر له الله وغيَّر إسمه من يعقوب إلى إسرائيل " *ودعا يعقوب إسم المكان الذي فيه تكلّم الله معه بيت إيل* " (تك ٣٥ : ١٥)٠

ب- **حبرون – قرية أربع :** قال كاتب سفر التكوين " *فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلُوطات مَمْرَا التــي فــي حبرون* " (تك ١٣ : ١٨) وقال النقاد إن إسم " حبرون " لم يكن معروفاً أيام موســى لأن كان إسمها " قرية أربع " يقول الكتاب " *وماتت سارة في قرية أربع التي في حبرون* " (تك ٢٣ : ٢) ٠٠ " *وإسم حبرون قبلاً قرية أربع* " (يش ١٤ : ١٥) وكذلك (يش ١٥ : ١٣)٠

تعلــيق : أُطلــق علــى هذه المدينة ثلاثة أسماء مَمْرَا ، وقرية أربع ، وحبرون ، وكانــت الأسماء الثلاثة معروفة منذ أيام موسى النبي ، ودُعيت " ممْرَا " لأنه سكن فــيها أمير عظيم إسمه " ممْرَا " وكان صاحب حلف مع إبراهيم فخرج معه ليحرّر لــوط ، وعندما عاد إبراهيم وأراد ملك سدوم أن يكافئ إبراهيم رفض وقال " *ليس لي غير الذي أكله الغلمان ٠ وأما نصيب الرجال الذينَ ذهبوا معي ٠٠ وممْرَا فهم يــأخذون نصــيبهم* " (تك ١٤ : ٢٤) وسُميت " قرية أربع " نسبة لمن أسسها وهو رجل جبار إسمه أربع " *وإسم حبرون قبلاً قرية أربع الرجل الأعظم من العناقيين* "

(يش ١٤ : ١٥) وسُميت " حبرون " بمعنى صحبة ، ولأنها عُرِفت منذ أيام موسى بهـذا الإسـم ، لذلـك دُعي بعض الرجال في عصر موسى بهذا الإسم ، مثل عم موسى " *وبنو قهات عمرام ويصهار وحبرون* .. " (خر ٦ : ١٨) ودعى كالب بن يفنه أحد أبنائه بإسم حبرون (١ أي ٢ : ٤٢) وبعد دخول أرض الموعد قال كالب ليشـوع بـن نون " *فالآن إعطني هذا الجبل .. إن العناقيين هناك والمدن عظيمة محصـنة . لعـل الـرب معي فأطردهم كما تكلم الرب . فباركه يشوع وأعطى حبرون لكالب بن يَفُنّة ملكاً* " (يش ١٤ : ١٢ ، ١٣).

ج- عبر الأردن :.قال كاتب التـوراة أنـه كـان فـي " عبر الأردن " وفي " عـربات موآب " وفي " عبر أريحا " وفي " أردن أريحا " أي في أرض فلسطين بالضـفة الغربـية مـن نهـر الأردن ، ومن المعروف أن موسى عاش في الضفة الشـرقية ومـات ولـم يعبر الأردن ، مما يدل علـى أن الكاتب شخص آخر غير موسـى ، ومـن أصـحاب هذا الرأي البروتستانتي المشيخي الفرنسي " إيزاك دي لوبـيرير " في القرن السابع عشر الميلادي ، ومما يُذكر أن كتابه تعرض للحرق ، وتعرض هو للسجن ولم يفرج عنه إلاَّ بعد أن تحول إلى الكاثوليكية.

تعلـيق : جـاء في سفر التثنية " *في عبر الأردن في أرض موآب ابتداء موسى يشـرح* .. " (تـث ١ : ٥) .. " *وأخذنا في ذلك الوقت من يد ملكي الأموريين الأرض التـي في عبر الأردن من وادي أرنون إلى جبل حرمون* " (تث ٣ : ١٨) وجـاء فـي سفر العدد " *وارتحل بنو إسرائيل ونزلوا في عربات موآب في عبر أريحـا* " (عد ٢٢ : ١) .. " هذه *هي الوصايا والأحكام التي أوصى بها الرب إلى بنـي إسرائيل عن يد موسى في عربات موآب على أردن أريحا* " (عد ٣٦ : ١٣) والحقـيقة أن عبارة " عبر الأردن " يمكن أن تطلق على الضفتين سواء الشرقية أو الغربية بحسب موقع المتكلم ، ويقول " رافين " J. Raven أن تعبير " عبر الأردن " يمكـن أن يسـتخدمه (الكاتـب) إذا كـان في الضفة الغربية مشيراً بذلك للضفة

الشرقيـــة أو العكس ، أي يمكن لموسى أن يستخدمه وهو في الضفة الشرقية مشيراً للضفة الغربية .

ويقــول القمص تادرس يعقوب " في قوله { عبر الأردن } قاصداً { شرقي الأردن } لا يعنـــي بالضـــرورة أن الكاتب موجود في غرب الأردن حتى يُعبّر عن شـــرق الأردن هكـــذا ، إنما هـــو إصطلاح كان جارياً منذ القديم عن تسمية خاصة بــــ " شرقي الأردن " ولازال هذا الإصطلاح مستخدماً في عصرنا هذا .. وردت هـــذه العـــبارة ١٨ مرة في التثنية ويشوع للتعبير عن جانب من الأردن أو الجانب الآخـــر أو كـــل دائرة الأردن ، وهي تعني في ١٢ مرة منها الجانب الشرقي وفي الســـت الأخـــــرى الجانـــب الغربـــي ، وتضاف بعض التوضيحات لتحدد الجانب المقصود " [1].

ومن الآيات التي وردت فيها عبارة " عبر الأردن " وتشير للضفة الغربية التـــي لم يعبرها موسى " *حتى يريح الرب أخوتكم مثلكم ويمتلكوا هم أيضاً الأرض التي الرب إلهكـــم يعطيكم في عبر الأردن* " (تث ٣ : ٢٠) وتضرَّع موسى لله قائلاً " *دعنـــي أعبر وأرى الأرض الجيدة التي في عبر الأردن هذا الجبل الجيد ولبنان* " (تـــث ٣ : ٢٥) .. " *ولما سمع جميع الملوك الذي في عبر الأردن في الجبل وفي السهل وفي كل ساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان الحثيون والأموريون والكنعانيون والفـــرزّيون والحوّيون واليبوسيون* " (يش ٩ : ١) ومن المعروف أن هذه الشعوب كانت تعيش في الضفة الغربية التي لم يعبر إليها موسى .

وقد ألقى موسى خطابه في " عربات موآب " وكلمة " عربة " كلمة عبرية معـــناها " القفـــر " ، وعـــربات موآب أي " سهول موآب " حيث منطقة رعي غير مأهولة كان قد حط فيها بنو إسرائيل في السنة الأربعين لخروجهم من أرض مصر بعـــد رحلة طويلة ، ويُقصد بعربات موآب المنطقة المنخفضة من البحر الأحمر إلى

---

(١) شرح سفر التثنية ص ٤٥

شـــمال البحر الميت (تث ١ : ١) أو الأرض المحيطة بالبحر الميت وبحر الجليل وفي (حز ٤٧ : ٨) قُصد بها شمال البحر الميت إلى خليج العقبة وطولها مائة ميل٠

والمقصود بــ " عبر أريحا " أو " أردن أريحا " أي الجزء من النهر الذي تقع عليه مدينة أريحا ، فهم حطوا شرقاً ، وكانت مدينة أريحا غرب الأردن من أول المدن التي قصدها بنو إسرائيل بعد عبورهم إلى الضفة الغربية٠

د- **لايش – دان** : أطلق كاتب التوراة على مدينة " لايش " (قض ١٨ : ٧) مدينة " دان " (تك ١٤ : ١٤، تث ٣٤ : ١) مع أن هذه المدينة لم تُعرَف باسم دان إلاّ بعد نصرة بني دان عليها بعد عصر موسى (قض ١٨ : ١٩)٠

تعلـيق : كـــان هـــناك مدينتان بإسم دان ، الأولى ورد ذكرها في سفر التكوين ، والثانـــية في سفر التثنية والقضاة ، فجاء في سفر التكوين " *فلما سمع ابرام أن أخاه سُبي جرّ غلمانه المتمرنين ولدان بيتِه ثلث مئة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان* " (تك ١٤ : ١٤) ودان هذه غير دان التي كان إسمها لايش وأقدم منها ، وتقع بالقرب من مخـــارج الأردن ومعناها " قضاء " والدليل على ذلك أن إسم " الأردن " مؤلف من كلمتيـــن " الأور " ومعناها " نهر " ، و " دان " ومعناها " قضاء " ٠ أما ما جاء في سفر التثنية " *وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى راس الفسجة التي قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان* " (تث ٣٤ : ١) فدان هذه كـــان يُدعـــى إســـمهـــا أولاً " لشم " أو " لايش " وتقع شمال فلسطين قرب منابع الأردن ، ومـــن المعروف أن الإصحاح الأخير من سفر التثنية كتبه يشوع بن نون بعـــد مـــوت موســـى ولكنه ضُم إلى سفر التثنية ليكون ختاماً لفترة موسى رئيس الأنبياء ، ولذلك دعاها بإسمها الجديد دان ، وجاء في سفر يشوع " *وخرج تخم بني دان مـــنهم وصـــعد بنو دان وحاربوا لشم (لايش) وأخذوها وضربوها بحد السيف وملكوها وسكنوها ودعوا لشم دان كإسم دان أبيهم* " (يش ١٩ : ٤٧) وهذا ما أكده

سفر القضاة" *ودعوا إسم المدينة دان بإسم دان أبيهم الذي وُلِدَ لإسرائيل ولكن إسم المدينة أولاً لايش"* (قض ١٨ : ٢٩)٠

وقال رافين J. Raven أنه ليس من الضروري أن تكون دان المذكورة في (تك ١٤ : ١٤) هي لايش ، إنما قد تكون مدينة أخرى حملت إسم دان ٠ أما ما كُتب في (تث ٣٤ : ١) فجاء لاحق لعصر موسى ، لقد كتب هذا الإصحاح يشوع بن نون تلميذ موسى٠

ويقول المرحوم نجيب جرجس " دان بمعنى " قاض " وربما تكون قد دُعيت هكذا لإجتماع القضاة فيها للقضاء ، وهنا رأيان بخصوصها ، ففريق يرى أنها نفس مدينة (دانَ) التي دعاها الدانيون بإسم أبيهم وكانت تدعى أولاً (لشم) أو (لايش) (يش ١٩ : ٤٧ ، قض ١٨ : ٢٧ - ٢٩) وتقع شمال فلسطين قرب منابع الأردن ، وفي هذه الحالة يكون موسى قد كتبها بإسم " لايش " ، ويكون عزرا قد كتبها بإرشاد من الله بإسمها الجديد (دان) لتكون معروفة للناس٠ أما الرأي الثاني وهو الأرجح فهو أن (دان) المذكورة هنا مدينة أخرى خلاف دان التي سكنها الدانيون وكانت بالقرب من مخارج الأردن أيضاً "[1]٠

هـ - **حوُّوث يائير** : قال كاتب التوراة" *يائير ابن منسَّى أخذ كل كورة أرجوب إلى تخم الجشوريين والمعكيين ودعاها على إسمه باشان حوُّوث يائير إلى هذا اليوم"* (تث ٣ : ١٤) وإسم " حوُّوث يائير " جاء متأخراً بعد موت موسى كما هو واضح من سفر القضاة (قض ١٠ : ٤)٠

تعليق : يقول القمص تادرس يعقوب " يرى البعض أن يائير هذا ربما يكون من نسل يائير المذكور في سفر العدد (٣٢ : ٤١) "[2]٠ وجاء في سفر العدد" *فأعطى موسى جلعاد لماكير بن منسَّى فسكن فيها٠ وذهب يائير ابن منسَّى وأخذ مزارعها ودعاهنَّ حوُّوث يائير"* (عد ٣٢ : ٤٠ ، ٤١) ويائير هذا هو يائير بن سجوب بن

---

(١) تفسير سفر التكوين ص ١٥٥ ، ١٥٦
(٢) تفسير سفر القضاء ص ١٠٠

حصــــرون من سبط يهوذا ، ونُسب إلى منسَّى لأنه تزوج من إمرأة من نسل ماكير بـــن منسَّـــى ، وكان يائير هذا في زمن موسى قد تشجع وفتح ستين مدينة شرقي الأردن ومـــن بيـــنها عدد من المدن في جلعاد ، وقد دعاها وقتئذ " حوُّوث يائير " وجـــاء فـــي ســـفر يشوع " *وأعطى موسى لنصف سبط منسَّى • وكان تخمهم من محـــنايم كـــلّ باشان كلّ مملكة عوج ملك باشان وكلّ حوُّوث يائير التي في باشان ستين مدينة* " (يش ١٣ : ٢٩، ٣٠) وحوُّوث أي قرى ، وباشان أي أرض مستوية أو ممهـــدة ، فحـــوُّوث يائـــير أي قـــرى يائير ، وباشان حوُّوث يائير أي الأرض المستوية لقرى يائير أو قرى يائير المستوية•

أمـــا ما جاء في سفر القضاة " *يائير الجلعاوي (أحد القضاة) •• كان له ثلاثـــون ولداً يركبون على ثلاثين جحشاً ولهم ثلاثون مدينة• منهم يدعونها حوُّوث يائـــير إلى هذا اليوم • هي في أرض جلعاد* " (قض ١٠ : ٣ ، ٤) وحوُّوث يائير المذكورة هنا قد تكون ثلاثين مدينة غير التي كانت في أيام موسى النبي ، ودعاها أولاد يائـــير القاضـــي باســـم أبيهم تمثلاً بيائير القديم • وقد تكون الثلاثين مدينة المذكـــورة هـــنا في سفر القضاة من بين المدن الستين القديمة ، وبقيت على إسمها القديـــم " حوُّوث يائيـــر " ووهبها يائير الجلعادي القاضي لأولاده وهذا هو الأرجح (نجيب جرجس – تفسير سفر القضاة ص ١٥٥) •

و- **أرض العبرانييـــن** : قال كاتب التوراة على لسان يوسف الصديق " *لأنـي قـــد سُرقت من أرض العبرانيين* " (تك ٤٠ : ١٥) فقالوا أن العبرانيين لم يكونوا قد إمتلكوا الأرض في عصر موسى إنما إمتلكوها بعد هذا ، وهذا دليل على أن كاتب التوراة ليس هو موسى•

تعليق : ما معنى كلمة " عبراني " ؟ تعني انه غير مستقر في مكانٍ معين ، بل هو عابر من مكان إلى آخر ، ولذلك دُعي إبراهيم بـــ " عابر " ، فإبراهيم عاش كعابر أي غريب عن هذه الأرض " *فأتى من نجا وأخبر ابرآم العبراني* " (تك ١٤ : ١٣)

وقـــال الرب لإسحق " *تغرّب في هذه الأرض ، فأكون معك وأباركك* " (تك ٢٦ : ٣) وقـــال يعقوب لشمعون ولاوي " *كدرتماني بتكريهكما إياي عند سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين* " (تك ٣٤ : ٣٠) ودعت امرأة فوطيفار يوسف بالعبراني " *أنظـــروا ، قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا ... ودخل إليَّ العبد العبراني الذي جئت به إلينا لداعبني* " (تك ٣٩ : ١٤ ، ١٧).

وقـــد دُعـــي إبراهيم عبراني نسبة إلى عابر أحد أجداده ، أو لأنه جاء إلى أرض كنعان عابراً نهـــر الفـــرات ، وكلمة " عبراني " قد تكون من " العبيرو " أو " الخابـــيرو " والتـــي وُجِدت مكتوبة على الآثار المصريـــة ومعناهـــا البـــدو أو الـــرُحّل (نجيـــب جـــرجس - تفسير سفر التكوين ص ١٥٧) وفي جميع الأحوال يتضـــح أن كلمـــة عبرانـــي كانت معروفة من قبل ، وبالتالي أرض العبرانيين أي الأرض التـــي عـــاش فيها الآباء البطاركة الأولين ، وكان لهم فيها شأناً عظيماً ، فإبراهـــيم قال عنه وكيل بيته " *الرب قد بارك مولاي جداً فصار عظيماً ، وأعطاه غنماً وبقراً وفضة وذهباً وعبيداً وإماء وجمالاً وحميراً* " (تك ٢٤ : ٣٥) وقيل عن إسحق " *وزرع في تلك الأرض فأصاب في تلك السنة مئة ضعف وباركه الرب ، فـــتعاظم الرجل وكان يتزايد في التعاظم حتى صار عظيماً جداً* " (تك ٢٦ : ١٢ ، ١٣) وكـــان لـــيعقوب وبنيه رهبة لدى سكان كنعان " *ثم رحلوا ، وكان خوف الله على المدن التي حولهم* " (تك ٣٥ : ٥).

١٠- مدلولات أثرية :

س ٣٨ : قـــال بعـــض النقاد أن كاتب التوراة قد إستخدم مدلولات أثرية تؤكد أن الـــتوراة كُتبت في عصر لاحق لعصر موسى .. فما هي هذه المدلولات ؟ وكيف يمكن توضيح الحقيقة ؟

ج : مـــن أهم المدلولات الأثرية التي إستدل بها أصحاب مدرسة النقد الأعلى على أن موسى النبي لم يكتب التوراة ما يلي :

أ - **العُمـر** : قال كاتـب التـوراة" *وأما العُمر فهو عشر الإيفة* " (خر ١٦ : ٣٦) ومـــن المعـروف من الناحية الأثرية أن العُمر لم يكن معروفاً في عصر موسى ٠

تعلـيق : لـم يذكر العُمر في الكتاب المقدَّس إلاَّ في هذا الإصحاح ، وكان يستخدم كمكيال للمن ، فنصيب الفرد في اليوم كله هو مكيال عُمر ، وفي اليوم السادس يأخذ الفـرد عُمريـن لأن اليوم السابع سبت مقدس للرب لا يعمل فيه الإنسان ، وأوضح موســى النبي مقدار العُمر هو عشر الإيفة ، وكانت الإيفة معروفة في أرض مصر كمكـيال للحبوب ، وبالتالي عرفها بنو إسرائيل الذين عاشوا في أرض مصر ،٠وقد تكـون التسـمية " الإيفـة " أتت من الكلمة المصرية القديمة " أويفي " أو " أويبي " وكان يطلق عليها في القرن الماضـي " الويبة " وهي تساوي كيلتان ٠ إذاً العُمر = ١/٥ كـيلة ، وأيضاً الإيفة = البث وهو مكيال للسوائل = ٢٢ر٩٦١ لتر ، وكل من الإيفة والبث يساوي عشر الحومر " *تكون الإيفة والبث مقداراً واحداً لكي يسع البث عُشـر الحومـر والإيفة عُشر الحومـر "على الحومر يكون مقدارها* " (حز ٤٥ : ١١) (راجع نجيب جرجس – تفسير سفر الخروج ص ١٨٦)٠

وأيضـاً هــناك فرق بين العُمر " Omer " ، و " Homer " فالعُمر هو عُشـر الإيفـة المكـيال المصري القديم كما رأينا ، أما الـ " Homer " فهو الذي عُرف في وقت متأخر بعد موسى ولذلك يؤكد علماء الكتاب إستحالة أن تكون عبارة " أمـا العُمر فهو عُشر الإيفة " إضافة تفسيرية من يشوع أو عزرا٠ (راجع القس عـبد المسـيح بسيط – التوراة ٠٠ كيفَ كُتبت ؟ وكيف وصلت إلينا ؟ ص ١٢٧ ، ١٢٨) ٠

كمـا تسـاءل البعض كيف يطلب موسى من هرون أن يضع مقدار العُمر مـن المن أمام لوحي الشهادة بينما موسى لم يكن قد أستلم لوحي الشهادة بعد " *وقال موســى لهرون خذ قسطاً واحداً وأجعل فيه ملء العُمر مناً وضعه أمام الرب للحفظ*

في أجيالكم • كما أمر الرب موسى وضعه هرون أمام الشهادة للحفظ " (خر ١٦ : ٣٣ ، ٣٤) بينما جاء إستلام لوحي الشهادة في الإصحاح العشرين ؟

والحقـيقة من جهة التسلسل الزمني أن موسى إستلم لوحي الشهادة أولاً ثم طلـب من هرون أن يضع المن للذكرى أمام لوحي الشهادة ، ولكن عند كتابته لسفر الخروج فيما بعد نزول المن وإستلام لوحي الشريعة ، رأى بإرشاد الروح القدس أن يضع هذه العبارات في مجرى حديثه عن المن •

ب- شـاقل القـدس : يقـول كاتب التوراة" *هذا ما يعطيه كل من إجتاز إلى المعدودين نصف شاقل بشاقل القدس "* (خر ٣٠ : ١٣) ويقول بعض النقاد أن هذا المقـياس للـوزن لـم يُعرف إلاَّ بعد بناء الهيكل في عصر سليمان ، مما يثبت أن كاتب التوراة ليس هو موسى النبي •

تعلـيق : كـان كهـنة قدمـاء المصريين يحفظون مكاييل وأوزان مضبوطة في معـابدهم ، وسلك كهنة اليهود نفس المسلك إذ إحتفظوا بمكاييل وأوزان مضبوطة في القدس بخيمة الإجتماع ولذلك سُمي بشاقل القدس ، فالمقصود من القدس هنا هو القدس الكائن بخيمة الإجتماع التي عملها بنو إسرائيل أيام موسى النبي ، وعند بناء هيكل سليمان تم الإحتفاظ بهذه المكاييل والأوزان المضبوطة ، وفي بداية المسيحية إحتفظ الآباء الكهنة بمكاييل وأوزان مضبوطة في الكنائس منعاً للغش ، وكان شاقل القدس يساوي ٢٠ جيرة" *وكل تقديمك يكون على شاقل القدس عشرين جيرة يكون الشـاقل "* (لا ٢٧ : ٢٥) والجيرة تعادل ١٦ حبة شعير (هامش الكتاب المقدس) أو حـبة خروب كبيرة (نجيب جرجس – تفسير اللاويين ص ٣٩٠) وقال البعض أنـه يسـاوي نحـو ١٥ جرام ، ومما يذكر أنه عندما أحصى بنو إسرائيل الأبكار الخارجيـن مـن أرض مصـر كان عددهم ٢٢٢٧٣ نفس ، وقد إختار الرب سبط لاوي بـدلاً منهم ليكون مكرَّساً للرب وكان عددهم ٢٢٠٠٠ نفس ، والفرق وقدره ٢٧٣ نفـس دفـع عنهم بنو إسرائيل خمسة شواقل لكل رأس" *فتأخذ خمسة شواقل*

لكــل رأسٍ على شاقل القدس تأخذها ٠عشرون جيرة للشاقل " (عد ٣ : ٤٧) ولأن إســتخدام شاقل القدس كان جديداً أيام موسى لذلك أوضحه عدَّة مرات كما رأينا في (خر ٣٠ : ١٣ ، لا ٢٧ : ٢٥ ، عد ٣ : ٤٧)٠

ج- ســرير عوج ملك باشان : قال بعض النقاد أن كاتب التوراة تحدث عن عوج ملك باشان وسريره الحديدي (تث ٣ : ١١) وكأن الذين يسمعونه لم يعرفوه ، بينما بنو إسرائيل أيام موسى عرفوا عوج جيداً لأنهم حاربوه وغلبوه وقتلوه٠

تعلــيق : قال موسى " *أن عوج ملك باشان بقى من بقية الرفائيين ٠ هوذا سريره سرير من حديد ٠ أليس هو في ربَّه بني عمون ٠ طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع بـذراع رجـل* " (تــث ٣ : ١١) فكــان معروفاً أيام موسى أن بني عمون أنتصروا على عوج وأخذوا سريره الذي يبلغ طوله نحو أربعة أمتار وعرضه نحو مــتران ، ووضــعوه في مدينتهم " ربَّة " وكتب موسى وأشار لهذه الحادثة ليظهر عمــل الله معهم الذي منحهم النصرة على عوج العملاق الجبار " *فخرج عوج ملك باشــان للقــائهم هو وجميع قومه إلى الحرب في أذرعي ٠ فقال الرب لموسى لا تخــف مــنه لأني قد دفعته إلى يدك ٠٠ فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبقَ شارد وملكوا أرضه* " (عد ٢١ : ٣٣ - ٣٥) وبينما كان الناس يفترشون الأرض ، ويــنام الملــوك على أسرة من خشب ، فإن عوج بسبب ضخامة جسمه صنعوا له ســريراً من حديد ، فسجــل موسى هذا الحدث ليعرفه كل شعبه من الجيل الجديد الذي وُلِد في أرض سيناء ، والأجيال القادمة ، ويمجدوا إله إسرائيل٠

١١- مدلولات تاريخية :

س٣٩ : قال بعض النقاد أن كاتب التوراة إستخدم بعض المدلولات التاريخية التي يتضــح مــنها أن الــتوراة كُتبــت بعد عصر موسى ٠٠ ما هي هذه المدلولات التاريخية ؟ وكيف يمكن توضيح الحقيقة ؟

ج : مـــن أهم المدلولات الأثرية التي إستدل بها أصحاب مدرسة النقد الأعلى على أن موسى النبي لم يكتب التوراة ما يلي :

أ - وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض :

قـــال إبـــن عـزرا أن كاتـب التــوراة قال" *وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض* " (تــك ١٢ : ٦) ٠٠ " *وكــان الكنعانــيون والفرزيون حينئذ ساكنين في الأرض* " (تــك ١٣ : ٧) فقوله " حينئذ " يدل على أن الكنعانيين والفرزيين لم يعد لهـم وجــود في أثناء كتابة السفر ، وحيث أنهم كانوا متواجدين أيام موسى ، فإذاً موسى لم يكتب التوراة٠

تعلــيق : لم يذكر موسى صراحة أن الكنعانيين والفرزيين عند كتابته لسفر التكوين لــم يعــد لهم وجود٠ أما هذا الفكر فهو إستنتاج إبن عزرا ، ولماذا لا يكون قصد موســى أن الكنعانيين كان لهم تواجد قبل إبراهيم ، وأن إبراهيم شاركهم السكنى ، وعــندما نقرأ الآية الثانية بالكامل يتضح قصد الكاتب" *فحدث مخاصمة بين رعاة مواشي ابرام ورعاة مواشي لوط٠ وكان الكنعانيون والفرزيون حينئذ في الأرض* " (تــك ١٣ : ٧) فقد قصد موسى النبي أن يظهر أنه لم يكن هناك موضع كاف لكل مــن أغــنام إبـــرام ولـــوط ، ولاسيما أن الكنعانيين والفرزيين كانوا منتشرين في الأرض بأغنامهم٠

ويـــرى رافيـــن J. Raven بـــأن الكلمة " حينئذ " في (تك ١٢ : ٦) طبيعية ولازمـــة ، بدونها ربما يتساءل القارئ : هل كان الكنعانيون قد تركوا الأرض عند كتابة السفر ؟ فتأكيد وجودهم أيام إبراهيم بالرغم من وجودهم حتى في أيام موسى يعطـــي للوعـــد قوة أعظـــم ، إذ يهبها لنسله بالرغم من وجودهم (راجع القمص تـــادرس يعقـــوب – تفسير سفر التكوين ص ٢٤)٠ فإن موسى ذكر هذه العبارة ليـــبرز وعـــد الله لإبراهـــيم بأنه سيعطيه أرض الكنعانيين هذه" *وإجتاز إبرام في الأرض ٠٠ وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض ٠ وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض* " (تك ١٢ : ٧٦)٠

والذين يقولون أن التوراة كُتبت بعد إنقطاع الكنعانيين عن الأرض نقول لهم : وهـل إنقطع الكنعانيون عن الأرض ؟ كلاً ٠٠ كان لهم تواجد في أرضهم قبل أن يأتي إبراهيم إليهم (تك ١٠ : ١٩) وكانـوا موجودين في زمن إبراهيم (تك ١٢ : ١٦) وفي أيام موسى (تث ٢٠ : ١٧) وحتى أيام داود *" ثم أتوا إلى حصن صور وجمـيع مدن الحويين والكنعانيين "* (٢صم ٢٤ : ٧) وأيام سليمان *" صعد فرعون ملـك مصـر وأخـذ جـازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطاها مهراً لإبنته امرأة سليمـان "* (١مل ٩ : ١٦) وحتى بعد العودة من السبي *" لـم ينفصـل شـعب إسـرائيل والكهـنة واللاويين من شعوب الأراضي حسب رجاسـاتهم مـن الكنعانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموآبيين والمصـريين والأموريين "* (عز ٩ : ١) وحتى عندما جاء السيد المسيح إلتقت به المرأة الكنعانية (مت ١٥ : ١٢)٠

ب - عصـر الملوك : قال بعض النقاد أن قول كاتب التوراة *"وهؤلاء هم الملوك الذيـن ملكوا في أرض أدوم قبلما مَلَك مَلِك لبني إسرائيل "* (تك ٣٦ : ٣١) تظهر أن الكاتـب كان يعيش في عصر الملوكية ، أي أنه عاصر عصر الملوك الذي بدأ من شاول أول ملك لبني إسرائيل ، وبالتالي لا يكون موسى هو كاتب التوراة٠

تعليق : كتب موسى النبي هذا بروح النبوة ومن خلال خبرته الكبيرة بشعبه ، فإنه أدرك أنهم سينظرون إلى ملوك الأمم ويشتهون أن يكون لهم ملوك مثلهم ، وتحقق قـول موسـى بعد موته بنحو أربعمائة سنة عندما إختاروا شاول بين قيس ملكاً عليهم ٠

وسجل موسى وعد الله لإبرام عندما قال له *" أنا الله القدير ٠ سرْ أمامي وكن كـاملاً ٠٠ وملـوك منك يخرجون "* (تك ١٧ : ١ ، ٦) وقال عن سارة *" أباركها فـتكون أمماً وملوك وشعوب منها يكونون "* (تك ٧ : ١٦) ووعد الله ليعقوب *" أنا الله القديـر ٠٠ وملوك سيخرجون من صلبك "* (تك ٣٥ : ١١) وأكد يعقوب ذات

الوعد لإبنه يهوذا قائلاً " *لا يزول قضيب من يهوذا أو مشترع من بين رجليه* " (تك ٤٩ : ١٠) ويقـــول القديس أوغسطينوس " دعى اليهود هكذا (يهوداً) لأجل يهوذا أحـــد الإثـــنى عشـــر إبناً ليعقوب ‧‧ الذي من صلبه جاءت الملوكية ‧‧ من هذا السبط جاء الملوك ، ومنه جاء ربنا يسوع المسيح " [1]‧

ولأن موســـى كـــان واثقـــاً أن الله سيحقق وعوده ، لذلك وضع أسس إختيار الملـــوك قـــائلاً " *متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك وامتلكتها وسكنت فـــيها فـــإن قلت أجعل عليَّ ملكاً كجميع الأمم الذين حولي ‧فإنك تجعل عليك ملكاً الـــذي يخـــتاره الرب إلهك ‧ من وسط أخوتك تجعل عليك ملكاً ‧ لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبياً ليس هو أخاك ‧‧ لا يُكثّر له الخيل ‧‧ لا يُكثّر له النساء لـــئلا يزيغ قلبهِ وفضة وذهباً لا يُكثّر له كثيراً ‧ وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين ‧ فتكون معه ويقـــرأ فيها كل أيام حياته لكي يتعلـــم أن يتقي الرب إلهه ‧‧* " (تث ١٧ : ١٤ – ٢٠)‧

ج- **هدد الأدومي** : قالوا إن " هدد " ملك آرام الذي ذكره كاتب التوراة (تك ٣٦ : ٣٥) كان معاصراً لسليمان الملك (١مل ١١ : ١٤) وهذا يثبت أن التوراة لم يكتبها موسى ، إنما كتبها شخص آخر عاصر الملك سليمان أو بعد هذا التاريخ‧

تعلـــيق : هـــناك شخصان بإسم " هدد " والإثنان كانا ملوكاً لآرام ، الأول هو ما ذكـــره موسى النبي ضمن " *الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما مَلَكَ ملكٍ لبني إســـرائيل* " (تك ٣٦ : ٣١) وكان إسمه هداد بن بداد وكان رجل حروب ومستقراً في ملكه " *ومات حوشام فملك مكانه هداد بن بداد الذي كسر مديان في بلاد مآب ‧ وكان إسم مدينته عويت* " (تك ٣٦ : ٣٥)‧

أمـــا هدد الأدومي الذي كان خصماً لسليمان ، فعندما ضرب يوآب رئيس جـــيش داود كل ذكر في أدوم ، كان هدد غلاماً صغيراً فهرب مع بعض الأدوميين

---

(١) القمص تادرس يعقوب – تفسير سفر التكوين ص ٣٧٨

من عبيد أبيه وجاء إلى مصر ، ووجد نعمة لدى فرعون ، فعاش في مصر وتزوج مـن إخـت تحفنيس الملكة ، وعندما سمع أن داود قد مات وكذلك يوآب عاد إلى بلاده وصار خصماً لسليمان الملك (١ مل ١١ : ١٤ – ٢٢).

د- **إنقطـاع المن :** قال كاتب سفر الخروج " *وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة حيـن جاءوا إلى أرض عامرة . أكلوا المن حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان* " (خـر ١٦ : ٣٥) ومـن المعروف أن المن لم ينقطع إلاَّ في زمن يشوع بعد موت موسى " *فحل بنو إسرائيل في الجلجال وعملوا الفصح .. وأكلوا من غلة الأرض فـي الغد بعد الفصح فطيراً وفريكاً في نفس ذلك اليوم . وإنقطع المن في الغد عند أكلهـم من غلة الأرض* " (يش ٥ : ١٠ – ١٢) وهذا دليل على أن موسى لم يكتب هذا الجزء من سفر الخروج.

تعلـيق : أعلم الله موسى عقب تذمر بني إسرائيل بأن مدة غربة الشعب في البرية سـتكون أربعين سنة " *فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر . وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة .. كعدد الأيام التي تجسَّستم فيها الأرض أربعين يوماً للسنة يوم تحملـون ذنوبكـم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي . أنا الرب.قد تكلَّمت لأفعلن هذا بكـل هذه الجماعة الشريرة* " (عد ١٤ : ٣٢ – ٣٥) فكتب موسى بروح النبوة عن إنقطـاع المـن الـذي سـيحدث عقب دخولهم أرض كنعان ، ولاسيما أنه كان قد إسـتوطن شـرق الأردن سبطي جاد وراوبين ونصف سبط منسى (عد ٣٢ : ٣٣) وقد إنقطع عنهم المن بعد إستيطانهم الأرض الجديدة ، فعلم موسى أن ما حدث مع هـؤلاء سـيحدث مع أولئك أيضاً ، وكان كلام الله ماثلاً أمام عينيه بأن مدة الغربة ستسـتغرق أربعـون سنة ، ولذلك أوصى هرون بالإحتفاظ بتذكار من هذا المن " *وقـال موسى لهرون خذ قسطاً واحداً وإجعل فيه.ملء العُمر مناً وضعه أمام الرب للحفظ في أجيالكم* " (خر ١٦ : ٣٣).

هـ- كتاب حروب يهوه : يقول بعض النقاد أن " كتاب حروب يهوه " كان معروفاً في عصر موسى ، ولذلك لم يكن هناك داعياً أن يستشهد به الكاتب فيما يخص أرنون ، لأن المعاصرين لموسى يعرفون هذه المعلومة . أما إستشهاد كاتب التوراة بمثل هذا الكتاب فيدل على أن الكاتب كتب في عصر متأخر عن موسى.

تعليق : كتاب حروب يهوه هو كتاب تاريخي كُتب بصيغة الشعر ، ويتضمن أخبار الحروب التي خاضها بنو إسرائيل ، وإستشهد موسى بهذا الكتاب عندما تكلم عن أرنون " *من هناك إرتحلوا ونزلوا في عبر أرنون الذي في البرية خارجاً عن تخم الأموريين . لأن أرنون هو تخم موآب بين موآب والأموريين . لذلك يقال في كتاب حروب الرب واهِبُ في سوفه وأودية أرنون* " (عد ٢١ : ١٣ ، ١٤) وذلك ليشجع الشعب ليس على قراءة الكتاب المقدَّس فقط بل والكتب النافعة أيضاً ، ومعنى قوله " وَاهِبُ في سوفه وأودية أرنون" أي كما صنع الرب في بحر سوف ونصر شعبه سوف يصنع في أرنون ، وأرنون هذه كانت حداً لبلاد موآب (راجع نجيب جرجس - تفسير سفر العدد ص ٣١٦ ، ٣١٧) كما أن موسى إستشهد بهذا الكتاب الذي كان معروفاً لمعاصريه لأنه يعلم أنه لا يكتب لهذا الجيل فقط ، إنما للأجيال القادمة أيضاً ، وأيضاً إستشهاد موسى بهذا الكتاب الذي كان معروفاً في عصره لا يؤخذ دليلاً على أن موسى لم يكتب التوراة ، بل بالعكس أن هذا دليل على أن موسى هو كاتب التوراة.

و- رفعة ملك إسرائيل : تكلم كاتب سفر العدد على لسان بلعام عن الإنتصار الذي سيحرزه ملك إسرائيل " *ويتسامى ملِكُهُ على أجاج وترتفع مملكته* " (عد ٢٤ : ٧) فقال أصحاب النقد إذاً لابد أن الكاتب قد عاصر على الأقل ملك شاول على بني إسرائيل.

تعليق : ما نطق به بلعام كان بروح النبوة" *فكان عليه روح الله . فنطق بمثله وقال ..* " (عد ٢٤ : ٢ ، ٣) و "أجاج" هو إسم عام لملوك عماليق مثل إسم

فــرعون بالنســبة لملــوك مصر ، فمعنى نبوة بلعام أن قائد أو ملك بني إسرائيل سيكون له الرفعة على ملك عماليق ، وهذا ما حدث إذ إنتصر موسى على عماليق فــي رفيديم ، وقال الرب لموسى أنه سيمحو ذكر عماليق من تحت السماء ، وقال موســى للــرب حــرب مع عماليق من دور إلى دور (خر ١٧ : ٨ – ١٦) وكان موســى بوضعه قائداً ومشرعاً وقاضياً كأنه كان ملكاً لبني إسرائيل لذلك قال بلعام فــي موقف آخر عن شعب بني إسرائيل " *الرب إلهه معه. وهتاف ملكٍ فيه* " (عد ٢٣ : ٣١) وإســتمرت الحــرب بين عماليق وشعب الله ، ففي أيام شاول " ضرب *شاول عماليق .. وأمسك أجاج ملك عماليق حياً* " (١صم ١٥ : ٧ ، ٨) وفي أيام داود إنتصــر عليهم (١صم ٣٠ : ١ – ٢٠) وقد رفَّع الرب مُلك داود " *وعلم داود أن الــرب أثبته ملكاً على إسرائيل وأنه قد رفَّع ملكه من أجل شعبه إسرائيل* " (٢صم ٥ : ١٢).

الفصل السابع : أهم المذاهب التي إنبثقت من مدرسة النقد الأعلى

إنبثقت عن مدرسة النقد الأعلى عدة مذاهب ، وصار لكل مذهب أتباعه ومشايعيه ، وفي هذا الفصل نستعرض بإختصار المذاهب الآتية :

١- المذهب الطبيعي.
٢- المذهب الأخلاقي.
٣- المذهب الأسطوري.
٤- المذهب التطوُري.
٥- مذهب اللاهوت التحرري.
٦- المذهب الإتجاهي.

١- المذهب الطبيعي :

س٤٠ : متى بدأ المذهب الطبيعي ؟ وما هي فلسفته ؟

ج : بدأ أولاً في إنجلترا في النصف الثاني من القرن السابع عشر أي نحو ١٦٥٠ م باسم المذهب الإلهي أو النظرية الإلهية Deisme الذي يدعو للإيمان وخلود النفس ، وفي نفس الوقت ينكر ضرورة العبادة والطقوس . كما ينكر وحي الكتاب المقدس ، ويرى أن كل ما جاء فيه عبارة عن أساطير قديمة ، وتجاهل هذا المذهب تماماً أن الكتاب المقدس مصدر العقيدة ، كما تجاهل أن الدين ماهو إلاَّ مجموعة عقائد ، وأيضاً تجاهل أن الكتاب المقدَّس مُوحى به من الله ، ولذلك فكل العقائد التي وردت فيه هي صحيحة تماماً ، وإن الإنسان لا يمكن أن يستغنى عن العقائد ، فالإيمان بالله الذي دعوا إليه هو في الحقيقة عقيدة ، وخلود النفس الذي إعترفوا به هو عقيدة ، وطبيعة الله الواحد المثلث الأقانيم عقيدة ، والمعمودية عقيدة ، وسر الأفخارستيا عقيدة ... إلخ وتجاهل هذا المذهب أيضاً أهمية الطقوس في حياة المؤمن ، وإن كان للسمائيين طقسهم أي نظامهم ، فكم وكم الأرضيون يحتاجون لمثل هذا الطقس وإلاَّ تصير الأمور في فوضى شديدة ، وأنكر هذا المذهب الوحي الإلهي في الكتاب المقدَّس وعجزوا عن تفسير مئات النبوات التي وردت فيه وهي عجيبة ومدهشة ، ومعظمها قد تحَقَّق بالحرف الواحد ولو بعد مئات السنين ، والآخر ننتظر تحقيقه .. إن أصحاب هذه النظرية الإلهية يناقضون

أنفســهم ، فهم يدعون للإيمان بالله وخلود النفس (وهذه من الأمور الميتافيزيقية) في الوقت الذي ينكرون فيه الأمور الميتافيزيقية .

وأخــذ من هذا المذهب الفيلسوف الفرنسي فولتير Voltaire (١٦٩٤ – ١٧٧٨م) الــذي تــناول الأمــر بأسلوب ساخر ولاذع للكتاب المقدس والطقوس ورجال الدين (ولا ننسى أن فولتير هذا الذي هاجــم الكتاب المقدَّس بعــد أن مات تحوّل بيته إلى مطبعة لطبع الكتاب المقدَّس) وجاء " ليسنج " Lessing (١٧٢٩ – ١٧٨١م) الذي نادى بالفصل بين الدين والكتاب المقدس ، حيث إعتبر أن الدين ينــبع من عقل الإنسان وقلبه ، والدين ليس في حاجة إلى كتاب معين يحدد طريق الإيمان بالله .

وكــان البحث الحــر فــي أوربا المسيحية يركز النقد على العهد القديم ، أمــا نقد العهد الجديد فقد كان عملاً له مخاطره ، ولذلك قام شخص غير متخصص في الدراسات اللاهوتية يُدعى " هيرمان ريماروس " بوضع كتاب نقدي فنزع صفة القداســة عــن القصص التوراتية وكذلك مدلولاتها التاريخية ، مما يعطي الإنطباع للقارئ أن قصص الكتاب إما أساطير إن كانت في العهد القديم ، أو خداع إذا كانت فــي العهــد الجديــد ، وأنتقد ريماروس الأناجيل الأربعة . بل إنتقد شخص السيد المســيح ذاتــه ، ولكــنه لم يجرؤ على نشر كتابه هذا ، وبعد موته قام ليسنج سنة ١٧٧٨م بنشــر بعض فقرات من كتاب ريماروس بدون إسم ، فقوبلت بمعارضة عنيفة (DICTIONARY OF THE BIBLE - JAMES HASTHNGS . P 191) .

وقد نسب أصحاب هذا المذهب المعجزات التي وردت في الكتاب المقدس إلــى الطبيعــة ، فمثلاً أرجعوا شق البحر إلى عوامل المد والجزر ، أو إلى هبوب ريح شرقية شديدة في مكان منسوب المياه فيه كان ضحلاً ، فجفت المياه وعبر بنو إســرائيل ، وتغافلوا غرق فرعون ومركباته وفرسانه في هذه المياه . كما تغافلوا

عودة المياه إلى وضعها الأول بمجرد أن عبر آخر شخص من بني إسرائيل • كما اعتـــبروا إن الضربات العشر ترجع إلى عوامل الطبيعة ، وتغافلوا عدم وقوع هذه الضـــربات على بني إسرائيل فبينما كان النور في أرض جاسان كانت الظلمة تعم أرض مصر • وعلّلوا تحول الماء إلى لون الدم للطمي الذي يحمله موسم الفيضان وتجـــاهلوا أن موســـى عندما كان يضرب النهر بالعصى كان يحدث التحول على الفور ، وعندما يضربه ثانية يرجع الماء إلى أصله ، وأرجعوا قوة الشفاء التي كان يـــنالها أول مريض ينزل إلى بركة " بيت حسدا " بعد تحريك الملاك للمياه إلى أن هـــذه المياه تشمل عناصر معدنية مترسبة ، ومتى تحرك الماء فإنها تذوب وتمنح الشـــفاء وتغافلوا كيفية حدوث الشفـــاء الفـــوري ، ولماذا يُشفى الماء إنساناً واحداً فقط ؟ ! •

٢- المذهب الأخلاقي :

س٤١ : ما هي فلسفة المذهب الأخلاقي ؟ ولماذا يعتبر مذهباً قاصراً ؟

ج : أيـــد " كانـــت " Kant (١٧٢٤ – ١٨٠٤م) المذهـــب الطبيعـــي وفكـــر " ليســـنج " الفاسد ، فوضع ما ورد في الكتاب المقدس من تعاليم أدبية وأخلاقية في المرتـــبة الأولى ، أما العقائد والتاريخ والنبوات فليست من الأهمية بنفس الدرجة ، بل يجب تفسيرهـــا بما يتفق مع المعنى الأخلاقي حتى لو تعارض ذلك مـــع النص الحرفي للكتاب ، وقد أكد " كانت " على :

أ - الهدف الرئيسي من الأديان هو التشريعات الأدبية والأخلاقية التي يقبلها العقل •

ب- لأن مبادئ الأخلاق واحدة في العالم ، لذلك فلا يوجد إلاَّ ديانة واحدة هي الديانة الطبيعية •

ج- تقـــاس صلاحية الأديان بمقدار إرتباطها بالديانة الطبيعية ، وليس بالوحي الإلهي •

وبذلك ألغى " كانت " الدين وأنكر الوحي ، واعتبر الدين مجرد فلسفة أخلاقية يقبلها العقل البشري. لقد ركز " كانت " في نظريته على الأمور الأخلاقية ، وهي أمور عقلية ملموسة وجعل لها الأولوية ، وأهمل الأمور الميتافيزيقية ، وبهذا جرد الدين من مفهومه الروحي والعقائدي والنبوي ، وجعل من التعاليم الإلهيَّة مجرد مبادئ أخلاقية مثلها مثل أي فلسفة بشرية أخرى أو ديانة وثنية .. لقد ركز " كانت " على الأمور الأخلاقية التي تسود في معاملات الناس بعضهم ببعض وإطارها هو الحياة الدنيا القصيرة الزائلة ، وأهمل معاملة وعلاقة الإنسان مع خالقه ، وهي العلاقة التي ستدوم إلى أبد الآبدين ، وأهمل العقائد التي تنظم هذه العلاقة الأبدية ، فإنسان بلا عقيدة هو إنسان بلا مبادئ .. لقد إهتم " كانت " بالأرض والأرضيات على حساب السماء والسمائيات.

٣- المذهب الأسطوري :

س٤٢ : ما هي فلسفة المذهب الأسطوري ؟ وما الفرق بين الأسطورة والأمور الميتافيزيقية ؟ وهل الإيمان بالأمور الميتافيزيقية يتعارض مع العقل ؟

ج : إعتقد أصحاب هذا المذهب بأن ما جاء في الكتاب المقدس هو من وحي الخيال ، وإنها أساطير وليست حقائق ، ومن أصحاب هذا المذهب " هيجل " Hegal (١٧٧٠ – ١٨٣٠م) الذي نادى بفكرة أن الأديان تمثل مراحل مختلفة من مراحل تطوُّر الفكر البشري ، فكل دين مهما كان فهو يمثل مرحلة من مراحل هذا التطوُّر الفكري ، وكل الأديان تعتمد على الأساطير ، وهذه الأساطير تختلف من عصر إلى عصر ، وجاء " دي فيت " De Wette (١٧٨٠ – ١٨٤٩م) الذي إعتبر أن كل روايات العهد القديم مجرد أساطير شعبية لا تختلف عن الأساطير اليونانية والهندية.

وإعتبر " دافيد شتراوس " (١٨٠٨ – ١٨٧٤م) أستاذ اللاهوت الألماني أن قصة المسيح من ميلاده المعجزي وطفولته ومعجزاته وقيامته وصعوده ما

هي إلاَّ أسطورة ظهرت بعد صلب المسيح وموته ، وهي من خيال التلاميذ ، وآباء الكنيسة في القرن الثاني الميلادي بقصد إعلاء المسيح وتصويره في صورة " المسيا " الذي تنبأ عنه العهد القديم ، ويرجع نجاح التلاميذ إلى إعتقاد اليهود بالأساطير القديمة ٠

لقد إعتبر أصحاب هذا المذهب الأسطوري أن التاريخ والفكر البشري نابع من الأسطورة وحدها ، وأنكر كل الأمور الميتافيزيقية ، ولهذا دعنا ياصديقي نتعرف على الفرق بين الأسطورة والمواضيع الميتافيزيقية ، فالأسطورة مرتبطة بدوافع حسيَّة ماديَّة ونفسيَّة للإنسان وتجد بيئتها الخصبة في المجتمعات المفتقرة للعلم والحضارة والتقدم والخبرة ٠ أما المواضيع الميتافيزيقية مثل المعجزات والنبوات والأمور السمائية فإنها ترتبط بالوحي الإلهي الذي أعلن عنها ، وهذه الأمور تسمو فوق مستوى الدوافع الحسيَّة الماديَّة والنفسيَّة للإنسان ، فهي تتناول الأمور التي ماوراء المادة ، ويعجز الإنسان عن إدراكها ، ولكن بالإيمان يثق ويصدق أنها هكذا ، والأمور الميتافيزيقية تتمشى مع العقل السليم والمنطق الصحيح بدليل :

١- إيمان العلماء بهذه الأمور الميتافيزيقية جعلهم يكتشفون العناصر المادية على حقيقتها ، ومازالوا يكتشفون كل يوم الجديد من الأمور التي لا تُرى بالعين المجردة ٠

٢- الحياة التي نحياها ، والعقل في جوهره ، كل منهما يحتوي على الجانب الميتافيزيقي ، فمن يفسر لنا الحياة ؟ ومن يشرح لنا العقل في جوهره ؟ لا أحد يقدر أن يفسر هذا إن لم يكن يؤمن بالله وخلقته للإنسان على صورته ومثاله في الوجود والعقل والحياة والخلود ٠

٣- الذي يدرس التاريخ القديم يعرف تماماً أن الأسطورة ليست وحدها هي التي كانت تسيطر على الإنسان ٠ بل إن الإنسان آمن ببعض الأمور الميتافيزيقية

مـــثـل وجـــود الله وعدله ورحمته وملائكته والعالم الآخر ، والصراع الدائر بين الخير والشر والنور والظلمة ٠٠ إلخ٠

٤- إن الأمـــور الميتافيزيقية التي وردت في الكتاب المقدس هي أمور خالدة ، وقد تحطمت على صخرتها كل الفلسفات الكاذبة والآراء الخاطئة٠

٥- جهـــل الإنسان بالأمور الميتافيزيقية لا يعني عدم وجودها ، فهناك كائنات دقـــيقة لا تـــراها العين المجردة ، وهناك أصوات خافتة لا تسمعها الأذن البشرية ، ومع ذلك فالكائنات الدقيقة موجودة ، والأصوات الخافتة قائمة٠

٦- الإتســـاع المعجـــزي للكـــون يدعو الإنسان للإعتراف بضعفه ، والتسليم بـــالأمور الميتافيزيقـــية ٠٠ فمـــا هي معرفة الإنسان عن الكون الشاسع المترامي الأطراف إلاَّ معرفة سطحية ؟

٧- الإيمـــان بـــالأمور الميتافيزيقية يهب الإنسان الصحوة واليقظة والضمير الحساس والجهاد الروحي والرجاء في الملكوت٠

(راجع د ٠ وهيب جورجي – الكتاب المقدس والعقيدة مع عرض ومناقضة مدارس التشكيل ص ٦٣ ، ٦٤)٠

حقاً إن الفكر البشري في تاريخه لم يعتمد على الأسطورة بمفردها ، فمثلاً قدماء المصريين الذين كانت لهم أساطيرهم إعتقدوا بالبعث والحساب والخلود وهذه جمـــيعها أمـــور ميتافيزيقـــية ، وأهل بابل ربطوا بين الأسطورة ودراسة الفلك ، واليونانـــيون إعـــتمدوا علـــى الفلسفة العقلية ٠٠ إذاً لم تكن قط الأسطورة محور الـــتاريخ والأديـــان ، ولذلك فإن قول " هيجل " بالتطور الأسطوري لجميع الأديان قـــول جانبه الصواب كثيراً ، فهيجل غض النظر عن الإختلافات الفكريَّة الكثيرة ، والتـــي قـــد تتـــناقض وتتصارع مع بعضها البعض ، فمعتقدات قدماء المصريين تخـــتلف عن اليونانيين ، وعن الهنود ، وعن الساكنين في غابات القارة السوداء ،

وعن معتقدات اليهود .. إلخ فكيف يعتبر هيجل أن كل هذه المعتقدات تسير في إتجاه واحد وتتطور تطور واحد ؟

ولو كانت نظرية هيجل صحيحة ، وإن الأديان تعتمد على التطوُّر الأسطوري ، فلماذا لا نجد المذاهب الحديثة تنسج أساطيرها حول علم الذرة والإلكترونيات ؟

أما " دافيد شتراوس " الذي إدعى أن قصة المسيح من ميلاد معجزي ومعجزات السيد المسيح ، وقيامته ، وصعوده ما هي إلاَّ أسطورة من وحي خيال التلاميذ وغيرهم ، فإننا نقول له : وما رأيك في نبؤات العهد القديم (وهي محفوظة في أيدي كل من اليهود والمسيحيين) التي تخبرنا عن الميلاد المعجزي ، ومعجزات السيد المسيح ، وقيامته ، وصعوده ؟

ولو أنكرنا هذه الأمور التاريخية بما فيها أشهر قصة من قصص التاريخ . قصة الإله المتأنس ، فكيف نصدق أي حدث تاريخي آخر ؟ .. فلو كانت المسيحية قد قامت على أساطير وخيال ماكانت تنتشر بهذه السرعة وهذه القوة أبداً .. ودعنا نطرح بعض الأسئلة :

١- ما هو الدافع الذي جعل التلاميذ يخترعون قصة ، ويتمسكون بها حتى الدم ؟

٢- ما هي إمكانيات هؤلاء التلاميذ البسطاء صيادي السمك في إختراع خيالات لا وجود لها من ميلاد معجزي ، ومعجزات هذه عددها أجراها المسيح ؟

٣- هل حالة التلاميذ النفسية السيئة جداً عقب أحداث الصليب تمكنهم من إختراع قصة القيامة ولم يمر على موت معلمهم أكثر من ثلاثة أيام ؟

٤- هل إتفق التلاميذ على جميع التفصيلات في ضلالاتهم ، ورغم أنهم تشتتوا في أركان الأرض كانت أقوالهم متفقة تماماً في كل شئ ؟

٥- هـل يمكـن أن يتفق التلاميذ جميعهم على هذه الأحداث دون أن يستيقظ ضمير واحد منهم ويكشف خداعهم ؟

٦- ولـو إتفـق التلاميذ جميعاً على هذه الأكاذيب فكيف يعلنونها في أورشليم وأمام الآلاف الذي عاصروا السيد المسيح وشاهدوا معجزاته وأياته ولم يُكذّبهم أحد بما يقولون٠

ونظـراً ياصـديقي لإنتشار هذا المذهب الأسطوري بين غير المسيحيين وإدعاءاتهم بأن الكتاب المقدس أخذ من أساطير الأولين ، لذلك فإن أرادت نعمة الله وعشنا سيكون لنا عودة لهذا الموضوع ، وخوض غماره ، وربما يستغرق هذا منا وقـتاً طويـلاً للـرد على ماجاء في بعض الكتب مثل الفولكولور لمؤلفه جيمس فريـزر ، والتوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير لمؤلفه ليوتاكسل ، وموسى وأساطير الشرق لناجح المعموري ، والأسطورة والتراث لمؤلفه د٠ سيد القمني ، والتوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير لمؤلفه السيد سلامة ٠٠ إلخ٠

٤- المذهب التطوُري :

س٤٣ : كيف ربط المذهب التطوري بين المسيحية واليهودية والوثنية ؟

ج : نـادى بهـذا المذهب رجال التاريخ الطبيعي الذين لاحظوا التطوُر من خلال الإكتشـافات الأثـرية للقبائل البدائية ، فمثلاً قال " تايلور " Taylor سنة ١٨٧١م بـأن العالم القديم كـان يؤمن بوجود الأرواح فـي كـل الأجسـام الماديـة وهو مـا عُرف بـ " الروحيَّـة " أو " الأروَحيَّة " Animistic Theory فكل شئ في الوجـود له روح ، وظـن الـبعض أن بعض هذه الأشياء لها تأثيرها الذي يفوق الطبـيعة علـى الإنسان ، أو لها صفاتها الشيطانية ، ولذلك يجب على الإنسان أن يبـتعد عنها ويتحاشاها ، وضربوا أمثلة على هذا من العهد القديم حسب تصوُرهم الخاطئ ، فقالوا إن الكتاب المقدَّس منع لمس جثة الميت وإعتبرها شيئاً نجساً ، لأن روح الميت تحوم حول الجثة في صورة مزعجة ، وتسعى للدخول في جسم إنسان

آخــر ، ولذلك يصوم أهل الميت وينقطعوا عن الطعام ، وأول طعام يأكلونه يأتون بــه من بيت آخر غير بيت الميت لئلا تكون روح الميت قد إلتصقت به فيتسلل إلى أحــد الأشــخاص . كما كان أهل الميت يشقون ثيابهم لأن الروح تبغض الأشياء الممــزقة ، كما يحلقون شعر رؤوسهم . وإن كان هناك طعام في المنزل يغطونه لئلا تتسلل الروح إليه ، ولو كان الطعام مكشوفاً فإنه يتنجس ولا يأكل منه إنسان . وذكروا أمثلة أخرى تناسب فهمهم الخاطئ مثل تحريم أكل الطيور والحيوانات غير الطاهــرة ، وهــم لا يدركــون إن الله عندما أراد أن يعلم الشعب الصح من الخطأ علمهم ذلك عن طريق الطعام . وظن آخرون أن الخطر يكمن في روح الأشياء ، فإن الروح تتغلغــل إلــى الإنسان ولها خطورتها التي تماثل خطورة الشيطان ذاته (راجــع جرهاردوس فوس – ترجمة د. عزت ذكي – علم اللاهوت الكتابي ص ٢٧٧ – ٢٨٥). ثــم قــال " سبنسر " Spencer سنة ١٩٠٣م أن العالــم القديم تطــوَّر فــبدأ يعرف أن الأرواح توجد في الأجسام الحيَّة فقط ، بدليل أنها تتعرض للمــوت والتحلل عند مفارقة الروح لها ، وقد عبدت القبائل القديمة أرواح الأجداد فكان هذا بمثابة الأساس الأول والمباشر لظهور الأديان في القديم ، وهكذا ..

وقــد آمن معظم علمــاء القــرن التاســع عشــر بنظريــة التطور مثل " فلهاوزن " Wellhausen ، و " رينان " Renan وربطوا بين تطور الأديان الوثنــية إلــى اليهودية ثم المسيحية ، فقال بعضهم أن الدين اليهودي قد تطوَّر من بعــض أســاطير وطقوس البدو والعرب الرحل ، فبعضهم كان يعبد " يهوه " كبير آلهــتهم ، أو قد يكون موسى أخذ تعاليمه من القبائل الكنعانية التي أستقرت من قبل في أرض فلسطين ، وبعد هذا تطوَّرت هذه التعاليم الموسوية بعد سبي بابل بفضل عزرا الكاتب .

وقــال البعض الآخر أن الدين اليهودي أخذ من " المدرسة البابلية " ما بين النهرين ، وتطوَّرت هذه العقائد الدينية القديمة على يد إبراهيم.

لقـد أخطـأ أصـحاب هـذا المذهب التطوُري عندما ظنوا أن الأديان قد تطـوَّرت مـن عبادة أرواح الأجداد ، ولكن الذي حدث أنه عندما تفرق أبناء نوح الـثلاثة بعد الطوفان كانوا يعرفون جيداً قصة الخليقة والسقوط والطوفان ٠٠ إلخ فأخذت هذه الأمور تتوارث من السلف للخلف مع إدخال شئ من الخيال والأساطير علـيها ، ولذلـك نرى الحقائق التي ذكرها الكتاب المقدس لها الشبيه في الديانات الوثنـية ، ولـيس معـنى هـذا أن الكتاب المقدس في عهده القديم قد أخذ من هذه الديانـات القديمـة مثل ديانة قدماء المصريين وأهل بابل وغيرهما ، بل إن سبب التشـابه هو وجود أصل واحد للقصة ، ذكرت كما هي في العهد القديم وذُكرت مع شـئ مـن التحريف والزيادة والنقصان في كتب أو تقاليد الشعوب الأخرى ٠ فلا تعتـبر اليهودية تطوُّر للوثنية ، وأيضاً لا تعتبر المسيحية تطوُّر لليهودية إنما هي تكمـيل للـيهودية ، والمسيحية مرتبطة باليهودية إرتباط البيت بالأساس أو الشجرة بالجذور ، وتكاد المسيحية أن تكون قد قضت على الأفكار الوثنية القديمة من عبادة الأجداد وعبادة الأحجار وغيرها ٠٠

٥- مذهب اللاهوت التحرري Theologie Liberale :

س٤٤ : إلـى أي مـدى أهمـل مذهـب اللاهوت التحررير الشخصيات والأمور التاريخية في الكتاب المقدَّس ؟

ج : إهـتـم مذهـب اللاهـوت التحرري بدراسة كل سفر وعما إذا كان له هدف لاهوتـي ، أم أنـه يسجل حقائق تاريخية ، وانتهت دراسة هذا المذهب إلى تفتيت الكـتاب المقـدَّس ، وإنكار أهم أحداثه التاريخية ٠ وأخذوا يدَّعون أن هذا الأمر لا يؤثـر علـى الإيمـان ، فالإيمان في نظرهم يعتمد على خبرات تاريخية متعددة ، عاشـها المؤمـنون في الأجيال المختلفة ، وإنتهى بهـم الأمـر إلى إنكار تاريخ البطاركة إبراهيم واسحـق ويعقوب فقالوا عنهم :

أ - إنهم مجرد أسماء قبائل ، فهناك قبيلة بإسم إبراهيم ، وإبراهيم يمثل الرجل الأول والقائد لهذه القبيلة ، وهكذا إسحق ويعقوب.

ب - قـــال عـــنهم " ويل " H. Weill أنهم أبطال كنعانيون أدخلهم اليهود في تاريخهم.

ج- قـــال عـــنهم " فلهاوزن " و " استاد " Stade و " ماير " E. Meger سنة ١٩٠٦م أنهـــم مـــن نسج الخيال الشعري ، وقد أحيطوا بكل هالات السمو ، وهذه الأسماء مستمدة من آلهة الكنعانيين ، فيقول جرهاردوس فوس أنهم " مجرد أسماء لأشـــباح كنعانـــية ، وُلِـــدت عن طريق تزاوج أنصاف آلهة الكنعانيين ، وإعتبرهم الكنعانـــيون أسلافاً لهم ، وعبدوها على هذا الأساس في أماكن متعددة . وحين حلَّ العبرانـــيون في تلك الأراضي ، أراضي الكنعانيين ، إنخرطوا في سلك عبادة هذه الآلهة أو الأشباح . وأصبحت أسماء إبراهيم وإسحق ويعقوب ضمن معبوداتهم . وشـــيئاً فشيئاً تأقلم العبرانيون في هذه الأراضي ، وشعروا أن هذه الأماكن المقدسة ملك لهم ، فلابد أن تكون هذه الآلهة التي تُعبَد في تلك الأماكن آلهة عبرانية وليست كنعانية ، ولكي يؤيدوا ذلك ولكي يصبح لهم الحق في تلك الأراضي التي إحتلوها ، إخـــترعوا خـــرافة إبراهـــيم وإسحق ويعقوب هم أجدادهم ، وأنهم عاشوا في تلك الأراضـــي المقدســـة وأقاموا هذه الأماكن للعبادة ، فربطوا بين إبراهيم وحبرون ، وبين إسحق وبئر سبع ، وبين يعقوب وبيت إيل " [1].

د - حاول البعض ربط هذه الأسماء بمعتقدات أهل بابل ، فيقول جرهاردوس فـــوس " تقـــدم البعض بمحاولة لربط هذه الأسماء بما ورد في التقاليد البابلية .. فســـارة كانت ربة حاران ، وإبراهيم أحد آلهة البابليين ، ولابان الإله القمر . أما زوجـــات يعقـــوب الأربع فهن وجوه القمر الأربع ، وأبناء يعقوب الإثنى عشر هم

---

(1) علم اللاهوت الكتابي ص ١١٢ ، ١١٣

شــــهور الســـنة الإثنا عشر ، أما أبناء ليئة السبعة فهم أيام الأسبوع ، وعدد الرجال الذي إستطاع بهم إبراهيم أن يقهر الأعداء ، فهم عدد أيام السنة القمرية " (١) .

لقد أعاد هؤلاء النقاد إلى مسامعنا أفكار البدعة البلاجية القديمة التي نادت بـــأن كل ما يهم الإنسان من قصص الكتاب المقدَّس هو التعاليم الأخلاقية والدروس الدينـــية ، ولذلـــك إهتموا بالجانب الأخلاقي الديني على حساب الجانب التاريخي ، وإدعــــوا أن تاريخـــية الأشخاص لا أهمية لها (راجع علم اللاهوت الكتابي ص ١١٣) **وقد تغافل هؤلاء النقاد ما يلي :**

أ - لـــو كان الموضوع مجرد تعاليم أخلاقية دينية ، لكان من الممكن الإعتماد على الميثولوجيا وأساطير الأولين ، وما كان هناك ضرورة للكتاب المقدَّس .

ب - تجـــاهل هـــؤلاء الـــنقاد الدور الهام والبارز لهؤلاء الآباء البطاركة في تـــاريخ الفداء ، فإبراهيم هو أب الآباء وأب جميع المؤمنين ، وممثل النواة الأولى للكنيســـة الـــيهودية ، والذي من نسله جاء المسيا المخلص ، فإنكار تاريخيته يجعل الوعـــود التي أخذها إبراهيم بلا قيمة مادام هو شخصية أسطورية ، وقس على ذلك إسحق ويعقوب وموسى وبقية الأنبياء .

ج - لـــو كان هؤلاء الآباء هم شخصيات أسطورية فكيف يتحدث عنهم السيد المسيح مراراً وتكراراً وكذلك الآباء الرسل على أنهم شخصيات حقيقية تاريخية ؟!

د - ولـــو كـــان هـــؤلاء الآباء يمثلون آلهة للكنعانيين ، وكالعادة فإن الإنسان ينســـب لآلهـــته كل مظاهر القوة ، وينزهّهم عن أي مظهر للضعف ، فكيف سجل الكتاب المقدَّس ضعفات هؤلاء الآباء ؟

---

(١) علم اللاهوت الكتابي ص ١١٣

هـ - الشعب اليهودي لم يتمثل بهؤلاء الآباء في كل ما فعلوه ، فإبراهيم تزوج بسارة إختة غير شقيقته ، والشعب اليهودي لا يتمثل به في هذا الأمر .

و - الذيـن يقولـون أن هـذه الأسماء مستمدة من معتقدات أهل بابل ، رد علـيهم " جنكل " - رغم دفاعه المستميت عن أثر البابليين في العهد القديم - فيقول جرهاردوس فوس عن جنكل " وهو يؤكد أيضاً أن كل المحاولات لإرجاع الأسماء إلـى الأسماء العديدة الإلهية البابلية قد باءت بالفشل . وإننا لا نجد في العهد القديم أثراً لعبادة مقدمة للآباء . بل إننا نجد ما يناقض ذلك ، فالنبي أشعياء يقول *" أبوك الأول أخطأ ووسطاؤك عصوا عليَّ "* (أش ٤٣ : ٢٧) وأيضاً في (أش ٦٣ : ١٦) يـرد القـول *" فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرِنا إسرائيل . أنت يارب أبونا وليّنا منذ الأبد إسمك "* " [١].

كمـا أنكـر " ماير " مجئ بني إسرائيل إلى أرض مصر وإقامتهم فيهـا أربعمائـة سـنـة ، ووصـل حـد التطـرف ببعضهم مثل " روبرتسون Robertson " سـنة ١٩٠٠م ، و " جنسـن Jensen " سنة ١٩٠٦م ، و" سميث W. B. Smith " سـنـة ١٩٠٦م ، و " دريـوز A. Drews " سنة ١٩٠٩م ، إلـى إنكـار شخصـية السيد المسيـح التاريخية ، وقالوا إن ما يوجد هو " مسيح الإيمان " كما نادى به التلاميذ . أما مسيح التاريخ فلا وجود له.

ونحـن نرفض كل أفكار هذا المذهب ، وإن كان أصحابه قد إعتمدوا على دراسة التاريخ والآثار ، فنحن نقول لهم أن الدراسة الصحيحة للتاريخ والآثار تؤيد صـحة وعصـمة الكـتاب المقدَّس كما شهد بهذا كثير من علماء التاريخ والآثار العباقرة ، فالكتاب المقدَّس هو كتاب الله الصادق المعصوم من الخطأ ، وكل ماورد فـيه من شخصيات تاريخية أو أمور عقائدية أو نبويّة هي أمور حقيقية تماماً بعيدة

---

[١] علم اللاهوت الكتابي ص ١١٥ ، ١١٦

عـن أي شـك أو إرتياب ، ومن يهمل الأمور التاريخية في الكتاب المقدّس ، فهو يـتخلى عـن الحقـيقة التـي يعلـنها الله من خلال التاريخ ، فيقول الأب جورج فلورفسـكي " فالـتاريخ ينتسب إلى الله ، والله يدخل التاريخ الإنساني ٠ إن الكتاب المقـدّس في جوهره مؤلف تاريخي يدوّن أعمال الله ، من غير أن يكشف أسراره الأزلـية ، لأن هذه الأسرار لا تُدرك إلاّ عن طريق التاريخ { *الله لم يره أحد قط ٠ الإبـن الوحـيد الـذي هو في حضن الآب هو خبّر* } (يو ١ : ١٨) وأخبرنا عنه بدخولـه الـتاريخ ، أي بتجسـده المقدّس ٠ ولذلك لا يجب أن نتخلص من الإطار التاريخـي للإعلان ، لأننا لا نحتاج إلى تجريد الحقيقة المعلنة لنا عن الإطار الذي حصـلت فـيه الإعلانـات ٠ فتجريد كهذا يلغي الحقيقة ذاتها التي ليست فكرة بل شخص هو الرب المتجسد " [١].

والعهد الجديد مثل العهد القديم هو تاريخ يعبر عن الإعلان الإلهي للإنسان ونشـأة الكنيسـة ، فـيقول الأب جـورج فلورفسكي " الإنجيل تاريخ ، والأحداث التاريخـية هي أساس الإيمان ومصدره وقاعدة الرجاء المسيحي ، لأن العهد الجديد يقـوم على وقائع وأحداث وأعمال ، وليس على تعاليم ووصايا وكلمات فقط ٠ منذ البدء ، في يـوم الخمسين ، عندما شهـد القديس بطرس ، بصفته شاهد عيان ٠٠ { *ونحـن جميعاً شهود لذلك* } (أع ٢ : ٣٢) كانت البشارة الرسولية صفة تاريخية أكـيدة ، وعلى أساس هذا الشاهد التاريخي تقوم الكنيسة ٠٠ كان التبشير الرسولي دومـاً سرداً لما حصل ٠٠ فالتجسد والقيامة والصعود هي أحداث تاريخية ٠٠ من الطبيعي ألاّ نستطيع تأكيدها إلاّ عن طريق الإيمان ، لكن هذا التأكيد لا يبعدها عن إطارها التاريخي ٠ فالإيمان يكتفي بالكشف عن بعد جديد ويفهمنا المعنى التاريخي في عمقه وحقيقته الكاملة " [٢].

---

(١) الكتاب المقدّس والكنيسة والتقليد ص ٢٣
(٢) علم اللاهوت الكتابي ص ١١٣

٦- المذهب الإتجاهي :

س٤٥ : مـــا همـــا الإتجاهـــان المتضادان اللذان تصورهما أصحاب مدرسة النقد الأعلى في المسيحية ؟

ج : أســس هذا المذهب أستاذ اللاهوت الألماني " فرديناند كريستيان " الذي صوَّر المســيحية علـــى أنها جمعت متضادين ،·أحدهما يمثله بطرس رسول الختان وهو صـــورة مـــن الـــيهودية المـــتطوّرة ، والأخر يمثله بولس رسول الأمم وهو يمثل الإنفتاح على الأمم ، وكل إتجاه له مبادئه المخالفة للإتجاه الآخر ، وتغافل فرديناند شهادة بطرس الرسول لبولس الرسول *" واحسبوا أناة ربنا خلاصاً ، كما كتب إليكم أخونا بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عـــن هـــذه الأمور التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرّفها غير العلماء وغير الثابتين كباقـــي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم "* (٢ بط ٣ : ١٥ – ١٦) وتغافل أيضاً إجتماع الكنيسة كلها واتفاقها الواحد في مجمع أورشليم سنة ٥١ م٠

الفصل الثامن : مدرسة النقد الأعلى وإنكار الوحي

أنكـرت مـدارس النقد والتشكيك الوحي في كتابة الأسفار المقدَّسة فأدعى أصـحاب مدرسة النقد الأعلى بأن هناك مصادر شتى إستعان بها موسى في كتابة أسـفاره الخمسة ، وبذلك فإن الموضوع لم يتعدى النقل ولا مجال للوحي الإلهي ، وقـال بعضهم أن الوحي هو إكتشاف الأنبياء عن طريق عقولهم وإراداتهم ما في عقـل الله وإرادته ، وذلك عن طريق الحفريات وإستنطاق الأرض ، وقال البعض إن الوحـي ما هو إلاَّ خبرة ذاتية نتيجة عبقرية دينية ، وبصيرة نافذة للنبي ، وقال آخرون إن الوحي جزئي ، فهو يشمل بعض أجزاء من الأسفار المقدَّسة مثل كلمات الله للأنبياء دون غيرها ·· إلخ ·

والحقيقة أن الوحي واضح تماماً في أسفار موسى الخمسة ، مثلها مثل بقية الأسـفار المقدَّسة ، ويكفي أوامر الله الصريحة لموسى بأن يكتب ، وأيضاً ما ورد فـي هـذه الأسفار من نبوات ورموز تحقَّقت بعد مئات السنين مثل ما ورد بشأن صـلب السيد المسيح ، فهذا يؤكد حقيقة الوحي · أما قولهم بأن الأنبياء تعاملوا مع الوحـي عن طريق الحفريات وإستنطاق الأرض ، فهو أمر مردود عليه للأسباب الآتية :

١- لو أن الوحي يتخذ طريق الحفريات للإعلان عما في عقل الله وإرادته ، فحتماً كانـت الآراء سـتختلف ، فما يراه أحد الأنبياء في هذه الحفريات قد يرى آخر عكسه·

٢- لـو كان الوحي يتخذ طريق الحفريات للإعلان عما في عقل الله وإرادته ، فإن النبي قد يضفي على هذه الرؤية بعض من خياله الخصب ويتصوَّر أنه واقع·

٣- مـا علاقـة بسـطاء الأنبياء مثل صيادي الأسماك بعلم الحفريات وإستنطاق الأرض ؟!

٤- كـيف تفسـر مـا وضعه الوحي على أفواه الأنبياء فكتبوه رغم أنه كان فوق مسـتوى إدراك العقل البشري ، مثل ولادة العذراء " *هوذا العذراء تحبل وتلد إبناً* " (أش ٧ : ١٤) ومثل الطفل المولود الذي يجمع بين البشرية والألوهية " *يُولد لنا ولد ونُعطي إبناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى إسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام* " (أش ٩ : ٦) ؟!

والحقـيقة أن أصـحاب هـذا الـرأي قد خلطوا بين علم النفس والأمور اللاهوتـية ، فتعريف الوحي بالطريقة السابقة هو جمع بين " الحدس العقلـي " كما عرفه " كانت " وبين " الحدس القلبي " كما عرفه " جان جاك روسو " . أما الوحي فهو شئ آخر يختلف تماماً عن الحدس العقلي والحدس القلبي اللذان هما نابعان من الإنسـان لا أكـثر ، بيـنما الوحي له الجانب الإنساني وله الجانب الإلهي أيضاً ، ولذلـك فـإن علم الحفريات وإستنطاق الأرض ما هـو إلاَّ وسيلة إيضاح للوحي الإلهـي ، فمـثلا عـندما يتنبأ كل من أشعياء وأرميا عن خراب بابل وإزالتها من الوجـود رغم العظمة التي كانت عليها ، فإن علم الأثار يأتي ليؤكد لنا هذه الحقيقة فيكون كوسيلة إيضاح لما نطق به الوحي على فم أشعياء وأرميا.

وخلال يومي ٢٥ ، ٢٦/٧/٢٠٠٤م إنعقد مؤتمر " لتعارفوا " في عمان – الأردن وهـو يمـثل إحدى الحوارات الإسلامية المسيحية ، وقد نظم هذا المؤتمر المركـز الأردنـي للدراسات والمعلومات بالإشتراك مع جمعية الدعوة الإسلامية بطـرابلس – ليبـيا ، ودار موضوع المؤتمر حول خطاب عربي إسلامي مسيحي مشترك للتعارف على الآخر ، وحضر رئيس وزراء الأردن نائباً عن جلالة الملك عـبد الله (راعـي اللقـاء) الجلسة الإفتتاحية ، وكذلك كُبار الساسة ، وتكلم في الجلسـة الإفتتاحـية قداسة بطريرك السريان مارزكا عيواص ، وغبطة بطريرك اللاتيـن ميشـيل صباح نائباً عن بطريرك الموارنة ، ونيافة الأنبا باخوميوس عن الكنيسـة القبطية ، وتكلم عن القادة الإسلاميين فضيلة مفتي القدس ، وقاضي قضاة

فلسطين ، ومفتي سوريا ، وألقيت سبع محاضرات تخللتها المناقشات (راجع مجلة الكـرازة عدد ٢٥ ، ٢٦ للسنة ٣٢ بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٦م) والأمر العجيب أن القس يوسـف مسئول دائرة الإعلام في مجلس كنائس الشرق الأوسط ، وهو يُلقي كلمته نـيابة عـن الكاردينال نصر الله صفير بطريرك الموارنة الكاثوليك **قال إن الدين لـيس له علاقـة بالوحي** ، فلم يوافقه الأخوة المسلمون رأيه هذا ، سواء كان هذا رأيه الخاص أو رأي طائفته ، **وتفضل نيافة الأنبا باخوميوس بالتعليق ، إذ أوضح أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال فصل الدين عن الوحي ، فحيث لا يوجد وحي لا وجـود للديـن ، ولا ديـن بدون وحي ، لأن إنفصال الدين عن الوحي معناه أن الأسـفار المقدَّسـة مثلها مثل أي كتابات أخرى بشرية محضة ، وبالتالي تحتمل الخطـأ والـنقص والضعف .. إلخ وتصبح قابلة للنقد والتصحيح. بينما الكتاب المقدَّس يعلمنا أن " كل الكتاب هو موحى به من الله " (٢تي ٣ : ١٦).**

ودعنا ياصديقي في هذا الفصل نتناول النقاط الآتية :

أولاً : تعريف الوحي. ثالثاً : المفهوم الصحيح للوحي.

ثانياً : نظريات مرفوضة عن الوحي. رابعاً: أمثلة عملية على دور الوحي.

أولاً : تعريف الوحي

س٤٦ : ما معنى الوحي ؟ وما هي طرقه ؟

ج : قـال الشهيد يوستين عن الأسفار المقدَّسة " أنها لغة الله بعينها " وقال القديس غريغوريوس أسقف نيصص أنها " صوت الروح القدس " وقال القديس أغسطينوس عـن الكتاب المقدَّس " إنه رسالة من الله القدير موجَّهة إلى خلائقه " (راجع دائرة المعارف جـ٦ ص ٣٢٤ ، ٣٢٦) وقال بولس الرسول " كل الكتاب هو مُوحى به مـن الله " (٢تـي ٣ : ١٦) وتعبـير " مُوحـى بـه " في اليونانية "ثيوبنوستوس" Theopneustas أي " نَفَـسْ الله " أو " تـنفس الله " أو " الله تنفس " فكل الكتاب مُوحـى بـه مـن الله ، أي كل الكتاب هو نَفَسْ الله ، كما قال المزمور عن خلقة

الملائكـــة " *بكلمة الرب صُنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها* " (مز ٣٣ : ٦) وعندما خلق الله آدم " *نفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيَّة* " (تك ٢ : ٧) إذاً الكـــتـــاب المقدس كتب بذات القدرة التي خلق بها الله الملائكة وآدم ، والكتاب المقـــدَّس هـــو نسمة من الله نفخها في قلوب الكتَّاب ، ولذلك دعى الآباء القديسون الكـــتـــاب المقـــدَّس بأنفـــاس الله ، فالكـــتاب المقدَّس هو نتاج شركة بين روح الله والإنســـان ، وهـــذا مـــا قصد الكتاب نفسه أن يوضحه " *ورفع بلعام عينيه ورأى إســـرائيل حالاً* حسب *أسباطه ، فكان عليه روح الله ، فنطق بمثله وقال ..* " (عد ٢٤ : ٢ ، ٣) .. " *لكنني أنا ملآن قوَّة روح الرب وحقاً وبأساً لأخبر يعقوب بذنبه وإســـرائيل بخطيته* " (مي ٣ : ٨) .. " *ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي مـــن الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تُعلِّمها حكمة إنسانية بل بما يعلِّمه الروح القدس* " (١كو ٢ : ١٢ ، ١٣).

وعـــبَّر قاموس وبستر عن الوحي قائلاً " هو تأثير روح الله الفائق للطبيعة علـــى الفكر البشري ، به تأهل الأنبياء والرسل والكتبة المقدَّسون لأن يقدِّموا الحق الإلهـــي بدون مزيج من الخطأ " وجاء في قاموس شامبرز عن الوحي أنه " التأثير الإلهي الذي بواسطته أُرشد كتبة الكتاب المقدَّس القديسون ".

أي إنـــنا نستطيع أن نقول أن الوحي هومصطلح لاهوتي يدل على هيمنة روح الله القـــدوس علـــى كتبة الأسفار المقدَّسة أثناء كتابتهم للأسفار مع إرشادهم للحـــق ، وعصمتهم من الخطأ ، وفي العهد القديم كانت هناك طرق مختلفة للوحي مثل :

١- **الحديث فماً لفم** : وحدث هذا مع موسى النبي " *أما عبدي موسى .. فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز ، وشبه الرب يعاين* " (عد ١٢ : ٧ ، ٨).

٢- **بالكلام الصريح المباشر** : مثلما كلم بقية أنبياء العهد القديم ، وتحاور معهم ، وطالبهم بتوصيل رسائله للشعب.

٣- **بالـــرؤى والأحـــلام :** كما قال الله لهرون ومريم " *إن كان منكم نبي فبالرؤيا أستعلن له في الحلم أكلمه* " (عد ١٢ : ٦)٠

٤- **بإلهام داخلي يصعب وصفه :** كما قال أرميا النبي " *قد أقنعتني يارب فإقتنعت وألححت عليَّ فغلبت ٠٠ فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد بإسمه ٠ فكان في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي فمللت من الإمساك ولم أستطع* " (أر ٢٠ : ٧ ، ٩)٠

أمـــا فـــي العهـــد الجديد فكان كمال الوحي الإلهي في ظهور شخص ربنا يســـوع المســـيح إبن الله الحي ، ولذلك يقول معلمنا بولس الرسول " *الله بعدما كلَّم الآبـــاء بالأنبياء قديماً بأنواعٍ وطرقٍ كثيرة ٠ كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في إبنه* " (عـــب ١ : ١ ، ٢) ولذلك كان السيد المسيح يتكلم ويعلم " *كمن له سلطان* " (مر ١ : ٢٢) مؤكـــداً إن " *الســـماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول* " (مت ٢٤ : ٣٥) وقد أوضح مراراً وتكراراً أن كلامه من الله الآب " *لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله* " (يو ٣ : ٣٤) ٠٠ " *لست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علَّمني أبـــي* " (يـــو ٨ : ٢٨) ٠٠ " *لأنـــي لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم ٠ وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية ٠ فما أتكلم إنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلَّم* " (يو ١٢ : ٤٩ ، ٥٠) ٠٠ " *الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحالّ فيَّ هو يعمل الأعمال* " (يو ١٤ : ١٠) ثم تكلم التلاميذ القديسون والرسل الأطهار بهذا الكلام وهذه البشارة المفرحة للبشرية كلها مسوقين من الروح القدس٠

إذاً الوحـــي في المسيحية هو ظهور كلمة الله مدوَّنة بلغة بشرية ، وعندما يـــنطق الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله بكلمة الله فإنه لا يضعفها ، فيقول الأب جـــورج فلورفسكي " الكتاب هو مُوحى به من الله ، فهو كلمته ٠ لكن بحث ماهية الوحي بدقة فهو أمر مستحيل ، لأنه محاط بسرّ ، بسرّ مواجهة الله للإنسان ، إنـــنا لا نستطيع أن نفهم الطريقة التي سمع بها قديسوا الله كلمة سيدهم ، ولا كيفية

تعبـــيرهم اللغوي عمّا أوحي به الله إليهم. وحتى في عملية تعبيرهم الإنساني كان صوت الله معهم . هذه هي معجزة الكتاب وأسراريته. إنه ظهور كلمة الله مدوّنة في لغة بشرية .. إن الكتاب ينقل إلينا كلمة الله في لغة بشرية . فالله كلّم الإنسان بالفعل ، وهذا يفترض وجود من يسمع الكلمة ويعيها .. لا مجال هنا لإنزلاق نحو الضـــعف البشـــري ، لأن اللسان البشري لا يفقد خصائصه الطبيعية عندما يصير عَـــربَة (سيارة) للإعلان الإلهي .. إن الإلهام الإلهي لا يمحو العنصر البشري .. ومادام الإنسان مخلوقاً على صورة الله ومثاله فهو يقدر أن يعبّر عن كلمة الله بكلماته البشرية بشكل كاف وصحيح ، لأن كلمة الله لا تخفت عندما ينطق بها لسان بشـــري .. وعـــندما يـــنفخ الروح القدس في نظام اللغة البشرية يقدر الإنسان أن ينطق بكلام الله " [1].

ثانياً : نظريات مرفوضة عن الوحي

س٤٧ : ما هي النظريات الخاطئة للوحي ، والتي ترفضها المسيحية ؟

ج : هـــناك نظـــريات عديدة خاطئة لمفهوم الوحي ، ومن هذه النظريات النظرية الطبيعـــية ، والميكانيكـــية (الإملائية) ، والموضوعية ، والجزئية ، والروحية ، وفيما يلي نتعرض بإختصار لهذه النظريات ، مع توضيح سبب رفضها :

١- **الـــنظرية الطبيعية** : وهي تعتمد على نظرية " البصيرة الداخلية " فالوحي مجـــرد بصـــيرة الكاتب النفّاذة اللمّاحة لمعرفة الحق ، والوحي هو نوع من الإلهام الطبيعـــي كمـــا يُلهَم الشاعر في نظم قصائده وأشعاره ، وكما يُلهم الكاتب في كتابة رواياته وأدبه.

وهـــي نظـــرية مرفوضة لأنها تتجاهل تماماً عمل الروح القدس ، ويقول الكـــتاب " *لأنه لم تأتِ نبوّة قط بمشيئة إنســـان بل تكل أناس الله القديسون مسوقين*

---

[1] الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد – ترجمة الأب ميشال نجم ص ٣١ ، ٣٢

من *الروح القدس* " (٢بط ١ : ٢١) ومعنى " مسوقين " هنا أي محمولين ومدفوعين من الروح القدس لكتابة ما يكتبون.

٢- النظرية الميكانيكية (الإملائية) : وهي تنظر للوحي على أنه وحياً إملائياً ميكانيكياً جامداً آلياً ، فهو يُملئ الكاتب ما يكتبه كلمة كلمة وحرفاً حرفاً ، ونحن نرفض هذه النظرية لأنها تتجاهل الجانب البشري فيتحوّل الكاتب إلى آلة صماء أو إنساناً آلياً يكتب ما يُملئ عليه ، وبذلك تلغى كليةً شخصية الكاتب وثقافته ومشاعره ، ومما يؤيد رفضنا لهذه النظرية هو إختلاف أسلوب كل كاتب عن الآخر ، فمن السهل عليك تمييّز كتابات سليمان الحكيم عن كتابات بولس الفيلسوف عن كتابات يوحنا الحبيب عن كتابات أرميا النبي الباكي .. إلخ وهذه النظرية الميكانيكية تعتبر عكس النظرية الطبيعية.

٣- النظرية الموضوعية : وهي تنص على أن الروح القدس يُوحي للكاتب بالموضوع وأفكاره فقط ويترك للكاتب الحرية التامة للتعبير عن هذه الأفكار كما يشاء بدون أدنى تدخل من الوحي ، وهذه النظرية تعتبر قاصرة ، فحقاً إن روح الله يُوحي للإنسان بالموضوع والأفكار ، ولكنه أيضاً يحفظه ويعصمه من الخطأ ، فلا يسمح له أبداً بتدوين أي فكرة صحيحة بتعبيرات وكلمات خاطئة ، أي أن الروح القدس لا يترك الكاتب يختار ألفاظاً غير مناسبة ، إنما يساعده في إنتقاء وإختيار الكلمات المناسبة ، ولذلك فالكتاب المقدّس مؤدب جداً جداً في أحاديثه ، يتناول أصعب المواضيع حساسية بكلمات مهذبة جداً وأسلوب أدبي راقي جداً ، لأن الحياء كل الحياء في الدين ، وكل كلمة هي مُوحَى بها ، ولذلك قال السيد المسيح " *إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس* " (مت ٥ : ١٨) ، وقال داود النبي " *روح الرب تكلّم بي وكلمته على لساني* " (٢صم ٢٣ : ٢) وقال الله لأرميا " *وتتكلم بكل ما آمرك* " (أر ١ : ٧) وقال ميخا بن يملة " *حي هو الرب إن ما يقوله لي الرب به أتكلم* " (١مل ٢٢ : ١٤) وقال أرميا النبي

" *صارت كلمــة الرب إليّ فكلمتكم مبكراً* " (أر ٢٥ : ٣) وقال بولس الرسول عن اليهود " *فلأنهم أستؤمنــوا علــى أقوال الله* " (رو ٣ : ٢) وقال لأهــل كورنثوس " *وكلامـــي وكرازتــــي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقــوة* " (١كــو ٢ : ٤) وقال الله لحزقيال النبي " *وتتكلم معهم بكلامي ٠٠ وأنت ياإبن آدم فاسمع ما أنا مكلّمك به* " (حز ٢ : ٧ ، ٨) بل إن الروح القدس قد يوضع علــى لســان الكاتب عبارات قد لا يدرك الكاتب أعماقها ، فعندما كتب أشعياء عن ولادة العــذراء ، والمولــود منهــا هو إنسان وإله في آن واحد ٠٠ من كان يدرك هــذا ؟! وعــندما تنبأ أشعياء عن خراب بابل سيدة الممالك ، وخراب صور سيدة البحار ، وكل منهما لن تعمَّر ثانية ٠٠ من كان يتصوَّر هذا ؟!

٤- **النظرية الجزئية :** وهي تقسّم ما جاء بالأسفار المقدّسة إلى نوعين ، الأول يشــمل كلمات الله المباشرة مثل الوصايا العشر وحديث الله للأنبياء وهــذه مُوحى بهــا ، أمــا كلمات الكاتب نفسه في وصف مكان أو حدث أو إلقاء تعليم فهي غير مُوحـــى بها ، وهي نظرية مرفوضة فمعلمنا بولس يقول عن كل ما ورد في أسفار العهــد القديــم أنهــا أقــوال الله ، ولهذا فإنه يقول عن اليهود أنهم " *أستؤمنوا على أقــوال الله* " (رو ٣ : ٢) وقــال بطرس الرسول " *وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح قد تمّمه هكذا* " (أع ٣ : ١٨) ٠

فالوحي كامل ومطلق يشمل جميع كلمات وحروف الكتاب المقدّس ، وهذا ما أكده الكتاب لنا " *كل الكتاب هو موُحَى به من الله* " (٢تي ٣ : ١٦) فمثلاً عندما قــال داود النبـــي " *الرب راعي فلا يعوزني شئ* " (مز ٢٣ : ١) لا يقدر أحد أن يحــذف حــرف الفــاء من " فلا " ويقول " الرب راعي لا يعوزني شئ " لأن هذا الحــرف له أهميــته وله دلالته إذ يوضح العلاقة السببية بين عدم الإحتياج ورعاية الرب٠

وقــد يتســاءل البعض : وهل أقوال الأشرار والشياطين التي وردت في الكتاب مُوحَى بها ؟ نقول له إن دور الوحي هنا قاصر على الأمر بتدوين مثل هذه الأقوال ، أما الكلمات الخاطئة فهي تُنسب لأصحابها بعيدة كل البعد عن أقوال الله • أي أن تســجيل هذه الكلمات كان بوحي من روح الله للكاتب أما هذه الكلمات فهي من الطبيعي غير مُوحى بها•

٥- الــنظرية الروحــية : وتنص على أن الوحي قاصراً على الأمور الروحية فــي الكــتاب المقدَّس ، أما الأمور الأخرى التاريخية أو الجغرافية أو العلمية فهي تحــتمل الخطــأ ، وأصحاب هذه النظرية قالوا أن قصة أيوب ، ويونان في جوف الحــوت ، ودانيال في جب الأسود ، وإغلاق إيليا للسماء ، وإشباع الجموع وأمثال هــذه القصــص هــي قصص خيالية القصد منها أخذ التعاليم الروحية فقصة أيوب تعلمنا عاقبة الصبر ، وقصة يونان تلقي الضوء على الحفظ الإلهي ، وقصة دانيال تعلمــنا التمسك بالوصايا الإلهية ، وقصة إيليا تعلمنا قوة الصلاة وفاعليتها ، وقصة إشــباع الجمــوع تعلمــنا البركة في القليل ••• إلخ ، ونحن نرفض هذه النظرية الخاطئة التي تجعل الإنسان يقبل ما يشاء ويرفض ما يشاء ، بل تضع الإنسان فوق مســتوى الوحــي فــيحكم ويفصل في أقوال الله ، والأمر العجيب أن أصحاب هذه النظرية يفكرون في طبع الكتاب المقدَّس بعدة ألوان ، فما كُتب باللون الأخضر مثلاً هو المقبول ، وما كُتب باللون الأحمر هو مرفوض ، وما كُتب باللون الأصفر فهو جائز القبول أو الرفض•

ثالثاً : المفهــوم الصحيح للوحــي :

س٤٨ : مــا هــو المفهــوم الصــحيح للوحي ؟ ما هو دوره في كتابة الأسفار المقدَّسة ؟

ج : يقول نيافة الأنبا أثناسيوس المتنيح مطران بني سويف والبهنسا " الوحي طاقة ولــيس شكلاً ، ويمكننا أن نشبهه بالتيار الكهربائي الذي يسري في الأسلاك ، وإن

كانــت العــيون لا تراه إلاّ في ضوء المصباح • الوحي هو الطاقة الحيَّة وليست المصــباح المُحدَّد الشكل ، فقد نُغير المصباح من شكــل أنبوبة مستطيلة إلى كرة صــغيرة ، ومــن اللون الأبيض إلى الأزرق أو الأحمر ، والطاقة كما هي لا تفقد صــفتها •• إنها كلمة الله مهما تغيرت العبارة ، فلو قلنا مثلاً " •• هكذا أحب الله العــالم حتى بذل إبنه الوحيد •• " (يو ٣ : ١٦) بتركيبات أخرى لظلت هذه الآية كمــا نقول " أحب الله العالم إلى درجة أنه بذل إبنه •• " أو " بهذا المقدار أحب الله العــالم حــتى بذل إبنه الوحيد " •• أو غير ذلك الكثير في اللغة العربية أو مئات التعبــيرات في اللغات الأخرى •• الوحي قوة تملأ فكر وحس الرسول فينطق به بلغــة البشر •• الروح إذاً يضبط الرسول في التعبير " مسوقين " (٢بط ١ : ٢١) ويحفظــه مــن الخطــأ ويعصمه من الذات ، فتجئ التعبيرات في لغة البشر ولكن الروح هو القوة الفعالة فيها " (١)•

ولهــذا نجــد الأسلوب يختلف من كاتب لآخر ، ولكن بدون أي تناقض أو تضـــارب بــل فـــي إنسجام كامل وتوافق تام ، ونشكر الله أنه لا يوجد في كتابنا المقــدَّس آيــات تنسخ آيات أخرى فتصبح الآيات المنسوخة عاطلة بلا فائدة ، ولا يأتــي الله بتشــريع ويلغــيه بآخر ولكن الله يتدرج بالبشرية من مرحلة لأخرى في طريق الكمال والملكوت•

والوحــي لا يتقــيَّد بلغة معينة إنما يستخدم اللغة التي يستخدمها الشعب• ، فعندما كانت لغة شعب الله هي اللغة العبرية جاءت كتابات العهد القديم بهذه اللغة ، وعــندما بدأ الشعب يتكلم الآرامية ويصعب عليه فهم العبرية جاءت بعض الكتابات باللغــة الآرامــية • كمــا كانت تقرأ الأسفار المقدَّسة باللغة العبرية وتترجم فوراً للآرامــية ، ثم ظهرت ترجمات مكتوبة بالآرامية وهي ما دُعيت بالترجوم ، وكُتِب العهــد الجديــد باللغة اليونانية التي كانت سائدة فيّ ذلك الزمان •• إذاً الوحي لا

(١) وحدة الكتاب المقدَّس ص ١٤ ـ ١٦

يتمســك بلغــة معينة ولا يفضل لغة على أخرى ، ولا ننسى أن تعدد اللغات وبلبلة الألسن جاءت نتيجة لخطية الإنسان وعدم إيمانه بوعد الله أنه لن يجلب طوفاناً فيما بعــد ، ولا ننسى أيضاً أن قصد الله أولاً وأخيراً أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحــق يُقبلون ، ولذلك أوصى تلاميذه أن يذهبوا ويكرزوا للعالم أجمع وأعطاهم أن يتكلموا بلغات مختلفة ، ولم يضع الله ثقلاً على الإنسان لا يستطيع القيام به ، فمثلاً لــم يوصي أنبياءه بالكتابة باللغة العبرية فقط وحظر عليهم الترجمة ، وفرض على كل من يريد أن يعرفه أن يتعلم العبرية أولاً.

أمــا عــن دور الوحي في كتابة الأسفار المقدَّسة فيمكن أن نلخصه في الآتي :

أ- يختار الله بعض القديسين ويُحرك قلوبهم للكتابة ، وقد يأمرهم مباشرة كما قال لموسى " *فقال الرب لموسى أكتب هذا التذكار ..* " (خر ١٧ : ١٤) وكما قال لأرميا " *خذ لنفسك دَرْج سفر واكتب فيه كل الكلام الذي كلمتك به ..* " (أر ٣٦ : ٢).

ب – يــترك روح الله للكاتب حرية إختيار الألفاظ والأسلوب والكلمات ، فلذلك نرى داود النبي يكتب بلغة الراعي ، وسليمان بلغةِ الحكيم ، وبولس بلغة الفيلسوف وهكــذا ، وفــي نفس الوقت لا يسمح له باستخدام ألفاظ خارجة ، إنما يساعده على إنــتقاء وإختــيار الكلمــات المناسبة ، وفي كل هذا لا يلغي الروح القدس شخصية الكاتب ولا إجتهاده الشخصي ، ولذلك يقول معلمنا لوقا الإنجيلي " *رأيتُ أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق* " (لو ١ : ٣) وبلا شك إن تتبع كل شئ بتدقيق يحــتاج إلى جهد كبير ، وقال كاتب سفر المكابيين الثاني " *تلك الأمور التي شرحها ياســون القيرواني في خمسة كتب قد أقبلنا نحن على إختصارها في درج واحد .. فلــم يكــن تكلفنا لهذا الإختصار أمراً سهلاً وإنما تم بالعرق والسهر* " (٢ مك ٢ : ٢٤ ، ٢٧) كما يقول أيضاً " *فإن كنت قد أحسنت التأليف وأصبت الغرض فذلك ما*

كنت أتمنى وإن كان قد لحقني الوهن والتقصير فإني قد بذلت وسعي" (٢مك ١٥ : ٣٩) فتعبيرات هذا الكاتب توضح تماماً إحتفاظ الكاتب بشخصيته وهويته ودراساته وإقتباساته وتعبه وعناءه ، وكل هذا لا يتعارض مع عمل روح الله معه في إرشاده للحق وعصمته من الخطأ .

ج - يكون الكاتب أثناء الكتاب تحت هيمنة وسيطرة روح الله الذي يحفظه ويعصمه من الخطأ أثناء الكتابة .

د - يكشف روح الله للكاتب ما خُفي عنه مثلما كشف لموسى عن أيام الخليقة ، ويضع على فم النبي نبؤات قد لا يُدرك أغوارها .

رابعاً : أمثلة عملية على دور الوحي :

س٤٩ : هل يمكن إعطاء بعض الأمثلة العملية عن دور الوحي في تسجيل النبؤات ؟

ج : تعتبر النبؤات دليل قاطع على دور الوحي في تسجيل الأسفار المقدَّسة ، وقد ورد في العهد القديم نحو ثلثمائة نبؤة عن شخصية السيد المسيح وعمله الفدائي تحقق منها نحو ثلاثين نبؤة في الأربعة والعشرين ساعة الأخيرة ، وحوى العهد القديم أكثر من ١٨٠٠ نبؤة تحقق معظمها والبقية في طريقها للتحقق ، وهذه النبؤات لا تعتمد قط على الفراسة والذكاء والإستدلال العقلي ، بل أن بعض هذه النبؤات كانت ضد العقل مثل ولادة العذراء ، وبعضها ضد العلم الذي كان منتشراً حينذاك مثل كروية الأرض وتعلقها بالجاذبية الأرضية ، وإنحلال العناصر ، ولك ياصديقي الرجوع إلى كتابنا أسئلة حول الكتاب المقدَّس ص ٧٧ - ١٠١ لدراسة هذا الموضوع ، وهنا نكتفي بذكر مثل واحد قوي على عمل الوحي في تدوين الأسفار المقدَّسة وهو النبؤات التي وردت بشأن مدينة بابل .

كانت مدينة بابل سيدة المدائن يعبر من خلالها نهر الفرات ، وتعتبر حلقة الوصل والمركز التجاري الهام بين الشرق والغرب ، بلغت مساحتها ١٩٦ ميلاً

مــربعاً ومحــيطها ٥٦ مــيلاً ، ويحــيط بها سوران عظيمان يبلغ إرتفاع السور الخارجــي مائـــة مــتراً وعرضـــه نحو ٢٤ متراً يكفي لسير ست مركبات حربية متجاورة وعمق أساساته إثنى عشر متراً ، وعلى السور ٢٥٠ برجاً للمراقبة ، وبه مائـــة بوابـــة مـــن خشب الأرز المغشى بالنحاس اللامع ، وسورها الداخلي مبني بالقوالب الملَّونة التي تمثل مناظر لصيد النمور والأسود ، واشتهرت بابل بحدائقها المعلقـــة إحدى عجائب الدنيا السبع ، وتقدمت بابل في العلوم فأخترعت الألف باء للكـــتابة ، وتقدمت في علوم الحساب والهندسة والفلك والفن والعمارة فشيدت أعظم المبانـــــي من الطين وأيضاً من الحجارة ومن عظمتها خشى هيرودوت أن يصفها لـــئلا يكذّبه الناس ، ورغم هذه العظمة فقد تنبأ عنها أشعياء وأرميا بالخراب الأبدي في وصف تفصيلي للغاية ويمكن تتبع النبوات كالآتي :

١- لـــم يـــنسَ الرب ما فعله نبوخذ نصر إذ خرَّب مدينة أورشليم وسلب الآنية المقدَّســة وخـــرَّب الهيكل بالإضافة إلى شرور بابل الأخرى ، ولذلك جاءت النبوة بمعاقبة بابل على شرها " *وأكافئ بابل وكل سكان أرض الكلدانيين على شرهم الذي فعلوه في صهيون أمام عيونكم يقول الرب* " (أر ٥١ : ٢٤) وتوعدها الله قائلاً " *فلو صـــعدت بـــابل إلـــى الســـماوات ولو حصَّنت علياء عزها فمن عندي يأتي عليها الناهبون يقول الرب* " (أر ٥١ : ٥٣) .

٢- حـــدَّد أشـــعياء بأن الخراب سيحل ببابل على يد مملكة فارس ومادي فتنبأ قـــائلاً " *قـــد أعلنـــت لـــي رؤيا قاسية الناهب ناهباً والمُخرِب مخرباً . أصعدي ياعـــيلام . حاصـــري يـــا مـــادي* " (أش ٢١ : ٢) فجاءت نبوة أشعياء على بابل كضرب من الخيال .

٣- حدَّد أشعيـــاء إسم الملك " كورش " الذي سيكتسح بابـــل وسيُصرِح ببنـــاء أورشـــليم وتجديـــد الهيكل " *القائل عن كورش راعي فكل مسَّرتي يتمم ويقول عن أورشليم ستُبنى والهيكل ستؤسَّس* " (أش ٤٤ : ٢٨) .

٤- يصــف هــيرودتس حصـــار المديـــنة فــيقول " وهكــذا زحف الماديون والفارســيون علـــى بـــابل بزعامة كورش وعندما طاف كورش وكبار قواده حول المديـــنة ورأوا إســـتحالة خضوع هذه الأسوار لكل آلات الحرب المعروفة آنذاك ، فضلاً عن الحاجز المائي المنيع ، لم يغير رأيه ٠ بل أمر بحصار دقيق حولها ٠٠ وأحاطوها لمدة سنتين " (١)٠

والأمــر العجيــب أن رجال بابل خشوا الخروج من المدينة لفك الحصار تمامــاً كمـــا تنــبأ أرمــيا النبي قائلاً " *كفَّ جبابرة بابل عن الحرب وجلسوا في الحصـــون ٠ نضــبت شــجاعتهم صاروا نساء* " (أر ٥١ : ٣٠) ويذكر زينوفون المــؤرخ أن كورش دعا ملك بابل للمبارزة الفردية فأبى ملك بابل (النبوات والآثار جـ ٢ ص ٦٢) وشجعهم على عدم الخروج من المدينة توفر المياه بها ، والأرض الزراعية التي بداخلها ، وسعة خزائنها ، ولم تعلم أن آخرتها جاءت أمام الرب كما أخــبر بذلـــك أرمــيا النبي " *أيتها الساكنة على مياه كثيرة الوافرة الخزائن قد أتت آخرتك* " (أر ٥١ : ١٣)٠

٥- كــيف أقــتحم كــورش مدينة بابل ؟ ٠٠ لقد هرب من مدينة بابل رجلان وإنضـــما إلـــى جيش فارس ، فاستعان بهما كورش ووضع خطة لإقتحام المدينة ، فطلـــب كـــورش من جنوده حفر خندقاً ضخماً جداً ، وفي الليلة السابقة من تشرين الأول ســـنة ٥٣٩ ق٠م تـــم تحويل مجرى نهر الفرات وتحققت نبوة أرميا النبي " *هكذا قال الرب ٠٠ أنشف بحرها وأجفف ينبوعها* " (أر ٥١ : ٣٦) وأقتحمت قوات فارس المدينة عبر مجرى النهر الأصلي٠

٦- كــيف تم الهجوم على المدينة الحصينة ؟ ٠٠ في ليلة كان البابليون يقيمون حفلاً لآلهتهم يرقصون ويسكرون ويضحكون على أعدائهم الواقفين عاجزين خارج الأســوار الحصـــينة دون أن ينتــبهوا إلى كورش الذي حوَّل مجرى النهر ويسرع بجيشـــه الجـــرار إلى داخل المدينة ، وفوجئ أهل بابل بجنود كورش داخل المدينة

---

(١) الراهب بولا البراموسي – النبوات والآثار جـ ٢ ص ٦١ ، ٦٢

وداخل البهو الملكي بحسبما صوَّر أرميا النبي من قبل " *قد حلف رب الجنود بنفسه أنـــي لأملأنَّك أناساً كالغوغاء فيرفعون عليك جلبة* " (أر ٥١ : ١٤) ويقول أشعياء علـــى لسان بابل " *إمتلأت حقواي وجعاً وأخذني مخاض كمخاض الوالدة . تلَّويت حتى لا أسمـــع . إندهشت حتى لا أنظر . تاه قلبي بغتني رعب* " (أش ٢١ : ٣ ، ٤) ويقـــول هـــيرودوت بعـــد أن حفر كورش خندقاً عظيماً " وإذ أنجز هذا العمل الهندسي العظيم في ليلة كان البابليون غارقين في سكرهم وبطرهم وأفراحهم وَهماً منهم أن مدينتهم أمنع من عقاب الجو " [1].

٧- تنبأ أرميا قائلاً " *يركض عدَّاء للقاء عدَّاء . ومخبر للقاء مخبرٍ ليخبر ملك بـــابل أن مدينـــته قـــد أخذت عن أقصى* " (أر ٥١ : ٣١) وفعلاً تمت هذه النبوة إذ إقـــتحم جيش كورش مجرى النهر من طرفيه في وقت واحد فركض المخبرون من الجانبيـــن ليخـــبروا الملـــك ، وكل عدَّاء يخبر عداءاً آخر لتصل الرسالة بأسرع ما يمكن للملك ، وأمام قصر الملك إلتقى المخبران أحدهما جاء من طرف والآخر من الطرف الآخر لمجرى النهر .

٨- لـــو أغلق البابليون أبواب النهر النحاسية قبل هجوم كورش لفشل الهجوم ، ولكـــنها تُرِكـــت مفتوحة لأنه لم يتوقع أهل بابل أن كورش سيحول مجرى النهر ، وبهـــذا تحققـــت نـــبوة أشـــعياء النبـــي عـــندما قال" *لأفتح أمامه (أمام كورش) المصـــراعين (أبواب القصر) ، والأبواب لا تغلق (أبواب النهر النحاسية)*" (أش ١ : ٤٥).

٩- قـــيل أن أهـــل بابل خشوا طول الحصار فقتلوا في يوم واحد ٥٠٠٠٠ من نســـائهم وأولادهم ، وأبقوا عدداً من النساء لعمل الخبز وحمل الماء أثناء الحصار . ثـــم إقـــتحم كـــورش المدينة وقتل الكثيرين فتحققت نبوة أشعياء النبي " *فيأتي عليك هـــذان الإثنان بغتة في يوم واحد الثكل والترمل* " (أش ٤٧ : ٩) وحتى إن لم تكن

---

[1] ارثر بيرسون - الحجة القوية في صدق أقوال الله الحيَّة - تعريب متري صليب طبعة ١٩١٧ م ص ٨٥

الحادثة الأولى قد حدثت فإن جيش فارس قتل الكثيرين من الشباب فتثكلت أمهاتهم ، وقتل كثيراً من الرجال فترملت نساؤهم ٠

١٠- حدَّد أشعياء النبي أن الهجوم سيحدث ليلاً وقت إحتفال أهل المدينة فقال " *لـيلة لذتي جعلها لي رعدة ٠ يرتبـون المائدة يحرسون الحراسة يأكلون يشربون ٠ قوموا أيها الرؤساء إمسحوا المجَنَّ* " (أش ٢١ : ٤ ، ٥)٠

١١- وهكـذا قـتل كـورش رؤساء بابل وتحققت النبوة " *سقطت بابل وجميع تماثـيل آلهتها المنحوتة* " (أش ٢١ : ٩) والأمر المدهش أن أرميا النبي قد أكد نبوءة أشعياء هذه ، إذ كتب كل الشرور الآتية على بابل ، وأرسل بها سرايا بن نيريا إلى بابل ، وأمره أن يقرأ كل هـذه الشـرور ، وأوصاه " *ويكون إذا فرغت من قراءة هذا السفر إنك تربط به حجراً وتطرحه إلى وسط الفرات ٠ وتقول هكذا تغرق بابل ولا تقوم من الشر الذي أنا جالبهُ عليها* " (أر ٥١ : ٦٣ ، ٦٤)٠

٠ ١٢- الأمـر المدهـش أن المدينة لم تقم لها قائمة بعد ، فكم من المدن تخرَّبت وأعـيد تجديدها مثل أورشليم وروما وغيرهما ، أما بابل فلم تُجدَّد رغم أن كورش سكن بها وأراد أن يحييها ولكن خلفاءه إختاروا غيرها ، ورغم أن الإسكندر الأكبر كـان يتمـنى إعادتها إلى مجدها ولكنه وجد أن التكلفة باهظة ، كما تصارع خلفاء الإسـكندر وجـرت المعـارك بينهم على أرض بابل ، فنهبتها الجيوش المتحاربة وأكملـت خـرابها ، وعندما صارت من نصيب السلوقيين بنوا مدينة سلوقية شمال بـابل بنحو أربعين ميلاً فتحولت التجارة إليها وتدهورت بابل إلى الحضيض ، وكل هـذا جاء تتميماً للنبوات ، حتى أن أرميا النبي يصف محاولات التجديد هذه وفشلها فـيقـول " *سـقطت بابل بغتة وتحطمت ولولوا عليها ٠ خذوا بلساناً لجرحها لعلها تشـفى ٠ داوينا بابل فلم تُشفَ ٠ دعوها ولنذهب كل واحد إلى أرضه لأن قضاءها وصل إلى السماء* " (أر ٥١ : ٨ ، ٩) ٠٠ ياللروعة الوحي٠

١٣- وتحققت النبوات بأن بابل ستظل خراباً إلى الأبد لا يسكنها إلاّ بنات آوى ولا يقيم فيها إعرابي ولا راعي ‧‧ لماذا ؟ لأنه نتج عن تحويل النهر البرك والمستنقعات ، ولم تعد أرضاً صالحة للزراعة فلا تنمو فيها حتى الأعشاب التي تجذب الرعاة إليها ‧‧ لقد حدث ما صوره أشعياء النبي تماماً " *وتصير بابل بهاء الممالك وزينة الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة لا تعمَّر إلى الأبد ولا تسكن إلى دور فدور ولا يخيم إعرابي ولا يربض هناك رعاة ‧ بل تربض هناك وحوش القفر ‧‧ وتصيح بنات اوى في قصورهم ‧‧* " (أش ١٣ : ١٩ - ٢٢) وبحسبما تنبأ أرميا النبي أيضاً " *وتكون بابل كوماً ومأوى بنات آوى ودهشاً وصفيراً بلا ساكن ‧‧ لا يسكن فيها إنسان ولا يعبر فيها ابن آدم* " (أر ٥١ : ٣٧ - ٤٣) وبعد أن تهدمت بابل ومع الزمن سقطت أسوارها العظيمة حتى إنه عندما زارها " استرابو " في حكم أوغسطس قيصر (٢٧ ق‧م - ١٤ م) قال " لقد صارت المدينة العظيمة صحراء " [١] ‧‧ لقد تحققت النبوات تماماً " *هكذا قال رب الجنود أن أسوار بابل العريضة تُدمَّر تدميراً وأبوابها الشامخة تُحرَق بالنار* " (أر ٥١ : ٥٨) وفي سنة ١٩٥٦ كتب أندريه بارو في كتابه بابل والعهد القديم يقول " فبُعد المدينة قليلاً عن بغداد ، ويتدفق إليها كثيرون من السياح كل يوم تقريباً ، وبصورة عامة يخيب ظنهم كثيراً وبصوت واحد تقريباً يقولون إنه لا يوجد شئ لرؤيته " [٢] وآخر هذه المحاولات ما قام به صدام حسين في منتصف سنة ١٩٨٠ إذ أراد أن يقيم المدينة ثانية ويجعلها منتجع سياحي ، ووضع الخطة كاملة لإقامة الفنادق وإنشاء الشوارع والمتنزهات وكان المال متوفراً لتنفيذ الخطة ، ولكن في شهر سبتمبر من نفس العام أشتعلت الحرب بين العراق وإيران التي أستمرت سنوات طويلة ، وبعدها حدث غزو العراق للكويت ‧ ثم إسترداد الكويت منه ، وضربه وفرض الحصار عليه وخلعه ومحاكمته فصارت الخطة في طي النسيان‧

---

(١) برهان يتطلب قراراً سنة ٣٥١

(٢) أورده القس عبد المسيح بسيط في كتابه إعجاز وحي الكتاب المقدّس ونبوآته ص ٤٦

١٤- وجاءت أيضاً نبوءة غريبة تتبئ بأن أحجار بابل لا تستخدم في مكان آخر للبـــناء " *فلا يأخذون منك حجراً لزاوية ولا حجراً لأسس* " (أر ٥١ : ٦) وقد ذكر ســتونر أن الحجارة التي كانت مستخدمة ضخمة ، وبذلك تصبح تكلفة نقلها مكلفة جداً ، فلهذا لم تستخدم بينما أُعيد إستخدام الطوب في أماكن أخرى (برهان يتطلب قراراً ص ٣٥٢)٠

* خـــتام : أخـــذ عـــالم الرياضيات بيتر ستونر ٧ نبؤات فقط من النبؤات السابقة وطـــبق علـــيها نظرية الإحتمالات ليعلم نسبة تحقق هذه النبوات السبع على مدينة بـــابل بمجرد الصدفة ، فوجد النسبة واحد إلى ٧٥ مليون ٠٠ حقاً أنه مهما طعن النقاد في تاريخ هذه النبوات وقالوا أنها كُتِبت في وقت متأخر بعد خراب بابل فلن يصلوا إلى مبتغاهم ولن يستطيعوا لذلك فكاكاً ، وذلك لسببين :

أ - أن هـــذه النـــبوات التـــي وردت فـــي سفري أشعياء وأرميا وُجِدت في مخطوطـــات قمران التي يرجع تاريخها إلى سنة ٢٥٠ ق٠م كما أن سفري أشعياء وأرمـــيا تـــرجما إلـــى اليونانـــية في القرن الثالث قبل الميلاد ضمن الترجمة السبعينية ٠ إذاً من الثابت أن هذه النبوات ترجع على أقل تقدير إلى ما قبل القرن الثالث قبل الميلاد٠

ب- جزم النبوات بأن بابل لن تعمر إلى الأبد ، وها قد مرَّ عشرات القرون ، وتقـــف النـــبوات ضد تعمير بابل كالجبل الشامخ تعظ غير المؤمنين وتناديهم أن يصـــدقوا الكـــتـــاب وكـــل حـــرف فيه ويأتوا إلى رب الكتاب حتى ينالوا النهاية الصالحة٠

الفصل التاسع : مدارس النقد وإنكار التقليد

التقلـيد كـان له دوره الهام والخطير في كتابة الأسفار المقدَّسة ووصولها إلينا ، ومازال دوره مستمراً في شرح الإيمان المسيحي ، وفي مواجهة الهراطقة ، وفي هذا الفصل نكتفي بالحديث عن علاقة التقليد بالكتاب المقدَّس من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية :

س٥٠ : ما هو مفهوم التقليد ؟ وما هي أهميته ؟

س٥١ : ما هو دور التقليد في وصول الكتاب المقدَّس إلينا ؟ وما هي المراحل التي مرَّت بها الأسفار المقدَّسة حتى وصلت إلينا بهذه الصورة؟

س٥٢ : هـل يمكن فصل الكتاب المقدَّس عن التقليد الكنسي ؟ أو بمعنى آخر هل الكتاب المقدَّس وحده يكفي ؟

س٥٣ : متى بدأت محاولة فصل الكتاب المقدَّس عن التقليد ؟

س٥٠ : ما هو مفهوم التقليد ؟ وما هي أهميته ؟

ج : لـيس المقصـود بالتقلـيد المحاكـاة Imtation إنمـا المقصود به التسليم Tradition وهـي تـرجمة للكلمـة اليونانـية بارادوسـيس " Paradosis " وتعنـي الأمور المسلَّمة من يد إلى يد from hand to hand ، فهي تحمل معنى العطـاء أو التسليم في اليد ، وعندما نقول تسلم فلان " مقاليد وظيفته " فنحن نعني أن هـناك شخصـاً آخـر سـلَّمه مهام وظيفته ، وأوضح له طبيعتها وحدودها وسلطاتها ، وقد ترجم البروتستانت كلمة التقليد إلى تعليم Teaching كما جاء في ١كو ١١ : ٢ ، ٢ تس ٣ : ٦ • والتقليد نوعان الأول تقليد رسولي وهو ما تسلَّمته الكنيسـة مـن الآباء الرسل ، والثاني تقليد كنسي وهو ما تسلَّمته الكنيسة من آباء القـرون الأولى وكان سائداً ومستقراً في الكنيسة الجامعة ، وقد يكون التقليد نظري تفسـيري يخـتص بشـرح الإيمان المسيحي ، وقد يكون سرائري عملي يختص

بالأســرار والطقــوس ، وشروط التقليد الصحيح أن لا يتعارض مع روح الكتاب المقدّس ، وأن يوافق تعاليم الكنيسة المقدّسة الجامعة الرسولية .

والقديــس ايريناؤس في القرن الثاني الميلادي كان يرى التقليد مثل نسمة الحيــاة التــي أودعهــا الله في آدم الإنسان الأول ، فيقول الأب جورج فلورفسكي " وكــان التقلــيد في مفهومــه { وديعة حيّة } أُعطيت للكنيسة لتكون نسمة جديدة للحياة ، مثل نسمة الحياة التي أُسبغت على الإنسان الأول (٣ : ٢٤) " [١] كما رأى القديــس ايريــناؤس أن الأكليروس هم حرّاس التقليد فيقول " والأساقفة أو القسوس كــانوا حرّاساً مفوّضين في الكنيسة وخداماً للحقيقة التي أُودعت فيها ، ومَن عندهم التصــرف اللائــق الــذي لا عيب فيه ، ولمن ينطقون بكلام طاهر لا غش فيه ، فهــؤلاء يحفظــون أيضــاً إيماننا هذا بالإله الواحد الذي خلق كل شئ ، ويكثرون محبتــنا لإبــن الله الذي أتمّ تدبيراً عظيماً كهذا من أجلنا ، ويفسرون لنا الكتاب من دون خطر ولا يجدّفون علــى الله ولا يزدرون البطاركــة ولا يحتقرون الأنبياء " (٤ ، ٢٦ ، ٥) [٢] .

والتقلــيد أقدم من الكتاب المقدّس ، ففي العهد القديم عرف الإنسان أموراً عديــدة خاصــة بعلاقته مع الله قبل أن تكون هناك شريعة مكتوبة ، فعرف طقس الذبــيحة والمذبح منذ أن ألبس الله قميص الجلد لآدم (تك ٣ : ٢١) وقدم هابيل من أبكــار غنمه وثمانها (تك ٤ : ٤) وقدم نوح من البهائم الطاهرة والطيور الطاهرة (تك ٨ : ٢٠) وأصعد أيوب الذبائح عن أولاده (أي ١ : ٥) وكذلك الآباء البطاركة إبراهــيم وإســحق ويعقوب . كما عرف الإنسان الكهنوت متمثلاً في ملكي صادق (تــك ١٤ : ٢٠) وتدشــين بيت الله (تك ٢٨ : ١٦ – ٢٢) ووصية الطهارة وعدم الزنا (تك ٣٩ : ٩) وتقديس يوم السبت (خر ١٦ : ٢٩) .

---

(١) الكتاب المقدّس والكنيسة والتقليد ص ١٠٠
(٢) المرجع السابق ص ١٠٠

وفـــي العهد الجديد لم يأت السيد المسيح بكتاب مكتوب ، ولم يأمر تلاميذه بكـتابة الإنجـيل ، إنمـا كان منهجه الأساسي هو التلمذة والتعليم ، وهكذا أوصى تلامـيذه " *إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم ٠٠ وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصـيتكم بـه* " (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) وبينما لم يكن هناك إنجيلاً مكتوباً أوصى الرب يسوع تلاميذه قائلاً " *إذهبوا وإكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها* " (مر ١٦ : ١٥) فهو يقصد بلاشك الإنجيل الشفاهي الذي كان تقليداً حينذاك٠

والتقلـيد لا يقـل فـي أهميته عن الإنجيل المكتوب ، ولذلك يقول القديس باسـيليوس الكبير " إن الإعتقادات والكرازات المحفوظة في الكنيسة ، منها ما هو مـأخوذ مـن التعليم المكتوب ، ومنها ما هو قد تسلمناه مفصلاً من تقليد الرسل ، وكلا الأمرين له قوة في العبادة " (١)٠

وقـد أشار الكتاب المقدّس مراراً وتكراراً للتقليد الذي تنكر له كل أرباب النقد ، ومن هذه الإشارات ما يلي :

أ - " *شـكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكن أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها* " (رو ٦ : ١٧)٠

ب-" *فأمدحكم أيها الأخوة على أنكم تذكرونني في كل شئ وتحفظون التعاليم كمـا سلّمتها إليكم* " (اكو ١١ : ٢) فواضح أن التقليدات (التعاليم) شئ يُسلم يداً ليد٠

ج-" *وأما الأمور الباقية فعندما أجي أرتبها* " (اكو ١١ : ٣٤)٠

د - " *ومـا تعلمتمـوه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فيَّ فهذا إفعلوا* " (في ٤ : ٩)٠

هـ - " *ثـم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخٍ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذي أخذه منا* " (٢تس ٣ : ٦)٠

---

(١) أورده القس بولا عطية في كتابه رؤية أرثوذكسية نحو الكنيسة ص ١٦٣

و - " ياتيموثاوس إحفظ الوديعة مُعرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلــم الكاذب الإسم • الذي إذا تظاهر به قوم زاغوا من جهة الإيمان " (١تي ٦ : ٢٠ ، ٢١)•

ز - " ومــا سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً " (٢تي ٢ : ٢)•

ح- " وأما أنت فقد إتبعت تعليمي " (٢تي ٣ : ١٠)•

ط - " وأما أنت فأثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفاً ممن تعلمت " (٢تي ٣ : ١٤)•

ى - " إذ كان لي كثير لأكتب إليكم لم أرد أن يكون بورق وحبر لأني أرجو أن آتي إليكم وأتكلّم فماً لفم لكي يكون فرحنا كاملاً " (٢يو ١٢)•

ك - " وكان لي كثير لأكتبه لكنني لست أريد أن أكتب بحبر وقلم • ولكنني أرجو أن أراك عن قريب فنتكلم فماً لفم " (٣يو ١٣ ، ١٤)•

وروح الله القــدوس الذي أودع التقليد في الكنيسة هو الذي حفظ هذا التقليد مــن جيل إلى جيل ، ويقول خومياكوف " لا الأفراد ولا مجموعاتهم ضمن الكنيسة حفظــوا التقلــيد أو كتبوا أسفار الكتاب المقدَّس ، بل روح الله الذي يحيا في جسد الكنيسة كله " (روسيا والكنيسة الروسية ص ١٩٨) (١) وقد وصلت البشارة شفاهة لشعوب عديدة ، فيتحدث القديس ايريناؤس عن البرابرة الذين آمنوا مع إن الإنجيل لــم يُــترجم إلى لغتهم فيقول " إلى أي شئ يلتجئ كثير من البرابرة الذين يؤمنون بالسيد المسيح ، وقد كُتب الخلاص (الإيمان) في قلوبهم بالروح وليس على ورق بحبر ، حافظين التقليد القديم بكل حرص " (٢) .

ويلعــب التقلــيد دوراً هاماً جداً في تفسير الكتاب المقدَّس تفسيراً صحيحاً بروح الآباء ، مما يحفظ للكنيسة وحدانيتها ، كما قال القديس أغسطينوس " أنا أقبل

---

(١) أورده الأب جورج فلورفسكي في كتابه الكتاب المقدَّس والكنيسة والتقليد ص ٥٧

(٢) أورده القس بولا عطية في كتابه رؤية أرثوذكسية نحو الكنيسة ص ١٦٢

الكـتاب المقـدَّس مُسلَّماً من الكنيسة مشروحاً بالآباء معاشاً في القديسين " لأنه لو تـرك كل شخص يفسر الكتاب حسب هواه لتعددت الآراء وتضاربت بمقدار تعدد المفسـرين . بـل إن تفسير الكتاب منفصلاً عن التقليد هو الذي أفرز الهراطقة ، فالهـراطقة هم الذين إعتمدوا في تفسيرهم للكتاب على العقل البشري المنفرد بعيداً عـن روح الكنيسـة وفهـم الكنيسـة وإيمـان الكنيسة ، ولذلك لا توافق كنيستنا الأرثوذكسـية علـى أن كل إنسان يفسر الكتاب بحسب هواه ، وليس بحسب روح الآبـاء ، وحسـناً قـال أوريجـانوس إن التقليد هو مفتاح الكتاب المقدَّس " التلميذ الحقيقـي ليسـوع هـو ذاك الذي يدخل المنزل أي يدخل الكنيسة ، فإن من يدخل الكنيسة يفكر ذات فكر الكنيسة ويحيا كحياتها ، بهذا يتفهم الكلمة أنه ينبغي أن نتقبل مفـتاح الكـتاب المقـدس من التقليد الكنسي كما من الرب نفسه " [١] ويقيم القديس أثناسيوس الحجة على خطأ تفسيرات الهراطقة لأنهم بلا آباء وبلا تقليد فيقول " لقد أقمـنا الـبرهـان علـى إن هذه القاعدة فد سُلِّمت من آباء إلى آباء ، يـداً بيد ، فأنـتم (أيهـا الأريوسيون) بأي مؤلف تقدرون أن تستشهدوا لتعليمكم " [٢] وقال القديـس باسـيليوس الكبير إن حذف التقليد يشوه الكرازة بالإنجيل " إذا حاولنا أن نحذف العوائد غير المكتوبة (التقليدات) لأنها ليست بذات أهمية لا ننتبه بأننا نسئ إلى البشارة في أهم أركانها ونجعل الكرازة الإنجيلية أسماء لغير مسيحي " [٣].

س٥١ : مـا هو الدور الذي قام به التقليد في وصول الكتاب المقدَّس ؟ وما هي المراحل التي مرَّت بها الأسفار المقدَّسة حتى وصلت إلينا بهذه الصورة ؟

ج : أنكـرت مـدارس النقد والتشكيك دور التقليد في وصول الكتاب المقدَّس إلينا بصـورته الحالية ، كما شكَّكت في بعض أجزاء من الأسفار المقدَّسة مدَّعية أنها لا

(١) أورده القس بولا عطية في كتابه التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة جـ٢ ص ٤٢
(٢) أورده القس بولا عطية في كتابه التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة جـ ٢ ص ٦٤
(٣) المرجع السابق ص ٦٥

تطـــابق النص الأصلي ، والحقيقة أن الكتاب المقدَّس كما هو بين أيدينا قد مرَّ بعدة مراحل وهي :

١- مرحلة تدوين الأسفار المقدَّسة بيد الأنبياء القديسين.

٢- مـــرحلة جمع الأسفار وترتيبها ، وأول من قام بهذا العمل الجليل صموئيل النبـــي الذي كرس حياته للخدمة الدينية " *وقضى صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته* " (١صم ٧ : ١٥) فقام بترتيب التوراة والأسفار التاريخية.

٣- مرحلة جمع الأسفار النبوية والشعرية وقام بها عزرا الكاتب بعد العودة من السبي.

٤- مرحلة الترجمة السبعينية حيث تم جمع وترتيب وترجمة أسفار العهد القديم من العبرية لليونانية.

٥- قـــام الكتـــبة مـــنذ العودة من السبي إلى مجئ السيد المسيح بعمل جليل إذ تخصَّصـــوا فـــي دراسة وتفسير ونسخ هذه الأسفار المقدَّسة ، وقاموا أيضاً بتقسيم الناموس إلى ٥٤ فصلاً بحيث يقرأ فصل كل سبت ، فيقرأ الناموس كله خلال العام الواحد ، وأيضاً قسَّموا الأسفار النبوية ولكن بدون إلتزام بعدد سبوت السنة.

ولا ننســـى أن الحاخـــام " يهوذا " قام بجمع تقاليد اليهود في شرح التوراة وجمعهـــا فـــي " المشـــناه " التي تعتبر الجزء الأول من التلمـــود ، وتبعه حاخاموا طـــبريـــة الذين جمعـــوا التعاليـــم والتفاسير والتعليقات على المشناه في " الجمارا " وهـــو يمـــثل الجزء الثاني من التلمود ، فالتلمود يتكون من التوراة + شرح للتوراة (مشـــناه) + تعليق على الشرح (جمارا) + إضافات لاحقة (توسيفته) وتمثل المشناه مجموعة التقاليد الشفاهية التي إعتقد اليهود أن موسى النبي تسلمها رأساً من الله في فـــترة الأربعيـــن يومـــاً التي قضاها على الجبل ، ثم سلمها لتلميذه يشوع بن نون ، وظلـــت تـــتوارث من السلف للخلف حتى وصلت إلى الحاخام " يهوذا هناسي " في القـــرن الثانـــي الميلادي الذي إهتـــم بتدوينها ، وبذلك صار هناك التوراة المكتوبة

(تــوراة شــبيكتاب Torah Shebiktab) والــتوراة الشــفاهية (توراة شبيل بيه Torah Shebl Peh) وحــوت المشــناه ست مجلدات ، وكل مجلد مقسَّم إلى عدة فصــول ، فالمجلد الأول " سيدير زراعيم " أي كتاب الزراعة ، ويتحدث عن كل ما يخــتص بالــزراعــة وكيفــية جمع المحصول والمساحات التي تترك عند الحصاد للفقــراء ، ويضــم إحدى عشر فصلاً ٠ والمجلد الثاني " سيدير مواعيد " أي كتاب الأعــياد ويشمل واجبات اليهودي في السبت والأعياد والأصوام ، ويضم إثنى عشر فصــلاً ٠ والمجلــد الثالــث " ســيدير ناشيم " ويشمل الحديث عن النساء والزواج والطــلاق وبــه سبعة فصول ٠ والمجلد الرابع " نزيكين " ويشمل القوانين المدنية والجزائــية والمســئوليات وتشــكيــل المحــاكــم ويضــم ستة فصول ٠ والمجلد الخامس " قدوشيم " ويضم إحدى عشر فصلاً ، والمجلد السادس " طهاروت " ويضم إثنى عشر فصلاً٠

أمــا الجمــارا فهي تشمل التعليقات والشروحات على المشناه ، وبعد دمار الهــيكل سنة ٧٠م لم يعد هناك جدوى من مناقشة الأمور الخاصة بالهيكل ، وهناك نوعان من الجمارا الأولى جمارا أورشليم التي كتبها الرابي " جوناثان " Jonathan وإنتهى منها سنة ٢٣٠م ، وكان قد أمضى ثمانين عاماً حاخاماً في القدس ، وشاركه فــي الكــتابــة آخــرون ، وشملت جمارا أورشليم ٣٩ فصلاً من الشروحات على المشناه ٠ أما الثانية فهــي جمــارا بابــل وقد جمعها عدة أشخاص بدءاً من الرابي " آشــي " Ashe سنة ٣٢٧م حيث عمل فيها لمدة ستين سنة ، وفي سنة ٤٢٧م تابع العمــل الرابي ماريمار Maremar ثم الرابي أبينا Abina حيث أتم عملية التجميع بشــكلها النهائــي ســنة ٥٠٠ م ، وضمت جمارا بابل ٣٦ فصلاً ، وهي أشمل من جمــارا أورشليم ، وكان للتوراة معلمين يترجمون من العبرية إلى الآرامية يدعون بالأمورانــيم ، وللــتلمود معلميــن يدعــون بالتنائيم (راجع التلمود – لراهب بدير البراموس)٠

٦- فـــي القرن التاسع الميلادي قام علمـــاء طبرية ولأول مرة بتشكيل النص العـــبري ، وإضافة تفسيرات في الحاشية دُعيت بـــ " الماسورة " ولذلك دُعيت تلك النسخة بالنسخة الماسورية .

٧- قـــام " أمونـــوس " أحد علماء الأسكندرية سنة ٢٢٠م بتقسيم الأناجيل إلى أقسام إسوة بما هو متبع في العهد القديم ، ثم تم تقسيم بقية أسفار العهد الجديد بنفس الطـــريقة ، وفي سنة ١٢٢٨م قام " ستيفن لانجتون " رئيس أساقفة كنتربري بتقسيم الكـــتاب المقدَّس بعهديه إلى إصحاحات ، وفي منتصف القـــرن السادس عشـــر قام " روبـــرت استفانس " بتقسيم طبعـــة الفولجاتا (وهي الترجمة اللاتينية التي قام بها القديـــس إيرنـــيموس ســـنة ٣٩٠ - ٤٠٥ م نقـــلاً عن العبرية واليونانية ، ودعيت بالفولجاتـــا أي الشـــعبية) إلـــى إصحاحات وآيات ، ونُشرت سنة ١٥٥٥م فسهلت الدراسة في الكتاب والرجوع السريع للآيات المطلوبة .

ولا يمكـــن تجـــاهل دور جمعـــية التوراة البريطانية الأمريكية في متابعتها للـــترجمات المختلفة ، ومطابقتها مع النصوص القديمة ، وإستخدام الإصطلاحات اللغوية التي تناسب العصر دون الإخلال بالمعنى المراد ، وقامت هذه الجمعية منذ نشأتها سنة ١٨٠٤م وحتى سنة ١٩٧٠م بتوزيع خمسمائة مليون نسخة من الكتاب المقدَّس .

ومـــن هنا لا يصح إنكار دور التقليد في نقل النصوص المقدَّسة لنا بأمانة علمية كاملة ، ولا يصح التشكيك فيما بين أيدينا من النصوص المقدَّسة .

س٥٢ : هل يمكن فصل الكتاب المقدَّس عن التقليد الكنسي ؟ أو بمعنى آخر هل الكتاب المقدَّس وحده يكفي ؟

ج : لا يمكـــن فصـــل الكـــتاب المقدَّس عن التقليد ، لأن الكتاب المقدَّس كان في الأصـــل تقليداً شفهياً ثم كُتب ، أي إن التقليد أقدم من الكتاب المقدَّس ، والكتاب وُلِد مـــن خـــلال التقليد إذ تحول التقليد الشفاهي إلى نص مكتوب ، ولذلك نستطيع أن

نقول إن الكتاب المقدّس قد أُعطي لنا من خلال التقليد ، ومجال عمله في الكنيسة ، فـيقول الأب جورج فلورفسكي " ففي الكنيسة وحدها يحيا الكتاب المقدّس ، ويُعلن مـن دون أن يُجـزأ ويصير نصوصاً متفرقة وأمثالاً ، أي إن الكتاب أُعطي في التقليد " [1].

ونستطيع أن نقـول أن الكنيسـة في نشأتها أُسّست على التقليد ، فيقول القديس أثناسيوس الرسولي " لننظرن إلى تقليد الكنيسة الجامعة وتعليمها وإيمانها ، الذي أعطاه الرب وبشر به الرسل وحفظه الآباء ، لأن الكنيسة أُسّست عليه " (إلى سرابيون ١ ، ٢٨) [2].

حقـاً إن الكـتاب المقدّس وُلِدَ في الكنيسة ، وأخذ شرعيته منها ، فالكنيسة سـواء فـي العهد القديم أو الجديد هي التي إستقبلت كلماته ، وسجلتها بيد أعضاء مقدسـين مـنها وهـم الأنبـياء والرسل ورجال الله ، وهي التي أسبغت على هذه الأسـفار المقدّسة قانونيتها ، كما إن ما كُتب من كلمة الله لا يشمل كل شئ ، فيقول الأب جـورج فلورفسـكي عـن النصوص المقدّسة " فمن الواضح أنه (الكتاب المقـدس) فـي مجملـه مـن خلق الجماعة ، في التدبير والتقديم (العهد القديم) والكنيسـة (العهـد الجديـد) على حد سواء ، فهو لا يشتمل على كل النصوص التاريخـية والتشـريعية والتعـبدية الموجودة ، بل على نخبة منها ٠ وهذه النخبة أصبحت ذات سلطان من خلال إستعمالها – وعلى الأخص في الليتورجيات – في وسـط الجماعـة ومن خلال القيمة التي أعطتها لها الكنيسة ٠ لقد كان هناك هدف واحد (لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح) يحدد هذه النخبة " ويعيّنها *{ وآيات أُخر كثيرة صـنع يسوع قُدّام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب ٠ وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسـوع هو المسيح إبن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمة }* (يو ٢٠ : ٣٠ ، ٣١) ينطـبق هـذا الهدف على الكتاب كله ٠ فما حصل هو أن بعضاً من الكتابات

(١) الكتاب المقدّس والكنيسة والتقليد ص ٥٨
(٢) المرجع السابق ص ١٠٥

أختـــير وجُمـــع وسلّم بعد ذلك إلى المؤمنين ليكون نسخة من الرسالة الإلهية يجدر إعتمادها • إن الرسالة الإلهية آتية من الله ، بل إنها كلمته ، لكن الجماعة المؤمنة هـــي التـــي ســـلّمت بصحة الكلمة التي قيلت وهي التي شهدت لحقيقتها •• ولأن الكـــتاب أُلّف ضمن الجماعة بهدف بنيانها ، فلا نقدر أن نفصل الكنيسة عن الكتاب المقـــدّس ، فالكتاب والعهد متصلان إتصالاً وثيقاً ، والعهد يفترض وجود شعب ، ولذلك أُئتمن الشعب على كلمة الله *{ فلأنهم إستؤمنوا على أقوال الله }* (رو ٣ : ٢) في التدبير (العهد) القديم • أما في التدبير (العهد) الجديد فائتمنت كنيسة الكلمة المتجسد على رسالة الملكوت • فالكتاب هو حقاً كلمة الله ، لكنه يستند على شهادة الكنيسة التي وضعت قانون الكتاب وثبتته " [١].

كمـــا قـــال الأب جـــورج فلورفسكي أيضاً " لا نقدر أن نقول أن الكتاب المقـــدّس يتمتع بإكتفاء ذاتي ، لا لأنه ناقص أو غير تام أو غير دقيق ، بل لأنه في جوهـــره لا يدّعـــي أنه هكذا • لكن نُقدّر أن الكتاب نظام أوحى به الله •• عندما نعلن أن الكتاب مكتف بذاته نجعله عرضة لتفاسير غير موضوعية وكيفية ونفصله عـــن مصـــدره المقدّس • فقد أعطيناه في التقليد ، وهو (التقليد) مركزه الحيوي والمتـــبلور •• فـــي أيـــام المســـيحيين الأوائل لم تكن الأناجيل المصدر الأوحد للمعـــرفة ، لأنهـــا كانـــت غيـــر مدوّنة بعـــد • لكن الكنيســـة عاشت وفق روح الإنجيل " [٢].

وكمـــا كان للتقليد دوره الهام والخطير في إستقبال كلمة الله ، وتسجيلها ، وتقريـــر قانونيتها ، فإن أهمية التقليد مازالت مستمرة للآن وذلك في شرح وتفسير الكـــتاب المقـــدّس ، فلـــو تركنا المجال مفتوحاً لكل إنسان يفسر بحسبما يشأ ، فإنه بلاشـــك ستتضارب هذه التفسيرات وتختلف وتتباين ، ولذلك فإن الكنيسة هي التي

---

(١) الكتاب المقدّس والكنيسة والتقليد ص ٢٠ ، ٢١
(٢) المرجع السابق ص ٥٨ ، ٥٩

تفسر الكتاب بحسبما تسلمته من الآباء الرسل ، وبحسبما عاشته على مدار القرون الماضية ، وبحسبما فهمته بالروح القدس الكائن والعامل فيها ويؤكد القديس ايريناؤس إن الآباء الرسل هم الذين حملوا ملء الحقيقة وأودعوها في الكنيسة فيقول " فكل ما يتصل بالحقيقة أُودع في أيديهم (الآباء الرسل) بأكثر وفرة " (ضد الهراطقة) [1] فالكنيسة هي المستودع الحقيقي الأوحد للتعليم الرسولي ، ولذلك فهي ترفض أي تفسير لكلمة الله يتعارض مع إيمان وعقيدة وتقاليد الكنيسة ، ولذلك يقول القديس كيرلس الأورشليمي " تعلَّم من الكنيسة بإجتهاد ما هي أسفار العهد القديم ؟ وما هي أسفار العهد الجديد " [2] و " الأرثوذكس يدركون إننا لا نستطيع أن نفهم الكتاب المقدَّس بطريقة كاملة وحقيقية إلاَّ إذا فهمناه من خلال الكنيسة التي كتبته وقررت قانونية تلك الأسفار . إذاً الكتاب المقدَّس هو كتاب الكنيسة " (مقال عن الكتاب المقدَّس والتقليد – إصدار أكاديمية أثناسيوس بكاليفورنيا) [3].

وبينما تفسر الكنيسة الإنجيل فليس معنى هذا إنها فوق الإنجيل ، فيقول الأب جورج فلورفسكي " فالكنيسة كان عندها السلطان لنشر الإنجيل وتفسيره ، لكن هذا لا يدل على إن الكنيسة كانت " فوق " الكتاب ، فهي كانت تقف بجانبه مؤيدة إياه من دون أن تتقيد بحرفه ، فالهدف الأول للتفسير كان في إظهار معنى الكتاب المقدَّس وغايته " [4].

أما الهراطقة فقد إعتمدوا على الكتاب المقدَّس أو بعض آياته فقط وقد طرحوا التقليد الكنسي وروح الآباء عنهم ، معتمدين على فهمهم البشري ، فسقطوا في الهرطقة.

---

(١) الكتاب المقدَّس والكنيسة والتقليد ص ١١٤
(٢) أورده القس بولا عطية – التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة جـ ٢ ص ١٠
(٣) هل الكتاب المقدَّس وحده يكفي ؟ ترجمة أسرة القديس ديديموس بكنيسة مارجرجس اسبورتنج ص ١٥
(٤) الكتاب المقدَّس والكنيسة والتقليد ص ١٠٦

ويقــول العلامة أوريجانوس " فالذين يقدمون كلام الله من دون أن يقرنوه بقصـــد الكتاب وبحقيقة الإيمان يزرعون قمحاً ويحصدون شوكاً " [١] وقال ج٠ ل٠ برســ تيج G. L. Prestige " إن صـــوت الكـــتاب يُسمع بوضوح إذا ما فُسرّت نصوصـــه بـــرؤية واسعة وبطريقة منطقية وبإتفاق مع الإيمان الرسولي ومع دليل الممارســـة التاريخـــية للمسيحية ، فالهراطقة هم الذين عوّلوا على نصوص منعزلة والمسيحيون الأصليون تنبّهوا أكثر إلى المبادئ الكتابية " [٢] ٠

وبســـبب إرتباط الكتاب المقدّس والكنيسة كلاهما معاً رأى العلامة ترتليان فـــي بحثه الشهير "معارضة الهراطقة " De praescriptione haereticorum إنــــه ليس من حق الهراطقة الإعتماد على آيات الكتاب المقدس ، لأن الكتاب ملك الكنيســـة بينما هم فصلوا أنفسهم عن الكنيسة المقدسة ، ولذلك فإن إحتكام الهراطقة لآيات الكتاب إحتكام غير شرعي ، كما ربط ترتليان بين الإيمان المسيحي والكتاب والتقلـــيد فقـــال " حينما يتضح التعليم المسيحي الحق والإيمان المسيحي القويم نجد الكـــتاب المقدّس الحقيقي والتفسير القويم والتقليد المسيحي الحقيقي " [٣] وقال الأب جـــورج فلورفســـكي " فالكـــتاب ينتمي إلى الكنيسة ولذلك يُفهم بشكل وافٍ ويفسَّر بشـــكل صحيح فيها وضمن جماعة الإيمان القويم فقط ٠ أما الهراطقة ، أي الذين خـــارج ، فلـــم يملكـــوا مفـــتاح فكر الكتاب " [٤] ويؤكد على نفس المعنى القديس ايريـــناؤس " إن مركـــيون وفاسيليدس وهراطقة آخرين ٠٠ لا يملكون إنجيل الله ، لأنهـــم لا يملكـــون الروح القدس ، الذي من دونه يصبح الإنجيل المبشَّر به إنسانياً ٠٠ " (فـــي تفســـير غلاطـــية ١ ، ١ ، ٢) " [٥] وعندما هاجم القديس ايريناؤس إســـتخدام الهـــراطقة لآيات الكتاب بصورة خاطئة أعطى تشبيهاً رائعاً فقال " صنع

---

(١) الكتاب المقدّس والكنيسة والتقليد ص ١١٤
(٢) المرجع السابق ص ١٠١
(٣) المرجع السابق ص ٩٧
(٤) المرجع السابق ص ٩٦
(٥) المرجع السابق ص ١١٥

فنَّان موهوب صورة جميلة لأحد الملوك من الجواهر الثمينة ، لكن شخصاً آخر فك هـذه الحجارة وأعاد ترتيبها بأسلوب آخر ليقدم صورة كلب أو ثعلب ٠ ثم زعم إن هـذه الصـورة هـي الصورة الأصلية التي صنعها الفنَّان الأول ، وتعلَّل قائلاً إن الحجـارة (أو الفسيفساء psiphides) أصلية والحق إن التصميم الأول قد تهدم و { ضـاع نمـوذج الإنسـان الموضوع } هذا بالضبط ما يفعلـه الهراطقة بالكتاب المقـدَّس ٠ فهـم يتجاهلون ويمزقون { الترابط والترتيب } الموجودين في الكتاب المقـدَّس { ويقطعون أوصال الحقيقة } إن كلماتهم وتعابيرهم وأمثالهم أصلية ، لكن قياسـهم { أو تصـميمهم Hypothesis) كيفيّ وخاطئ " (ضـد الهراطقة ١ ، ١١٨) " [١] كمـا أورد تشبيهاً آخر إذ قال " كانت مختارات من شعر هوميروس مـتداولة فـي تلك الأيام ، لكنها إستخدمت جزافاً وبعيداً عن سياقها وأعيد ترتيبها بشكل كيفي ، فكانت الأبيات كلها هوميروسية ، ولكن القصة الجديدة التي إخترعها الـناس بسبب إعادة ترتيب الأبيات لم تعد هوميروسية أبداً ، وكذلك ينخدع الإنسان بسـهولة هذا الأسلوب الذي يبدو هوميروسياً " (ضد الهراطقة ١ ، ٩ ، ٤) " [٢] ويـرى القديـس باسيليوس الكبير إن هجوم الهراطقة على التقليد الهدف منه هدم الإيمـان فـيقول " الإيمـان هـو موضوع الهجوم فإن الهدف الوحيد لكل جماعة المقاوميـن أعداء التعليم السامي ٠٠ هو تحطيم أساس إيمان المسيح بهدمهم التقليد الكنسـي حـتى النهاية وإزالته كلية ٠٠ يطلبون البرهان الكتابي محتقرين تقليدات الآباء غير المكتوبة كأنه أمر ليس بذي قيمة " [٣].

وكـان القديـس بابـياس فـي القرن الثاني الميلادي مثله مثل بقية الآباء العظمـاء يفهمـون ويفسرون الكتاب بحسب فهم الآباء الرسل ، فيقول " ولكنني لا أتـردد أيضاً أن أضع أمامكم في تفسيري كل ما تعلمته بحرص ، ضامناً صحته ، لأنني لم ألتذ – كالكثيرين – بمن يتكلمون كثيراً ، بل بمن يعلمون الحق لم ألتذ بمن

---

(١) الكتاب المقدَّس والكنيسة والتقليد ص ٩٨
(٢) المرجع السابق ص ٩٨
(٣) أورده القس بولا عطية في كتابه التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة جـ ١ ص ٤٢

يقدمــون وصــايا غريبة ، بل بمن يقدمون وصايا الرب للإيمان الصادر عن الحق نفسه .

وكلمــا آتــى أحــد ممــن كان يتبع المشايخ سألته عن أقوالهم ، عما قاله اندراوس أو بطرس ، عما قاله فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى ، أو أي واحــد آخر من تلاميذ الرب ، لأنني لا أعتقد أن ما تحصل عليه من الكتب يفيدني بقدر ما يصل إليَّ من الصوت الحي الذائم " [١].

وقــال القديــس إيلاريون " الكتاب ليس في قراءته ، بل في فهمه " (إلى كونســتانس ٢ ، ٩ مجموعــة الآباء اللاتين مين ١٠ ، ٥٧٠) [٢] فالإلتزام بروح الكنيســة وإيمانهــا وعقــيدتها فــي فهم وتفسير الكتاب يصل بنا إلى الفكر الواحد والروح الواحد ، وهكذا قبِل أغسطينوس الإنجيل من الكنيسة الجامعة فيقول " لو لم يحركنـــي سلطــان الكنيسة الجامعــة لما آمنتُ بالإنجيل " (ضد الرسائل المانية ١ ، ١) [٣] .

والأب جــون وايتفورد الذي كان خادماً بروتستانتياً ثم قام بدراسات عميقة أدت إلــى إنضــمامه إلــى الكنيســة الأرثوذكســية وصار كاهناً في كنيسة الروم الأرثوذكس يقول " في دراستنا للكتاب المقدَّس ليس على الشخص أن يبتكر ، ولكن علــيه أن يفهم ما هو موجود في تقليد الكنيسة ، وليس علينا أن نتعدى الحدود التي حدَّدهــا آبــاء الكنيسة ، ولكن علينا أن نُسلِّم بأمانة التقليدات التي تسلمناها ، ولكي نفعل هذا نحتاج إلى دراسة وتفكير كثير ، ولكن بالأكثر لكي نفهم الأسفار بالحقيقة يجــب أن ندخــل بعمــق إلــى الحياة السرائرية الكنسية . لذلك ففي كلام القديس أغســطينوس عن كيفية تفسير الأسفار (في العقيدة المسيحية كتاب ١ ـ ٤) يتكلم عن نوعية الشخص الذي يستطيع تفسير الأسفار ..

---

(١) يوسابيوس القيصري ــ تاريخ الكنيسة ك ٣ : ف ٣٩ : ٣ ، ٤ ــ ترجمة القس مرقس داود ــ دار الكرنك طبعة ١٩٦٠ ص ١٥٩

(٢) الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد ص ٩٥

(٣) المرجع السابق ص ٩٣

١- شخص يحب الله بكل قلبه ، وخال من الكبرياء.

٢- يــريد معرفة إرادة الله من خلال الإيمان وإلهامه ، وليس من خلال الكبرياء أو الطمع.

٣- قلــبه خاضــع بالــتقوى ، وفكره نقي ومائت عن العالم ، ولا يخشى أو يحابي الإنسان.

٤- لا يبحث عن شئ إلاً عن معرفة المسيح والإتحاد به.

٥- جائع وعطشان للبر.

٦- مجتهد في أعمال المحبة والرحمة.

وإذا نظــرنا لهــذا المســتوى الروحاني الرفيع ، فيجب أن ننصت بأكثر خضوع لإرشاد الآباء القديسين ، الذين عاشوا هذه الفضائل ، ولا نوهم أنفسنا بأننا أكفاء أو أقدر منهم في تفسير كلام الله ..

يخطــئ الدارســون البروتســتانت حيــن يحاولون تخطي حدود ما تقوله الأسفار المقدَّسة ، وإضافة معان جديدة عليها للدرجة التي فيها تتعارض مع التقليد الكنســي .. هــل الحصول على درجة الدكتوراه يعطي بصيرة للأسرار أكثر من الحكمــة الكاملــة التي لملايين المؤمنين والآباء وأمهات الكنيسة ، الذين خدموا الله بأمانــة وكابدوا التعذيب والتعيير والحبس لأجل الإيمان ؟ هل تُختبَر المسيحية في جلسة مريحة على المكتب ، أم أثناء حمل الصليب للموت عليه ؟!

فالكبرياء هو في هؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم أكثر فهما وأنهم الآن فقط قد فهمــوا المعنى الحقيقي للأسفار المقدَّسة ، وكل ذلك دون أن يحاولوا أن يفهموا ما هي حقيقة التقليد المقدَّس " (١).

وكان على الكنيسة أن تسلم التقليد بأمانة كاملة من جيل إلى جيل ، ولذلك يقــول القديس أثناسيوس الرسولي " إنني سلَّمتُ التقليد وفق الإيمان الرسولي الذي

---

(١) الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد ص ٨٣ - ٨٥

تسلّمته من الآباء ، من غير أن أبتدع شيئاً من الخارج . تسلمته مثلما تعلّمته من الكتب المقدسة " (إلى سرابيون ١ ، ٣٣) [١] وأوضح القديس أثناسيوس أنه كان على آباء الكنيسة تقديم التفسير الصحيح لما فسره الهراطقة خطأ فيقول " لنصلح نحن الذين إقتنينا غاية الإيمان المعنى الصحيح لما فسروه (الأريوسيون) بشكل خاطئ " (ضد الأريوسيين ٣ ، ٢٤) " [٢].

س٥٣ : متى بدأت محاولة فصل الكتاب المقدَّس عن التقليد ؟

ج : أول محاولة لفصل الكتاب المقدَّس عن التقليد جاءت من خلال الهراطقة الذين قدموا سيلاً من آيات الكتاب المقدَّس وفسروها كما يحلو لهم بناء على رؤيتهم الخاصة دون الإلتزام برؤية وإيمان الكنيسة ، إنما فسروا هذه الآيات بما يخالف التقاليد الكنسية ، فسقطوا في الهرطقة ، بينما قدم آباء الكنيسة تفسيرات عديدة في عصور متباينة ولكنهم جميعاً إلتزموا بالفكر الكنسي الواحد المستقر في الكنيسة فأبدعوا وأخرجوا لنا جدداً وعتقاء من تأملات تشبع الروح وتغذي العقل وتشبع الفكر .

أما المحاولة الكبرى للفصل بين الكتاب المقدَّس والتقليد فقد جاءت مصاحبة للحركة البروتستانتية في القرن السادس عشر ، والسبب الرئيسي لهذه الحركة هو إنحرافات الكنيسة الكاثوليكية ، ولاسيما إن ترجمات الكتاب المقدَّس إلى لغات أوربا أوضح الفرق الشاسع بين تعاليم الكتاب وما تعيشه الكنيسة الكاثوليكية ، فكانت الثورة البروتستانتية في تحطيم كل شئ بما فيه التقليد ، حتى إنهم إعتبروا أن التقليد ضد الكتاب نفسه ، وتشوهت صورة التقليد لدى البروتستانت عبر الزمن ، وخلطوا بين التقليد الكنسي الصحيح وبين تقليدات شيوخ اليهود التي هاجمها السيد المسيح ، وأصبحت كلمة " التقليد " كلمة مشينة لديهم وغير مقبولة ومرادفة لكلمة " جسدي " أو " مائت روحياً " أو " مدمر " أو " ناموس " وظنوا أن

(١) الكتاب المقدَّس والكنيسة والتقليد ص ١٠٥
(٢) المرجع السابق ص ١٠٢

الكتاب المقدَّس خصماً للتقليد ويدينه ، ولم يدركوا أن التقليد هو الذي سلَّم لنا الكتاب .. قال العلامة أوريجانوس " بالتقليد عرفت الأناجيل الأربعة وإنها صحيحة "[1] وهارنك Harnak الأستاذ الألماني الذي أنكر الإعلان الإلهي في شخص الرب يسوع ، وتصوَّر المسيحية على إنها نتاج حضارة وثقافة معينة ، وهي بذلك تقبل الزيادة أو الحذف أو التغيير ، قال إن التقليد نظرية قديمة عالجت مشكلات الكنيسة في العصور الأولى.

ولاعجب أن نجد القس البروتستانتي يمسك الكتاب المقدَّس بيده مشوحاً به وقائلاً : هل هذا الكتاب يكفي أو لا يكفي لخلاص الإنسان ؟ وإن كان لا يكفي فكيف يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس " *وإنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدَّسة القادرة أن تُحكّمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع . كل الكتاب هو مُوحىً به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ والتأديب الذي في البر . لكي يكون إنسان الله كاملاً ومتأهبًا لكل عملٍ صالحٍ* " (٢تي ٣ : ١٥ – ١٧) وبلا شك إن بولس الرسول كان يقصد العهد القديم فقط لأنه في طفولة تيموثاوس لم تكن كُتِبت آية واحدة في العهد الجديد ، فلماذا يقبل هذا القس العهد الجديد ويرفض التقليد ؟ ولماذا لا يقول العهد القديم وكفى ؟ .. الأمر اللطيف إن بولس الرسول في ذات الإصحاح يذكر شيئاً من التقليد وهما إسمي إثنين من سحرة مصر اللذين قاوما موسى وهما " ينّيس ويمبريس " (٢ تي ٣ : ٨) .. أليس هذا حقيقة ؟! وإن كان العهد القديم ذكر نظام العبادة ، فأين نجد نظام العبادة في العهد الجديد والذي لم يدوَّن فيه ؟ ألاَّ نجده في التقليد المقدَّس ؟! .. أليست الكنيسة التي سلمتنا الكتاب المقدَّس هي التي سلمتنا التقليد ، ويقول مستر بروس Brus أحد أساتذة الدراسات النقدية بجامعة منشستر " بينَمَا يميل مسيحيو الغرب إلى إقامة الكتاب المقدَّس والتقليد الواحد ضد الآخر ، كما لو إن التقليد الشفهي فقط غير مكتوب ، فإنه ليس

---

[1] القس بولا عطية – التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة جـ ١ ص ٦٤

هـــناك مـــا يمنع أن يكون التقليد مكتوباً ، فقد أخذ التقليد الرسولي شكلاً مكتوباً في حيـــنه وصـــار كـــتاباً رسولياً • فمثلاً تعاليم القديس بولس الرسول سواء أُعطيت شـــفاهياً أو كـــتابة تحمل سلطاناً رسولياً على ذات المستوى ، فهو يشجع مسيحي تســـالونيكي قـــائلاً إثبـــتوا وتمسكوا بالتقاليد التي تسلمتموها سواء كان بالكلام أو برسالتنا " (١).

نعـــم لقد أخطأ البروتستانت عندما فصلوا الكتاب المقدَّس عن التقليد حتى إن " ديـــن إيـــنج " يقول عن عقيدة البروتستانت " وُصفت عقيدتهم بأنها رجوع إلى الإنجيل بروح القرآن "

(Very Rev. W.R. Lnge , the Platonic Tradition in English Religious Thouglt (1926) P. 27) (2)

ونستطيع أن نقـــول إن الفكـــر البروتستانتي بُني علـــى مبدأ خطير وهو " **مســـيحية بـــلا كنيسة** " وتبنـــى البروتستانـــت مبـــدأ " **الكتاب المقدَّس وحده** " Sola Scriptura ، وكانـــت نتـــيجة هذا المبدأ الخطير الهدَّام أن تعدَّدت التفاسير والمفاهيم والإنقسامات ، وبالتالي تعدَّدت الطوائف البروتستانتية ، فيقول الأب جون واتـــيفورد Fr. John Whiteford وهـــو خـــادم بروتســـتانتي سابق " إذا كانت البروتســـتانتية ومبدأها الأساسي عن Sola Scriptura هي من الله ، فلماذا تسببت فـــي أكثر من ٢٠٠٠٠ عشرين ألف طائفة مختلفة لا تستطيع أن تتفق على المبادئ الأساسية التي في الكتاب المقدَّس ، ولا حتى على معنى كلمة " مسيحي " ؟ إذا كان الكـــتـــاب المقدَّس وحـــده يكفي ولا حاجة إلى التقليد فلمـــاذا يزعم " المعمدانيون " و " شـــهود يهـــوه " و " الكاريزماتيكيين " و " الميثودست " إنهم يؤمنون بما يقوله الكـــتاب المقـــدَّس ولكـــن لا تستطيع طائفتان منهم الإتفاق على ما يقوله الكتاب المقـــدَّس ؟ فواضـــح بـــأي حال من الأحوال إن البروتستانت قد وجدوا أنفسهم في

(١) القس بولا عطية – التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة جـ ١ ص ٦٥ ، ٦٦
(٢) أورده الأب جورج فلورفسكي في كتابه الكتاب المقدَّس والكنيسة والتقليد ص ٥٩

وضع خاطئ ، وللأسف فأكثرهم يضعون اللوم على أي شئ إلاَّ أصل الموضوع ، فمبدأ Sola Scriptura أساسي جداً في فكر البروتستانتية بالنسبة لهؤلاء لدرجة إن الشك فيه قد يضاهي الشك في وجود الله.

ولكن كما يقول الرب " *كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة . وأما الشجرة الرديــــئة فتصــــنـــع أثمــــاراً رديئـــة* " (مت ٧ : ١٧) فإذا حكمنـــا على عقيدة Sola Scriptura بـــثمارها سنجد أنهـــا لابد أن تُقطع وتُلقى في النار " (مت ٧ : ١٩) "[1] .

ولا توجـــد آية واحدة في الكتاب المقدَّس تؤيد المبدأ البروتستانتي " **الكتاب المقـــدس وحــده** " بـــل بـــالعكس إن هناك آيات عديدة تشير إلى التقليـــد الكنسي وأهميـــته ، فـــيقول الأب جـــون واتيفورد " كنا نتوقع أن يأتي البروتستانت بمئات الآيـــات من الكتاب المقدَّس تثبت أن هذا المبدأ – الذي أسَّسوا عليه جميع معتقداتهم – صـــحيح . كـــنا نرجو على الأقل أن نجد آيتين أو ثلاثة ليس فيهم شك لإثبات صـــحة هذا المبدأ ، لأن الكتاب المقدَّس نفسه يقول *(على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة)* (٢كو ١٣ : ١) ولكن .. يجب أن أقول أنه لا توجد ولا آية واحدة في كـــل الكـــتاب المقدَّس تعلم بمبدأ Sola Scriptura ولا توجد آية واحدة تقول ذلك ضـــمناً . صـــحيح إننا نجد آيات كثيرة تتكلم عن وحي الكتاب المقدَّس ، ووجوب الإلـــتزام بـــه وبركات الإنصات له ، ولكن لا يوجد جزء في الكتاب المقدَّس يقول للمؤمنيـــن أن يخضعوا للكتاب المقدَّس فقط ، فلو كان يوجد تعليم صريح مثل ذلك فـــي الكـــتاب المقدَّس لكان الآباء علموا بهذه الحقيقة بالتأكيد ، ولكن مَن مِن الآباء علـــم بها ؟! فهكذا نرى إن تعليم البروتستانت الأساسي يهدم نفسه إذ يناقض نفسه ،

---

[1] هـل الكتـاب المقدَّس وحـده يكفـي ؟ ترجمـة أسـرة القديس ديديموس بكنيسـة مارجرجس اسبورتنـــج ص ٤٠ ، ٤١

فلـــيس فقط إننا لا نجد ما يثبت صحة مبدأ Sola Scriptura في الكتاب المقدَّس ، بل على العكس نجد ما يناقضه في الكتاب المقدَّس من آيات تتكلم عن أهمية التقليد بالنسبة للمسيحيين (١كو ١١ : ٢ ، ٢ ، ٢تس ٢ : ١٥) [١].

ويقول الأسقف الأنجليكاني " يجيب " " إن المبدأ البروتستانتي الذي يُصرح لكـــل أحد أن يفسر الكتاب المقدَّس حسب معرفته الشخصية قد منع إمتداد الكنيسة ، وقـــاد تابعـــية إلـــى مـــا هو مضاد للإيمان المسيحي فيجب أن نفتش عن الإيمان المسيحي الحقيقي في الأجيال الأولى حيث كان إتساع العالم مقروناً بنقاوة التعليم.

فكل من يريد أن يتحاشى الغلط في الإيمان يجب عليه أن يلجأ إلى الكتاب المقدَّس كقانـــون أولـــي ثم أيضاً إلى " التقليد " تقليد الأجيال الأولى لتفسير الكتاب (الصفة الخاصة للكنيسة) " [٢].

ولا ننسى مدى أسف مارتن لوثر الذي علَّم ضد تقاليد الكنيسة " ويحاً لي ، تُـــرى ما الذي أفعله أنا الذي علمتُ ضدهم كما يُعلم التلميذ ضد معلمه ، فهذه هي أفكـــار داهمتنـــي فعرفتُ ضلالي وتأكدت ذنبي • وآأسفاه ، فحبذا لو إني لم أشرع بمـــثل هـــذا المشروع ، ولا علَّمت كلمة واحدة ، على إنه من ذا الذي يستطيع أن يُـــنهض ضـــده هـــذه الكنيسة التي نقول عنها في قانون الإيمان { ونؤمن بالكنيسة المقدَّسة } (تأليف لوثيروس طبعها والش ص ٤٧٩) " [٣] كما قال في رسالته إلى مركيون " إنه لأمر خطير يُشمأز منه أن نسمع أو نعتقد شيئاً يخالف إيمان الكنيسة المقدَّســـة الجامعـــة وتعالـــيمها المُجمَـــع علـــيه ، الذي حفظته منذ البدء مدة ألف وخمسمائة سنة ونيف " [٤].

وقـــال فيليـــب ملانكـــثون فيلسوف الحركة البروتستانتية في رسالته إلى كـــراتون الطبيب " إني أرى أن إتفاق القدماء يفيد كثيراً في تثبيت العقول ، ويسوغ

(١) هل الكتاب المقدس وحده يكفي ؟ ص ٦٠
(٢) القس بولا عطية – التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة جـ ٢ ص ٣٩
(٣) حبيب جرجس – الصخرة الأرثوذكسية طبعة خامسة سنة ١٩٧٩م ص ١٣٣ ، ١٣٤
(٤) المرجع السابق ص ١٣٣

لـــنا أن نـــتخذ إيريناؤس وترتوليانوس وأغسطينوس الذين خلقوا كثيراً من الأمور للمتأخريـــن بمـــنزلة معلمين صالحين وقواد ماهرين ، ومن هذه الآثار يستطيع كل واحد أن يعرف أنهم إستعملوا أولاً قاعدة الإيمان وألحقوا بها آراء الأتقياء والفقهاء وإجمـــاع الكـــنائس الرســـولية ، التي كان يظهر إن أصلها من الرسل أو الرجال الرسوليين " (١).

وقـــال جيراردوس مولانوس " إن البروتستانت الأكثر تهذيباً يسلّمون بأننا لا نعـــرف الكتاب المقدَّس نفسه فقط ، بل لا نعرف معناه الصحيح والأصلي أيضاً فـــي القضـــايا الإنســـانية ، دون التقلـــيد ، هذا لكي أترك لكاليستوس وأورينوس وكامنسيوس أموراً ذكروها ولا تُعرَف إلاَّ بالتقليد " (٢).

والحقيقة إننا لا يمكن أن نجد ديانة ما أو مذهب ما بدون تقليد ، فكل ديانة وكل مذهب لا يخلو من الترتيبات والتنظيمات التي يتسلمها الخلف من السلف ، ولا يُعقل أن البروتستانت يجهلون قيمة التقليد في الكنيسة الأولى التي عاشت عدَّة عقود بـــدون إنجيل مكتوب ، ولكنها عاشت بالتقليد و " *الإيمان المسلَّم مرَّة للقديسين* " (يه ٣) بل إن البروتستانت يؤمنون بكثير من هذه التقليدات ، وإن أنكروا ذلك فليقولوا لنا :

- ✞ مـــن أيـــن جـــاءت كلمة " الثالوث " التي يستخدمونها في التعبير عن الإيمان المسيحي ؟
- ✞ من أين جاءوا بتقديس يوم الأحد بدلاً من السبت ولا توجد آية واحدة في العهد الجديد تنص على هذا التغيير صراحة ؟
- ✞ من أين جاءوا بمعمودية الأطفال ؟

---

(١) حبيب جرجس – الصخرة الأرثوذكسية طبعة خامسة سنة ١٩٧٩م ص ١٣٤
(٢) المرجع السابق ص ١٣٤

✝ وإن كـــان للبروتستانت طقوسهم في العشاء الرباني كما يمارسونه ، وطقوسهم في المعمودية وسيامة القسوس ، ورشم الصليب ، وطريقة العبادة •• إلخ •• مـــن أيـــن أتوا بهذه الطقوس وهي لا توجد في الكتاب المقدَّس ؟! ويقول الأب جـــون وايـــتفورد " يدَّعي البروتستانت كثيراً انهم يؤمنون فقط بالإنجيل ، لكن حيـــن تفحص إستخدامهم للكتاب المقدَّس يأتي إلى ذهننا الكثير من التساؤلات ، مثلاً :

- لماذا نجد البروتستانت يكتبون كتباً كثيرة جداً عن العقيدة والحياة المسيحية عامة إذا كان فعلاً كل ما نحتاجه موجود في الكتاب المقدَّس ؟
- إذا كان الكتاب المقدَّس وحده كافياً لماذا لا نجد نتائج ثابتة ، أو بمعنى آخر لماذا لا يوجد إيمان واحد للبروتستانت ؟
- ولمـــاذا نجد " تفاسير تطبيقية " (Sindy Bibles) كثيرة إذا كان كل ما نحتاجه هو الكتاب المقدَّس فقط ؟ ولماذا نجدهم يوزعون النبذات والكتيبات وغيرها من مادة مكتوبة أو مسموعة أو مرئية ؟
- ولماذا يعلمون ويعظون أصلاً ؟ لماذا لا يقرأون الإنجيل للناس فقط ؟

الإجابـــة علـــى كل ذلك (رغم إنهم لا يريدون الإعتراف بذلك) هو إن البروتســـتانت يعرفون بالفطرة أن الكتاب المقدَّس لا يُفهم وحده • وفي الواقع نرى إن كـــل طائفة بروتستانتية لها تقليدها الخاص (أي فكرها الخاص) وإن كانوا لا يســـمونه " تقلـــيداً " • فهـــي ليســـت صدفة أن كل " شهود يهوه " لهم إيمان واحد مشترك بينهم أيضاً • فلا يأتي كل فرد من أفراد هذه الطوائف بأفكاره الخاصة من دراســـته المســـتقلة للإنجـــيل ، ولكنهم يُلَقنون إيمانهم الخاص حسب الطائفة التي ينتمون إليها من خلال تقليد مشترك بينهم •

إذاً فالمسألة الحقيقية ليست الإيمان بالإنجيل فقط أم إستخدام التقليد معه •• الســـؤال الحقيقي هو " بأي تقليد ستفسر الكتاب ؟ " و " في أي تسليم نثق ؟ " " هل

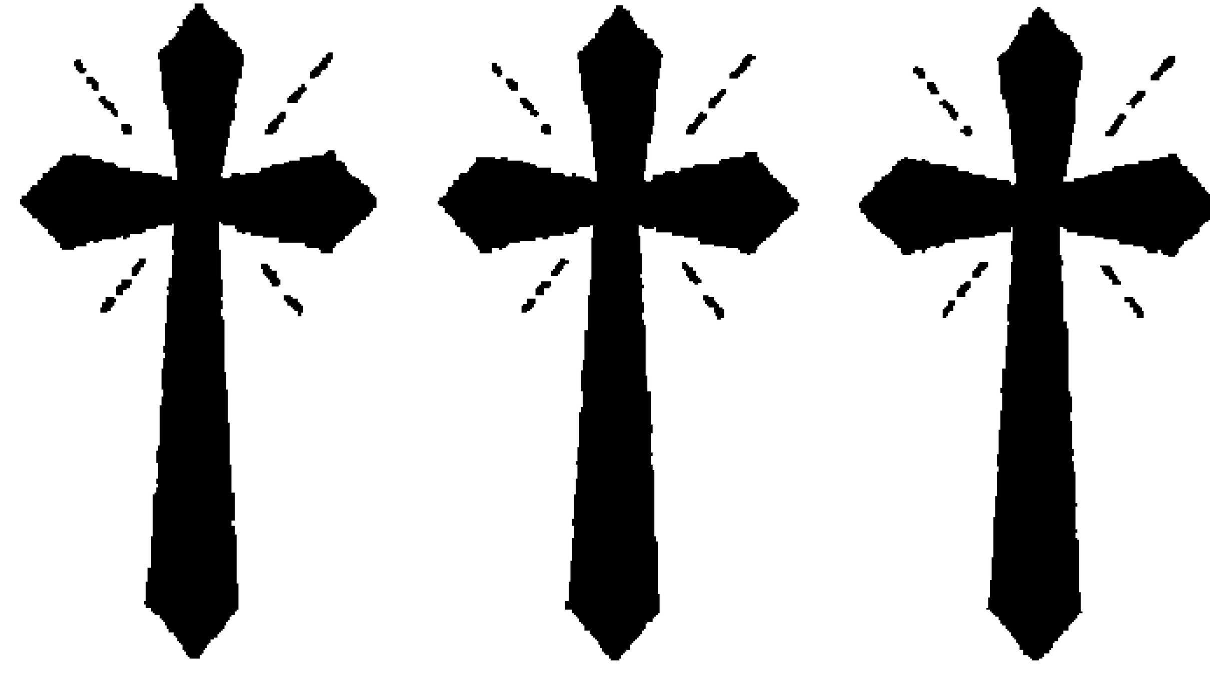
نـــثق فـــي التقليد الرسولي الذي للكنيسة الأرثوذكسية ؟ أم في التقليد " العصري " والمشوش الذي للبروتستانت الذي لا نجد له جذوراً " [١].

لقـــد رفض الفكر البروتستانتي " التقليد " ونحا نحو " المنهج العلمي " في دراسة الكتاب المقدَّس مع إن الأمور اللاهوتية لا يمكن إخضاعها للمنهج التجريبي والعلـــم الموضوعي ، حيث تتأثر الدراسة بالأهواء الشخصية ، بل إن الدارسين قد يضعون الإستنتاجات التي يريدون أن يصلوا إليها مُسبقاً ، ولذلك ينتهون إلى نتائج شـــتى ، ونشـــكر الله أنـــه بـــدأت تنشط في الغرب حركة " **العودة إلى الينابيع** " . Return to Sources أي العـــودة إلـــى تقلـــيد الكنيسة وأقوال الآباء قبل إنشقاق الكنيســـة سنة ٤٥١م ، وفي نفس الوقت لنحذر من الإنزلاق فيما إنزلق إليه الغرب مـــن قبل ، ولننصت إلى الأب جون وايتفورد الذي يقول " عندما شملتني مراحم الله وإهتديـــت إلـــى الإيمـــان الأرثوذكســـي ، لم أكن أريد أن أنظر إلى البروتستانتية ومـــنهاجها في دراسة الكتاب المقدَّس مرة أخرى ، ولكن للأسف وجدت إن الفكر والأسلوب البروتستانتي قد إستشرى في بعض الأرثوذكسية والسبب في هذا – كما قلـــنا ســـابقاً – هـــو إضفاء صفة " العلم " على المنهج البرتستانتي لدراسة الكتاب المقـــدَّس ، ويـــرى البعض في الكنيسة الأرثوذكسية إنهم يخدمون الكنيسة بإدخالهم هـــذا الفكر الخاطئ إلى كلياتنا اللاهوتية وكنائسنا ٠ وهذا ليس جديداً لأن هذه هي الطـــريقة التـــي بهـــا تدخل الهرطقة لخداع المؤمنين ٠ كما قال القديس ايريناؤس عندما بدأ هجومه على الهرطقات في عصره { من خلال الكلام الخادع والمُزخرَف يجذبون بمكر البسطاء إلى فكرهم ولكنهم إذ يلقنونهم بتجاديفهم ، يقضون عليهم ٠٠ فالـــباطل لا يظهر أبداً مكشوفاً وواضحاً لئلا يُكتشَف أمره ولكنه يُزيِّن نفسه بلباس جذّاب لكيما يبدو أحق من الحق نفسه بشكله الخارجي لغير العارفين ٠

(١) هل الكتاب المقدَّس وحده يكفي ؟ ص ٤٨ ، ٤٩

ولئلا يختلط الأمر على أحد سأكون واضحاً : المنهج الأرثوذكسي لدراسة الكتاب المقدَّس ليس مؤسَّساً على البحث " العلمي " في الأسفار المقدَّسة ٠٠ لا يقوم فهمـــنا للكتاب المقدَّس على إمتلاكنا لإكتشافات أثرية فريدة من نوعها ، ولكن يقوم على علاقتنا الفريدة مع كاتب الأسفار ٠

الكنيسة الأرثوذكسية هي جسد المسيح ، عمود الحق وقاعدته ومن خلالها كتــب الـــرب الأسفار (أي من خلال أعضائها) ومن خلالها حفظ الله الأسفار ٠ الكنيســـة الأرثوذكسية تفهم الكتاب المقدَّس لأنها الوارثة للتقليد الحي الذي يمتد في الزمـــن مـــن آدم إلى كل أعضائها في يومنا هذا ٠ ونحن لا نستطيع أن نثبت هذا معملياً ، بل يجب أن يقتنع الإنسان بهذا من خلال الروح القدس ، ويجب أن يختبر الحياة مع الله داخل الكنيسة " [1]



(١) هل الكتاب المقدَّس وحده يكفي ؟ ص ٧٥ ، ٧٦

الفصل العاشر : مدارس النقد وسفر نشيد الأناشيد

خلال هذا الموضوع دعنا ياصديقي نناقش الأمور الآتية :

أولاً : هذا السفر٠

ثانياً : قانونية السفر٠

ثالثاً : السفر والتصوُّف٠

رابعاً: آراء مرفوضة في تفسير السفر٠

خامساً: التفسير الرمزي٠

سادساً: آيات عثرة الفهم٠

سابعاً : ومازال البعض يتساءل٠

أولاً : هذا السفر :

س ٥٤ : كيف نظرت الكنيسة اليهودية والكنيسة المسيحية لسفر نشيد الأناشيد ؟

كتب هذا السفر العظيم سليمان الملك الحكيم (٩٧٠ – ٩٣٠ ق٠م) في النصف الثاني من القرن العاشر قبل الميلاد في أواخر حياته ، ويرى القديس بفنوتيوس من آباء برية مصر أن السفر الأول الذي كتبه سليمان وهو سفر الأمثال يُعلّمنا كيف نقمع الشهوات الجسدية والخطايا ، والسفر الثاني وهو الجامعة يُعلّمنا أن كل شئ تحت الشمس باطل الأباطيل ، أما السفر الثالث وهو نشيد الأناشيد فمن خلاله نتأمل في الأمور السمائية (كما كتب سليمان سفر الحكمة من الأسفار القانونية الثانية التي حذفها البروتستانت) فعندما أدرك سليمان الحكيم أن كل شئ على الأرض باطل الأباطيل دوَّن لنا سفر الجامعة ، وعندما تلامس مع الحياة السماويَّة دوَّن لنا سفر النشيد ، وبينما نرى في سفر الجامعة النفس التي لا تشبع من المعرفة *" في كثرة الحكمة كثرة الغم والذي يزيد علماً يزيد حزناً "* (جا ١ : ١٨) فإننا نرى في سفر النشيد النفس التي تشبع وتستريح بالحب الإلهي ، ولم يحوِ هذا السفر وصايا ولا تعاليم إنما يحوي سر الحب الأبدي بين العريس السمائي وعروسه ، فيقول نيافة المتنيح الأنبا يؤانس أسقف الغربية " أنه نشيد النفس الذي

تــرنم بــه إلـــى الأبد حين تدخل إلى حضرة عريسها في السماء وتبقى في حجاله السماوي لتحيا حياة التسبيح الدائم " [1].

وبيـــنما تكلــــم ســليمـــان بأمثال وأناشيد عديدة " *تكلم بثلاثة آلاف مثل وكانـــت نشـــائده ألفـــاً وخمساً* " (١مل ٤ : ٣٢) فإن هـــذا السفـــر هـــو أجمـــل الأناشيد ، وسُمي في العبرية " شير هشيريم " أي ترنيمة الترانيم ، وفي الإنجليزية The song of songs أي أغنـــية الأغنيات ، ويرى البعض أنـــه " قدس أقداس " أقـــوال الوحي ، ففي سنة ١٣٥م قال " أكيبا " عن هذا السفر " الكتاب المقدَّس كله مُقدَّس ، أما سفر نشيد الأناشيد فهو أقدس الأسفار ، العالم كله لم يأتِ بأهم من ذلك اليوم الذي فيه أُعطي هذا السفر" [2] وجاء في الترجوم اليهودي " الأناشيد والمدائح التي نطق بها سليمان الملك ، ملك إسرائيل ، بالروح القدس أمام يهوه الرب العالم كله ، في ذلك رُنمت عشرة أناشيد ، أما هذا النشيد فهو أفضل الكل " [3] وجاء في المدراش Midrash (وهي دراسات يهودية في الكتاب المقدس) أن " نشيد الأناشيد هـــو أسمى جميع الأناشيد ، قُدمت لله الذي سيحل بالروح القدس علينا. أنه النشيد الذي فيه يمتدحنا الله ونحن نمتدحه " [4].

ودعـــى العلامة أوريجانوس هذا السفر بـــ " سفر البالغين " فالذي يقرأه لا يقف عند حد الحروف والكلمات إنما يجب أن ينطلق إلى ما هو وراء هذه الحروف والكلمات ، ويقول القديس غريغوريوس أسقف نصيص " أنني أتحدث عن سر نشيد الأناشـــيد معكـــم أنتم جميعاً يامن تحوّلتم إلى ما هو إلهي .. تعالوا أدخلوا حجرته الزيجية غير الفاسدة يامن لبستم ثوب أفكار النقاوة والطهارة الأبيض ! فإن البعض لا يـــرتدي ثوب الضمير النقي اللائق بعروس إلهية ، فيرتبكون بأفكارهم الذاتية ،

---

(١) تأملات في سفر نشيد الأناشيد ص ١٠
(٢) القمص تادرس يعقوب – تفسير نشيد الأناشيد ص ٥
(٣) المرجع السابق ص ٥ ، ٦
(٤) المرجع السابق ص ١٦

ويحـــدرون كلمات العريس النقية إلى مستوى اللذات البهيمية ، وهكذا يُبتلعون في خيالات مشينة " (Comm. On Cont, Semon I) [(١)] ويرى العلامة أوريجانوس أن هـــناك ســـبعة أناشيد تترنم بهم النفس وهي في طريقها للملكوت ، ويمثل سفر النشيد قمة هذه الأناشيد ، أما هذه الأناشيد فهي :

١- النشـــيد الأول أنشده بنو إسرائيل بعد عبورهم البحر الأحمر " *أرنم للرب لأنه قد تعظم • الفرس وراكبه طرحهما في البحر• الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي* " (خر١٥ : ١ ، ٢) وتنشده النفس عند خروجها من جرن المعمودية•

٢- أنشـــده بـــنو إسرائيل عند " بئر" •• وهي البئر حيث قال الرب لموسى إجمـــع الشـــعب فأعطيهم ماء • حينئذ ترنم إسرائيل بهذا النشيد • " *أصعدي أيتها البـــئر أجيـــبوا لهـــا • بـــئر حفرها الرؤساء• بئر حفرها شرفاء الشعب بصولجان بعصـــيهم* " (عـــد ٢١ : ١٧ ، ١٨) وتنشده النفس عندما ترتوي من الينابيع الإلهية التي تفيض عبر الكنيسة•

٣- أنشده موسى على صفحات الأردن " *أنصتي أيتها السموات فأتكلم ولتسمع الأرض أقـــوال فمي• يهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي•• كما يحرك النسر عشّه وعلى فراخه يرفُّ ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه• هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي • أركبه على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء ، وأرضعه عسلاً من حجر وزيتاً من صوان الصخر • وزبدة بقر ولبن غنم مع شحـــم خراف وكباش أولاد باشان وتيوسٍ مع دسم لب الحنطة ودم العنب شـــربته خمراً* " (تث ٣٢ : ١ – ٤) وتنشده النفس وهي تتمتع برعاية الله في برية هذا العالم •

٤- أنشدته دبورة (نحلة) القاضية أثناء جهادها الروحي " *أنا أنا للرب أرنم • أزمـــر للـــرب •• تزلزلـــت الجبال من وجه الرب وسيناء هذا من وجه الرب إله إسرائيل* " (قض ٥ : ٣ – ٥) وتنشده النفس أثناء جهادها الروحي•

---

(١) القمص تادرس يعقوب – تفسير نشيد الأناشيد ص ١٣

٥- أنشـده داود النبـي عندما هرب من أيدي أعدائه " *أحبك يارب ياقوتي . الـرب صـخرتي وحصـني ومنقذي . إلهي صخرتي به أحتمي . ترسي وقرن خلاصـي وملجـأي* " (مز ١٨ : ١ ، ٢) وتنشده النفس كلما حققت إنتصاراً على أعدائها .

٦- أنشده أشعياء النبي " *لأنشدنَّ عن حبيبي نشيد محبي لكرمه . كان لحبيبي كـرم على أكمة خصبة . فنقبه ونقي حجارته وغرسه كرم سورق وبني برجاً في وسـطه ونقـر فيه أيضاً معصرة فانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً رديئاً . والآن ياسكان أورشليم ورجال يهوذا أحكموا بيني وبين كرمي . ماذا يُصنع أيضاً لكرمي وأنـا لـم أصنعه له ..* " (أش ٥ : ١ – ٧) وتنشده النفس عندما تتحسَّس أسرار الأبدية والسماويات .

٧- نشيد الأناشيد الذي تنشده النفس إلى الأبد .

ثانياً : قانونية السفر :

س ٥٥ : ما هي الأدلة على قانونية سفر نشيد الأناشيد ؟

تسـلمت الكنيسـة المسـيحية من الكنيسة اليهودية هذا السفر على أنه من الأسـفار المقدَّسـة ، والنسـخة العبرية التي جمعها عزرا في القرن الخامس قبل المـيلاد حـوت هـذا السفر ، وأيضاً الترجمة السبعينية فـي القرن الثالث قبـل المـيلاد ، وفـي القرن الأول الميلادي عندما حاول الحاخام " شمعي " حذف هذا السـفر من العهد القديم أكدت مدرسة " هليل " قانونية السفر ، وكذلك مجمع جامنيا Jamnia (٩٥ – ١٠٠م) كمـا أن تـرجمات أكـيلا وسيماخوس وثيؤدوسيون في القـرن الثاني الميلادي شملت هذا السفر ، وأيضاً أدرجه " مليتو " أسقف ساردس سـنة ١٧٠م ضـمن الكتـب المقدَّسـة ، وذكره القديس أغناطيوس تلميـذ يوحنا الإنجيلـي ، وأدرجه المؤرخ اليهودي يوسيفوس ضمن أسفار العهد القديم ، وفسره أوريجانوس في القرن الثالث الميلادي ، وذكره أثناسيوس وجيروم وروفينوس في

القرن الرابع الميلادي (راجع الهداية جـ ١ طبعة ثانية ص ١٢٤) ووُجِدت بعض نسخ من هذا السفر ضمن مخطوطات وادي قمران٠

وكان اليهود يقرأون هذا السفر في اليوم الثامن من عيد الفصح تعبيراً عن الحب الإلهي للشعب الإسرائيلي ، وأيضاً اليوم الثامن يرمز للأبدية لأنه خارج عن أيام الأسبوع السبعة ، كما كانوا يقرأون سفر راعوث في عيد الخمسين أي بعد خمسين يوماً من عيد الفصح ويُسمى بعيد الحصاد ، ويقرأون مراثي أرميا في ٩ آب (أواخر يوليو) تذكاراً لدمار أورشليم سنة ٥٨٧ ق٠م على يد نبوخذ نصر (٢ مل ٢٥ : ١ – ١٢) ويقرأون سفر الجامعة في عيد المظال ١٥ – ٢١ تشرين (آخر سبتمبر وأوائل أكتوبر) ذكرى غربتهم في البرية ، ويقرأون سفر أستير في عيد البوريم ١٤ – ١٥ آذار (آخر شهر فبراير)٠

ثالثاً : السفر والتصوُّف :

س٥٦: ما مدى إرتباط سفر نشيد الأناشيد بالتصوف ؟

ج : أتت كلمة " تصوُّف " من الصوف الذي يلبسه النساك الهائمين في حب الله ، والمتصوُّف في أي دين كان يركز كل إهتمامه في التخلص من أدران الخطية والتقرُّب من الله ، فالتصوُّف يقود صاحبه إلى الحب الإلهي أو العشق الإلهي ، وإذ لم يسعف النثر المتصوّفون للتعبير عما يجيش في صدورهم لجأوا للشعر ، والشعر الصوفي خصوصاً يتميز بكثرة التشبيهات والإستعارات والكنايات والتورية ، ويدخل سفر النشيد في نطاق هذا النوع من الشعر الصوفي٠

ومن المعروف أن الحب الإلهي هو أسمى وأعمق درجات الحب ، حتى أنه عندما يحب شاب فتاة حباً يفوق الوصف يقول لها " معبودتي " أو " أنني أحبك حب عبادة " فالأصل هو حب عبادة الله أو قل العبادة المملوءة حباً ، وفي المسيحية نجد الطريق للحب الإلهي مفتوحاً " الله محبة " ومن المستحيل أن نجد في أي دين أو مذهب آخر إقتراب الله للإنسان والإنسان لله مثلما نجد في المسيحية ، فطالما

جـذب الله قلـوب ومشـاعر وأحاسيس عُشّاق الحب الإلهي فسبى قلوبهم وألهب مشاعرهم وأسكر نفوسهم فانطلقت أرواحهم تحلق في سماء الحب الإلهي .. عجباً لـك يـا نفسـي عندما تتسولين الحب من إنسان ، وتستجدين الحنان وكأنك بلا إله محب حنون بلا حدود .. تأمل قصيدة همسة حب لقداسة البابا شنودة الثالث :

قلبي الخفـاق أضحى مضجعك   في حنايا الصدر أُخفي موضعك
ليس لـيَّ فكـر ولا رأي ولا   شهوة أخـرى سوى أن أتبعك
قد نسيتُ الأهـل والأصحاب بل   قـد نسيتُ النفس أيضاً في هواك

والـذي يـتابـع القصـيدة إلى نهايتها يدرك تشابهها مع ما جاء في سفر النشيد . أما الذين يعتبرون العبادة مجرد فروض ، وهذه نقرة وتلك نقرة ، ويعمل الفـرض وينقب الأرض ، وساعة لربك وساعة لقلبك ، فمثل هؤلاء الذين تحكمهم المشاعر الجسدية الغريزية يصعب عليهم جداً إدراك معاني سفر النشيد.

ومـدارس التصـوُّف وجـدت طـريقهـا إلى الإسلام ، فهناك المدارس الحجازيـة ، والعراقـية ، والشامية ، والمصرية ، والسودانية ، والمغربية ، ولكل مدرسة روادها (راجع المذاهب الصوفية ومدارسهـا للأستاذ عبد الحكيم عبد الغني قاسم) ومن المتصوِّفين المشهورين في الإسلام رابعة العدوية والحسين بن منصور الحـلاج ، ومحي الدين إبن عربي ، وعمر بن الفارض ، وذى النون المصري ، وقد أخذ التصوُّف الإسلامي من التصوُّف المسيحي ، فيقول د. عبد الرحمن بدوي أسـتاذ الفلسـفة بكلية الآداب جامعة عين شمس " عندما نبحث عن مصدر التأثير الواعـي أو اللاواعـي فـي التصوُّف الإسلامي يجب أن يتجه البحث إلى التأثير المسـيحي . إذ تَغلُب عليه هذه الفكرة ، فكرة المحبة الإلهية .. إن رابعة العدوية لـم تجـد خلاصـاً بـل بالأحرى عزاءاً لها إلاَّ فـي الإيمان والثقة بالله والتعزي

بالآخـرة ، وهـي ظاهرة طالما حدثت في النفوس النبيلة ونراها في الجيل الأول للمسيحية .. ومن هنا تتصرف النفوس النبيلة إلى طلب الملكوت الأعلى " [1] .

قـارن بيـن هـذه الأبيات لأحد المتصوفين المسلمين ، وما جاء في سفر النشيد :

" أنـت سؤلي وبغيتي وسـروري — قـد أبى القلـبُ أن يَحبّ سواكـا
ياحبيبَ القلبِ مـن لـي سواكا — فأرحـم اليـوم مذنباً قد أتاكا
يامناي وسيدي وإعتمـادي — طال شوقي – متى يكون لُقاكـا .
ليس سؤلي من الجنان نعيـم — غير إني أريدهـا لأراكـا " [2]

وكانـت رابعـة العدويـة تضع في حجرتها مشجباً (شماعة) تُعلق عليها أكفانهـا ليكون الموت أمام عينيها ، وكانت دائمة البكاء ، وعندما سُئلت عن بكائها المسـتمر وهي لا تعاني ألماً جسمانياً قالت "واحسرتاه ! العلّة التي أشكوها ليس لها مـا يسـتطيع الطبيـب علاجه . إنما دواؤها الوحيد رؤية الله. وما يعينني على إحـتمال هـذه العلة إلاّ رجائي أن أحقق غايتي هذه في العالم .. (ويعلق د. عبد الرحمن بدوي) ما أبدع العبارة في وصف ما تشكوه ! لقد ألحّت عليها الرغبة في الـرؤى حـتى إسـتحالت مرضاً ، مرضاً تتألم له ، لأن الحب قد صار من القوة والنفوذ بحيث صارت له آثار توغل في أعماق الروح فتصيبها بالعلّة من شدة الألم العالي " [3].

ويرى د. عبد الرحمن أننا نرى الخطبة والزواج الروحي في قصة رابعة فـيقول " لقد بدأت رابعة تستشعر الحب لله وإنه لينمو ، وتواكبه مشاعر مختلفة ، لعـل مـن بينها ، ومن أقواها الشعور بأنها نذرت نفسها لهذا المحب الأسمى .. وعمـا قلـيل ستُعلن خطبتها له ، ولعل ذلك يفضي في النهاية إلى الزواج الروحي بيـنها وبين الله .. هذا نص على أكبر درجة من الخطورة لأنه يتحدث عن وجود

---

(1) شهيدة العشق الإلهي ص ١٠ - ١٢

(2) من موقع www.islam-christianity.net دراسة عن سفر النشيد ص ١٧ ، ١٨

(3) شهيدة العشق الإلهي ص ٧٦

فكـــرة الزواج من الله والإقتران به لدى الصوفيّات المسلمات حتى منذ القرن الثاني الهجـــري أو الثامـــن الميلادي ، وهي الفكرة التي لعبت دوراً خطيراً في التصوُّف المسيحي .. " (١).

ويقـــول الأســـتاذ مـــأمون الغريـــب عن رابعة العدوية " فإنها مستها هذه الشرارة المقدَّسة شرارة الإغاثة لتتجه إلى نور الهداية فإذا بها تنقاد نحو هذا النور .. وتغـــرق فـــيـــه .. وتشـــــدو بحبيبهـــا الذي لا يعادله حبيب .. أنه الخالق العظيم " (٢).

ومن أشعار رابعة العدوية :

" إني جعلتك في الفؤاد محدثي　　وأبحتُ جسميَ من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانســـي　　وحبيبُ قلبي فـــي الفؤاد أنيسي " (٣).

فإنهـــا تريد أن تقول إنها إلتصقت بالله ، حتى لو جلست مع إنسان فإنها تجلس معه بالجسد فقط ، أما كل مشاعرها وأحاسيسها وفؤادها فمنصرف نحو الله.

ومن الأشعار التي ذكرها د. على صافي حسين عن رابعة :

" يامؤنس الأبرارِ في خلوتهم　　ياخيرَ من حلت بـــه النُزَّال (المحبين)

من ذاق حبك مايزال مُتيمـــاً　　فَرِحُ الفـــؤاد ، متيماً ، بلبال (مهموم)

من ذاق حبك لا يُرى مبتسماً　　من طـــول حزن فـــي الحشا إشعـــال " (٤)

كما يقـــول د. على صافي عن العشق الإلهي لـــدى المتصوُّف المصري " وكـــان ذو النون المصرى أول شاعر صوفي تحدث في شعره عن العشق الإلهي أو المحـــبة الربانية .. ولم يكن يختلف في شئ ذي بال عما كان عليه شعر الغزل بمعناه العام " (٥).

---

(١) شهيدة العشق الإلهي ص ٢٦ ، ٢٧
(٢) رابعة العدوية في محراب الحب الإلهي ص ٥
(٣) المرجع السابق ص ٥٢
(٤) الأدب الصوفي في مصر ص ٢١٦
(٥) المرجع السابق ص ٢٢١

ومن الأشعار التي أوردها د. علي صافي شعر المتصوف محمد الكيزاني :

" ولقد أودعَ الغرامُ بقلبـــــي زفرات أضحى بهـا مصدوعاً
وإذا أطنب العزول فقــــد عاهدت سمعي ألا أكون سميعاً
وحرام على التلهف الأ يريـ ح أو يحـرق الحشا والضلوعا " [1].

وأيضـــاً من شعر محمد الكيزاني الذي يشابه مشاعر عروس النشيد عندما قالت أنني مريضة حباً ما يلي :

" أصرفوا عني طبيبـي ودعوني وحبيبـــــي
عللوا قلبي بذكــــراه فقد زاد لهيبـــــي
طاب هتكي في هـــواه بين واش ورقيــــب
لا أبالي بموت النفـــ س مادام نصيبـــــي
جسدي راض بقـــــ سمـي وجفوني بنحيبـي " [2].

ومن شعر محي الدين بن العربي :

" أدين بدين الحب أنىَ توجهتْ ركائبه فالحب ديني وإيماني " [3].

ومن شعر عمر بن الفارض :

" ومن مذهبي في الحب مالي مذهبُ وإن ملتُ يومـاً عنـه فارقت ملّتي
وإن خطَرَت لي مـن سـواك إرادةُ على خاطري سهواً قضيتَ بردَّتي " [4].

ومــن المتصــوفين في الإسلام " **الحسين إبن منصور الحلاج** " في القرن التاسع الميلادي الذي قال ما قالته عروس النشيد :

حبي لمولاي أضناني وأسقمنـــي فكيف أشكو إلى مولاي مولائي ؟!
ياويح روحي من روحي ، فوأسفي عليَّ منـــي ، فإني أصـل بلوائي

---

(١) الأدب الصوفي في مصر ص ٢٠٠
(٢) المرجع السابق ص ٢١٤
(٣) رابعة العدوية في محراب الحب الإلهي ص ٤٧
(٤) المرجع السابق ص ٤٧

وتلامس الحسين مع الحب الإلهي المُعلَق على الصليب ، فعشق المسيحية وأحبها ، وأعلن إيمانه قائلاً :

ألا أبلِغْ أحبائي بأنـــــــــي ركبتُ البحر وأنكسرت السفينة

على دين الصليب يكون موتي فلا البطحا أريد ولا المدينـــــة

وجـــاء في الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٣٢ بأنهم صلبوه ، ثم قطعوا رأسه ، ثم أحرقوه لأنه إختار دين الصليب دين الحب الإلهي.

رابعاً : آراء مرفوضة في تفسير السفر :

س٥٧ : مــا هـــي الآراء الخاطــئة التي ترفضها الكنيسة بالنسبة لتفسير سفر النشيد ؟

ج : رغم صغر سفر نشيد الأناشيد فإنه لقى معارضة كبيرة على مدار التاريخ لم يلقاهــا ســفر مــثله ، وكثيرون أخذوا السفر بالمعنى الحرفي ، ثم تساءلوا إن كان الســفر هكذا ، فلماذا أُدرج ضمن الأسفار المقدسة ، وفيما يلي نعرض لبعض هذه الآراء الخاطئة :

١- فـــي سنة ٢٥٠ م قال " **أوريجانوس** " بأن هذا السفر هو عبارة عن نشيد زفاف كتبه سليمان على شكل قصة ، ولكن قوله هذا لم يجد قبولاً حينذاك.

٢- هـــاجم " **ثيؤدور** " أسقف موبسويست الذي مات سنة ٤٢٩م هذا السفر ، وقـــال أنه غزل فاضح وحب شهواني ، أنشده سليمان يوم زفافه من إبنة فرعون ، ومـــن الخطأ إدراجه ضمن الأسفار المقدّسة ، ولكن مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣م أدان ثــيؤدور على قوله هذا ، بالإضافة إلى هرطقاته الأخرى وحكم بالحرم عليه هو وأوريجانوس ، وفي القرن السادس عشر أعاد " **سباستيان كاستليو** " قول ثـــيؤدور المبسويســـتي ولكن جـــون كالفن رفض هذا ، وأمر بطرد سباستيان من جنـــيف ، وللأسف فأنه مازال البعض يؤيدون فكر ثيؤدور ، فيقول د. ق صموئيل يوســف " وربمـــا يكون ثيؤدور على حق في ذلك كما يرى علماء آخرون ، لأن

السفر يُمجّد الحب الإنساني ويُظهر ماله من قيمة عظمى ونقاوة وطهراً وقداسة ، وهي حقيقة طالما أُغفلت من الكثيرين • فالسفر تعليمي أخلاقي ، وبهذا المعنى يتحدث إلينا في عالم أمتلأ بالخطية والفساد والإنحلال والشهوات والتجارب التي تحيط ببني الإنسان ، وتدمر العلاقة الزوجية بين الأزواج• وهنا يُقدم السفر نموذجاً رائعاً للعلاقة بين زوجين مخلصين آمنين لبعضهما ، كرمز للولاء وتكريس الواحد للآخر " [1].

وربط القس صموئيل يوسف بين ماجاء في هذا السفر وبين ماجاء في الأدب المصري القديم من قصص الحب العاطفي فقال " وهناك تشابه بين سفر النشيد وقصائد الشعر العاطفي في مصر قديماً (الأسرة ١٩ و ٢٠) ففي سفر النشيد سُمعت أنشودة اليمامة في أرضنا وفصل الربيع هو زمن الحب (٢ : ١٢ – ١٣) يقابله في قصائد الحب المصرية قديماً صوت العصفور الذي ينادي على الفتاة المصرية أن تخرج للتأمل في جمال الطبيعة في الخلاء ليتدفق الحب الحقيقي بلا وجل أو رسميات " مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها " (٨ : ٧) كذلك الحال أيضاً مع المحب الإنسان المصري الذي لا تعيقه المياه ، ولا التماسيح تقدر أن تفصله عمن أحب { إن غرام حبيبتي يقفز على شاطئ الغدير ، في الظلام تمساح رابض ، ولكي أنزل إلى الماء وأواجه الأمواج • ويشتد بأسي فوق الغدير ، ويكون الماء هو والأرض تحت قدمي سواء • لأن حبها يملأ قلبي قوة } (دول ديورانت قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران – المجلد الأول من جـ٢ ص ١١٣ – ١١٦) " [2].

ثم يبرّر القس صموئيل وجود هذا السفر ضمن الأسفار المقدّسة " وتتردد الأسئلة العديدة مرات ومرات : إذا كان سفر النشيد لايزيد عن كونه تعبيراً عن حب إنساني عميق نقي ، ملؤه الطهر وخوف الله بين الأزواج ، فلماذا وُضِع بين

---

(١) المدخل إلى العهد القديم ص ٣٤٣
(٢) المرجع السابق ص ٣٤٤

الكتـــب المقدَّسة ؟ وفي هذا يقول إدوارد يونج Y. Young طالما وُجِدت النجاسة في هذا العالم ، فنحن في مسيس الحاجة إلى سفر النشيد ، والسؤال الأصوب هو : مـــاذا يقول الكتاب المقدَّس عن العلاقة بين الزوجين ؟ لقد أراد الله أن يعلّم الإنسان نقـــاوة وقدســـية الـــزواج الذي أسَّسه هو نفسه في جنة عدن حينما قال أثمروا .. وعندما نقرأ سفر النشيد تتطهر قلوبنا أكثر . وندرك حقيقة التجربة وبشاعتها التي يســـقط فـــيها عـــدد غير قليل من جراء عدم الأمانة بين المتزوجين . فالسفر هدفه أخلاقـــي تعليمـــي ، وبه ندرك لماذا أعطانا الله إياه ، لأن الجميع زاغوا وفسدوا ، والمحـــبة التـــي يتحدث عنها السفر تعد في ذاتها هدى للمحبة الإلهية ، ومحبة الله أساس كل محبة نقية طاهرة بل هو نبعها " [1] ويقف ضد هذا التفسير الحرفي آيات عديدة في السفر تتعارض مع الحب الطبيعي كما سنرى.

٣- قـــال الـــبعض أنهـــا قصة حب فاشلة للملك سليمان ، فقالوا " في إحدى رحـــلات ســـليمان إلى شمال إسرائيل ولبنان شاهد فتاة جميلة تُدعى شولميث (٦ : ١٣) وكانـــت تعمل في الحقل (٦ : ١١) فأمر جنوده أن يحضروها إلى مركبته (٦ : ١٢) قاصـــداً أن يأخذها معه إلى أورشليم (٤ : ٨) ليتزوجها وبالفعل ضمها إلى مجموعـــة نســـاءه وجواريه وكان عددهن في ذلك الوقت قد وصل إلى ستين ملكة وثمانيـــن ســـرية (٦ : ٨) ولكن قلب شولميث كان متعلقاً بحبيبها الذي يعمل راعياً للغـــنم فـــي لبنان (٦ : ٣) فرفضت أن تتزوج سليمان حتى بعد أن بدأ سليمان في إقامـــة الإحتفالات الفاخرة إستعداداً للزفاف (٣ : ١١) وحاولت الفتاة الهرب فمنعها الحـــراس (٥ : ٧) وأســـتمرت مراسم العرس عدة أيام كعادة ذلك الزمان وخلالها حـــاول سليمان إستمالتها تارة بالغزل وتارة بالوعود وبكل الوسائل (٦ : ٤ - ١١) وأشـــتركت بنات القصر وجواريه في محاولة التقليل من شأن حبيبها (٥ : ٩) إذا قـــورن بسليمان ولكن نظراً لشدة حبها له وكثرة كلامها عنه تبدل موقفهن للتعاطف معها (٦ : ١) وفي كل مرة كان سليمان يحدثها بكلامه الجميل ويبثها أشواقه كانت

---

[1] المدخل إلى العهد القديم ص ٣٤٤

تجيبه بحبها للراعي وأن قلبها معه · لذلك إضطر سليمان بعد أن فشل في إستمالة قلبها أن يطلق سراحها (٦ : ١٣) فأسرعت إلى بلدتها وإلى حبيبها الراعي في لبنان ، وظهرت مع حبيبها وفرح الناس هناك عندما رأوها لشدة إخلاصها وحبها له ورفضها لسليمان (٨ : ٥) فقالت للناس أن كل ما فعلته هو بسبب الحب الذي يكنه قلبها للراعي وأن ذلك الحب لا تطفئه أي قوة (٨ : ٦ – ٧) " [1] ثم يقول هاني ماهر أن شولميث مثال للمؤمن والراعي الغائب مثال للسيد المسيح ·

٤- وقال البعض أن الملك سليمان رأى إمرأة جميلة تحرس الكروم ، فهربت من أمامه ، فتنكّر في زي راعي وفاز بحبها فجاء في التفسير التطبيقي " ونشيد الأنشاد هو قصة علاقة حميمة بين رجل وامرأة ، قصة الحب بينهما وتوددهما وزواجهما · إن نشيد الإنشاد قصة درامية حيَّة ، تصوّر حوار المحبة بين فتاة يهودية بسيطة (من شولميث) وحبيبها (الملك سليمان) ويصف السفر بالتفصيل مشاعرهما من نحو أحدهما الآخر ، وأشواقهما للإلتقاء معاً وطوال الحوار نجد الجنس والزواج في موضعهما الصحيح كما قصدهما الله · لقد دار جدل كثير حول معنى النشيد ، فيقول البعض أنها قصة رمزية عن محبة الله لشعبه القديم أو الكنيسة · ويقول البعض الأخر أنها قصة واقعية عن المحبة الزوجية · وهي في الحقيقة تعبر عن كليهما معاً ·· كثيراً ما كان الملك سليمان يزور المناطق المختلفة في مملكته · ويوماً ما عند زيارته لبعض الكروم الملكية في الشمال ، وقع بصره فجأة ، وهو وسط حاشيته ، على امرأة فلاحة جميلة تحرس الكروم ، فأرتبكت وجرت منهم ، ولكن سليمان لم يستطع أن ينساها· وأخيراً تنكر في شكل راع ، ورجع إلى الكروم وفاز بحبها ، وأعلن لها حقيقته · وطلب منها أن تعود إلى أورشليم معه ، وأن تصبح ملكة معه ·· وكانت الفتاة التي أسترعت إنتباه سليمان ، من شولم (يرى الكثيرون أنها شونم) وهي منطقة زراعية تبعد نحو

---

[1] د· هاني ماهر – دراسات تفسيرية في سفر نشيد الأناشيد ص ٢٠ ، ٢١

تسعين كيلو متراً إلى الشمال من أورشليم • وتدل بشرتها السمراء على أنها كانت تعمل في الخلاء في الكروم (١ : ٦) " [١] .

وقال " **جوردس** " Gordis بأن السفر كُتب بمناسبة إحدى زيجات سليمان من أميرة أجنبية ، وقال " **ديليش** "Delitysh أنها ليست أميرة لكنها فتاة من عائلة متواضعة في مكان أقصى من الجليل (التفسير الحديث ص ١٥)•

٥- أعتبر البعض هذا السفر أنه **نشيد من أناشيد الزفاف** فجاء في التفسير الحديث " وفي سنة ١٨٧٣م قام قنصل ألمانيا في سوريا (ج• ج• وتزستين Wetzetein) بنشر مقال عن عادات الزواج عند أهل الريف في المنطقة ، ووصف العديد من الممارسات التي تشبه ماجاء في النشيد " كتتويج " العروس والعريس كملك وملكه (١ : ٤) وأغاني الحرب كجزء من الإحتفالات (٣ : ٦ - ٨) ورقص السيوف تقوم به العروس (٦ : ١٣) وقصائد وصفية تسمى (الأوصاف) (٧ : ١ - ٥) تُنشد تكريماً لهما ، كل ذلك كان سمة إحتفالات الزواج والتي كانت تمتد لمدة أسبوع •• بالطبع ليس هناك دليل على وجود أي علاقة بين الإحتفالات العربية في القرن التاسع عشر والحياة العبرية القديمة " [٢].

وقال البعض أن السفر عبارة عن **رواية مسرحيَّة** ، والبعض رفض هذا الرأي ، فيقول القس ح• لويدكار أستاذ الدراسات الكتابية واللاهوتية كلية غوردون والذي وضع التفسير الحديث لهذا السفر " وخبرتي الشخصية في مجال الإنتاج والإخراج المسرحي قد أقنعتني أن النشيد بوضعه الحالي غير قابل للتمثيل ، ومن المستحيل أيضاً أن يكون النشيد صالحاً لأن يكون رواية مسرحيَّة ذات مغزى دون إعادة كتابته ككل من جديد • ثم أنه بحاجة للتأثير الدرامي الذي يجذب الجمهور •• " [٣] بالإضافة إلى أن الأدب العبري لم يعرف الرواية المسرحيَّة كما عرفها

(١) التفسير التطبيقي ص ١٣٦٤ - ١٣٦٦
(٢) التفسير الحديث للكتاب المقدس - نشيد الإنشاد ص ٣٥
(٣) المرجع السابق ص ٢٣

الأدب اليونانـــي ، ولذلـــك يمكن أن نطلق على السفر شعر مسرحي وليس رواية مسرحيَّة٠

كمـــا أدعـــى البعض أن السفر مجرد **رسالة عشق** من الملك سليمان إلى عشـــيقته ، وهـــذا أمر مردود عليه ، لأن العشق يتولد من الرغبات بعيدة المنال ، بينما سليمان كملك لم تكن هناك رغبة بعيدة المنال بالنسبة له ، فهو القائل "*أتخذت لنفســي مغنّيــن ومغنيات وتنعمات من بني البشر سيدة وسيدات ٠٠ ومهما أشتهته عيـــناي لـــم أمسكه عنهما* " (جا ٢ : ٨ ، ١٠) فمادام كل شئ سهل المنال بالنسبة لـــه ، فـــلا يوجـــد الدافع للعشق ، ولذلك قالوا أن الملوك لا يعشقون لأنهم عندما يشـــتهون يملكـــــون ، وعـــندما نرى سليمان الملك يعشق فلابد أنه يعشق العشق الإلهي " *أنا لحبيبي وإليَّ إشتياقه* " (نش ٧ : ١٠) ٠

س٥٨ : وماذا عن رأي الكنيسة الكاثوليكية في سفر النشيد ؟

ج : كمـــا رأينا من قبل مدى تأثر الكنيسة الكاثوليكية بآراء مدرسة النقد الأعلى ، هكذا نرى هنا مدى تأثر الكنيسة الكاثوليكية أيضاً بالآراء النقدية ، ففي مقدمة سفر نشـــيد الأناشيد بالطبعة اليسوعية يقولون " إن هذا الكتاب الصغير يُشكّل مسألة من أشـــد المسائل المتنازع عليها في نصوص الكتاب المقدَّس ٠ فما معنى هذه القصيدة الغزلـــية (أو مجموعة القصائد الغزلية) في العهد القديم ، فللكتاب طابع غرامي ، وهـــو لا يتوقف إلاَّ على الجمال الطبيعي ولا يذكر الله ولا إنجاب الأولاد ٠٠ فيه ذكـــريات أسطورية ٠ ومع ذلك فلا نجد فيه أي مفتاح لتفسيره٠ من الذي ألَّفه وفي أيّ تاريخ ؟ ولماذا أُلّف ؟ وإذا صح أن وجوده في قانون الكتب المقدَّسة لم يكن إلاَّ مصادفة ٠٠ جرت عدة محاولات قيل فيها إن التأليف يرقى عهده إلى زمن سليمان أو إلـــى مـــا بعده بقليل ، لكن الإنشاء واللغة يدلاَّن على أنه جاء متأخراً ، في أيام الفـــرس مثـــلاً (القرن الخامس ق٠م) أو حتى في العصر الهليني (القرن الثالث ق٠م) ٠٠ ولكـــن مـــن الواضح أن مؤلفها ليس سليمان ٠٠ أيّاً كان معناه ، أفتراه

نشـــيداً مقدَّساً أم دنيوياً ، أي أتُراه في مكانه في الكتاب المقدَّس ؟ لقد حاول العلماء للجــواب عن هذا السؤال أن يكتشفوا معنى نشيد الأناشيد ٠ وفي أمكاننا أن نلخص مختلف التفسيرات في أربعة عناوين ٠٠

١- **التفســـير التمثيلي (أو الرمزي) :** يرقـــى على الأقل إلى القرن الأول ب٠م ، ويتجنـــب مـــا فـــي هذه القصيدة الغزلية من معثرة كثيراً ما أوقعت اليهود والمســـيحيين في الإرتباك ٠ إنه يفسر علاقات الفتى والفتاة ، إما تفسيراً تاريخياً ، وإما تفسيراً صوفياً ٠٠ وللتفسير الصوفي أيضاً طريقان ، الأول جماعي يخص الله وإسرائيل ، يخص المسيح والكنيسة أو المسيح والبشرية ، والثاني فردي يربط بين الله ، والمســـيح والنفس البشرية ، لا بل بين الروح القدس ومريم العذراء ، أو بين سليمان والحكمة أيضاً ٠٠

٢- **التفسير الليترجي :** هو صيغة أخرى للتمثيل ، يرى في نشيذ الأناشيد نقل شعائر دينية وثنية شرق أوسطية.إكراماً لإله يموت ، وتفتش عنه في الجحيم حبيبته إلهة الحب والحروب ، يمثلها الملك وعظيمة الكهنة اللذان يرمز زواجهما (الزواج المقـــدَّس) إلـــى الإتحـــاد ويؤدي إلى تجديد الخصب في رأس السنة ٠ وفي هذا التفســـير أيضاً إزالة للمعثرة الغرامية ، إذ أن الإتحاد الجنسي لم تبق غايته في حد ذاتهـــا ، بل هي في خدمة قضية دينية ٠ قاوم أنبياء إسرائيل هذا النوع من العبادة ٠٠ ولكـــن مـــن المحتمل أن تكون هذه الليترجية قد دخلت إلى أورشليم في القرن السابع ٠٠

٣- **التفســـير المأســـوي :** يقبل ما في نشيد الأناشيد من واقع جنسي ، ولكنه يتجنـــب مـــا يخشـــى أن يكون معثرة ٠٠ فيرى فيه وصف حب شريف تقصد به الأمانة أكثر مما يُقصد به الجنس ، وأكثر من ذلك فإن في الكتاب ثلاثة أشخاص لا شخصـــين ، بحيـــث إنـــنا أمام مأساة الراعية الأمينة لراعيها ، بالرغم من سعي سليمان لخطفها منه ، وبذلك يخفف من قيمة الشهوة الغرامية٠

٤- **التفسير الطبيعي** : يرى في نشيد الأناشيد مجموعة أناشيد حب فيه بُعد واقعي أكيد ، حُفظت هذه المجموعة كمجموعة على مثال مجموعات الحب المصرية القديمة أو الأناشيد الشعبية العربية ، أو نُظّمت على نمط الأعراس السورية التي تجدها في أواخر القرن الماضي في عبر الأردن وفي لبنان . لا يرى بعض المفسرين في نشيد الأناشيد سوى مؤلف دنيوي (كتبرير زواج سليمان ببنت فرعون) ويذهبون إلى القول بأنه نشيد إباحي دخل قانون الكتاب المقدّس عن طريق المصادفة . وهناك من يتكلم على معنى خُلُقي لحب شريف ..

ويمكن إقتراح تفسير خامس ، يأخذ بعين الإعتبار عناصر التفسيرات السابقة ، فإن بعض أصحاب التفسير الرابع يرون أن نشيد الحب البشري هذا يستعمل لغة الأنبياء في وصفهم عهد الله مع إسرائيل كأنه زواج ، ويركز غيرهم على تأثير لغة الزواج المقدّس فيه .. من المحتمل أن يكون حب نشيد الأناشيد بشرياً ، جنسياً ومقدّساً في آن واحد ..وبناء على هذا الإفتراض ، فإن نشيد الأناشيد يصف الحب البشري كأنه غاية في حد ذاته في العمل الحسن الذي عمله الله (وفي ذلك نوع من شرح تك ٢ : ٢٣ ، ٢٤) ولذلك فإنه يضم ، عن علم واضح أو غير واضح ، عناصر الزواج الوثني المقدّس ، ولكنه ينزع عنه طابع الأسطورة نزعاً تاماً .. وهكذا فإن معنى نشيد الأناشيد الروحي هو في معناه الحرفي " (١)

والآن نأتي للسؤال الهام :

س٥٩ : لماذا نرفض كل الآراء السابقة التي أخذت بالتفسير الحرفي ، وأدعت أن السفر يعبر عن قصة حب طبيعي ، أو قصة عشق ، أو غزل فاضح وأخترعوا في هذه حكايات وروايات عن مغامرات سليمان وقصة حبه الناجحة أو الفاشلة .. إلخ ؟

(١) الكتاب المقدّس طبعة دار المشرق بيروت سنة ١٩٨٨م ص ١٣٧٨ - ١٣٨٠

ج – إننا نرفض الآراء السابقة للأسباب الآتية :

١- لـــو كان السفر يعبر عن قصة زفاف ، فأين دور الأب ؟! فبينما ظهرت الأم (٣ : ٤ ، ٨ : ١) وظهر الأخوة والأخوات (١ : ٦ ، ٨ : ٨) فإننا لا نجد أي إشارة للأب ، مع أهمية دور الأب في الزفاف في منطقة الشرق٠

٢- هـــناك عبارات عديدة تتعارض مع الحب الطبيعي أو العشق الجسدي ، فالحب في سفر النشيد بعيد كل البعد عن الحب الجنسي ، لأن الحب الجنسي يتميز بالغـــيرة ولا يقبل معه شريكاً قط ، بينما نجد عروس النشيد لا تشوبها هذه الغيرة ، ففي فاتحة السفر تقول " *ليقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر* " (نش ١ : ١) فهـــل يُعقـــل أن العروس تنظر إلى عريسها وتقول له حبك أطيب من الخمر ، وفـــي نفـــس الوقـــت تطلـــب قبلات آخر " ليقبلني بقبلات فمه " أليست هذه النفس البشـــرية التي تخاطب عريسها السماوي يسوع المسيح الذي خطبها بدمه الثمين ، وتطلب قبلات الآب ؟! ٠٠ وتقول العروس لعريسها " *لرائحة أدهانك الطيبة أسمك دهـــن مهراق ٠ لذلك أحبتك العذارى* " (نش ١ : ٢) فأي عروس هذه التي تفتخر بمحبة الأخريات لعريسها ، بينما العروس تغير غيرة مرة من أي فتاة تنافسها على محـــبة العـــريس ؟! كل عروس تريد أن يكون العريس ملكاً لها فقط ٠ أما النفس البشـــرية فإنها تسرُّ بمحبة المؤمنين لعريسها وإلهها ٠٠ ثم تقول له " *أجذبني وراك فـــنجري* " (نـــش ١ : ٤) فكيف تطلب العروس من عريسها أن يجذبها ، وعندما يجذبها لا تختلي به لوحدها ، إنما تطلب أن يكون معها بقية العذارى الحكيمات ؟! وبصيغة الجمع وروح الجماعة تظل العروس تناجي عريسها " نبتهج ونفرح بك ٠ نذكـــر حـــبك أكثر من الخمر ٠ بالحق يحبونك " (نش ١ : ٤) كما تقول " أُحلفكن يابـــنات أورشـــليم بالظباء وبايائل الحقل ألا تُيقظنَ ولا تنبهنَ الحبيب حتى يشاء " (نـــش ٣ : ٥) فهـــي لم تغر من العذارى بنات أورشليم السمائية ، ولا تحتد عليهنَّ ولا تزجرهـــن بعـــيداً عن حبيبها ، إنما تشعر أنهن شركاء معها في حب العريس السمائي ؟!٠

٣- الصفات التي خلعها العريس على عروسه لا يمكن أن تُرضي أي فتاة ، ومن هذه الصفات :

" شبهتك ياحبيبتي بفرس في مركبات فرعون " (نش ١ : ١٣)

" شعرك كقطيع المعز في جلعاد • أسنانك كقطيع نعاج " (نش ٦ : ٥ ، ٦)

" عـــنقك كبرج داود المبني للأسلحة • ألف مجن عُلّق عليه كلها أتراس الجبابرة " (نش ٤ : ٤)

" مرهبة كجيش بالوية " (نش ٦ : ٤)

" عيناكِ كالبرك في حشبون •• أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق " (نش ٧ : ٤)

فالفتاة التي تتميز بالرقة كيف تقبل أن يشبهها عريسها بفرس في مركبات فـــرعون بدلاً من أن يشبهها بحمامة أو يمامة أو عصفورة أو غزال ؟! وكيف تقبل أن يقـــول عـــنهـــا حبيـــبها أنها مرهبة ومخيفة مثل جيش عظيم مكوّن من عدة لـــواءات ؟! •• وكـــيف تقبل وصف حبيبها بأن شعرها كقطيع الماعز ، وأسنانها كقطيع النعاج ، وعنقها كبرج داود ، وعيناها كالبرك ، وأنفها كبرج لبنان ؟! بينما نجـــد هذه الصفات تنطبق على النفس البشرية أو الكنيسة في قوتها وعظمتها فهي تُرهب الشياطين •

خامساً : التفسير الرمزي :

س٦٠ : ما هي نوعية التفسير الذي تقبله الكنيسة لسفر النشيد ؟

ج : يجـــب أن يُفسَر سفر النشيد تفسيراً رمزياً ، والتفسير الرمزي Type بمعنى شـــكل أو نمـــط ، مـــن الكلمة اليونانية Typos أي نموذج ، والكلمة المرتبطة بها antitype أو antitypas أي المطابقـــة مع شئ سابق ، وهناك التفسير المجازي ، وكلمـــة " مجاز " في الإنجليزية allegory وقد أتت من كلمتين يونانيتين هما أ- allos أي آخـــر ب- agoreyo أي يـــتكلم أو يعلق ، ومعنى المجاز أنك تقول شـــيئاً وتقصد شيئاً آخر ، ويستخدم التفسير المجازي في الحقائق الروحية العميقة ،

ولا يصـــلح في تفسير الحقائق التاريخية ، والفارق بين التفسير الرمزي والمجازي أن التفسير الرمزي يقر بصحة قصص العهد القديم ويربطها بتعاليم العهد الجديد ، بيـــنما التفسير المجازي يتجاهل حقيقة هذه القصص ويركز على المعنى الخفي أو الروحـــي ، ويقول ب ٠ ب ٠ بارنت P. P. Parente في كتابه " نشيد الإنشاد في اللاهـــوت الروحي " سنة ١٩٤٤م ص ١٥٠ " أن المعنى الذي قصده الله من نشيد الأنشاد هو المعنى الروحي أو المجازي ٠ أما أولئك الذين يتوقفون عند حد المعنى الحرفـــي للـــنص ولا يدركون شيئاً من المعنى الروحي ، فأنهم يقرأون شيئاً يشير للحـــب الطبيعي فقط ولا يجدون شيئاً فيه فائدة لنفوسهم ٠ إن الشخص الجسدي لا يصح أن يقرأ هذا السفر ، أنه سفر النفوس الكاملة " [١] ٠

ويقـــول **قداسة البابا شنودة الثالث** عن هذا السفر " الروحيون يقرأون هذا الســـفر ، فيزدادون محبة لله ٠ أما الجسدانيون ، فيحتاجون في قراءته إلى مرشد ، لـــئلا يسيئوا فهمه ، ويخرجون عن معناه السامي إلى معانٍ عالمية ٠٠ هذا السفر هو سفر الحب نفهم منه أن الله منذ القديم كان يريد أن تكون العلاقة بيننا وبينه هي علاقة حب ٠٠ سفر النشيد يتحدث عن المحبة الكائنة بين الله والنفس البشرية ، أو بيـــن الله والكنيسة ، في صورة الحب الكائن بين عريس وعروسه ٠٠ ولكي نفهم ســـفر النشـــيد ، لابد أن نفهمه بطريقة رمزية ، وليس بتفسير حرفي ٠ إن التفسير الحرفي لسفر النشيد بمفهوم جسداني هو تفسير مُنفّر ، ولا يتفق مع روح الوحي ، ولا مع مدلول الألفاظ ٠ وهذا السفر لا يصلح إلاّ للمتعمقين في الروح ، الذين لهم عمـــق في التأمل ، والذين لا يأخذون الألفاظ بفهم سطحي ، أنه ليس للمبتدئين ، بل للناضجين ، وقديماً لم يكن أحد يقرأه إلاّ بإذن أو بإشراف أبيه الروحي " [٢] ٠

---

(١) التفسير الحديث للكتاب المقدس ص ١٩

(٢) تأملات في سفر نشيد الأناشيد ص ٨ ، ٩

وقـــد فسَّـــر اليهود السفر على أساس أنه علاقة بين يهوه وشعبه المحبوب إســـرائيل ، وساعدهم في هذا التفسير وضوح هذا المعنى في مواضع عديدة بالعهد القديم ، وقد فسَّر المسيحيون السفر بثلاثة طرق :

١- أن العـــذراء القديسة مريم هي عروس النشيد ، وأخذ بهذا التفسير بعض الآباء مثل القديس أمبروسيوس ، وهناك بعض الآيات التي ساعدت في هذا التفسير مثل قول العريس " *كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين البنات* " (نش ٢ : ٢) ، و " *هـــن ســـتون ملكـــة وثمانون سرية وعذارى بلا عدد ، واحدة هي حمامتي كاملتـــي ، الوحـــيدة لأنها هي عقيلة والدتها هي ، رأتها البنات فطوَّبنها الملكات والســـراري فمدحنها* " (نش ٦ : ٨ ، ٩) ولكن بعض الأخوة الكاثوليك أنحرفوا في التفسير ، فنادوا بعقيدة " الحبل بلا دنس " أي أن العذراء مريم ولدت بدون الخطية الجديَّـــة (راجع كتابنا يأخوتنا الكاثوليك ‥ متى يكون اللقاء جـــ ٢ ص ١٥٧ ، ١٥٨).

٢- أن عـــروس النشيد هي كنيسة العهد الجديد التي إقتناها الله بدمه ، ومن الذين أخذوا بهذا التفسير العلامة أوريجانوس والقديس أغسطينوس .

٣- أن عروس النشيد هي النفس البشرية التي من أجلها سفك إبن الله دمه ، ومـــن الذيـــن أخذوا بهذا التفسير العلامة أوريجانوس والقديسون أثناسيوس ، وفم الذهب ، وغريغوريوس أسقف نيصص ، وأيضاً القديس أغسطينوس .

ومما يشجعنا على التفسير الرمزي لهذا السفر ما يلي :

١- أن الله أســـتخدم لغتنا البشرية في التعبير عن الأمور الروحية العميقة ، وحـــتى لا يكـــون غريـــباً عنا ، فعندما صوَّر الكتـــاب الله على أنه يحزن ويندم ويغضـــب ويفرح ‥ إلخ فذلك لكيما ينقل لنا مشاعر الله ، بينما اللاهوت منزَّه عن الإنفعـــالات البشرية ، وعندما يقول الكتاب عرش الله فهو تعبير عن ملك الله بينما

الله غير محدود ، ولا يحده عرش مهما عظم • كما أستخدم الوحي أعضاء الجسد لتوضيح بعض المعاني الروحية ، ومن أمثلة ذلك :

أ - **الرأس** : تشير للحكمة كما قال سليمان " *الحكمة هي الرأس فاقتن الحكمة •• تغطي رأسك أكليل نعمة • تاج جمال تمنحك* " (أم ٤ : ٧ - ٩)

ب - **الشــعر** : يشير للعناية الإلهية " *وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة* " (مت ١٠ : ٣٠) •

ج - **العيـنان** : يشـيـران للعـناية " *عيـنا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صـراخهم* " (مز ٣٤ : ١٥) وأيضاً يشير للبصيرة الروحية " *ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق* " (١يو ٥ : ٢٠)•

د- **الخـد تحت النقاب** : يشير للبهاء ، فعندما نزل موسى من الجبل ، لم يكن يعلـم " *أن جلد وجهه صار يلمع فجعل على وجهه برقعاً • وعندما كان يدخل إلى الرب يرفع البرقع ، وعندما يخرج ليكلم الشعب كان يضع البرقع* " (خر ٣٤ : ٢٩ - ٣٥) •

هـ - **الفم** : يرمز للأقوال " *لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية أمامك* " (مز ١٩ : ١٤)•

و - **الشـفتان** : ترمـزان للتسبيح " *فلنقدم به كل حين ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه* " (عب ١٣ : ١٥)•

ز - **الأسـنان** : تشيران إلى هضم كلام الله " *وُجِد كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح • ولبهجة قلبي لأني دعيت باسمك يارب إله الجنود* " (أر ١٥ : ١٦)•

ح- **العـنق** : يرمـز إلى حمل النير " *أحملوا نيري عليكم • لأن نيري هين وحملي خفيف* " (مت ١١ : ٢٩ ، ٣٠)•

ط- **الـثديان** : يرمـزان إلـى كلمـة الله عبر العهدين القديم والجديد " *لكي تُرضعوا وتُشبعوا من ثدي تعزيتها* " (أش ٦٩ : ١١) •

وبالنسبة لسفر النشيد فإن الثديين يشيران للناموس والأنبياء ، والثديان يشيران لبركات الرضاعة كما قال أبونا يعقوب لأبنه يوسف " *بركات الثديين والرحم* " أي بركات الرضاعة والولادة ، وقالت امرأة للسيد المسيح " *طوبى للبطن التي حملتك وللثديين اللذين رضعتهما* " (لو ١١ : ٢٧) كما أن الثديين يشيران للإطمئنان " *أنت جذبتني من البطن . جعلتني مطمئناً على ثديي أمي* " (مز ٢٢ : ٦) والأم هي الكنيسة التي ترضع أبناءها الإيمان الحقيقي اللبن عديم الغش ، ومن يخطف الطفل عن ثديي أمه يحكم عليه بالموت " *يخطفون اليتيم عن الثدي* " (أي ٢٤ : ٩).

ى - **البطن** : تشير للأمور الباطنية " *لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن* " (أف ٣ : ١٦).

ك - **السرة** : ترمز للفطام الروحي " *أما ميلادك يوم وُلدتِ فلم تُقطع سرتك* " (حز ١٦ : ٤) أي محكوم عليك بالموت.

ل - **دوائر الفخذين** : أي مفاصل الفخذين ، وتشير لرباط الوحدة ، فالمفاصل هي التي تربط أعضاء الجسم معاً " *تنمو في كل شئ إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح . الذي منه كل الجسد مركبّاً معاً ومقترناً بموازة كل مفصل* " (أف ٤ : ١٥ ، ١٦).

م - **الرجلان** : تشيران للسعي في طريق الخدمة " *حاذين أرجلكم بإستعداد إنجيل السلام* " (أف ٦ : ١٥).

٢- شبه الكتاب المقدَّس الله بالعريس والنفس البشرية بالعروس ، وطالما العروس تعيش في طاعته فهي تعلن حبها له ، أما إن مالت إلى المباهج والمسرات العالمية وأنجرفت إلى عبادة الأوثان فإنها تزني الزنى الروحي ، فقد أوصى الله شعبه إسرائيل " *أحترز أن تقطع عهداً مع سكان الأرض . فيزنون وراء آلهتهم .. وتأخذ من بناتهم لبنيك . فتزني بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن* " (خر ٣٤ : ١٥ ، ١٦) وأخبر الله موسى بمستقبل شعبه " ويقوم هذا

الشـــعب ويفجُر وراء آلهة الأجنبيين " (تث ٣١ : ١٦) ، أما عن الآيات التي تذكر الله كعريس وشعبه كعروس فهي كثيرة جداً نذكر منها :

أ- قـــول المـــزمور *" إسمعي ياإبنة وأنظري وأميلي أذنك وأنسي شعبكِ وبيت أبيكِ ،، فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدكِ فاسجدي له ،، كلها مجد ابنة الملك في خدرها ، منسوجة بذهب ملابسها ، بملابس مطرَّزة تُحضر إلى الملك في أثرها عـــذارى صاحباتها ، مُقدَّمات إليك ، يحضرن بفرح وإبتهاج ، يدخلن إلى قصر الملـــك "* (مـــز ٤٥ : ١٠ - ١٥) وممـــا يذكر أن كلمات هذا المزمور ١٦٠ كلمة وبإسقاط المتكرر ١٢٠ كلمة وردت منها ٥١ كلمة في سفر النشيد ،

ب- قال أشعياء النبي *" لأن بعلكِ هو صانعك رب الجنود أسمه ووليّكِ قدوس إســـرائيل له كـــــل الأرض يُدعى ، لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب ، وكزوجة الصبا إذا رُذلت قال إلهك "* (أش ٥٤ : ٥ ، ٦) كما قال *" كفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك "* (أش ٦٢ : ٥) ،

ج - قـــال الله لأرمـــيا النبي *"إذهب وناد في أذني أورشليم قائلاً ، هكذا قال الـــرب ، قـــد ذكـــرت لك غيرة صباكِ محبة خطبتكِ ذهابكِ ورائي في البرية في أرض غير مزروعة "* (أر ٢ : ٤)،

د- فـــي سفر حزقيال شبه الله أورشليم بفتاة مطروحة على وجه الحقل محكوم علـــيها بالموت ، فأخذها وأعتنى بها حتى صلحت أن تكون ملكة ، وبعد هذا خانته وزنـــت وراء الأوثان *"أهو قليل من زناكِ ، أنك ذبحت بنيَّ وجَعلْتهم يجوزون في النار لها ، وفي كل رجاساتكِ وزناكِ لم تذكري أيام صباكِ إذ كنت عريانة وعارية وكنت مدوسة بدمكِ "* (حز ١٦ : ٢٠ - ٢٢)،

هـــ - في سفر هوشع قال الله *" ولكن هانذا أتملقها وأذهب إلى البرية وألاطفها ،، وهـــي تغني كأيام صباها وكيوم صعودها من أرض مصر ، ويكون في ذلك الـــيوم يقول الرب أنك تدعيني رجلي ولا تدعيني بعلي "* (هو ٢ : ١٤ - ١٦) كما قـــال الله عـــن شـــعبه *" وأخطـــبكِ لنفسي إلى الأبد وأخطبكِ لنفسي بالعدل والحق*

والإجســان والمراحــم • *أخطبكِ لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب* " (هو ٢ : ١٩ – ٢٠)•

و– قــال يوحــنا المعمدان عن السيد المسيح " *من له العروس فهو العريس • وأما صديق العريس الذي يقف ويسمع يفرح فرحاً من أجل صوت العريس* " (يو ٣ : ٢٩)•

ز– عندما سأل تلاميذ يوحنا الرب يسوع عن سبب عدم صوم تلاميذه قال لهم " *هــل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم • ولكن ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون* " (مت ٩ : ١٥) وفي مثل العذارى شبه السيد المســيح نفسه بالعريس " *وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأُغلق الباب* " (مت ٢٥ : ٩)•

ح– قــال بولــس الرســول لأهل كورنثوس " *لأن خطبتكم لرجل واحد لأقدم عــذراء عفيفة للمسيح* " (٢كو ١١ : ٢) وفي الرسالة إلى أفسس طلبَ من الرجال أن يحــبوا زوجاتهم كما أحب المسيح الكنيسة وسلَّم نفسه لأجلها ، وطالب السيدات أن يخضعن لرجالهن كما تخضع الكنيسة للمسيح (أف ٥ : ٢٢ – ٢٧)•

ط– جاء في سفر الرؤيا " *لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عرس الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها • وأُعطيت أن تلبس بزّاً نقياً بهياً • لأن البزّ هو تبرّرات القديسين* " (رؤ ١٩ : ٧ ، ٨) •• "*رأيت المدينة المقدَّسة أورشليم الجديدة نازلة من الســماء مــن عــند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها* " (رؤ ٢١ : ٢) وقال الملاك ليوحــنا " *هلــمَّ فأريك العروس امرأة الخروف* " (رؤ ٢١ : ٩) وفي ختام الكتاب يقول " *الروح والعروس يقولان تعال •• تعالَ أيها الرب يسوع* " (رؤ ٢٢ : ١٧ ، ٢٠)•

ومع هذا الكم من الآيات فإن أحداً لم يشك أن العلاقة بين الكنيسة والمسيح علاقة جسدية ، ماعدا شخص غير سوي قال في حلقة تليفزيونية أن المسيح تزوج خمســة عــذارى ودخل معهن وأُغلق الباب !! •• وكل إنسان يعبر عما بداخله ،

فالإنسان الروحي يرى في هذا السفر أعماق الحب الإلهي ، أما الإنسان الجسداني الشهواني فيرى فيه كلمات خارجة وغزلاً مفضوحاً لا يليق بالوحي الإلهي ·

سادساً : آيات عثرة الفهم :

س ٦١ : كيف يمكن أن نفسر الآيات التي تلقى هجوماً من سفر النشيد ؟

ج : ومازال هذا السفر يلقى هجوماً شرساً حتى أن بعضهم بعد أن أورد بعض الآيات من السفر في أحد مواقع شبكة الأنترنت قال " أن الذي يضع هذا النص في كتاب مقدَّس هو زنديق ، ومن يفسره ويحاول أن يقنع به الجهلة هو محتال ومن يصدقهما هو متخلف عقلياً " والحقيقة أن بعض الآيات التي رأى فيها هؤلاء الجسديون عثرة ، قد حملت إلينا أعماقاً روحية ، وغمر ينادي غمراً " أي قول أو أي سمع يقدر أن ينطق باللجة التي لا تُوصف ، التي لمحبتك للبشر ياالله " (من ثيؤطوكية الخميس) فمن يفهم ومن يدرك جمال العلاقة الروحية مع الله ؟! والآن إلى بعض هذه الآيات :

١- ***" ليقبلني بقبلات فمه "*** (نش ١ : ٢) ·· ***" ليتك كأخ لي الراضع ثديي أمي فأجدك في الخارج وأقبّلك ولا يخزونني "*** (نش ٨ : ٢١)·

ليقبلني ·· بينما تخاطب العروس العريس فأنها تطلب قبلات آخر ، وهذا مايؤكد أن القبلات هنا ليست أمور جسدية ، إنما هي قبلات الله الآب الذي أحب النفس وخلقها على صورته ومثاله ، وعندما سقطت وعدها بالخلاص ، وأعطاها الناموس عوناً ، والأنبياء يؤكدون لها وعد الخلاص ، ومع ذلك فهي تطلب قبلاته أي تعاليمه في الناموس والأنبياء ·

ليقبلني ·· مع أن الله ليس جسد وليس له فم وشفاه · إنما كما أن الشفاه بها الأعصاب المرهفة ، هكذا القبلات هنا تعبر عن قمة إعلان حب الله لنا·

ليقبلني ٠٠ ولم تذكر أسمه خشوعاً ووقاراً وإحتراماً ، كما أن الحبيب هو واحد لا يوجد في العالم كله غيره ، كما قالت مريم المجدلية للبستاني " *إن كنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه* " (يو ٢٠ : ١٥) ولم تذكر أسمه٠

ليقبلني ٠٠ فالنفس لا تكتفي بالإقتراب منه ، أو الحديث معه ، إنما تطلب قبلات فمه أي تعاليمه ومحبته الفياضة ، ولا تطلب قبلة ولا بضع قبلات إنما تطلب كل القبلات ، فإختبارها لمحبة العريس الغير محدودة شجعها على هذا٠

ليقبلني بقبلات فمه ٠٠ تلك القبلات التي أختبرها الإبن الضال في توبته ، فـبعد أن أختبر قبلات العالم وأدرك تماماً أنها " *غاشة قبلات العدو* " (أم ٢٧ : ٦) ٠٠ " *فقام وجاء إلى أبيه وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبّله* " (لو ١٥ : ٢٠) أنها قبلات أبوية كما هي قبلات أخوية " *ليتك كأخ لي ٠٠ وأقبّلك ولا يخزونني* " ٠

ليقبلنـي بقـبلات فمه ٠٠ تلك المحبة الفياضة التي أختبرها يوحنا الحبيب الـذي كـان يتكئ على صدر يسوع وقال " *لا خوف في المحبة بل المحبة الكاملة تطـرح الخـوف إلـى خارج* " (ايو ٤ : ١٨) ، وإن كان بمجرد أن نرى صورة للعـريس السمائي نقبّلها ، أفلا يطبع هو قبلاته على النفوس المحبة ؟! ويقول نيافة الأنـبا يؤانس الأسقف العام " تزوقت العروس محبة مسيحها الأطيب من الخمر ، فاشـتعل قلبها حباً وإشتياقاً ، وطفقت – بدالة البنوة – تطلب قبلات الآب السماوي كي ما تروي محبة قلبها وإشتياقاته " [١]٠٠ " فياليتكَ – مع إني غير مستحقة – أن ترفعني إلى مستوى أحضان أبيك السماوي ، فأتمتع معك بأحضانه الحانية ، وأشبع وأرتوي بقبلات فمه " [٢].

٢- " *لأن حـبك أطيـب من الخمر* " (نش ١ : ٤) ٠٠ " *أدخلني إلى بيت الخمر* " (نش ٢ : ٤)٠

---

(١) تأملات في الإصحاح الأول في سفر نشيد الأناشيد ص ٢٥

(٢) المرجع السابق ص ٢٤

قـــال الـــرب يسوع " *أنا هو الكرمة الحقيقية* " (يو ١٥ : ١) ومن عصير الكـــرم يُصنع الخمر ، فالخمر هو تعبير مجازي عن محبة المسيح التي دفعته إلى ســفك دمه من أجلنا ، وبيت الخمر هو مخدع الصلاة حيث الخلوة مع الله وتسبيح أســمه القـــدوس ، وكمـــا أن الخمر تملك المشاعر والأحاسيس ، وتنسي الإنسان همومـــه ، وتمـــنحه النشـــوة ، هكـــذا الحب الإلهي " عند *كثرة همومي في داخلي تعزيـــاتك تلـــذذ نفسي* " (مز ٩٤ : ١٩) والتشبيه مع الفارق لأن الخمر تذهب بعقل الإنســـان ، أمـــا الحب الإلهي فأنه يسمو بعقل الإنسان للأمور السمائية التي تفوق الإدراك ، وإن كـــان تأثير الخمر وقتياً فإن تأثير الحب الإلهي دائم ويعبر بالإنسان من هذه الحياة للحياة الأخرى.

ويقـــول القديس يوحنا سابا (الشيخ الروحاني) " فكل عقل كثير الكلام ، إن دخـــل هـــذا البيـــت (بيت الخمر) يلتزم السكوت ويمتنع عن الكلام والحركات لإندهاشـــه بالأسرار .. ههنا يُظهِر الله جماله لمحبيه .. ههنا تبصر النفس ذاتها ورب المجـــد المُشـــرق فـــيها .. بالحقيقة أن الأرض وكل ما عليها قد ذهبت من قدامي ، وقد إستضاءت عينا قلبي بجمال إلهي . دهش ذهني بعجب أسراره ، وقد أشـــتعل لهيـــب محبته بعظامي .. أنه نعيم وطوبى أرفع من كل تطويب ، وليس للذتهـــا مثـــيل .. السبح لك يا إلهي ، فكما أنك عجيب ، عجيبة هي أيضاً أسرارك .. فطوبى لمحبيك الذين بجمالك وبهائك يضيئون .. " (١).

وقـــال أحـــد الرهـــبان " أنهـــا لحظات تخرج النفس فيها عن هذا الزمان المحدود ، وتحلق بعيداً في خفة الروح حتى تتلامس بتلامس خفي – حلو للغاية – مـــع الغير محدود .. مع أصل وغاية وجودها رب المجد ، فتنسكب فيها تيارات المحـــبة الإلهية الفياضة .. فتضحى النفس سكرى بمحبة إلهها الأطيب من الخمر .. وقد أستقرت تماماً في بيت الخمر السماوي ..

---

(١) أورده نيافة الأنبا يؤانس الأسقف العام " تأملات في الإصحاح الثاني من سفر نشيد الأناشيد ص ٥٠

إنهـــا لحظات إشراق إلهي عجيب ومضئ للغاية ٠٠ إشراق إلهي خفي ، يجـذب الـــنفس فـــي ومضة فكر من هذا المجال المادي المحدود إلى ذلك المجال الإلهـــي غير المحدود ، في لذة وراحة عجيبة غير موصوفة ٠٠ وقد نسيت النفس وجودها الزمني ، وأضحت سكرى بإشراقات الحب الإلهي ٠٠ وقد أستقرت تماماً في بيت الخمر ٠٠

إنهـــا لحظات تتفتح فيها مدارك النفس لتعي تماماً وجود الله الذي السموات وسماء السموات لا تسعه ٠٠ لحظات تتفتح فيها أعين القلب لتعاين جمال الحبيب ، وكأن النفس في وسط محيط لا حدود له ٠٠ ليس مجرد مجال روحاني ، لكنه هو الله الـــذي لا حـــد له ، والنفس تنعم بسرور مفرط ، وتظفر فرحاً مع تموجات هذا المحـــيط الإلهي ٠٠ يكسوها خشوع روحاني عجيب ٠٠ وقد أمتلك رب المجد كل خلجة من خلجات القلب الصغير ٠٠ وأضحت النفس سكرى بمفاعيل الحب الإلهي العجيب ٠٠ داخل بيت الخمر السماوي الذي للحبيب ٠٠ هي لحظات لا تنسى ٠٠ أنهـــا تلـــك اللحظـــات المقدّسة التي تسمو فيها النفس ، وترفع أجنحتها كالنسور ، فـــيجذبها رب المجـــد بعيداً عن هذا المجتمع الضيق الذي للمنظورات ويدخلها إلى بيـــت الخمـــر السماوي ٠٠ وتقترب النفس إلى غير المقترب إليه ٠٠ وتسري في داخلها مشاعر روحانية تفوق الوصف " (١).

وحتى غير المؤمنين الذين لم يتذوقوا محبة المسيح شعر المتصوفون منهم بمحبة الله وشبهوها بالخمر ، فقالت رابعة العدوية :

" كأسي وخمري والنديم : ثلاثة — وأنا المشوقـــة في المحبة : رابعة
كأس المسرة والنعيم يديرهـــــا — ساقـــي المُدام على المدى متتابعة
فإذا نُظرتُ فلا أرى إلاَّ لـــــه — وإذا حضرت فلا أرى إلاَّ معـــه " (٢)

(١) تأملات في الإصحاح الثاني في سفر نشيد الأناشيد ص ٥١ ، ٥٢
(٢) شهيدة العشق الإلهي ص ١٧٣

وقـــال الأســـتاذ مـــأمون الغريب عنها " أن رابعة العدوية كانت تريد أن تشـــرب وتشرب من هذه الكأس الربانية ، هذه الكأس التي يصعب وصفها ، بل أن عمـــر بن القارض كان وصَفَهُ رغم ما فيه من رقة المشاعر ، يبدو غامضاً ما فيه مـــن جمـــال وجلال دون أن تفهمه فهماً حرفياً ، أنك تستشعر عمق هذا الحق لله ، وإن صعب شرحه :

يقولون لي صفها فأنت بوصفها خبير   أجل عندي بأوصافها علـــــم

صفاءُ ولا ماءُ ، ولطفُ ولا هـــوى   ونورُ ولا نارُ ، وروحُ ولا جسم "

ومن المعروف أن الخمر بمفهومها الحرفي والتي حرَّمها الإسلام في هذه الأرض ، قد حلَّلها القرآن في الجنة " يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكـــأس من معين ٠ لا يصدعون عنها ولا يُنزفون (تذهب عقولهم) " (الصافات ٤٥) " يتـــنازعون فـــيها كأساً لا لغو فيها ولا تاثيم " (الطور ٢٣) وفسرها النسفي وابن كثير على أنهم يتعاطون الخمر ٠

٣- *" ما أجمل خديك بسُمُوط وعنقك بقلائد "* (نش ١ : ١٠) ٠٠ *" خدك كفلقة رمانة تحت نقابك "* (نش ٤ : ٤٠)٠

الســـموط هـــو الخيوط التي تجمع الجواهر ، فتُكوّن عقود أو صفوف من الجواهـــر ، ومفردها سمط أي عقد أو صف ، وسبب جمال خدي العروس هنا هو الســـموط أي صفوف الجواهر ، ومن صاحب هذه الجواهر ؟ أنه العريس ٠٠ في القديـــم أرســـل اسحق العريس الجواهر إلى رفقة العروس فأزدانت بها ، فالله هو الـــذي يُزيّـــن النفس البشرية *" زينة الـــروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمـــن "* (ابـــط ٣ : ٤) فـــيظهر علـــى النفس ثمار الروح القدس فتتحلى بالمحبة والفـــرح والسلام وطول الأناة واللطف والصلاح والإيمان والوداعة والتعفف مثل جواهر عديدة ، ولكل جوهر بريقه ولمعانه٠

وفـي الـترجمـة السـبعينية " *ما أجمـل خديك كحمامة* " وخدا الحمامة يشـيران للبساطة والوداعة " *كونوا بسطاء كالحمام* " (مت ١٠ : ١٦) وقال السيد المسيح " *إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً* " (مت ٦ : ٢٢) كما يشير الحمـام للطهـارة فالزيجة لدى الحمام تتم مرة واحدة فقط ، ولا ننسى أن الحمامة تشير للروح القدس كما رأينا في معمودية المسيح .

وعنقك بقلائد .. والقـلادة هي العقد أو الكردان ، فعندما رفع الله يوسف " *خلـع فـرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف . وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه* " (تك ٤١ : ٤٢) وعندما وهب الله الحكمة لدانيال " *حينئذ أمر بيلشاصَّر أن يُلبِسوا دانيال الأرجوان وقلادة من ذهب في عنقه* " (دا ٥ : ٢٩) وفي سـفر حزقـيال يقول الله للنفس البشرية " *وحليتك بالحلي فوضعت أسورة في يديك وطوقاً في عنقك .. وجملت جداً جداً فصلحت لمملكة* " (حز ١٦ : ١١ ، ١٣).

وعنقك بقلائد .. والقـلادة كما علمنـا الكتاب المقدَّس هي حفظ الوصية " *ياإبني أحفظ وصية أبيك ولا تنسى شريعة أمك . أربطها على قلبك دائماً قلد بها عـنقك* " (أم ٦ : ٢٠ ، ٢١) والقلادة هي السلوك بالرحمة والحق " *لا تدع الرحمة والحق يتركانك . تقلَّدهما على عنقك* " (أم ٣ : ٣) والقلادة هي تأديبات الرب لنا " *أسـمع ياإبنـي تأديـب أبيك . ولا ترفض شريعة أمك . لأنها أكليل نعمة لرأسك وقلائد لعنقك* " (أم ١ : ٨ ، ٩) والقلادة هي حمل نير المسيح " *أحملوا نيري عليكم .. لأن نـيري هيـن وحملي خفيف* " (مت ١١ : ٢٩ ، ٣٠) أما العنق الذي بلا قـلادة فهـو عنق صلب الرقبة كما كان اليهود " *رأيتُ هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة* " (خر ٣٢ : ٩).

خدك كفلقة رمانة .. فمن الخدين يظهر جمال الإنسان أو قبحه ، والخدان كجزء رئيسي في الوجه نستشف منهما إنفعالات الإنسان إذا كانت إنفعالات فرح أو

حـــزن ٠٠ ســـلام أو ضيق ٠٠ سعادة أو ضجر ، ودائماً نجد الكنيسة مشرقة لأن خداها كفلقتي رمانة٠

خــدك كفلقـــة رمانة ٠٠ فالرمان يشير للحياة الغنية بسبب كثرة البذور ، وأيضـــاً الـــرمان علامة الزينة ، ولذلك زُين به ثوب رئيس الكهنة " *وتصنع جبة الـــرداء كلهـــا مـــن اســـمانجوني ٠٠ وتصنع على أذيالها رُمَّانات من اسمانجوني وأرجوان وقرمز* " (خر ٢٨ : ٣١ – ٣٣) وعمـــودا ياكيـــن وبوعـــز لهما تاجان "*وعمل للعمودين صفَّين من الرمان في مستديرها على الشبكة* " (١ مل ٧ : ١٨)٠

كفلقـــة رمانـــة ٠٠ أي إظهار مافي باطنها من بذور حمراء بحمرة الدم ، فسر جمالها هو دم المسيح الذي تحيا به ٠

تحـــت نقـــابك ٠٠ ليس النقاب بقصد الإخفاء ولكن بقصد الحشمة والحياء لأن كـــل مجد إبنة الملك من داخل ، وهذا يتمشى مع مبادئ الموعظة على الجبل مثل ممارسة الأمور الروحية من صوم وصلاة وصدقة في الخفاء٠

٤- " ***صـــرَّة المـــر حبيبي لـــي ٠ بيـــن ثديـــي يبيت*** " (نش ١ : ١٣) المر ســـائـــل لـــــزج يســـيـــل مـــــن أشـــجار شوكية في بلاد العرب والهند ويُسمى المـــر القاطر ، Balsamo dendron myrrha وكان من العادات القديمة أن تُعلَّق الفـــتاة سلســـلة بها صرة مر قاطر فتستقر تحت الملابس بين الثديين وتفيح رائحته الذكـــية (راجع نيافة الأنبا يؤانس الأسقف العام – تأملات في الإصحاح الأول من سفر نشيد الأناشيد ص ٢٦٦)٠

وصـــرة المـــر تشـــير لآلام المسيح العبد المتألم الذي قدم له المجوس في طفولـــته مرّاً ، وعلى الصليب قدموا له خلاً ممزوجاً بمرارة" *محتقر ومخذول من العـــالم رجـــل الأوجـــاع ومختـــبر الحـــزن* " (أش ٥٣ : ٣) وعند تكفينه أحضر

نـيقوديموس مــر وعود نحو مئة مناً • كما أن صرة المر تشير للتعاليم الخاصة بالتجسد الإلهي كما قال العلامة أوريجانوس •

صرة المر حبيبي لي •• فهو الذي قال " *لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلـــم ما يعمل سيده • لكني قد سمّيتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي* " (يو ١٥ : ١٥) •

حبيبـــي لـــي •• وقـــد أمتلكته وسأحتفظ به في أفضل مكان في قلبي بين ضلوعي ، ومتى ملكَ قلبي ملكَ حياتي •

بيـــن ثديـــي يبيت •• تشبيه مأخوذ من العادات القديمة حيث كانت تُعلِق الزوجة صورة زوجها الغائب في عنقها علامة لمحبتها وإخلاصها له •

بين ثديي يبيت •• قال الله للإنسان " *ياإبني أعطني قلبك* " (أم ٢٣ : ٢٦) وفـــي القديـــم قـــال الله على لسان هوشع النبي " *حاكموا أمكم حاكموا لأنها ليست امرأتـــي وأنا لست رجلها • لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها* " (هو ١ : ٢) فالنفس يجب أن تتطهر من الفسق والآثام حتى يجد الله موضعاً مريحاً فيها •

بيـــن ثديـــي يبيت •• أي يستريح ، ففي وسط ظلمة الخطية لا يجد السيد المســيح مكاناً يستريح فيه إلاَّ قلوب المؤمنين ، ومن يستريح المسيح في قلبه يحب أن يعتزل عن شهوات العالم ولا يحن ويشتاق إليها •

بيـــــن ثديـــي يبيت •• كقول بولس الرسول " *ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم* " (أف ٣ : ١٧) •

٥- " *وها أنت جميل ياحبيبي وحلو وسريرنا أخضر* " (نش ١ : ١٦)

ها أنت جميل ياحبيبي ٠٠ في الآية السابقة قال العريس للعروس " *ها أنت جميلة ياحبيبتي ها أنت جميلة ٠ عيناك حمامتان* " (نش ١ : ١٥) فلم تنشغل بجمالها ولم تتباهى به ، إنما أنشغلت بالعريس ونظرت إليه قائلة ها أنت جميل ياحبيبي ٠

ها أنت جميل ياحبيبي وحلو ٠٠ كنت فيما سبق أعرف عنك أما الآن فعرفتك " *أنت أبرع جمالاً من بني البشر* " (مز ٤٥ : ٢) أما بالنسبة لليهود الذين لم يعرفوك فكنت بالنسبة لهم " *كعِرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال ننظر إليه ولا منظر فنشتهيه* " (أش ٥٣ : ٢) عرفتك وتذوقتك فإذ أنت حلو " *ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب* " (مز ٣٤ : ٨) ٠٠ " *طيب هو الرب للذين يترجونه للنفس التي تطلبه* " (مز ٣١ : ٢٥) حلو في رعايتك ٠٠ حلو في محبتك ٠٠ حلو في صبرك وطول أناتك ٠٠ حلو في إفتقادك لأولادك ٠٠ حلو في مراحمك للخطاة ٠٠ حلو في عطاياك ٠

وسريرنا أخضر ٠٠ السرير يرمز للراحة ، فبعد عناء يوم طويل يجد الإنسان راحته على سريره ، والسرير يرمز للهدوء والإسترخاء والسكينة والطمأنينة " *الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت ٠ أقول للرب ملجأي وحصني إلهي فأتكل عليه ٠٠ بخوافيه يظللك وتحت جناحيه تحتمي* " (مز ٩١ : ١ - ٤) واللون الأخضر علامة الحياة والإثمار ٠

سريرنا أخضر ٠٠ كقول مرنم إسرائيل الحلو " *في مراعٍ خضر يربطني ٠ إلى مياه الراحة يوردني* " (مز ٢٣ : ٢) ٠٠ " *أما أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الرب* " (مز ٥٢ : ٨) ٠

سـريرنا ٠٠ رمـز للشركة الهادئة معه " *تعالوا أنتم منفردين إلى موضع خـلاء وأستريحوا قليلاً* " (مر ٦ : ٣١) وقول العروس " سريرنا " إشارة للسرور المتبادل فالنفس تفـرح بالله ، وهـو يقول " *لذّاتي مع بني آدم* " (أم ٨ : ٣١) ٠٠ " *يلـذ له نشـيدي وأنـا أفرح بالرب* " (مز ١٠٤ : ٣٤) وهكذا نالت السامرية الخلاص ، وخلاصها كان طعاماً للسيد المسيح ، فبعد أن أحضر التلاميذ الطعام له قـال لهم " *أنا لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم* " (يو ٤ : ٣٢) وكما يجد الخاطئ شـبعه فـي الرب ، فإن الرب يجد شبعه في عودة الخاطئ " *فنأكل ونفرح ٠ لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد* " (لو ١٥ : ٢٣ ، ٢٤) وكما قال السيد المسـيح " *يثبـت فرحـي فيكم ويكمل فرحكم* " (يو ١٥ : ١١) وقال عمن يقبله " *أتعشى معه وهو معي* " (رؤ ٣ : ٢٠)٠

سـريرنا أخضر ٠٠ إشارة إلى جسد السيد المسيح ، فبعد أن أخذ طبيعتنا البشـرية جسـداً وروحـاً إسترحنا فيه كما في حديقة خضراء ، وأيضاً إشارة إلى جسـدنا بعـد الفداء والذي إستراح فيه روحه القدوس " *أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم* " (١كو ٣ : ١٦) ٠٠ " *فأنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله إنـي سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً* " (٢كو ٦ : ١٦)٠

٦- " *شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني* " (نش ٢ : ٦)

إذ قالـت العـروس في الآية السابقة " *أسندوني بأقراص الزبيب أنعشوني بالتفاح فإني مريضة حباً* " (نش ٢ : ٥) فجاءت لها الإجابة سريعاً حتى أنها قالت " *شـماله تحـت رأسي* " ٠٠ ترفعني من ضعفاتي ، وتصير كوسادة تستريح عليها رأسـي بالمواعـيد الإلهـية ، فالـرأس المثقلة بالإنشغالات والإنفعالات والهموم والمشاكل والمخاوف تستريح على ذراع المسيح٠

ويميـــنه تعانقنـــي ·· كقول أبينا يعقوب في بركته لبنيامين " *حبيب الرب يسكن لديه آمناً · يستره طول النهار وبين منكبيه يسكن* " (تث ٣٣ : ١٢)·

ويميـــنه تعانقنـــي ·· اليمين التي إختبرها داود النبي فقال " *تعرفني سبل الحياة · أمامك شبع سرور · في يمينك نعم إلى الأبد* " (مز ١٦ : ١١) وتضرع لله قائلاً " *أحفظني مثل حدقة العين · بظل جناحيك أسترني* " (مز ١٧ : ٨) وسبح الله قـــائلاً " *أعظمـــك يارب لأنك أحتضنتني ولم تشمت بي أعدائي* " (السبعينية مز ٣٠ : ١) ·· " *ما أكرم رحمتك ياالله · فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون* " (مز ٣٦ : ٧) ·· " *التصقت نفسي بك · يمينك تعضدني* " (مز ٦٣ :.٨)·

ويميـــــه تعانقني ·· مثل الحمل الصغير في حضن الراعي " *هوذا السيد الـــرب ·· كراع يرعى قطيعه · بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات* " (أش ٤٠ : ١٠ ، ١١)·

ويمينه تعانقني ·· أي تعضدني وتكشف لي عن محبته الأبدية كما كشفت ليوحنا وهو في المنفى بجزيرة بطمس " *فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى عليّ قائلاً لا تخف أنا هو الأول والآخر* " (رؤ ١ : ١٧) فاليد التي رآها مسمَّرة على الصليب ، هي التي رآها بعد القيامة تحمل آثار المسمار وتوما يلمسها بأصـــبعه ، هـــي التي رآها صاعدة إلى السماء ومرفوعة بالبركة ، وهي التي عاد ينظرها وقد وضعت عليه بحنان بالغ عندما سقط كميت لتقيمه·

ويقول نيافة الأنبا يؤانس الأسقف العام " وعندما نتذوق نحن هذه الأحضان الإلهية ·· عندما يأتي إلهنا القدوس ، ويسند رؤوسنا المثقلة على شماله ·· ويمينه المـــباركة تعـــانق نفوسنا بملء حبه وحنانه ·· لست أدري ياأخوتي ماذا ستكون مشاعرنا آنذاك ؟ ·· أخال أننا سننسى العالم كله بأنينه وأوجاعه وأفراحه ، وندخل

فـــي حالة سبي روحاني فائق للغاية ·· ياترى كم ستتهلل أرواحنا ؟! وكم ستبتهج نفوســـنا بعظيم صنيع الرب معنا ؟! ·· ياترى كم ستختلج قلوبنا بالكثير والكثير ، ونحـــن في أحضان إلهنا الحبيب ؟! ·· لست أدري ياإخوتي ·· كل ما أدريه أننا ســنتهلل وننشــــد مـــع عروس النشيد بنشيدها الجميل شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني " [1].

٧- " ***في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي · طلبته فما وجدته*** " (نش ٣ : ١) :

فــبعد أن قالـــت العروس " *حبيبي لي وأنا له الراعي بين السوسن إلى أن يفيح النهار* " (نش ٢ : ١٦ ، ١٧) فقدت الإحساس بقربه فدخلت في ظلمة الليل·

فـــي اللـــيل ·· أي فـــي ظلمة الخطية ، وعلى فراشي ·· أي في كسلي وتهاوني ورقادي وبعدي عن إلهي·

طلبـــت مـــن تحبه نفسي ·· فرغم تهاوني وخطيتي إلاَّ أنني مازلت أحب إلهـــي ، مـــثلما أنكـــر بطرس سيده وقت ظلمة الليل وفي لحظات الضعف ، وبعد القيامة لم يسأله سيده عن سبب الإنكار ، إنما سأله : أتحبني يابطرس ؟ ، فأجاب : نعم ·· يارب أنت تعلم كل شئ ·· أنت تعلم أنني أحبك ·

طلبـــته فمـــا وجدتـــه ·· العروس طلبت العريس ولم تجده لأنه في حالة تراخـــي وخطية " *تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديّاً لكي تنفقوا في لذاتكم* " (يع ٤ : ٣)·

---

[1] تأملات في الإصحاح الثاني في سفر نشيد الأناشيد ص ٨٧

طلبــت مــن تحــبه نفسي • طلبته فما وجدته •• هذا لسان حال الكنيسة وعريســها في القبر ، والمريمات والتلاميذ يلتمسونه ولا يجدونه ، ولكن بعد فترة وجيزة ألتقوا معه في فجر القيامة•

٨- *" أدخلنـــي الملــك إلى حجاله "* (نش ١ : ٤) •• *" فأمسكته ولم أرخه أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي "* (نش ٣ : ٤)

أدخلنـــي الملـــك إلـــى حجاله •• عندما طلبت العروس أن يجذبها وراءه فـتجري هـــي وبقية العذارى جاءت الإجابة السريعة إذ أدخلها الملك إلى حجاله ، وبتعبـــير المـــزمور *" قصور العاج "* (مز ٤٥ : ٨) وكشف لها عن مجد ألوهيته ، فوقفت في صمت ووقار وخشوع تتأمل فى جمال الحبيب وتنبهر بطلعته البهية •

أدخلنــــي الملـــك •• فالـــنفس لا تقدر بقوتها الذاتية أن تدخل إلى حجال الملـــك ، وتحـــتاج للعريس الذي يلتقطها ، كما ألتقط نوح الحمامة بعد عودتها ولم تجـــد لها مستقـــراً علـــى الأرض *" فمد يده وأخذها وأدخلها* عنده *إلى الفلك "* (تك ٨ : ٩)•

أدخلني الملك إلى حجاله •• والحجال هو الكنيسة بيت مقدسه التي إشتاق إليها داود النبي *" واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله "* (مز ٢٧ : ٤) وكما قال المـــرنم *" مـــا أحلى مساكنك يارب الجنود تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب • قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي •• لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف "* (مز ٨٤ : ١ – ١٠)•

فأمســكته ولــم أرخه •• كما حدث مع مريم المجدليـــة ومريم الأخرى *" فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له "* (مت ٢٨ : ٩) وكما حدث مع تلميذي عمواس

" *فألزماه قائلين أمكث معنا لأنه نحو المساء وقد مال النهار • فدخل يمكث معهما* " (لو ٢٤ : ٢٩) •

أدخلـته بيـت أمي وحجرة من حبلت بي •• فالعروس دخلت إلى حجال الملـك مـن خلال مخدع الصلاة وتمتعت بجمالـه وجلاله ، وها هي تدعوه إلى سكنى قلبها •• أدخلت عريسها إلى بيت أمها بيت النعمة ، وحجرة الأم هي حجرة المحبة •

٩- " ***شفتاكِ كسلكة من القرمز وفمكِ حلو*** " (نش ٤ : ٣) •• " ***شفتاكِ ياعروس تقطران شهداً تحت لسانكِ عسل ولبن*** " (نش ٤ : ١١) •• " ***خداه كخميلة الطيب • وأتلام رياحين ذكية • شفتاه سوسن تقطران مرّاً مائعاً*** " (نش ٥ : ١٣) •

شـفتاكِ كسلكة من القرمز •• السلكة أي الخيط ، وخيط القرمز هنا رمز للفداء ، وهذا يذكّرنا بحبل القرمز الذي أنزلته راحاب من كوة منزلها ، فكان سبب خـلاص لكـل مـن في البيت (يش ٢ : ٢١) كما أن القرمز يشير إلى الملوكيَّة ، فعـندما أستهزأوا بيسوع على أنه ملك اليهود " *ألبسوه رداءاً قرمزياً* " (مت ٢٧ : ٢٨) •

شـفتاكِ كسـلكة مـن القرمز •• وكل صفة جمال في العروس هي في الحقـيقة مكتسـبة مـن العريس ، فمن أين جاء خيط القرمز إلاَّ من دماء المسيح السـائلة علـى جسـده وتقطر على الأرض لتغسل لعنتها ؟! ولماذا صارت شفتا العـروس قرمزيـتان ؟ •• لأنهمـا تلطختا بدم المسيح في سر الأفخارستيا ، وقد تطهـرتـا بالجمـرة الملتهـبة ناراً " *إن هذه مسَّت شفتيك فانتُزع أثمك وكُفّر عن خطيتك* " (أش ٦ : ٧) •

شفتاك كسلكة من القرمز ٠٠ فبعد أن صارت أسنان العروس قوية كقطيع الخراف المجزوزة قادرة على الأكل ، فبالتالي أصبحت قادرة على الكلام والشهادة للمصلوب ، وكلام الإنسان هو المرآه التي تكشف دواخله " *الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح ٠ والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشرور ٠ فإنه من فضلة القلب يتكلّم فمه* " (لو ٦ : ٤٥) كما صارت هذه النفس قادرة على تقديم " *ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة بإسمه* " (عب ١٣ : ١٥)٠

وفمك حلو ٠٠ لأنه لا تخرج منه كلمة جارحة ولا كلمة بطالة ، وفمك أي حديثك أو كلماتك ، ويقول " ديليش " أن الصيغة المستخدمة هنا للفم كأداة للحديث (التفسير الحديث ص ٧٥) شفتاك ياعروس تقطران شهداً ٠٠ فكلامك حلو مثل الشهد ككلام القديسين ٠٠ مثل كلام القديس يوحنا الذي لُقّب بفم الذهب ، والقديس غريغوريوس الذي لُقّب بالناطق بالإلهيات ، والقديس مارآفرام السرياني الذي لُقّب بقيثارة الروح القدس ، والقديس أثناسيوس الذي قيل عنه " إن سمعت كلمة لأثناسيوس ولم تجد ورقاً تكتبها فأكتبها على قميصك " ٠٠

شفتاك ياعروس تقطران شهداً ٠٠ تقطران أي كلامك قليل ، لأنه شهد والنحلة تحتاج إلى مجهود شاق ووقت طويل لتصنع الشهد ، وكلامك ما هو إلاّ كلمات تسبيح ، كلمات منفعة وبركة ، كلمات تعزية وتشجيع ، كلمات حق ٠٠ حقاً قال الحكيم " *الكلام الطيب شهد عسل حلو للنفس* " (أم ١٦ :٢٤)٠

شفتاك ياعروس تقطران شهداً ٠٠ مثل النحلة التي تتميز بالمثابرة والإجتهاد ، فالنحلة تتنقل من زهرة إلى أخرى ، ومن حقل إلى آخر لتمتص الرحيق ثم تجود به شهداً للإنسان " النحلة ضئيلة بين الطير وشهدها أعذب ما يستساغ من الطعام " (أبن سيراخ ١١ : ٣) ويقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص " يليق بنا أن نطير على مروج التعاليم الموحى بها ، ونجمع من كل منها

فـــي مخازننا التي للحكمة • هكـــذا يتكوَّن العسل في داخلنا وكأنه ذلك المحصول الحلـــو الذي يُخزَّن في قلوبنا في خلية نحل ، وبواسطة التعاليم المتنوعة تتشكل في ذاكرتـــنا مخازن مثل الخلايا الشمعية التي لا تهلك • يلزمنا أن نكون كالنحلة فإن عســـلها حلو ولدغتها لا تؤذي ، ننشغل في عمل الفضيلة الهام • أنها تنهمك بالحق فـــي تحويـــــل أتعاب هـــذه الحيـــاة إلـــى بركات أبديـــة ، وتقديم جهادِها لصحة ملـــوك وشعب • هكـــذا أيضـــاً النفس تجتذب العريس ، ويعجـــب بها الملائكة " (Sermon 9) [١]•

تحتَ لسانك عسل ولبن •• العسل هو كلام الله ، فعندما أكل حزقيال النبي الدَّرْج يقول " *فأكلته فصار في فمي كالعسل حلاوة* " (حز ٣ : ٣) وقال داود النبي عنه " *أشهى من الذهب والأبريز الكثير وأحلى من العسل وقطر الشهاد* " (مز ١٩ : ١٠) •• " *ما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفمي* " (مز ١١٩ : ١٠٣) وإذ تـتغذى الـــنفس بكلام الله تنال الشفاء الكامل " *الكلام الحسن شهد عسل حلو للنفس وشـــفاء للعظام* " (أم ١٦ : ٢٤) أما اللبن فهو طعام كامل للأطفال ، ويقول القديس غـــريغوريوس أسقف نيصص " الإنسان الذي يعرف كيف يتحدث مع كل نوع من البشـــر ولـــه تحت لسانه قوى مختلفة للكلمة الإلهيـــة (عسلاً ولبناً) هو ذاك الذي يقـــدر أن يقـــدم لكـــل واحـــد ما يناسبـــه حســـب قدراتـــه في الوقت المناسب " (Sermon 9) [٢]•

خـــداه كخمـــيلة الطيـــب • واتلام رياحين ذكية •• خدا العريس يُظهران تواضـــعه وجمالـــه ، فهما الخدان اللذان تحملتا اللطمات " *بذلت ظهري للضاربين وخـــديّ للناتفين • وجهي لم أستر عن العار والبصق* " (أش ٥٠ : ٦) وهما اللتان

(١) القمص تادرس يعقوب – تفسير نشيد الأناشيد ص ١١٢
(٢) المرجع السابق ص ١١٣

غطـتهما قـبلات يهــوذا الغاشة • خداه كخميلة الطيب أي كالأشجار العطرية الكثيرة ، واتلام الرياحين أي باقات الرياحين •

شـفتاه سوســن تقطران مرّاً مائعاً •• فقد قال له المرنم *" انسكبت النعمة علــى شـفتيك "* (مـز ٤٥ : ٢) وقــال عــنه الأنجيل *" وكان الجميع يشهدون له ويتعجـبون مــن كلمــات النعمة الخارجة من فمه "* (لو ٤ : ٢٢) ، وتقطران مرّاً إشارة إلى نبوات السيد المسيح عن موته ودفنه•

شـفتاه سوســن تقطران مرّاً مائعاً •• السوسن هو ذنابق الحقل التي قال عــنها الــرب يسوع *" تأملوا ننابق الحقل كيف تنمو • لا تتعب ولا تغزل • ولكن أقــول لكــم أنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها "* (مت ٦ : ٢٨ ، ٢٩) والمــر المــائع كما رأينا من قبل هو مر سائل له رائحة جذابة ، ووصايــا المســيح فــي ظاهــرها مرة وفي داخلها حلاوة ، فقد أعطى الملاك ليوحنا الرائي الســفر الصغير *" فقال لي خذه وكله فسيجعل جوفك مرّاً ولكنه في فمك يكون حلواً كالعســل "* (رؤ ١٠ : ٩) وقــال أرميا النبي *" وُجِد كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي "* (أر ١٥ : ١٦) •

ويرى القديس غريغوريس أسقف نيصص أن شفتا العريس أو فمه سوسن إشارة للآباء الرسل الذين شهدوا بكلمة الرب ودخلوا بالمؤمنين إلى المر المائع أي موت المسيح بالمعمودية والقيامة معه•

١٠-*" ثدياك كخشفتــي ظبية توأمين يرعيــان بين السوسن "* (نش ٤ : ٥) •• *" ثديــاك كخشفتين توأمي ظبية "* (نش ٧ : ٣) •• *" قامتك شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقــيد • قلــت إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها • وتكون ثدياك كعناقيد الكــرم ورائحة أنفكِ كالتفاح • وحنكك كأجود الخمر "* (نش ٧ : ٧ – ٩) •• *" لنا*

أخــت صغيرة ليس لها ثديان ، فماذا نصنع لأختنا في يوم تُخطب " (نش ٨ : ٨) ،، " *أنا سور وثدياي كبرجين* " (نش ٨ : ١٠) ،

ثدياكِ كخشفتي ظبية توأمين ،، أو ثدياكِ كخشفتين توأمي ظبية ، فالمعنى واحد ، وكما رأينا أن الثديين يعبران عن العهدين القديم والجديد ، وبالنسبة لعروس النشـيد يعــبران عــن الناموس والأنبياء ، فقد قــدم الله للكنيسة كلمته من خلال العهديــن ، وهذان العهدان مثل توأمي أي لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض ، فهما متكاملان وليس متناقضين ، فالعهد الجديد مستور أو مخفي في العهد القديم ، والعهد القديم مشروح في العهد الجديد ،

ثديــاكِ كخشــفتي توأمــي ظبية ،، أي كتوأم غزلان صغيرة ، والغزال الصــغير خجول ويرتجف لأبسط الأسباب فهو يعبر عن رقة العواطف والحواس ، لأنــه يتمــيز بالحس المرهف ، فبمجرد أن يشعر بأي شئ مزعج يسرع بالهرب برشــاقة وأقــدام خفيفة وسريعة ، وهكذا النفس التي لديها الحواس المدربة تهرب سريعاً من أي شر أو شبه شر وتكون يقظة لحركات الجسد وحيل إبليس،

يرعــيان بيــن السوســن ،، السيدالمسيح العريس السمائي هو " *سوسنة الأودية* " (نش ٢ : ١) والمؤمنون بإسمه هم جماعة السوسن ، وكلمة الله من خلال العهدين ترعى بين المؤمنين أن تقودهم إلى المراع الخضر وماء الراحة،

قامــتك شــبيهة بالــنخلة ،، فالــنفس تشبه النخلة في إرتفاعها وسموها وإسـتقامتها " *الصــديق كالــنخلة يــزهو كالأرز في لبنان ينمو* " (مز ٩٢ : ١٢) والنخيل كان رمزاً للكنيسة متمثلة في الآباء الرسل ، وحينما وُجِد النخيل وُجِد الماء اللازم للحياة " *ثم جاءوا إلى إيليم وهناك أثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك عند الماء* " (خر ١٥ : ٢٧) كما أن النخيل للزينة ، فقد زُينت جدران الهيكل

بالنخـــيل (١مــل ٩ : ٢٩) والنخيل علامة النصرة ، ولذلك أستقبلت الجموع السيد المسيح في دخوله أورشليم بسعف النخيل ، وجموع المفديين في السماء " *متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخيل* " (رؤ ٧ : ٩) ، وأيضاً الكنيسة في تعاليمها المقدسة السمائية تشبه النخلة٠

قامتك هذه شبيهة بالنخلة ٠٠ " *تنمو في كل شئ إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح* " (أف ٤ : ١٥) ٠٠ " *إلى قياس قامة ملء المسيح* " (أف ٤ : ١٣)٠

قلـــت إنـــيّ أصعد إلى النخلة وأمسك بعزوقها ٠٠ فبعد أن كانت البشرية ســاقطة في الحضيض أرتفعت نحو السماء بفعل الثالوث القدوس ، فحسب العريس إرتفـــاع الكنيسة إرتفاعاً له ، ونصرتها نصرة له ، لذلك جاء بنفسه يطلب الثمار ، ولذلـــك صـــعد إلـــى النخلة يطلب الثمار ، كما جاء من قبل إلى شجرة التين ولكن للأسف الشديد وجدها مورقة بلا ثمر فلعنها ٠

وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ٠٠ عناقيد الكرم إشارة إلى كثرة الثمار ووفرة الغــلات ، وعناقيد الكرم ، لأن الكرم يخرج العصير الذي يتحوّل إلى دم المسيح ، وكأن كلمة الله أصبحت مصبوغة بدم الحمل٠

رائحـــة أنفـــك كالتفاح ٠٠ قالت العروس عن العريس " *كالتفاح بين شجر الوعـــر كذلـــك حبيبـــي بيـــن البنات ٠٠ أنعشوني بالتفاح* " (نش ٢ : ٣ ، ٥) وإذ ألتصقت النفس البشرية بالعريس السماوي أخذت نفس الرائحة " *لأننا رائحة المسيح الذكية لله* " (٢كو ٢ : ١٥) ورائحة التفاح رمز للتجسد الإلهي٠

وحـــنكك كـــأجود الخمر ٠٠ علامة القدرة على تذوق الأمور الروحية ، وأيضـــاً التميـــيز بيـــنها ، والخمر كما رأينا يشير لعمق العلاقة مع الله التي تقود الإنسان للفرح والنشوة ٠

لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان ٠٠ أنها إشارة إلى كنيسة الأمم التي تعاني ضعف شديد إذ ليس لها الناموس ولا الأنبياء ، مثل المرأة الكوشية التي تزوجها موسى (عد ١٢ : ١) وملكة سبا التي جاءت من أقاصي الأرض ، ويقال أن الملك سليمان تزوجها ، وقالوا أن الملك هيلاسلاسي جاء من نسلها ولذلك دعوه سليل الملك سليمان ، ومثل راحاب الزانية ، وراعوث الموآبية ، وأهل نينوى ، فجميعهم يوم أن صاروا ضمن شعب الله أصبح لهم الحق في التمتع بكلمة الله من خلال الناموس والأنبياء٠

لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان ٠٠ إذ بدأت الكنيسة تشعر بمسئوليتها تجاه غير المؤمنين بدأت تتفاهم في هذا الأمر مع عريسها السماوي ، والكنيسة هنا لا تتعامل مع غير المؤمنين من برج عال أو كمعاملة المعلم للتلميذ ، إنما تعاملهم كأخوة لها ، فلا تحتقرهم ولا تحط من قدرهم٠

فماذا نفعل لأختنا يوم تُخطب ٠٠ يوم أن تخطب النفس البشرية للعريس السمائي كقول بولس الرسول " *خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح* " (٢كو ١١ : ٢) عندئذ تنضم لشعب الله فيكون لها الحق في الناموس والأنبياء ، بل في العهدين بكاملهما٠

أنا سور وثديي كبرجين ٠٠ أي أن هناك سوراً بيني وبين أدناس وخطايا وشرور العالم ، وثديي كبرجين أي تعاظم كلمة الله في حياتي ، والكرازة بكلمة الحق حتى تتعظم لدى الآخر فتنتشر كلمة الإنجيل وتنمو وتعتز مثل برج حصين٠

١١- " *حبيبي أبيض وأحمر* " (نش ٥ :١٠)

ويشرح قداسة البابا شنودة الثالث هذه الآية الرائعة فيقول " أنها أكثر عبارة في سفر النشيد تناسب " يسوع المصلوب " كلمة " أبيض " تمثل النقاوة

الكاملـــة والقداسة المطلقة التي يتصف بها هذا الفادي الذي يموت عن العالم كله • بينما كلمة " أحمر " تعبر عن دمه المسفوك على الصليب ••

أبيض : تدل على مجد الرب ، كما ظهر في التجلي •• *" وتغيرت هيئته قدامهم • وصـــارت ثـــيابه تلمع بيضاء جداً كالثلج • لا يقدر قصّار على الأرض أن يبيّض مثل ذلك "* (مر ٩ : ٣١)

حبيبـــي أبـــيض • أبيض كالنور • أو أبيض لأنه نور •• ويقول الكتاب أن *" الله نور "* (١يو ١ : ٥) •• لذلك فالمؤمنون به يُدعون *" أبناء النور "* (يو ١٢ : ٣٦)•

عـــبارة " حبيبي أبيض " عندما تقال عن الله فانها ترمز إلى طبيعته إذ هو نور ، وكذلك ترمز إلى قداسته • كذلك إلى خدامه من الملائكة ، وأبنائه من البشر الصالحين المفديّين ، والبشر من الكهنة ومن التائبين•

كذلك اللون الأبيض يرمز إلى وقار الله وإلى أزليته • يقول دانيال النبي في إحدى الـــرؤى *" وجلس القديم الأيام لباسه أبيض كالثلج ، وشعر رأسه كالصوف النقي ، وعرشه كلهيب نار "* (دا ٧ : ٩) نلاحظ هنا ورود اللونين الأبيض والأحمر معاً ، لأن الـــنار حمـــراء • ونلاحظ نفس الوصف تقريباً في رؤيا يوحنا اللاهوتي ، إذ يقـــول في ظهور الرب له *" وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف النقي كالثلج • وعيناه كلهيب نار • ورجلاه شبه النحاس النقي • كأنهما محميتان في أتون "* (رؤ ١ : ١٤ ، ١٥) حقـــاً " حبيبـــي أبـــيض وأحمر " في التجلي ، على الصليب ، في الرؤيا•

الملائكة أيضاً يتصفون باللون الأبيض كملائكة من نور (٢كو ١١ : ١٤) قيل عن مـــلاك القـــيامة الذي دحرج الحجر *" كان منظره كالبرق • ولباسه أبيض كالثلج "*

(مـت ٢٨ : ٣) ٠٠ وفـي وعد الرب في سفر الرؤيا أنه قال " *من يغلب ، فذلك سوف يلبس ثياباً بيضاً ٠ ولن أمحو إسمه من سفر الحياة* " (رؤ ٣ : ٥)٠

اللـون الأبـيض هو أيضاً يميز القديسين وخدمة الكهنوت : لأنه يدل على النقاوة والقداسـة ٠ فالكهـنة والشمامسة في خدمة المذبح يلبسون ملابس بيضاء ٠ وقال الـرب عن المفديين أنهم " *بيّضوا ثيابهم في دم الخروف* " أنهم " *المتسربلون بثياب بـيض* " الذيـن " *أتوا من الضيقة العظيمة* " (رؤ ٧ : ١٤ ، ٩ ، ١٣) وقيل نفس الوصـف أيضـاً عـن الأربعـة والعشرين قسيساً حول عرش الله ، أنهم كانوا " *متسربلين بثياب بيض* " (رؤ ٤ : ٤)٠

نضـم إلى كل أولئك التائبين الذين وعدهم الرب قائلاً " *إن كانت خطاياكم كالقرمز تبـيض كالثلج* " (أش ١ : ١٨) هؤلاء الذين ينطبق عليهم قول المرتل في مزمور الـتوبة " *إغسـلني فأبيضّ أكثر من الثلج* " (مز ٥١ : ٧) التائب هو أيضاً " حبيب أبيض"٠

فـإن كنـت تحب الله ، كن أبيض مثله ، بقلب أبيض ٠٠ بفكر أبيض ، وألفاظ بيضاء ، ومشاعر بيضاء٠

حـذر الكـتاب مـن الإقتصـار علـى البياض الخارجي وحده ٠ فالكتبة والفريسـيون المـراؤون شبههم الرب بقبور مبيضة تبدو من الخارج جميلة ومن الداخـل عظام ونتانة (مت ٢٣ : ٢٧) وقد قال القديس بولس الرسول لرئيس كهنة اليهود الذي أمر بضربه مخالفاً للناموس " *سيضربك الله أيها الحائط المبيض* " (أع ٢٣ : ٣)٠

أحمـر : حبيبـي أحمر ٠ أحمر لأنه نار ، كما قيل " *إلهنا نار آكلة* " (عب ١٢ : ٢٩) ٠٠ إلهـنا نور ونار ٠ أبيض وأحمر ٠ والسيد المسيح كان أبيض في وداعته

وأحمر في حزمه .. صفاتك يارب لا تتناقض .. في رحمتك أبيض ، وفي عدلك أحمـــر . ورحمـــتك وعدلـــك لا ينفصلان . أنت رحيم في عدلك ، وعادل في رحمـــتك . فيك يمتزج اللونان الأبيض والأحمر ، كالخمر .. لذلك قيل أيضاً في ســـفر النشـــيد أن " *حبك أطيب من الخمر* " (نش ١ : ٢) يمتزج فيه الحنو الأبيض بالحزم الأحمر ، الجاذبية بالهيبة ، العطف بالتأديب ..

أنت يارب أبيض على الصليب . أبيض في قداستك ، لا تستحق الموت . وأنت أحمر في دمك المُراق عنا ، كحامل لخطايانا .. في المعمودية نرى المعمَّد بملابس بيضاء مع شريط أحمر (الزنار) فالملابس البيضاء تشير إلى الحياة الجديدة التـــي نالها في المعمودية (رو ٦ : ٤) .. أما الشريط الأحمر (الزنار) فيشير إلى دم المســـيح .. حياة كل إنسان فينا ، هي قصة الأبيض والأحمر معاً . صار كل مـــنا : أبـــيض نقياً بواسطة الدم الأحمر الذي يطهره .. " *ودم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية* " (١يو ١ : ٧).

كانـــت الخطـــية في العهد القديم تُشبه أحياناً اللون الأحمر . وهكذا قيل في سفر أشـــعياء النبـــي " *إذا كانـــت خطايـــاكم بالقرمز تبيض كالثلج . وإن كانت حمراء كالدودى تصير كالصفوف* " (أش ١ : ١٨) .. ونجد أن عيسو الخاطئ خرج من بطـــن أمـــه " *أحمر كله* " (تك ٢٥ : ٢٥) .. لون الخطية الأحمر ، حمله المسيح نـــيابة عنا إذ " *ألبسوه رداءاً قرمزياً* " (مت ٢٧ : ٢٨) بلون الخطية القرمزي (أش ١ : ١٨) .. "[1].

إعـــتراض : إعترض أحدهم على إحدى مواقع الأنترنت تحت عنوان " تعقيب على تفســـير الـــبابا شنودة لنشيد الإنشاد " جاء فيه تعقيباً علىّ تفسير قداسة البابا للآية " *حبيبي أبيض وأحمر* " (نش ٥ : ١٠) ما يلي " لا هذه صعبة والبابا لابد أن يشتغل

---

(١) تأملات في سفر نشيد الأناشيد ص ٩٤ ـ ٩٨

في الأزرق مادام الموضوع ألوان في ألوان لكي يبرر من هو الحبيب الأبيض في أحمـر هـذا ٠٠ يقـول البابا أنها عبارة تناسب يسوع المصلوب ، ثم يرص مقالة كاملة لإثبات ذلك ، يعني منهج البابا وضح هنا ، يخطف كلمة من النص الأصلي ، ويخـترع لها نظرية لاهوتيـة ويبدأ يرص ٠ ونسأل سؤال هنا : هل يجوز تحت أي مـنطق أو قياس أن نشبه الرب بأي لون ؟؟؟ فما بالك بلونين وخليط منهم ٠٠ يـبدأ الـبابا الرص فيقول : ثياب الرب بيضاء (مر ٩ : ٢ ، مت ١٧ :٢) وكذلك الملائكـة (مت ٢٨ : ٣ ، مر ١٦ : ٥) ومن يغلب أيضاً ثيابه بيضاء (رؤ ٣ : ٥) وهكـذا وضـحت فكرته ، والآن بعض العبارات التي يوضح بها فكرته مواصلاً الرص :

اللـون الأبـيض يرمز إلى وقار الله وأزليته ٠٠ إن كنت تحب إلهك كن أبيض مثله ٠٠ لعل يوحنا قال في قلبه حين رآه " أبيض وأحمر " ٠٠ في رحمتك أبيض في عدلك أحمر ٠٠ فيك يارب يمتزج اللونين الأبيض والأحمر كالخمر لذلك قيل حبك أطيب من الخمر ٠٠ في المعمودية نرى المعمَّد بملابس بيضاء مع شريط أحمر ٠

وكنـت قـد وضـعت تعليق من عندي على كل جملة من كلام البابا بما يستحق وحذفتها رغم أنها مناسبة لمستوى الكلام ، ولكن لا تصلح للنشر العام حتى على الأنترنت ٠٠

ويقـول أيضاً عيسو الخاطئ خرج من بطن أمه أحمر كله خر ٢٥ : ٢٥ وهـذا غـير صحيح ، النص المشار إليه هو في سفر التكوين وليس الخروج ٠٠ والآن نهـدي إلى البابا وأتباعه البلهاء هذه الهدية ، اللون الأبيض هو رمز النجاسة أو علامـة عليها ٠٠ " إذا كان إنسان في جلد جسده ناتي أو قوباء أو لمعة تصير فـي جلد جسده ضربة برص يؤتى به إلى هارون الكاهن أو إلى أحد بنيه الكهنة ٠ فـإن رأى الكاهـن الضـربة في جلد الجسد وفي الضربة شعر قد أبيض ومنظر الضـربة أعمـق مـن جلد جسده فهي ضربة برص ٠ فمتى رآه الكاهن يحكم

بنجاسته " (لا ١٣ : ٢ ، ٣) تأمل ياعاقل ، شعر قد أصبح أبيض يحكم الكاهن هنا بـــلا مناقشة بالنجاسة ، أي علامة النجاسة هي اللون الأبيض رمز الرب عند البابا وأتباعه٠

وإلـــيك نص آخر ٠٠ " وإذا كان الجسم في جلده دملة قد برئت ٠ وصار فـــي موضـــع الدملة ناتي أبيض أو لمعة بيضاء ضاربة إلى الحمرة يُعرض على الكاهـــن ٠ فإن رأى الكاهن وإذا منظرها أعمق من الجلد وقد أبيض شعرها يحكم الكاهـــن بنجاســـته ٠ إنها ضربة برص أفرخت في الدملة " (لا ١٨ : ٢٠) لاحظ النص هنا يقول بيضاء ضاربة إلى الحمرة أي مثل حبيبث البابا الذي يعبده ، ولكنه هنا أيضاً مع الأسف نجس ٠٠

وإلـــيك أيضاً نص آخر يثبت أن اللون الأبيض علامة للخراب ٠٠ " إذ قد صَـــعَدتْ على أرضي أمة قوية بلا عدد أسنانها أسنان الأسد ولها أضراس اللبوة ٠ جَعَلتْ كرمتي خربة وتينتي متهشمة ٠ قد قشرتها وطرحتها فأبيضت قضبانها " (يؤ ١ : ٦ ، ٧) والقضـــبان هنا هي أغصان الشجر وواضح أن تحولها للون الأبيض علامة على الخراب والدمار٠

أمـــامك ثـــلاث نصـــوص تـــدل على أن اللون الأبيض هو رمز للنجاسة والدمار ٠ بل هناك نص منهم يقول أبيض ضارب إلى الحمرة ، وهذه نتيجة اللعب بالألوان بلا تروي ، ولدينا المزيد ، وإن عدتم عدنا ، والله المستعان "٠

رد الإعتراض : واضح وضوح الشمس تجني الكاتب بدليل الآتي :

١- جـــاء في جريدة وطني وفي كتاب تأملات في سفر نشيد الأنشاد ص ٩٨ الشـــاهد لقصة ولادة عيسو (خر ٢٥ : ٢٥) وهي مجرد غلطة مطبعية ، أو غلطة غـــير مقصودة ، وما الدليل على ذلك ؟ ٠٠ الدليل أنك لو سألت صبياً في المرحلة الإبتدائية عن السفر الذي وردت فيه قصة ولادة عيسو ؟ سيجيبك على الفور : بأنه سفر التكوين ، فهل تظن ياذا العملاق الأخضر أن ما يعرفه طفل إبتدائي يُخفى عن

قداســة البابا الموسوعة الدينية العلمية المتحركة ؟! ألا تخجل من نفسك وأنت تذكر التصحيح وكأنك البطل المغوار الذي أمسك بذيل الأسد !! ٠

٢- عــندما تعــرض قداســة البابا لتفسير هذه الآية أخذ الجانب الإيجابي أو الصــفة الغالبة للون الأبيض كما يدركها ويفهمها العالم كله بإستثناء هذا الكاتب ، فقــال أنــه لون النور الذي يرمز لله وملائكته ، وأيضاً لم يغفل الجانب السلبي أو الصفات المضادة للون الأبيض على أنه لون النقاء والقداسة ، وذكر في هذا مثلين أولهما القبور المبيضة من الخارج ومن الداخل تشمل عظام أموات وكل نتانة (مت ٢٣ : ٢٧) وقال أنها تشير للمرائيين ، وثانيهما رئيس الكهنة الذي لم يسلك بحسب وصــايا الــناموس الذي يعلم به الناس ، فأمر بضرب بولس على فمه وهو برئ ، فقال له بولس *" سيضربك الله أيها الحائط المبيض "* (أع ٢٣ : ٣)٠

وأيضــاً عندما تكلم قداسة البابا على الصفة السائدة للون الأحمر قال أنها تشــير للــون الدم ، وأيضاً لم يغفل الصفة الأخرى المضادة للون الأحمر على أنه لــون الدم ، فقال أنه ورد في الكتاب المقدس أيضاً كرمز للخطية ، وقال أن السيد المسيح حمل خطايانا٠

ولم يكن مطلوباً من قداسة البابا أن يورد لنا كل الأمور في الكتاب المقدس التي جاءت باللون الأبيض أو الأحمر ، فكل لبيب بالإشارة يفهم٠

٣- قــل لــي يا من لا تؤمن أن اللون الأبيض يدل على القداسة والنقاوة ٠٠ لمــاذا يشــترط في ملابس الإحرام اللون الأبيض ، وليس أي لون آخر ؟! وكيف يــرتدي هؤلاء اللون الأبيض وهو بحسب إعترافك أنه لون النجاسة والدمار ؟ ٠٠ هل تفسر لنا هذه المعضلة ، أم أنك ستتنكر لهذه الملابس أيضاً ، وتؤكد لنا أنه في العام القادم ستحج بملابس زرقاء اللون !!

٤- قــل لي يامن تعترض على أن اللون الأحمر لون الدم ، لماذا أختاروا في العالم كله اللون الأحمر كعلامة على الخطر ؟ ألم ترى إشارات المرور في أي بلد فــي العالم . فحينما تضئ الإشارة باللون الأحمر فمعنى هذا حظر المرور ، وأن هناك خطورة من العبور ؟!

١٢- " ***مــا أجمل رجليك بالنعلين يابنت الكريم. دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يــدي صناع . سرتك كأس مدورة . بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن*** " (نش ٧ : ٢١).

مــا أجمــل رجلــيك بالنعلين يابنت الكريم .. وفي الترجمة السبعينية ما أجمل خطواتك بالنعلين يابنت الأمير ، ودعاها بنت الكريم أو بنت الأمير لأنها بنت الله " *إبنة الملك* " (مز ٤٥ : ١٣) .. وقد سبق أن مدحت العروس العريس مبتدئة مــن الرأس حتى القدمين (نش ٥ : ١١ – ١٥) وهنا يمتدح العريس العروس مبتدأ مــن القدمين حتى الرأس ليعطي الأعضاء التي تبدو بلا كرامة كرامة أفضل (١كو ١٢ : ٢٣ ، ٢٤).

مــا أجمــل رجلــيك بالنعلين .. ما أجمل خطواتك التي تتميز بالإتزان والوقار .. خطوات العودة لله في طريق التوبة .. خطوات السلوك الإنجيلي .. خطوات السير في الطريق الملوكي.

ما أجمل رجليك بالنعلين .. إشارة لخطوات الكارزين كما قال الإنجيل " *مــا أجمــل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات* " (رو ١٠ : ١٥) وإشارة للكنيســة التي أحتذت بأنجيل السلام " *وحاذين أرجلكم بإستعداد إنجيل السلام* " (أف ٦ : ١٥).

دوائــر فخذيــك مثل الحلى صنعة يدى صانع .. وفي الترجمة السبعينية مفاصــل فخذيك ، والمفاصل هي التي تعطي الجسد القدرة على السير والإتزان ،

وعـندما صارع يعقوب الله ضربه الله على حق فخذه " *فانخلع حقُّ فخذ يعقوب في مصـارعته معه* " (تك ٣٢ : ٢٥) والمفاصل تشير إلى وحدة الكنيسة ، فهي التي تـربط الأعضـاء بـرباط المحبة الكامل بغض النظر عن إختلاف الجنس واللغة والـثقافة والناحية الإجتماعية والسن ... إلخ ، فالكنيسة دائماً فوق الزمان وفوق المكـان . أمـا الصـانع الماهر فهو الروح القدس الذي يهب الشركة والوحدة للكنيسة .

سرتك كأس مدوَّرة .. الذي يربط الجنين بأمه هو الحبل السري ، وعندما يولد الجنين لابد أن يُقطع الحبر السري ويربط ، وعندما قال الله للنفس البشرية .. " *أمـا مـيلادك يـوم وُلدتِ فلم تُقطع سرتك* " (حز ١٦ : ٤) فمعنى هذا أنه كان محكوماً عليها بالموت . أما العروس هنا فقد خرجت للحياة وقُطعت سرتها ، فلها أن تعـيش الحياة الجديدة المقدَّسة ، وعندما رُبطت سرتها صارت كأس مدورة أي حملـت طبيعة الأبدية التي يشار إليها بالدائرة ، وفي الميرون تدهن السرة بالزيت المقدَّس .

بطـنك صـبرة حنطة مسيجة بالسوسن .. إشارة للسيد المسيح الذي شبه نفسـه بحبة الحنطة ، وإشارة للكنيسة التي بها مخازن الحنطة التي تشبع النفس من خـلال سـر الأفخارسـتيا ، ومسيجة بالسوسن أي محاطة بالقديسين وفي الوسط العريس السماوي سوسنة الأودية.

١٣- " تعالَ ياحبيبي لنخرج إلى الحقل ولنبت في القرى . لنبكرن إلى الكروم . لنـنظر هل أزهر الكرم ؟ هل تفتح القعال ؟ هل نور الرمان ؟ هناك أعطيك حبي " (نش ٧ : ١٠ -١٢).

تعالَ ياحبيبي .. كما قالت من قبل " أنا لحبيبي وحبيبي لي " إشارة لحياة التكريس والتخصيص لله.

لنخرج إلى الحقل ٠٠ لا تستغل العروس العريس لإشباع إحتياجاتها ، إنما تدعــوه للخروج معها للخدمة فلم تعد العروس تعمل بمفردها ، ولا العريس يعمل بدونهــا ، إنما يعملان معاً بعد أن تحرَّرت من كل دوافعها الذاتية ٠٠ إنها تخرج من ذاتها لكيما تهتم بالآخرين ٠

لــنخرج إلــى الحقل ٠٠ والحقل هو مجال التأمل ولقاء الأحباء " وخرج *إســحق ليتأمل في الحقل عند إقبال المساء ٠ فرفع عينيه ونظر وإذا جمال مقبلة ٠ ورفعــت رفقــة عينيها فرأت إسحق فنزلت عن الجمل* " (تك ٢٤ : ٦٣ ، ٦٤) ، والحقــل هو مجال الخدمة كما رأينا في مثل الزارع إذ خرج إلى الحقل ليلقي بذار الكلمــة ، وقــد خرج بولس وأبولس للخدمة وكان الله معهما " *أنا غرست وابلوس سقى لكن الله كان ينمي ٠٠ فإننا نحن عاملان مع الله وأنتم فلاحة الله* " (١كو ٣ : ٦ – ٩)٠

ولنبيــت فــي القرى ٠٠ أي الحياة الداخلية الخفية حيث القلب والعواطف والمشــاعر ، وإذ شــابهت العــروس العريس الذي ليس له أين يسند رأسه دعته للخروج ليس إلى القرية إنما إلى القرى ٠٠ أي مكان وُجِد فيه الخروف الضال ٠٠ وإن كانت الخدمة في المدن لها جاذبيتها فمن يخرج ليخدم في القرى ؟!٠

لنبكرن إلى الكروم ٠٠ في البداية كانت العروس تقول كرمي " *أما كرمي فلــم أنطــره* " (نش ١ : ٦) أما الآن فقد أتسعت دائرة خدمتها فلم تقل كرمي ٠٠ خدمتي ٠ إنما تقول الكروم أي الخدمة المسكونية٠

لنــبكرن إلى الكروم ٠٠ والتبكير علامة الجهد والإجتهاد والمثابرة ، وهنا ضــرورة للتبكير في الخدمة لأن الحصاد قد أبيض والوقت مقصر والأيام شريرة"

أرفعـوا أعينكم وانظروا الحقول أنها قد أبيضَّت للحصاد ٠٠ أنا أرسلتكم لتحصدوا مالم تتعبوا فيه ٠ آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم " (يو ٤ : ٣٥ ، ٣٨)٠

لنـنظر هل أزهر الكرم هل تفتح القعال هل نوَّر الرمان ٠٠ نزل العريس من قبل إلى الكرم *" نزلتُ إلى جنة الجوز لأنظر في خضر الوادي ولأنظر هل أقعل الكـرم هـل نوَّر الرمان "* (نش ٦ : ١١) فالعريس يبحث عن الثمار ، وهنا نجد العـروس وقـد صار لها نفس الإهتمام ، فدعت العريس للخروج معها للبحث عن ثمار الكرم٠

هـناك أعطيك حبي ٠٠ أعطيك حبي في الخدمة وفي التعب وفي المحبة وفي الصبر وفي الإحتمال كما أحب الآباء القديسون الخدمة وأعطوا حبهم لعريسهم من خلال صلواتهم وتسابيحهم ونسكهم وتقشفهم٠

سابعاً : ومازال البعض يتساءل

س ٦٢ : ومـازال بعـض الأخـوة المسلمين يهاجمون السفر قائلين كيف يستخدم الوحي هذا الأسلوب ، فيقول أحدهم على إحدى مواقعهم بشبكة الأنترنت " قد يأتي مغالط مكابر من عشاق التفسير بالرمز أو (الشفرة) ليقول لنا مالا يُفهم ولا يُتصوَّر فـي هذا الكلام الجنسي الفاضح ٠٠ وليت شعري ماذا يقصد الله جل جلاله بفخذي المـرأة المستديرين وبسرتها وبطنها وثدياها ٠٠ ؟! (تعالى الله عما يصفون) أليس مـن المخجـل يانصارى أن تَّدعوا أن الله تبارك وتعالى يُوحي بهذه القذارة ولو كـان الوحـي على شكل رمزي ؟! ألم يجد كاتب سفر نشيد الأنشاد ألفاظاً أخرى يستعيض بها عن هذه الألفاظ التي لا يختلف إثنان على مبلغ وقاحتها ؟ إن هذا ٠٠ لـم يـترك شيئاً للأجيال اللاحقة التي تهوى الغزل الجنسي المفضوح ، فهو لاشك مصـدر إلهام لمن يسلك طريق الغزل الجنسي الفاضح ٠ وأخيراً : هل يجرأ الأباء بقراءة هذا الكلام في القداس أمام الرجال والنساء ٠

وقـــال آخر في موقع آخر " ويبدو أن الحرج إشتد والأسئلة زادت فاحتاج الأمر إلى نزول البابا شنودة بنفسه لتفسير وتبرير بل وتمرير هذا السفر فهل ياترى نجـــح فـــي ذلـــك أم أن الموقـــف إزداد تعقيداً ٠٠ وعلماء النصارى في محاولاتهم المستميتة للتوفيق بين نصوص هذا السفر ينقسموا إلى نوعين :

الـــنوع الأول : التفسير الحرفي كما في كتاب التفسير التطبيقي ٠٠ والخلاصة هنا أن كتـــبة التفسير التطبيقي يعترفون أن الكلام جنسي ولكن في حدود الزواج وكذلك يقول منيس عبد النور في كتابه شبهات وهمية ٠٠ ونحن نقول ألا ينطبق ذلك على أي قصـــــة أو فيلم جنسي هل نقبله لأنه يدور بين زوجين !!!! والبابا على أي حال لا يعترف بهذا التفسير ويصفه بتفسير الجسدانيين٠

النوع الثاني : التفسير الرمزي ٠٠ هل يستطيع أي عاقل لا يزال يستخدم عقله أن يطبق هذا الحوار على الرب والنفس البشرية ٠٠"

تعلـــيق : وقد تدني الكاتب إلى مستوى صعب لا يصح أن نجاريه ، ولكن إن كان إعتراضه على ذكر بعض أعضاء الجسم فدعنا نقول له :

١- هل تعرض السفر لهذه الأعضاء بطريقة رخيصة مبتزلة ؟! كلاًّ ٠٠ أنه تعرض لها في وقار كما يتعرض لها الطب بطريقة علمية أو الشعر الراقي بطريقة بلاغية٠

٢- كمـــا رأيـــنا فـــيما سبق أننا لا نأخذ المعنى الحرفي ، إنما نأخذ بالمعنى الروحي ٠٠ أما أصحاب الفكر الجسدي فإن هذه الألفاظ ستظل حجر عثرة بالنسبة لهم٠

٣- لمـــاذا لم يحتج الكاتب على ماورد في القرآن والأحاديث من ألفاظ مماثلة بـــل وأكـــثر صعوبة من التي وردت بسفر النشيد ؟! ولماذا لم يحتج على الإختبار التـــي أجـــرته خديجة للكشف عما إذا كان الوحي من ملاك أو شيطان ؟! ولماذا لم

يحـتج علـى الأحاديـث الخاصـة بالحيض وخلافه ؟! ولماذا ٠٠ ولماذا ٠٠ ولماذا ٠٠ ؟!

فقط نعرض لمثال واحد وهو ما جاء في كتاب " خواطر مسلم في المسألة الجنسية " لصاحبه محمد جلال كشك حيث يقول :

أ- " إن قضـاء الوطـر ونيل اللذة والتمتع بها ، هذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة ٠٠ تحديد اللذة في حد ذاته وجعلها هي الأصل وهي المنتهى ، ففي الجنة تنعدم الأهداف الأخرى ٠٠ ولا يبقى إلاَّ اللذة للذة " [١].

ب- " حـور العين ثابت في الأثر وبنص القرآن أنهن للإستمتاع الجنسي ٠٠ كـل المحـرمات في هذه الأرض تسقط في الآخرة ، فقد وعدنا بالخمر ٠٠ وحور العيـن بـلا عدد ٠٠ لا أظن أن أحد يستطيع المجادلة في أن الولدان هم غلمان ، وأنهم يُعرضون في مجال التنعم والتلذذ بجمالهم كجزاء حسن للمؤمنين ، مثلهم مثل ٠٠ حور العين كلها ٠٠ للإستمتاع الجنسي " [٢].

ج- " كلمـا قلنا كل تفسيرات الجنة محدودة بقدرتنا على التصوُّر أو إن شئت مقدرتـنا علـى الإشتهاء وكما أن المؤمن السوي يستمتع بأنثى أسمها حور عين ، فكذلك من أبتلى بهوى الغلمان في الدنيا ٠٠ يمتعه الله بكائنات مذكَّرة أسمها الولدان المخلدون " [٣].

ولمـاذا لم يتساءل أحد من المعترضين على سفر النشيد ، كيف يحلل الله الشذوذ الجنسي في الجنة ؟! ٠٠ وكيف يكون هناك إستمتاع جنسي في حضرة الله والملائكة الأطهار ؟!! وكيف ٠٠ وكيف ٠٠ وكيف ٠٠ ؟!!

د- يقول إبن كثير " أن المرأة من نساء الجنة ، ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من الحرير " (تفسير إبن كثير جـ ٣ ص ٤٢٤)٠

---

(١) خواطر مسلم في المسألة الجنسية ص ٣٢
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢
(٣) المرجع السابق ص ٢١٣

هـ - جـاء في تفسير إبن كثير عن عمر بن الخطاب قال " جاء أناس إلى رسـول الله (صـلعم) فقـالوا : يامحمد أفي الجنة فاكهة ؟ قال نعم فاكهة ونخل ورمـان ، قـالوا : أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا ؟ قال : نعم وأضعاف . قالوا : فيقضون الحوائج ؟ قال : لا ، ولكنهم يعرقون ويرشحون " (تفسير إبن كثير جـ ٣ ص ٤٢٤) .. والسؤال كيف تكون رائحة عرقهم ورشحهم ؟! ومن يحتملها ؟!!

و- قـال إبن كثير عن النبي " أدنى أهل الجنة منزلة له ثمانون ألف خادم ، وإثنان وسبعون زوجة ، وتُنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء " (إبن كثير جـ ٣ ص ٤٢٥).

وإذا ذكـرنا بعـض الملاحظات والإشارات عن مفهوم الجنة لدى الغير ، فإنـنا لم نقصد قط التشهير ولا التجريح ، فإنهم يعتبرونها حقائق ، ولذلك لا حرج مـن ذكرها ، ولو كانوا يعتبرونها عيباً ماكانوا يذكرونها .. إنما قصدنا أن نقول لهـم : لمـاذا تكـيلون بمكيالين ؟! .. حقاً أيها النقاد لقد إنطبق عليكم قول السيد المسيح للكتبة والفريسيين المرائين *" أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل "* (مت ٢٣ : ٢٤).

وأيضـاً لـم نقصد من ذكر الملاحظات والإشارات السابقة إننا كلنا " في الهـوى سوى " .. كلاً ، فإن مفهومنا الإنجيلي عن الملكوت يعلو عما سواه علو السـماء عـن الأرض .. يكفي أن نذكر قول السيد المسيح للصدوقيين *" لأنهم في القـيامة لا يُزوّجون ولا يتزوّجون بل يكونون كملائكة الله في السماء "* (مت ٢٢ : ٣٠) .. فنحـن لا نعـترف ولا نقبل أن تكون السماء مسكن الله مع الإنسان مكاناً للذات الجسدية والشذوذ الجنسي .. إلخ .. وإن الغد لناظره قريب.

وإلـى اللقاء ياصديقي في الجزء الثاني إن أرادت نعمة الله وعشنا ، حيث نناقش أقوال القائلين بأن العهد القديم شريعة الغاب ، وأنه مجموعة من الأساطير.

الأسكندرية في ١٦ مسرى ١٧٢٠ش الموافق٢٢ أغسطس ٢٠٠٤م

عيد إصعاد جسد السيدة العذراء للسماء

المراجـــــع

١- الكتاب المقدّس (الطبعة البيروتية – دار الكتاب المقدس ، والطبعة اليسوعية – دار المشرق بيروت سنة ١٩٨٨م)٠

٢- قاموس الكتاب المقدّس٠

٣- دائرة المعارف الكتابية٠

٤- معجم اللاهوت الكتابي٠

٥- جرهاردوس فوس – ترجمة د٠ عزت ذكي – علم اللاهوت الكتابي٠

٦- قداسة البابا شنودة الثالث – سنوات مع أسئلة الناس جـ١٠ ٠

٧- الأسقف إيسيذورس – مشكاة الطلاب في حل مشكلات الكتاب٠

٨- نيافة المتنيح الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي – الإلحاد المعاصر وكيف نجابهه٠

٩- القمص تادرس يعقوب ملطي – تفسيرات العهد القديم٠

١٠- الأب جورج فلورفسكي – الكتاب المقدّس والتقليد٠

١١- نجيب جرجس – تفسيرات العهد القديم٠

١٢- د٠ وهيب جورجي كامل – الكتاب المقدّس والعقيدة مع عرض ومناقشة مدارس التشكيك٠

١٣- د٠ وهيب جورجي – مقدمات في العهد القديم٠

١٤- القس عبد المسيح بسيط أبو الخير – الكتاب المقدّس والنقد الحديث (١) التوراة كيف كُتبت ؟ وكيف وصلت إلينا ؟٠

١٥- القس عبد المسيح بسيط أبو الخير – دراسات في لاهوت الكتاب المقدّس (٢) الأنبياء والنبوءة والتنبؤ ٠٠ هل كان المسيح نبياً ؟

١٦- القس عبد المسيح بسيط أبو الخير – دراسات في لاهوت الكتاب المقدس (٣) الوحي الإلهي وإستحالة تحريف الإنجيل٠

١٧- القس انجيلوس جرجس – من يطعن في ٠

١٨- القس انجيلوس جرجس – وجود الله وصور الإلحاد٠

١٩- القمص بولس عطية – دراسات في علم اللاهوت ٠
٢٠- الأب جورج سابا – على عتبة الكتاب المقدّس٠
٢١- القس بولا عطية – التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة جـ١ ٠
٢٢- القس بولا عطية – التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة جـ٢ ٠
٢٣- القس بولا عطية – رؤية أرثوذكسية نحو الكنيسة٠
٢٤- هل الكتاب المقدّس وحده يكفي ؟ – ترجمة أسرة القديس ديديموس بكنيسة الشهيد مارجرجس اسبورتنج٠
٢٥- الشماس يسى منصور – التوراة فوق الفكر الحديث٠
٢٦- الهداية ج ١ في الرد على إظهار الحق – طُبع بمعرفة المرسلين الأمريكان سنة ١٩٠٠م٠
٢٧- القس صموئيل يوسف – المدخل إلى العهد القديم٠
٢٨- د٠ ق منيس عبد النور – شبهات وهمية٠
٢٩- ريشار وورمبراند – تعريف كريم خاشو – العذاب الأحمر٠
٣٠-جوش مكدويل – برهان يتطلب قراراً٠
٣١- يوسف رياض – وحي الكتاب المقدّس ٠
٣٢- اريل البردويل – صوت من الأنقاض٠
٣٣- د٠ جوزيف بطرس – مذكرة مؤتمر تثبيت العقيدة السادس٠
٣٤- أ٠ جرجس إبراهيم صالح – مذكرة مؤتمر تثبيت العقيدة السادس٠
٣٥- أ٠ جرجس إبراهيم صالح – المدخل لدراسة العهد القديم٠
٣٦- ريتشارد اليوت فريدمان – ترجمة عمر زكريا – من كتب التوراة ؟
٣٧- رسالة صديق الكاهن – أعداد يونيو ، وسبتمبر ، وديسمبر ١٩٧١م ، ومارس ، ويونيو ١٩٧٢م ، ومارس ١٩٧٢م٠

المراجع الأجبية :

1- A NEW CATHOLIC COMMENTTARY ON HOLY SCRIPTURE.
2- DICTIONARY OF THE BIBLE – EDITED BY JAMES HASTINGS.
3- OLD TESTAMENT INTRODUCTION BY JOHN HOWARD RAVEN, D.D.

الفهـــرس

صفحة

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٤/١٦٣٤١

I.S.B.N. 977- 5345- 81- 2



الثمن : ٦٥٠ قرش